سور ومواقف
حياة الربانيين

الربانيون الثلاثة

سيرة ثلاثة من العلماء الربانيين

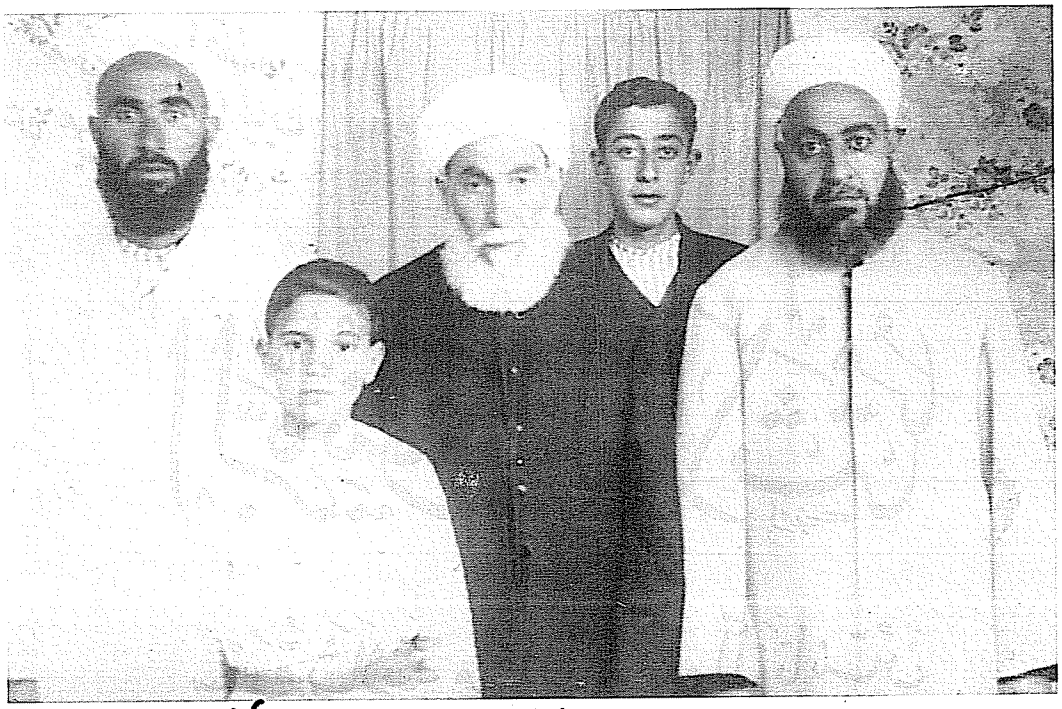
بقلم محمد زكريا المسعود

قدم له

فضيلة الشيخ أحمد قلاش الدكتور نور الدين عتر الدكتور هاشم محمد مهدي

دققه الأستاذ عبد الله المسعود

دار السلامي
للطباعة والنشر والتوزيع



يتوسط الصورة الشيخ محمد المسعود وعن يمينه الشيخ محمد سعيد وعن يساره الشيخ محمد علي
وفي الامام المؤلف محمد زكريا وفي الخلف محمد بن الشيخ محمد سعيد
الصورة عام ١٩٥٠

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

قامت بطباعته وإخراجه دار الرشيدي للطباعة والنشر والتوزيع
الجمهورية العربية السورية ـ محافظة حلب ـ شارع أقيول ـ ص.ب ١٦٧٤
هاتف: ٣٢١١٠٩٦ ـ ٣٢٣٠٠٠٨ ـ فاكس: ٠٠٩٦٣٢١/٣٢٤٢٢٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- إلى أولادنا، وأولادهم من بعدهم . .
- وإلى أحبابنا وإخواننا وأبنائهم . .
- وإلى كل من عرف هؤلاء الربّانيّين وصحبهم أو خالطهم . .
- وإلى الأجيال الصاعدة التي تأتي من بعدهم . .

نقدم مسيرة آبائنا وأجدادنا الذين أعزهم الله بهذا الإسلام وأكرمهم بالتقوى، وزينهم بالعلم النافع، فحملوه وبلغوه إلى الناس بأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم . .

فكانت سيرتهم من خير السير، وسلوكهم من خير السلوك، وأخلاقهم قدوة ومثلاً يحتذى . .

- فإلى كل محب لهذا؛ أقدم سيرة أولئكم الربّانيّين الذين تمثلوا قوله تعالى: ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ . .

فالتزموا هذا المنهج وكانوا أحق به وأهله، وكانوا حجة على أهل عصرهم علماء وعامة . .

➢ إلى أبنائنا وبناتنا؛ مرة أخرى نهدي هذه السيرة لتكون لهم قدوة ومسلكاً . .

حفظهم الله وأنبتهم نباتاً حسناً، وألحقنا الله سبحانه بهذا الركب الرّباني على أفضل حال يرضاه ربنا سبحانه مع العافية وكمال التقوى . . آمين

أبناء الشيخ محمد علي المسعود

كلمة طيبة لشيخنا الأستاذ أحمد القلاش حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله، وأفضل صلوات الله، على الطيب أبي الطيب، سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله.

وبعد:

فقد أطلعني الأخ الفاضل، العلامة العامل، الشيخ محمد زكريا المسعود، على كتاب ألفه في ترجمة أسرته الكريمة:

أسرة آل مسعود؛ وكلفني ان أكتب تقريظاً لهذا الكتاب النافع.

فقلت في نفسي ماذا أقول في أسرة كل واحد فيها عالم ومسعود، فلله تلك الآباء والجدود.

نفعنا الله بسيرتهم وأعمالهم، وألهمنا أن نمشي على آثارهم لنكون مع الصادقين المتقين.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أحمد القلاش

٢٠ رجب ١٤٢٤هـ

كلمة الحسيب النسيب الأستاذ الدكتور هاشم محمد مهدي

المستشار في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أدام الله نفعه آمين

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد السادات نبينا محمد وعلى آله النجوم النيرات وعلى صحبه الكواكب الساطعات وعلى التابعين نهجهم من الوارثين والوارثات.

أما بعد . . .

فقد أرسل إليَّ فضيلة الشيخ محمد زكريا محمد علي المسعود مفتي مدينة الباب من حلب الشهباء في سوريا الغراء مسودة كتابه **(الربانيون الثلاثة)** والذي يحكي فيه سيرة أبيه الشيخ محمد علي المسعود، وجده الشيخ محمد المسعود، وعمه الشيخ محمد سعيد المسعود، الذين اشتغلوا بالعلم الشريف دراسة وتدريساً فكانوا الجهابذة الأعلام الذين بلغوا المرام بما أوضحوا للأنام من فنون التربية في الأصول والأحكام، والكلام حول ذلك يطول فجزاهم الله خيراً كثيراً في هذه الدار ودار المقام.

وحيث أن أخي الشيخ محمد زكريا المسعود قد زارني في حج هذا العام ١٤٢٨هـ، أعاده الله علينا وعلى المسلمين بالتقى والعافية، بمكة المكرمة، وطلب مني أن يكون حديث تلك المسامرة حول الأولياء والصالحين مقدمة لكتابه **(الربانيون الثلاثة)** لكونه مناسباً لموضوعه. فأقول مستعيناً بالله، أن الإيمان ثمرة حب كبيرة، وهذه الثمرة لا بد أن تتكون في شجر المعرفة، فما هو أصل هذه الشجرة وما هو جذعها وما هي فروعها؟أصل هذه الشجرة، الحق سبحانه وتعالى وحبه جلَّ وعلا، فلا بد من معرفته ومعرفة فضله الدائم على الخلق أجمعين، ثم بعد ذلك يأتي جذع تلك الشجرة الكبير وهو رسول الله ﷺ، لا حرمنا الله شفاعته في الدارين، فحبه ﷺ يعني أيضاً معرفته ومعرفة ما جاء به من الخير للناس كافة، ثم تأتي فروع تلك الشجرة

وهم أصحابه أجمعين رضي الله عنهم وأرضاهم، فهم الذين عرفوه ﷺ وعرفوا فضله واقتدوا بهديه وساروا على أثره ﷺ فكانت لهم الأسبقية التي لا تماثلها أية مزية مهما كانت كبيرة، ثم يلي الأصحاب القرابة والأنساب؛ أمدنا الله من بركاتهم فهم الذين زكاهم النبي ﷺ والكتاب الكريم، فهم الذين اتصلوا بالتقوى وارتبطوا بالعروة الوثقى ولا ينفكون عن القرآن حتى يردوا معه على النبي ﷺ حوضه الشريف، وبعد هؤلاء العلماء العاملون نفعنا الله بعلومهم أجمعين. آمين.

فهم الذين اجتهدوا في معرفة النبي ﷺ وأصحابه وأهل بيته ﷺ وساروا على آثارهم واتصلوا بنهجهم بدون تغيير ولا تبديل، وجاهدوا أنفسهم على هذا السبيل محققين قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾. سورة العنكبوت.

وتجدر الإشارة إلى أنه في كل عصر ومصر يساند العلماء والناس بالدعاء؛ أولياء وصلحاء أمدنا الله من أسرارهم وأنوارهم فهم الذين أعطاهم الله الإيمان ومنحهم التقوى وأيدهم بالبشرى في الحياة الدنيا وفي الأخرى، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ سورة يونس.

إن معرفة حقوق هؤلاء وعدم الانتقاص من شأنهم أمر من أمور الإيمان وفرع من فروع شجرته المثمرة.

وأخيراً معرفة حق الوالدين رزقنا الله برهم في الدنيا وفي الآخرة، فهم الذين ربط الله رضاه برضاهم فالذي لا يعرف حق والديه لا يعرف حقاً لأحد ولا فضلاً لأحد وهو مدعي ولا يقبل منه شيء حتى يبر والديه كما أمر الله ورسوله ﷺ.

ولله در القائل الذي في شعره صورة إيمانية أسماها تاج الحب لاشتمالها على ما ذكرنا آنفاً وهي: **تاج الحب**

دعا فـؤادي الهـوى والحـب نـاداني ... وحـارَ بينـهما عقلـي وأعيـاني

فقلتُ يا سيدي كيفَ الخـلاص وفي ... قلبي الهمومُ وفي جنبيَّ أحزاني

فقـالَ في خمـسةٍ تـالله مـا سـطعتْ ... في القلـب إلا تغـشَّته بإيمـان

حـبُّ الـنبي، وآلِ البيـت كلَهـمِ ... جمـيعهمْ دون تفريـق بميـزان

وصـحبهِ الغـرِّ؛ مـن فـازوا بطلعتـهِ ... وعـالمٍ، ووليَ شـيخِ إحـسانِ

فهـو الحبيـب الـذي ترجـى شـفاعته ... في يوم لا والد يرجى ولا حاني

أحيـا بـه الله أمـواتَ القلـوبِ كمـا ... أحيا الحيا قفرةً من بعـدِ نـسيان

وكـم أقـامَ لـهُ مـن قبـلِ مولـدهِ ... ميتـاً وحبُـكَ في ذاك الـذبيحانِ

لا هُـمَّ أحيـي بـه قلبـاً قـد اعتملـتْ ... به الهموم فأمـسى بـالنوى واني

بحقِّ من قـد فَنَـتْ في حُسنِ طلعتـهِ ... عـوالمٌ فأمـسى بـالنوى واني

بحـق جـذع بكـى لمّـا أمـضَّ بـهِ ... فراقهُ فاشتكى من طولِ هجـرانِ

وحـقِّ قـارورةٍ مـن طيبـهِ مُزجـتْ ... تبرَّكـتْ بـشذاها بنـتُ ملحـانِ

ومسجدٍ قد حـوى قـبراً لـه سـطعتْ ... بروقـهُ بـين شـباكٍ وجـدرانِ

وبلـدةٍ طـاب فيهـا كـل منتـسبٍ ... لأرضـها ولـزوارٍ وجـيرانِ

بخلقـهِ وبـأخلاق سمـتْ وعلـتْ ... كأنهـا في عُلاهـا آيَ قـرآنِ

لا فـرقَ بـين رسـولٍ أو رسـالتهِ ... ما العينُ ما شأنها من غير إنسانِ

الـدينُ في النـاسِ حـقٌ مالـهُ أثـرٌ ... لـو لا تنـزُّلهُ في قلـبِ إنـسانِ

الـدين في النـاسِ أقـوالٌ مجـردةٌ ... برهانهُ المصطفى يا خيرَ برهـانِ

وصـحبهُ الغـرُّ مـن بـاعوا نفوسـهمُ ... عزيـزةً كفّنوهـا بالـدَّمِ القـاني

قـاموا لنـصرتهِ في كـلِ معتـركٍ ... وقـاتلوا دونـه في كـل ميـدانِ

لمّا رأوا حسنهُ الميمونَ ما صبرتْ ... قلوبهم عن نبيِ الإنسِ والجانِ
مالوا له حيث مالتْ ركائبهُ ... كأنّهم في الهوى غصنٌ من البانِ
وجاهدوا فيهِ ما خانوا أمانتهُ ... حاشاهموا أهلَ إيمانٍ وإحسانِ
حاشا وكيفَ لهم والركبُ قائدهُ ... محمدٌ وعلى الآثارِ شيخانِ



وآلهُ الطهرُ آلَ البيتِ منْ حملوا ... صفاته في الورى في كلَ
مناقبٌ كعبيقِ المسكِ فائحةً ... زكيةً نشرُها من خيرِ إنسانِ
تركتَ فينا رسولَ الله فاطمةً ... وبثّ نورَكَ من بعدُ الحسينانِ
هذانِ من طوّفَ الإحسانَ بينهما ... تقاسما حُسنَهُ في الناس هذانِ
همُ الملاذَ الذي أوصى النبيُّ بهِ ... مع الكتابِ لملهوفٍ وحيرانِ
عليهمُ صلواتُ المسلمينَ إذا الـ ... ـخمسُ استدارَ بداعيها
فكيف يجفوهمُ في الدين معتقدٌ ... ويدعي حُسنَ إسلامٍ وإيمانِ



وبعدَهمْ أهلَ علمٍ عاملينَ بهِ ... حفّاظَ دينٍ وآثارٍ وقرآنِ
حَموا شريعةَ طهَ من مُنازعها ... وطهّروا ثوبها من كَلَ بهتانِ
وأوصلوا السّنَدَ المبروكَ متصلاً ... لسيدٍ مالهُ في قدرهِ ثاني



واختتمْ بكلِ وليَ في محبتهِ ... مراتبٌ فوقَ إدراكٍ وحسبانِ
أهلَ الحقيقةِ أهلَ الذوقِ منْ ... قلوبهمْ بحرَ حبٍ دونَ شطآنِ
أتوهُ أوْطانهم في الأرضِ ضاربةً ... جذورها ثمّ عادوا دونَ أوطانِ
ويمّموه أسارى في زمانهمُ ... فأصبحوا بعدُ من آنٍ إلى آنِ

وعاينوا حُسنَهُ العلويَّ فاستُلبتْ نفوسهمُ ما خلا رسماً لأبدانِ
وآخرينَ لهمْ في القربِ منزلةً صاروا بها أهلَ تمكينٍ وبرهانِ
ورَّاثَ أحمد، أنعمْ في وراثتهِ تراوحٌ بينَ تحقيقٍ وإمكان
وما طغى منهما باغٍ ولا رجحتْ - على تردُّدها- كفٌّ بميزانِ
صلى عليهِ الذي أعطاهُ ما عجزتْ عنهُ الفهومُ على أزمانِ أزمانِ
وألهِ الزهرِ والأصحاب ثم على أهل الدراية في شرع وإيمان



فإذا أردنا أن ننمي شجرة الإيمان ونجني ثمرتها في الدنيا وفي الآخرة، فعلينا أن نغذيها بالاعتراف بالجميل والشعور بالامتنان وإظهار المحبة لمن ذكرناهم آنفاً وهم الحق سبحانه وتعالى الذي أنعم علينا بجميع النعم، ونبيه المصطفى ﷺ منبع الجود والكرم؛ وأصحابه ذوي الهمم، وآل بيته القمم، ووارثيهم من ذوي الفضل والعلم، والأولياء ذوي الدعم، والوالدين ذوي الرحم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى مولاه وراجي عفوه ورضاه

الأستاذ الدكتور هاشم محمد مهدي

المستشار في رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة، في يوم الأحد ١٤٢٨/١٢/٢٧هـ

نظرات ومدخل إلى هذا الكتاب

بقلم العلامة الدكتور الشيخ نور الدين عتر أستاذ الحديث الشريف
في كليتي الشريعة والآداب بجامعة دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي من استهداه، الكافي من تحرَّى رضاه، المكرم من اتبع سبيله وسنة نبيه ومصطفاه، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وآله وصحبه وتابعيهم بإحسان.

أما بعد: فهذا كتاب يجمع بين طياته النفيسة، صفحات من سيرة شخصيات ثلاث متميزة، تميزت بمنهجها، كما تميزت بموقعها:

أما منهجها: فقد اتسم بالبساطة في التعامل مع المجتمع، بساطة صفاء القلوب، وأريحية النفس، فكل واحد يتجلى فيه حرص الأخ على أخيه، ورفق المعلم الشفوق الناصح بتلاميذه ومريديه، بل بإخوانه، من أهل قريةٍ أو جيران، أو قرابة ونسب، فالبذل سجية فيهم، واصطناع المعروف طبع مغروس في قلوبهم، وهذا خلق إسلامي، مقبوس من خلق المصطفى ﷺ، ينبغي أن يكون في تكوين كل مسلم، فكيف بالعالم، بل كيف بالعالم الداعية، كمثل الرجال الذين بصدد سيرتهم وترجمتهم الضافية المضيئة.

ونلحظ في منهج الأعلام الثلاثة استغناءهم عن مرتبات الدولة، وإن كان لأحدهم مرتب منها، لكنه لايعتمد عليه، بل يتخذ لنفسه حرفة يعمل بها ربما كان تدرب عليها في صغره، وتكون الحرفة شاقة كالنجارة، وما أدراك ما كانت عليه من الصعوبة ؟ أو كالعمل في الزرع بطريق مشروع من طرق التعامل في الزرع، ويسجل لنا هذا الكتاب

مواقف في الورع يقتدَى بها في التعامل بالمال، ما أشد حاجة مجتمعنا اليوم إلى بثها، لينشط المسلم من عِقال الإستسلام للتيارات السائدة في المجتمع، التي أَدخلت في نفوس الكثيرين أن الورع والتشبث بالتقوى مضى وقته.

إن هذا الواقع المؤلم يثير الشعور بالحاجة الماسة لهذا الكتاب، الذي يرسم لنا شخصيات من أهل العلم والعمل والتقوى واتباع السنة، التي ثبت فيها الحديث (من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر خمسين شهيد) رواه الطبراني ورجاله ثقات.

كما أن هذا يدعو شبابنا إلى التواضع والأخذ بزمام المبادرة إلى حرف الصناعة والزراعة، عوضاً عن المسكنة في العمل بالوظائف وأَخذ مرتبها الوشل الآسِن، الذي ازداد الإقبال عليه بصورة غير مقبولة، من كثرة الإقبال، والتهالك عليها.

وفي هذا الإقبال على العمل في الحرفة أو الارض، فضل عظيم ثبت فيه الحديث: «**ماأكل آدمي طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»[1].

ونلحظ في هذا المنهج اختيار كتاب يقرأ للمواظبين على مجلس الشيخ، وهذا مهم جداً، فإنه يفيد في ضبط المعلومات، والصيانة من الخطأ فيها كما يفيد في تثبيتها

وحفظها، وهذا مهم في تكوين القوة العلمية في المستمعين، وغير ذلك من الفوائد.

وأما من حيث الموقع : فالشخصيات الثلاثة تنحدر من أسرة كريمة محترمة، حوفظ فيها على حسن اختيار الزوجة، وهذا مهم لاستمرار النبوغ والمزايا التي تتمتع بها الأسرة، بل لاكتساب فضائل ومواهب جديدة كذلك.

---

[1] ـ رواه البخاري في باب الحث على التعفف رقم الباب /٥٩/ رقم الحديث /٥٤٣/ .

وإن أبناء العائلات المرموقة يتحملون مسؤلية أكبر في تبليغ العلم وحمل الدعوة، لأن كلمتهم أكثر قبولاً وتأثيراً في العامة، كما أنهم أسرع تأثيراً في قلوب الناس، ومن هنا كانت مسؤليتهم أكبر، على عكس ما درج عند أكثرهم، أن هذا المنصب قليل بحقهم لا يليق بهم ؟!!.

وأقول: إنه أعز منصب وأعلى مقام، إنه المقام الذي حدَّث عنه أفضل الأنبياء ﷺ (العلماء ورثة الأنبياء) وكفى بهم عزة أن يتحكموا على الجميع ـ إذا اتقوا الله ـ كباراً وصغاراً، كما قال الشاعر الحكيم:

إن الملوك ليحكمون على الورى وعلى الملوك فتحكم العلماء

وأما الموقع المكاني لهؤلاء الأعلام الذين خلَّفوا ذكريات من أعطر الذكريات، فليس هو عاصمة البلاد (دمشق) ولاعاصمة الشمال (حلب)، بل هو بُليدة كانت في بداية النمو، هي (البا ب) وقرى اخرى مثل دابق وتركمان بارح من (ريف اعزاز) وهذا يلفت النظر، فأعلامنا الذين نقرأ عنهم لم يكونوا مقطوعي الصلة بالمدن الكبرى، وبالعاصمة دمشق، كانت لهم صلاتهم، لكنهم آثروا خدمة الدعوة في مواطنهم، لأن ذلك أجدى لعملهم، لعلمهم بالأفراد وحالهم، وبالمجتمع واحتياجاته، **فآثروا مساجد الحصر الخشنة، والبسط المتقشفة، على المساجد ذات السجاجيد المخملية في المدن القريبة من متناول سعيهم، وفي هذا درس بليغ للدعاة، أن يحرصوا على الإتصال بقاعدة الشعب في الأحياء الشعبية ومساجدها البسيطة البناء والاثاث، حيث النفوس على سجيتها، وصفاء طبعها، تتلهف لمن يعلمها دينها، ويرشدها لخير دنياها وآخرتها.**

وما أنسى لا أنسى فضيلة الشيخ محمد سعيد المسعود (مفتي الباب) السابق رحمه الله تعالى الذي صحبته نحو عام، لما باشرت عملي مدرساً للتربية الإسلامية في هذه البلدة الطيبة (الباب) أواخر سنة (١٩٥٨م) في ثانوية البحتري، وارتأى بعض الأصدقاء المحبين أن

يكون لي عمل في مساجد البلدة، فقد وجدت من فضيلته ما ليس متوقعاً، لقد كان يقدمني على نفسه وأنا دونه في السن بكثير، وحديث عهد بالتخرج من كلية الشريعة في الأزهر، لم أكن سجلت في الدراسات العليا.

لقد كان رحمه الله يقدمني على نفسه في المجتمعات، ويشدد عليَّ أن أتولى الكلام، والتدريس والمحاضرات في الجامع الكبير وغيره، وكان ذلك حافزاً لي للعمل في المساجد، حتى صعدت جبل الشيخ عقيل في الجبل المطل على البلدة، وألقيت في مسجده دروساً بعد الفجر في شهر رمضان المبارك.

إنه ليحق القول بأن الشيخ محمد سعيد رحمه الله ذابت عنده الأنا، واتسع صدره لإخوانه العاملين في الدعوة، على حين كانت المنافسات منتشرة في بلاد أخرى، والتسابق لإطلاق التصريحات وغير ذلك.

لقد تركت وفاة الشيخ محمد سعيد وأخيه ووالدهما ثغرة كبيرة في منطقة الباب والقرى التي كان نشاطهم العلمي وإرشادهم يشملها، ولكن الأمل كبير بفضل الله تعالى أن يجعل في خلفائه من آل مسعود الكرام، ومنهم الأخ مؤلف هذا الكتاب، وفي تلامذتهم العوض فضلاً من الله وإكراماً.

اللهم اغفر لهم وارحمهم وأعلِ منازلهم في الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الدكتورالشيخ نور الدين عتر

شهادة أهل عصره [1]

قالوا في الرجل :

حَبا الله تعالى هذه الأمة واصطفاها بالقيادة للأمم، وجعلها شاهداً على الناس وجعل نبيَّها عليها شهيداً، وأوضح الله سبحانه ذلك في محكم بيانه فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة الآية (١٤٣).

وأكد هذا الاصطفاء وسموَ هذه الشهادة بقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ الحج الآية (٧٨)

وإنما شرفت هذه الأمة بشرف نبيها فكانت شهادتها مقبولة على أفرادها عند الله مرضية على الأمم والأنبياء، بأداء الأمانة وتبليغ الرسالة. حتى قال ﷺ في حقهم : «**أنتم شهداء الله في الأرض**». مكرراً ثلاث مرات [2]

ولقوله الكريم ﷺ :«**إذا مات المسلم. . . . وقال الناس خيراً. قال الله للملائكة : قبلت شهادة عبادي أي - تزكيتهم - على عبديَ وغفرت علمي**». [3]

فإذا كان الثناء العاطر من أفراد الأمة لآحادها، موجباً لرضى الرحمن، ودخول الجنان بشهادة القرآن وبيان المصطفى العدنان صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، فما بالك بشهادة الصالحين والعلماء العاملين الذين يحملون هذا العلم والدين، (ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين) [4].

---

(١) اختارها ورتبها الأخ عبد الله المسعود

(٢) - صحيح مسلم كتاب الجنائز

(٣) - مسند الإمام أبي حنيفة إسناد القاسم بن عبد الرحمن

(٤) - كنز العمال ٢٨٩١٨

وهو تصريح منه ﷺ بعدالة حامليه في كل عصر، بل ومن أعلام نبوته المباركة.

لا ريب أن هذه الشهادة عند الله بمقدار من حيث الرفعة والمكانة والمنزلة وإذا كانت ألسنة الخلق أقلام الحق، فأكرم بخلق هم أنصار الحق، ودعاة الخلق إلى الحق.

وهذه الشهادة من ثمار حب الله لعبده وصفيه أن يضع له القبول في الأرض وتلهج ألسنة أهلها بالثناء العاطر عليه، بعد أن يستجيب أهل السماء لنداء جبريل لمحبته فيكون محبوباً لأهل الأرض والسماء [1]

هذا ما أحببنا أن نجعله توطئة بين يدي شهادة علماء عصره ورجالاته. في فقيدنا الراحل وشيخنا الوالد، جزاه الله تعالى خيراً عن العلم وأهله، والدين ورجاله والإسلام وحماته، والصفاء وروّاده، والعرفان وذائقيه، والحب وعاشقيه، والخلق العظيم وحامليه، والمعروف وصانعيه، والزهد وسالكيه، والورع وراغبيه، **والأسوة الحسنة ومؤتسيها، بل والباحثين عن أمة في رجل. . والأمة : الرجل الجامع للخير.**

ولا تظن أخي القارىء أن هذا شطط في المقال أو غلو في الكلام، وإنما اقتداء وائتساء من قائله المعاصر [2] بسميه الطاهر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما رواه عنه الإمام مالك عندما سمع بموت أخيه معاذ بن جبل رضي الله عنهما، قال يرحم الله معاذاً كان أمة قانتاً فقيل له يا أبا عبد الرحمن إنما ذكر الله عز وجل بهذا ابراهيم فقال تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ النحل.

---

(١)- معنى حديث شريف، أخرجه البخاري (٣٠٣٧) ومسلم (٢٦٣٧) والإمام أحمد

(٢) - عبد الله المسعود المعاصر .

فقال ابن مسعود ﷺ: إن الأُمَّةَ الذي يعلم الناس الخير ويُؤْتَمُّ به، والقانت المطيع لله عز وجل وكذلك كان معاذٌ..[1]

أقول: وكذلك كان شيخنا الوالد على نهج معاذ وسلوكه يعلم الناس الخير، ويؤتم به مع صدق الورع وحسن النية وسلامة القلب والنصيحة لجميع المسلمين.

ولقد ترك في كل من عرفه أثراً حسناً وذكراً عاطراً وسمعة طيبة، سواء كان من عوام الناس أو خواصهم.. ولقد اشتهر واستفاض بين الناس ذكره الحسن، وأنه من الصالحين، والعلماء العاملين، والأولياء المقربين، وقُصدَ بالزيارة لمن يرتاد زيارة الصالحين والتبرك بهم، وهذا في عامة الأمة وهم عند الله بمكان.

أما خاصتهم المتمثلة في العلماء والرجال العظام الذين اصطفاهم الله واجتباهم وهم الشاهد الثالث في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾. آل عمران الآية.

فشرف شهادتهم هي اقترانهم بالذات العلية والملائكة الأطهار. فأكرم بها من شهادة وأكرم بهم من شهداء ونحن نسوق في ما علمنا من شهادتهم في عَالمِنا وشيخنا ما وصل إلينا، وإن كان سجلاً خالداً لا يُعَبَّرُ عنه بكلمات.

وحسبه علم الله به واجتباؤه له وهو الشاهد الأول ﴿وهو على كل شيء شهيد﴾ شهادة جبريل والملائكة وهم الشاهد الثاني.

بيد أنا نسجل ما وصل إلينا من الشاهد الثالث وهم العلماء الأبرار والصالحون الأخيار وفقنا الله وإياهم، لذلك:

١ - **الشيخ عبد الباسط أبو النصر خلف رحمه الله تعالى**: زار المنطقة التي كان فيها الوالد وتفقد إخوان والده الشيخ محمد أبي النصر قدس

---

[1] – المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب التفسير (النحل) حديث رقم ٣٣٦٧.

الله روحه وقال للشيخ الوالد:أنت مقام الوالد هنا في المنطقة كررها مراراً والشيخ يعتذر من ذلك ويستغفر الله تعالى ويقول: **أنتم الأصول ونحن الفروع**، ثم قال الشيخ عبد الباسط رحمه الله: الله يفهِّم الإخوان يعرفوا قدرك يا شيخ محمد علي.

٢ - **الشيخ محمد النبهان قدس الله سره**: كان يثني على الوالد خيراً في مجالسه وكانت بينهما علاقة وثيقة وقديمة قال الشيخ صالح بشير الحجي المارعي: حضرت مجلساً أقبل فيه شيخنا النبهان على الوالد الشيخ محمد علي إقبالاً عظيماً واحتفى به وكان في المجلس الشيخ محمد لطفي مدير مدرسة النهضة الإسلامية (الكلتاوية) رحمه الله تعالى فقال: لماذا لا نكون مثل الشيخ محمد علي ؟! فيقبل علينا سيدنا الشيخ كإقباله عليه.

٣ - **الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى**:

قال لي معلماً ومرشداً: قبل لي يد الوالد واطلب لي منه الدعاء. إذكان بينهما من الود والحب المتبادل ما الله أعلم به.

٤ - **الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى : قال عنه**: أنه من العلماء والأولياء الصالحين في حديث مع أولاد أخيه وأقربائه..

٥ - **المفتي الأسبق الشيخ محمد بلنكو مفتي محافظة حلب رحمه الله تعالى**:وهو صديق الأسرة؛ والجد والعم والوالد. وكان له اعتقاد حسناً بالوالد ويعتقد أنه من الأولياء والصالحين، زاره ضيوف من دمشق منهم أبو الطيب قويدر، زاروا منبج وضريح سيدنا عقيل المنبجي ثم قال للضيف: تعال نزور أحد الأولياء الأحياء الشيخ محمد علي المسعود في الباب.

٦ - **المفتي السابق لمحافظة حلب الشيخ محمد عثمان بلال رحمه الله**: كان يقول قبل زيارته للوالد أخاف أن أموت قبل أن أراه ثم قدر الله له الزيارة والتقى به أكثر من مرة. وقال في تأبينه: أعتقد أنه من الأولياء العارفين وأسأل الله أن يسكنه ويسكننا الفردوس الأعلى.

٧- **الشيخ أحمد البيانوني رحمه الله ابن العلامة الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله**: قال عنه: أَصْفى من عرفتُ... وقد عَرَفَ رجالاً وعلماء كثيرين والتقى بهم في بلده وغيره من البلاد.

٨- **الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين رحمه الله**: قال لي: عندما كنت في الدراسة الإعدادية الشرعية يا ولدي: والدك رجل صالح فاقْتَدِ به وكانت بينهما علاقة متميزة ووِدَادٌ من نوع خاص.

٩- **الشيخ محمد كامل بدر الحسيني البابي رحمه الله تعالى**: قال عنه؛ يحُجّ إليه. وهي من البلاغة في قصد الزيارة والتبرك به

١٠ – **الشيخ اسماعيل حمدو البارحي قال عنه** : رفاعي زمانه، أي شبهه بالإمام الرفاعي في أخلاقه وتواضعه.

١١ – **المجاهد الكبير والزعيم الوطني الحاج فاتح المرعشي رحمه الله تعالى** قال له الشيخ محمد بلنكو:من رأيت من المشايخ ومن أعجبك منهم ؟ فقال: الشيخ محمد علي المسعود

قال الشيخ محمد بلنكو معلقاً على ذلك وتعلم من هو الحاج فاتح المرعشي ؟!.. كان يستطيع أن يعزل رئيس دولة وينصب غيره. ولاشك أنه التقى بكثير من العلماء والرجال والشخصيات...

أما معرفته بالشيخ الوالد فقد سألته عن ذلك فقال عندما كان الوالد إماماً في قرية دابق في أول شبابه بعد تخرجه من المدرسة الخسروية وكان للحاج فاتح أراضي زراعية في القرية يتردد عليها وتم اللقاء والتعارف وكانت هذه الشهادة التي حدثني بها الشيخ محمد بلنكو أكثر من مرة.

١٢ – **الشيخ محمد خير الحجي المارعي رحمه الله تعالى** : صديق الوالد وزميله كان يقول: ما عندي بعد الشيخ محمد أبو النصر أفضل من الشيخ محمد علي المسعود، وله معه زمالة، وطرائف تجدها في هذا الكتاب.

١٣- **الشيخ حسين المجدمي رحمه الله تعالى** : كانت الصلات بينهما وثيقة جداً وكان أحبابه دائمي الزيارة للشيخ الوالد في حال حياته وبعد مماته..(وكان يسمي الوالد قائد المنطقة الشمالية).. والمشهور أن الشيخ حسين رحمه الله من كبار الأولياء؛ وكلمتُهُ هذه اصطلاحٌ يفهمه الأولياء.

هذه بعض شهادات قد حصلنا عليها لهؤلاء الأعلام الأفاضل وقد لحقوا بالرفيق الأعلى.

أما من بقي منهم على قيد الحياة أطال الله بعمرهم ونفعهم للمسلمين فمنهم :

١ – **العلامة الشيخ أحمد القلاش حفظه الله تعالى**: قال لي في المدينة المنورة في مسجد رسول الله ﷺ معزياً بهذه الأبيات:

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت بموته خلق كثير

٢- **العلامة الشيخ محمد أديب حسون حفظه الله تعالى**: قال في وصفه ألطف من نسيم الصبا..

٣ - **علامة الحجاز السيد الدكتور محمد علوي المالكي حفظه الله تعالى** [1] قال: حدثني أبي (السيد علوي) أن الشيخ محمد علي المسعود من خيرة أولياء الله في تلك الجهة قالها في معرض الترحيب بي وبأخي الشيخ محمد زكريا المسعود أمام الملأ في مجلسه العامر.

٤- **الشيخ موسى عبد الكريم الزيادي حفظه الله تعالى**: كان الشيخ ناذراً نفسه للنفع ما نستطيع أن نقول فيه شيء إلا أن أخلاقه محمدية..

٥- **الشيخ عمر ملا حفجي حفظه الله تعالى**، والذي صحب الوالد زمناً طويلاً، وأحبه حباً جماً، وكان بينه وبين الوالد أكثر من الأخوة قال

[1] - توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ١٥رمضان المبارك ١٤٢٥ الموافق ٢٩تشرين الأول ٢٠٠٤ وقد أقمنا في مدينة الباب مجلس عزاء بوفاته وقرأنا الختمات الشريفة على روحه الطاهرة في مسجد سيدنا عمر بن الخطاب عشية يومي الجمعة والسبت ١٥-١٦ رمضان رحمه الله رحمة واسعة .

عنه: (أنه مؤيد من أهل الأرض والسماء) وأقسم مكرراً: والله العظيم، والله العظيم.

٦- **العالم الفاضل الشيخ حسين موسى الحلفاوي** أبو أنس عالم حماة وريفها[1] قال: إن والدكم إذا رأيناه ذكرنا الله تعالى، مشيراً بذلك للحديث الشريف (ألا أنبئكم بخياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجة (الجامع الصغير (٢٨٨٥).

وهؤلاء الباقون على قيد الحياة من زملائه وأقرانه أمد الله في عمرهم.



أما الأفاضل المشاركون في التأبين والتزكية ممن هم دون طبقة الشيخ في السن فهم كثير منهم الأفاضل :

١ - **الشيخ اسماعيل عبد الخالق أبو النصر حفظه الله قال** : كان بأخلاقه وتواضعه وإيمانه واطمئنانه نموذجاً رائعاً من تلك النماذج البشرية المؤمنة التي مرت على التاريخ والتي تنتمي إلى رجال السلف الصالح من رجال الرعيل الأول الذين رسمو ووضحوا لنا الطريق إلى الله جلياً واضحاً.

إن الإحساس بالسعادة والسرور الذي كنا نشعره حينما نجتمع بالشيخ محمد علي المسعود رحمه الله لَيُعْطِيَنا تجربة عملية ونموذجاً مبسطاً عن تلك المشاعر الإيمانية الراقية التي كان الصحب الكرام ينهلونها من مجلس رسول الله ﷺ فيصلون إلى درجة اليقين وإلى رؤيا العين، ولطالما عبرت في حياته أني كنت أشعر بالراحة النفسية والسعادة والاطمئنان حينما كان الشيخ الجليل رحمه الله يضمني إلى صدره.

٢ - **الدكتور الشيخ محمد صهيب محمد الشامي حفظه الله تعالى**: أعبر عن شعوري؛ ما شعرت أنني في مأتم، لا والله، لا ريب

---

[1] - توفي هذا العالم الجليل وشاركنا مع إخوتي في الصلاة عليه في الجامع الكبير في حلفايا، ودفنه والوقوف على قبره وكانت جنازة حافلة شهيرة .

أنه يوم عرس لفقيدنا ولست في معرض التزكية وهو كما يعلم القاصي والداني ممن نشأ وترعرع في طاعة الله؛ وعاش في رحاب الصالحين وعلى مائدة العلماء العاملين فأعرض عن الدنيا وزينتها وناء إلى نفسه تربية وتزكية وإعداداً، يعلم الناس بحاله قبل قاله، بكل لحظة من لحظاته كان داعياً مهيئاً من أجل أن يأخذ بأيدي الناس إلى شاطىء الأمان، حتى يلقى الله بسلام.

٣ - **الشيخ أحمد بدر الدين حسون حفظه لله** : قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾التوبة. أشهد أن كلمة الصادقين تنطبق على شيخنا الراحل سيدنا الشيخ محمد علي المسعود.

سلوا كل من عرفه في شبابه وفتوته ورجولته وكماله، كان إذا جلس في مجلس هل كان له ظل ؟! ألم يكن يحول المجلس بلطفه من مجلس غفلة إلى مجلس ذكر ؟ !

٤ - **الشيخ عدنان غشيم حفظه الله تعالى**: رأيت رجلاً في العلم والمعرفة، رأيت بحراً لا تكدره الدلاء ولا ساحل له، يغمره الحب الإلهي، وتتجلى فيه صفات الرجل العالم بحق. حاله أصدق من قاله وقاله ألطف من حاله.

والله لفيه حال تعجز الألسن عن وصفه، فيه صفات الرجل العالم الباحث عن العلم ورغم السن الذي أدركه وشيخوخته التي قضاها كان لا يفتأ يبحث ويفتش ويقلب الكتب ويطالع ويقرأ ويكتب ولا أذيع سراً إذا قلت لكم أنه اشتغل في كتاب تعجز دول بأكملها عن تحقيقه.[1]

٥ - **الشيخ أحمد العيسى مفتي منطقة منبج حفظه الله قال**: إن الشيخ رحمه الله كان مدرسة متنقلة تزرع الخير في كل موطن حلت فيه قدماه.

---

[1] – هو كتاب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي (١٨) مجلداً، شرح غريبه .

٦ - **الدكتور محمود العكام خطيب جامع التوحيد حفظه الله**

قال: يا إخوتي إنا قد عرفنا هذا الشيخ العظيم الجليل رحمه الله فما أحرانا ونحن نذكره بعد وفاته أن نقتبس من هذه السيرة الطيبة المنيرة لأولادنا، لبناتنا، لأبناء شعبنا، لأمتنا.

٧ - **الشيخ حسن عبد الحميد حفظه الله قال**: لقد غادر شيخنا الحياة وترك فراغاً كبيراً في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، حقاً إن نجماً هوى.

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ثم قال بعد أن ذكر ثناء الإمام أحمد على الإمام الشافعي مقارناً ونحن نقول صادقين إن شيخنا محمد علي كان كالشمس لسورية وكالعافية لأهل الباب وغيرهم.

أما وقد رحل إلى جوار رب كريم بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة بإخلاص وتفان.. فسدوا يا أبناءه وأصهاره وأحفاده وأقاربه هذا الفراغ الهائل الذي تركه والله يرعاكم.

ثم قال: اللهم ارحم عبدك الصوام القوام التواب الأواب المخبت المتبتل الزاهد الورع الذي عاش لك داعياً إليك. احشره يارب مع حبيبه محمد ﷺ وتحت لوائه اللهم آمين.[٢]

عفواً وعذراً:

لقد سجلت فيما سبق ما حصلت عليه شخصياً من شهادات وفاتني الكثير وعند غيري من الأخوة والأصدقاء الأكثر.

وإنما ذكرت نماذج، البعضُ فيها يغني عن الكل وقسمتها ثلاث أقسام:

القسم الأول: من هم في طبقة شيوخه وزملائه ومعارفه الذين انتقلوا إلى دار الآخرة قبله أو بعده بقليل.

القسم الثاني: زملاؤه من أهل الفضل والعلم الذين بقوا على قيد الحياة أمد الله بعمرهم ونفعهم.

القسم الثالث: من هم في حكم تلاميذه، أو محبيه، وعارفي فضله، وهم بحمد الله كثر، وإنما قدمت نماذج منهم، ومما قالوه.

---

[٢] - اجتزأنا هذه الكلمات، وعذراً للإخوة الباقين، وفي فصل الرثاء مزيداً منها.

وأحب أن أسجل اعتذاراً لكل محب وعالم فاضل لم أسجل اسمه أو شهادته وهم الأكثر وأقول عنهم أنهم الشاهد الثالث مع الله في عليائه والملائكة في قدسهم وطهرهم، فلئن لم يدون اسمهم في هذه الصفحات فحسبهم أن اسمهم مدون في العالم الأسمى والمكان الأعلى.

لقد ترك لنا شيخنا الوالد ثبتاً فيه ما يقارب الثلاثمائة اسم يذكر فيه من التقى بهم وعرفهم وعرفوه من عالم فاضل، وزميل دارس، وسالك طريق العلم والصلاح، بادئاً بمحدث الديار الشامية مولانا الشيخ بدر الدين الحسني ومعرجاً على البلدان والمحافظات السورية ومخصصاً بلاد الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) والبلاد الإسلامية الأخرى في رحلة تشارف التسعين من العمر؛ كوَّن فيها معارف وعلاقات وصداقات لا تستوعبها هذه الأسطر والورقات.

قال في آخرها: (عاصرت رفقة أحببت تسجيل أسمائهم تذكرة لي ولمن بعدي من ولد وصاحب ومحب، نسأل الله أن يجعلنا من الذين ذكرهم الله في سورة العصر من).﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾.

خاتمة :

نسأله سبحانه أن يتكرم علينا بختم أعمالنا بالصالحات وآجالنا بالسعادات إنه أهل التقوى وأهل المغفرة.اهـ

رحم الله شيخنا الوالد الذي لم يكن يحب الإطراء والشهرة ويهرب منهما في حياته ولكنها شهادة نخاف كتمانها وامتثال أمر النبي ﷺ بذكر لمحاسن نخشى عصيانها، عزاء للأهل وسلواناً ونبراساً لأهل الإيمان للسير في مرضات الرحمن نرجو الله أن نكون قد حالفنا الصواب والحكمة وفصل الخطاب وتقبلنا الله مع شيخنا ببشرى وحسن مآب إنه أكرم مسؤول.والحمد لله رب العالمين.

وكتبه ولده عبد الله مسعود

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العليم الخبير، السميع البصير، القريب المجيب، المعز المذل، الرافع الخافض، المخفي والمظهر..

معز أوليائه ومذل أعدائه، الذي ستر أوليائه بثوب الكمال، وأخفاهم بنور الجمال، وغيبهم في حجب الجلال، فلا يراهم حاسد مبغض، ولا يغيب عنهم محب طالب، كانوا لله فكان لهم، وأسلموا أمورهم له فتولاهم، دخلوا إليه من باب الذل والإنكسار، فرفعهم الى طور الظهور والكمال[1].

والصلاة والسلام على مفتاح باب الهداية، ورأس مراتب الولاية، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وقائد الغر المحجلين، الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والقامع لجيشات الأباطيل، والهادي بإذن الله الى سواء السبيل، سيدنا محمد ابن عبد الله، حبيب الله ومصطفاه، وخيرته من خلقه، ونخبته من رسله ﷺ..

والرضا الأتم، والنور الأعم على الآل الأبرار الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً رضواناً مبدوءاً بالآل، شاملاً الصحابة أهل الكمال؛ من المهاجرين والأنصار، ولاحقاً الذين اتبعوهم بإحسان وإيمان..

وعامّاً للذين جاؤوا من بعدهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ الحشر.

---

[1] من مقدمة طوالع السعود بتصرف.

وبعد : فإن الكتابة عن أي شخص يتصف بخلق من الأخلاق العالية سهل ويسير، وجمع شَتاتِ أخباره المتفرقة ليس صعباً ولا عسيراً .

أما الكتابة عن إنسان جمع أمهات الفضائل، ومكارم الأخلاق، وكان له الحظ الأوفر، والنصيب الأوفى؛ من الوراثة المحمدية لتلك المكارم وهاتيك الفضائل، فإن ذلك ليس هيناً ولا يسيرا..

وقد طلب مني الإخوة المحبون لسيدي الوالد من أهل العلم والصلاح ـ وألحوا في الطلب ـ بأن أجمع متفرقات أخبار سيدي الوالد في إضمامة لطيفة؛ يفوح شذاها العطر على من عرفه وخالطه؛ أو جالسه وحادثه، فيَشَمَّ منها أريجها الفوّاح، الذي تنشره صفحاتها كُلما لامسها.

وتنتشر محاسن ألوانها أمام أعين من سمع عنه ولم يره، وأحبه ولم يعاشره.

وتُذْكي ذكريات أيامه، وأخبار مناقبه، وآثار أحواله وأقواله، نار الشوق والحب وصدق الإتباع وإخلاص العمل لله، في قلوب المؤمنين المحبين لله ولرسوله، الذين يبتغون مثلاً كاملاً للوراثة المحمدية، وأنموذجاً فاضلاً للعلماء العاملين من المرشدين الكاملين، والعلماء الربانيين.

وقد كنت شرعت إبَّان حياته، نور الله ضريحه وقدس روحه، بالرحمة والرضوان، بجمع سيَرِ علمائنا العاملين، أهل الفضل والكمال من أهل هذه البلدة، وأخذت عنه كثيراً من أخبارهم، وذلك عندما شرعت في تصنيف كتابي (الشامل) لتاريخ بلدتنا المباركة المحروسة بعناية الله ولطفه (مدينة الباب).

ثم لما طلب مني بعض الإخوة المحبين، جمع وتدوين سيرة سيدنا ومولانا (**محمد سليم خلف الحمصي النقشبندي**) وخليفته ولده مولانا (**الشيخ محمد أبي النصر**)، نوَّر الله ضريحهما وقدس سرهما،

وشرعت في تدوين أخبارهما وأخبار تلاميذهما منذ ما يزيد عن عام، فرويتُ عنه، وأَمْلى عليَّ أيضاً كثيراً من أخبار علمائنا الذين كان لهم شرف الإنتساب والإنضمام إلى سلك طريق سيدي أبي النصر رحمه الله تعالى وكان ممن ترجمت له في تلك السيرة سادتي الجد الشيخ محمد المسعود والعم الشيخ محمد سعيد وسيدي الوالد الشيخ محمد علي. ونقلت من ثَبَته الذي كتبه بخط يده عن مشايخه ومن التقى بهم من العلماء جملة صالحة من أخبارهم وكمالاتهم.

ولما كان ذكرُ الصالحين ونشر أخبارهم إعلاءً لهمم المريدين، وتنشيطاً لسلوك السائرين، وبلسماً لقلوب المحبين، وترياقاً للمرضى من المؤمنين، وكفارة للذنوب[1] وتنزيلاً لرحمة علام الغيوب؛ استخرت الله سبحانه في تدوين وجمع أخبار هؤلاء الربانيين، ونحن في نهاية قرننا العشرين، وفي عتبة القرن الخامس عشر الهجري. لتكون سيرة هؤلاء الربانيين حجة وشاهداً لأهل العصر[2].

على أن هؤلاء موجودون رغم أنهم غرباء في عصرهم، ويُقتدى بهم نظراً لكمال وراثتهم النبوية، ولطف أخلاقهم المحمدية.

ولقد كان مشهداً عظيماً لا ينسى، ومهرجاناً ضحماً لايغيب عن الأذهان، ومسيرة إيمانية كبرى شهدتها مدينة الباب المحروسة؛ شهدها الكبار والصغار والنساء والأطفال في الطرقات، ومن على أسطح المنازل وشرفات الأبنية يوم سارت جنازة ذلك العالم الرباني

---

(١) - روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (ذكر الصالحين كفارة للذنوب) .

(٢) - انظر كلمة الأستاذ الشيخ اسماعيل أبي النصر في رثاء الشيخ محمد علي في الفصل الرابع عشر (رثاء وتعزية ومواساة).

سيدي الوالد مرتفعة فوق أنامل أيدي حامليها من بيته الى مرقده في سفح جبل عقيل بجانب والده.

ومحظوظٌ سعيد ذلك الرجل الطويل الذي يتطاول ساعياً وراء الجنازة ليمد أصابع يديه يتلمس أسفل النعش، أو يمسك بغطائه.

وسعيدٌ موفق ذاك الذي يلمس بأصابعه خشبات الجنازة لتبقى رائحة المسك في يده يَشُمُّهَا ويُشمُهَا لأصدقائه ثلاثة أيام والأسعد حظاً من وقف على غسله ليرى تلك الطلعة المحمدية وكيف ترتسم على شفتيه البسمة الهادئة الراضية، ويشع من وجهه نور الرضا، وضياء المعرفة والتقوى.

ثم إن العلماء من أهل الحفظ والمطالعة، وأهل المقالات والنظر في الكتب كثيرون، كما أن من يَعِظْ ويُدَرِّسُ أو يخطُبُ في الناس أيضاً، أو يلقي مقالة، أو يسرد عليك حديثاً أو يحاضرك بمحاضرة متوافرون.

وكذلك الصالحون من عامة الناس فإن أمتنا لها حظ وافر منهم ولله الحمد.

أما العالم الربَّاني الذي يعظك بحاله وقاله، وقولُه أقل بكثير من فعله، والذي تُعَدُّ كلماته في المجلس، فهو من القلة القليلة..

والعالم العامل الذي يحسب كل نفس من أنفاسه وخطرة من خطراته معدودة عليه فلا يدعها تفلت منه وهو غافل..

والذي يزن كلماته وأعماله في ميزان الإخلاص، ويفتش عن النية الصالحة فيها، فهذا لا يجود به الزمان إلا قليلاً.

وأحسب، ولا أزكيه على الله، بل الله سبحانه هو الذي يزكيه؛ أن عالمنا الرباني سيدي الوالدكان كذلك. إذ أنه كان يحاسب نفسه على كل تصرف من تصرفاته، وكل كلمة يقولها خشية ألا يكون له فيها نية صالحة، أو مقصد شرعي، فلم يكن يسمح لنفسه بتصرف ليس له في ميزان الإخلاص لله سبحانه حظ أو نصيب، وبناءً على

هذا؛ فقد كان لا يأمر بأمر لم يكن هو متخلقاً به، ولم يكن ينهى عن خلق لا يتجنبه، بل كان غالباً لا يأمر ولا ينهى بقاله، بل حاله وسلوكه هو الذي يأمر وينهى، وكان حاله هذا مع كل من يصحبه حتى مع أولاده.

وكانت أوامره تلبس صيغة العرض اللطيف؛ إذ كان كثيراً ما يقول من الأحسن،

أو من الأفضل أن يكون الأمر كذا. وكذلك (النهي)، من الأفضل ألا يكون كذا.

وبالجملة فقد كان ما نقرؤه في الشمائل المحمدية والسنة النبوية، وما نحفظه من الكمالات عن حبيبنا المصطفى ﷺ، كان موضوعاً لديه في ميزان التخلق والسلوك العملي.



فإلى شيوخنا الأجلاء من زملائه وأقرانه، ومعاصريه.

وإلى إخواننا الكرام من طلبة العلم من أحبابه، وأصحابه..

وإلى الذين صحبوه وخالطوه، وزاروه وزارهم في حياته، وعاشروه وآنسهم من أهل وطنه في بلاد الشام شمالها وجنوبها ـ وبلاد الحجاز من شيوخها وفضلائها ـ والمقيمين فيها.

وإلى أحباب الشيخ كافة من شتى بلاد الله الواسعة الذين وقع عليهم نبأ انتقاله إلى مولاه وقوع الفاجعة.. فحضروا الجنازة مشاركين، أوشطَّت بهم الدار فهتفوا لنا معزين ومؤانسين، وأبرقوا لنا حزانى ملتاعين..

وإلى الشباب المؤمن، والنساء المؤمنات، الذين يتعطشون إلى سماع أخبار وارث محمدي وعالم رباني أقامه المولى سبحانه في هذا الزمن قائماً لله بحجة على أهله.

إلى هؤلاء جميعاً أقدم سيرة هذا العالم الرباني، مع قطوف دانية من شمائله، وشمائل والده العلامة المربي الشيخ محمد المسعود، وأخيه العلامة الفقيه المفتي الشيخ محمد سعيد، سائلاً المولى سبحانه أن يجعل فيه الهدى والخير والأسوة الحسنة وإلى الله المرجع والمآب، وعنده حسن الثواب.

الجمعة ٢٤/رجب/١٤١٩ هـ
١٩٩٨/١١/١٣ م

مدينة الباب المحروسة
وكتبه ولده
محمد زكريا المسعود

من هم الربانيون ؟

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ آل عمران.

وقال سيدنا علي ﷺ: (أنا ربَّانيٌّ هذ الأمة).

وقال أيضاً في حديثه لكميل بن زياد: (الناس ثلاثة؛ فعالمٌ ربَّاني، ومتعلِّمٌ على سبيل نجاة، وهَمَجٌ رَعَاعٌ أتباعُ كلِّ ناعق).

وقال سيدنا محمد بن الحنفية ـ ابن سيدنا علي رضي الله عنهم ـ يوم مات ابن عباس رضي الله عنهما: (اليوم مات ربّاني هذه الأمة). (عن كتاب حلية الأولياء).

قال القرطبي في تفسيره لآية آل عمران :

الربَّانيون: واحدهم ربَّاني، منسوب الى الرب.

والرباني: الذي يربِّي بصغار العلم قبل كباره، وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسيير الأمور..

وقال المبرِّد: الربانيون: أرباب العلم، يدبِّرُون أمر الناس ويصلحونهم..

وعن ابن مسعود ﷺ: حكماء علماء.

وعن سعيد بن جبير ﷺ: حكماء أتقياء.

قال أبو عبيدة سمعت عالماً يقول: الرباني؛ العالم بالحلال والحرام، والأمر والنهي، العارف بأنباء الأمة، وما كان وما يكون. ا.هـ(من تفسير القرطبي).

وقال ابن كثير في تفسيره للآية :

قال ابن عباس ﷺ: حكماء علماء حلماء.

وقال الحسن ﷺ: فقهاء. وعنه أيضاً أهل عبادة وتقوى ا.هـ (من ابن كثير).

الحاجة إلى الربانية :

قال العلامة الكبير الداعية الى الله، مفخرة علماء الهند، بل والعالَم، الشيخ أبي الحسن الحسني الندوي (رحمه الله) في كتابه المفيد (ربانية لا رهبانية):(ولكن الله قَيَّض للمسلمين في كل عصر وجيل؛ من ينفون عن هذا الدين (تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)، ويَدْعُون إلى التزكية الخالصة من شوائب العجمة والفلسفة، وإلى (الإحسان) و(فقه الباطن) من غير تحريف وانتحال وتأويل، ويجددون هذا الطب النبوي لكل عصر وينفخون في الأمة روحاً جديدة من الإيمان والإحسان، ويجددون صلة القلوب بالله، والأجسام بالأرواح، والمجتمع بالأخلاق، والعلماء بالربَّانية، ويوجدون في **الجمهور** قوة مقاومة الشهوات وفتنة المال والولد، وزينة الحياة الدنيا، وفي **الخواص**؛ قوة مقاومة صلات الملوك وسياطهم، ووعدهم ووعيدهم، والجرأة على الجهر بكلمة حق عند سلطان جائر، والإحتساب على الملوك والأمراء والإستهانة بالمظاهر والزخارف والقناعة باليسير).ص (١٨)

ثم قال: انظر إلى بلاد ضعفت فيها الدعوة إلى الله، **والربانية**، وتزكية النفوس من زمان، وندر فيها وجود الدعاة الى الله، وتجديد الصلة بالله، واصلاح الباطن، بنفوذ الحضارة الغربية، أو للقرب من مركزها، أو بفعل عوامل أخرى، إنك تشعر فيها بفراغ هائل، لا يملؤه التبحر في العلم، ولا التعمق في التفكير، ولا فضل من ذكاء، ولاغنىً من أدب، ولانسب قريب بلغة الكتاب والسنة، ولا نعمة من استقلال، إنها أزمة روحية وخلقية لا علاج فيها، ومشكلة من أدق مشاكل المجتمع لاحل لها.... ولا علاج لكل ذلك إلا في (التزكية النبوية) التي نطق بها القرآن، وبعث لها الرسول ﷺ وفي (**الربانية**) التي طُولب بها العلماء ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾آل عمران. ص٢١.

لماذا هذا الكتاب ؟!

مدخل : والجواب على هذا السؤال أجده يتبين فيما يلي:

أولاً : لقد كان سيدي الوالد رحمه الله؛ يحب نشر سيرة والده الشيخ محمد المسعود رحمه الله وسيرة شيوخه من العلماء العاملين في هذه البلدة، وعندما ذكرت له منذ سنوات رغبتي في جمع تاريخ مدينتنا (الباب) وجمع سيرة صلحائها وعلمائها وفضلائها، شجعني على ذلك، وأخذت عنه تراجم كثير منهم ممن هم في طبقة شيوخه وأقرانه ومن فوقهم، كما كنت جمعت سيرته، وسيرة والده الجد لتأخذ مكانها في (تاريخ الباب) مع سيرة العم الشيخ محمد سعيد أيضاً. وقرأت عليه سيرة الجد رحمهم الله جميعاً.

كما استقيت منه ومن ثَبَته الذي كتبه بخط يده، أخبار من التقاهم أو عرفهم من الأشياخ والأقران؛ أمثال سيدي أبي النصر ووالده مولانا سليم _قدس الله سرهما_ وذلك عندما بدأت منذ أكثر من عام في جمع أخبارهما وسيرتهما وتلاميذهما وأثرهما في الأمة، تمهيداً لترتيب الكتاب الذي أعده عنهما في هذه السلسلة المباركة (الربانيون وآثارهم). فعزمت على ترجمة سيدي الوالد حال حياته.

ثانياً : ووجدت أن الغرض الذي جمع فيه كثير من العلماء أخبار أشياخهم وآبائهم متحققٌ في هذا الكتاب الذي أُعدُّه، بتعاون وتنسيق مع أخوتي حفظهم الله، عن سيدي الوالدوالجدوالعم رحمهم الله تعالى وسأجني قطوفاً دانية من حدائق عالمين فاضلين كريمين تحدثا وكتبا عن شيخيهما [1]، وكأني فيما كتباه وحبَّراه في كتابيهما؛ يعبران

---

[1] – صدر كتاب لأستاذنا الشيخ عبد الله سراج الدين عن والده الشيخ نجيب رحمهما الله تعالى، كما اطلعت على كتب كثيرة ترجم فيها مصنفوها لأشياخهم وآبائهم، ككتاب الشيخ محمد حبش عن العلامة الشيخ أحمدكفتارو، وكالبحوث التي كتبت عن الشيخ محمود بعيون الرنكوسي، والشيخ عز الدين الخزنوي، وغيرها، رحم الله الجميع، ونفعنابالصالحين حيثما=

عما في نفسي ونفس أخوتي تجاه سيدي الوالد وأبيه وأخيه أولئكم العلماء الربانيون رحمهم الله تعالى .

أما الأول والأسبق فهو الأخ الكريم والعالم المفضال الشيخ عبد الحميد طهماز في كتابه النافع عن شيخه العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى قال في مقدمة الكتاب[1]:(وما من شك فإن مصيبةَ الإنسان الكبرى في هذا العصر؛ فَقْدُهُ لعلمائه الحاملين لشريعته، والمتمسكين بسنته، فَقَدَ بفقْدهم ركائزه الفكرية، ودعامته العلمية، وبها قيامه، وعليها بنيانه. وهذا فضلاً عن خسارته للنماذج الحية التي تمثل الإسلام سلوكاً عملياً وتدعوا الناس بمنهجها العلمي الى الإقتداء بها، وأن وجودها بين الناس تذكير لهم بالإسلام وحقائقه، فبموت العلماء العاملين تغيب المثُل العليا العملية من صفوف الأمة، فتضيع عليها معالم الطريق.

والسبب الرئيسي لهذا؛ إعراض المسلمين عن دينهم، وزهدهم في علومه، حتى أصبحت بضاعته كاسدة وسوقه معطلة،

ولقد حذر النبي ﷺ من هذا المصير السيء الذي آل اليه المسلمون في حديث شريف نفيس يعتبر من أعلام نبوته ﷺ.

ففي صحيح مسلم أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى اذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**».

ولئن غابت عنا النماذج الحية المتمثلة بالإسلام، فلا أقل أن نسعى إلى تسجيل صفاتها، وتحبير آرائها ونهج حياتها، عَلَّنا نضع في هذا قبساً من النور في طريق الجماهير تتلمس بواسطته بعض معالم الطريق

=كانوا، كما صدر بعد ذلك في هذا العام ١٤٢٣ هـ كتاب عن شيخنا الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى لأخينا الدكتور العلامة نور الدين عتر حفظه الله تعالى .

[1] - (العلامة المجاهد الشيخ محمد الحامد) طبعة دار القلم بدمشق ١٣٩١هـ-١٩٧١م

ونقدم للناس نماذج عملية سلوكية عن الإسلام، عاشت في هذا العصر متحدية كل أباطيله وضلالاته، معبرة عن حقيقة الإسلام وخلوده، وصلاحيته للإنسان في كل زمان ومكان. اهـ ص٤ المحامد

وأما الثاني: فهو العلامة الكبير والداعية الى الله سبحانه الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في مقدمة كتابه القيم النافع (هذا والدي).ط أولى.وأحسبه في حديثه عن والده يتحدث عما في نفسي ونفس إخوتي تجاه والدنا رحمه الله :

(.. وهكذا؛ فقد لمست فيما تذكرته من حديث والدي عن أولئك العلماء والصالحين إذناً بالكتابة عن حياته، بل دعوة لي إلى ذلك، لا بوصفه والداً لي ولكن بوصفه واحداً من أولئك العلماء الذين تمنى أن تسطر مناقبهم ذكرى وموعظة للأجيال، ولا شك أن قراري بكونه واحداً من العلماء، إنما هو عن يقيني أنا، بقطع النظر عما كان يراه من نفسه وحاله، إذ لم يكن هو عند نفسه وفي قناعته بذاته وحاله إلا واحداً من عامة الناس). ص٨.

ثم قال: (.. على أن الهدف من مثل هذا العمل ما ينبغي أن يكون تنبيهاً للناس الى مزية أو مزايا دينية أو علمية كان يتميز بها على كثير من الأقران للتباهي والتفاخر بها من بعده، فإن هذا القصد لو وجد ـ والعياذ بالله ـ لن يكون إلا مصدر ألم وأذى لوالدي رحمه الله. وإنما القصد الذي ينبغي أن يكون وحده القائد الى هذا العمل، هو العظة بحال من غبر، والتنبه من خلال تراجم الصالحين الذين عاشوا في الدنيا غرباء عنها، إلى ضرورة أخذ الإنسان المؤمن حذره من مكر الليالي والأيام، وضرورة الإقبال إلى ما قد خلق من أجله، معرضاً عما قد تكفل الله له به.

وخلاصة القول أن المبتغى من تراجم الصالحين أن نصغي فيها إلى النداء الرباني القائل: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ الصافات. اهـ من كتاب هذا والدي ص٩ .

ثالثاً: وإنها لتذكرة لي ولإخواني الأشقاء، والأحباء، وأحبابنا وأولادنا وأحفادنا، وكل أحباب الشيخ رحمه الله وأصدقائه، تذكرة لنا لنترسم فيها معالم طريق العلماء الربانيين، والورّاث المحمديين، عن قريب عهدنا بهم، فننشط عند الكسل ونشدَّ هممنا عند الفترة. ونتذكر بعد النسيان. ولاحول ولاقوة ولا إعانة إلا بالله العلي العظيم.



وإني إذ أقدم هذه الصفحات من سيرة هؤلاء الربانيين الذين أكرمني الله ـ وإخوتي ـ بالإنتساب إليهم جسماً، أرجو الله أن يحقق النسبة فينا روحاً وتطبيقاً وسلوكاً، أقدم هذه الصفحات المضيئة والقطوف الدانية راجياً ألا تكون بدافع المحبة والعاطفة فحسب.

بل متسمة بالموضوعية والصدق، فلا أُثْبِتُ إلاما سمعت ورأيت ونقلت عن الثقات، عازياً كل حادثة إلى راويها، وكل كلمة إلى قائلها، وكل قصة إلى مصدرها.

كما أحب أن أنوه إلى أن هذه الصفحات من حياة أولئكم الدعاة العاملين والمرشدين الأتقياء هي حلقة من سلسلة هؤلاء الرجال الذين أكرم الله بهم هذه الأمة على مر الأزمنة ومختلف الأمكنة فقد: (تطالعها في كتاب تقرؤه، فترى أن كلمات هؤلاء الربانيين ذات شعاع ساطع، لم يَخْبُ بريقها، رغم تطاول الزمن وقدم العهد. وقد تَطَّلع عليك في رجال؛ تحس بأن روح النبوة سارية فيهم، منبعثة منهم تضيء لمن استنار بهم نوراً وضياءً يسطع في القلب، وحباً وخيراً يسلك في الوجدان.

- فكم من مسرف على نفسه ردَّت كلماتهم المباركة، اسرافه الى القصد والإعتدال فصار معهم ربَّانياً.
- وكم من مذنب مرتكب للموبقات، أحدثت مواعظهم في قلبه الخشية والخوف من الله فاندرج في سلكهم تائباً.

- وكم من **مريض** في الجسم شفت لمسات أيديهم علَّتَهُ وسقمه، فأضحى صحيح الجسم والروح، فالتزم الدرب القويم والصراط المستقيم.

- وكم من **مكروب** مهموم، فرَّجَت دعواتهم، وابتهالاتهم همَّه ونفست كربته، فغدا في رغد العيش وأنْعُمِه، شاكراً لله أنعُمَهُ.

-وكم من **شارد الفكر** زائغ القلب، التقاهم وصَحبهم ولو ساعة، فأمسى من ذوي الألباب، وانقلب بنعمة من الله وفضل كأن لم يمسه سوء الحياة ولم يعرف درب الشقاء..) [1]



وهؤلاء الربانيون الذين نقرأ سيرهم ونتحدث عنهم، أليسوا هم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ يونس الآية (٦٢ -٦٣)

أظن أن الجواب بنعم لا يجانب الصواب، جعلنا الله من الربانيين ومعهم في الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

[1] - من مقدمة كتابنا (من أعلام النقشبندية في بلاد الشام المباركة) الذي هو قيد الإعداد، بحث (مقدمة عامة عن الربانيين) واقرأ ماقاله الشيخ حسن عبد الحميد في شفاء حفيده .ص٩١ (الفصل العاشر).

ترتيب قطوف الكتاب

١ - سأبدأ بعون الله وتوفيقه ترتيب الكتاب، بقطوف من سيرة الوارث المحمدي والعالم الرباني سيدي الوالد بستان الكمالات المحمدية فأتناول منه جناه الداني، وثمره الإيماني، قطوفاً وصحائف من سيرته وحياته، وذلك من واقع ما عايشناه في حياته ونحن في ظل رعايته الأبوية، أنا وإخوتي الأفاضل الكرام أولاد الشيخ محمد علي حفظهم الله وأمد الله في عمرهم مع العافية. ومن واقع ماحدثنا به أحباب الشيخ، وأصحابه وتلامذته وزُوَّاره، ومن التقى بهم والتقوا به، ناسباً كل قطف إلى من اجتناه وعازياً كل قول إلى صاحبه.

ثم أذكر في النهاية وصفاً لحياته آخر أيامه، وكيف كانت دقائق حياته في تمسكه بالسنة الشريفة.

- وأختم الفصول بما قاله أحبابه وما قيل فيه..

٢ – ثم أعرج على الشخصية الأولى في حياة سيدنا الوالد ألا وهو والده الجدُّ المربِّي الشيخ محمد المسعود رحمه الله وطيَّب ثراه، والذي كان له أعظم الأثر في حياة سيدنا الوالد.

٣ - ثم أنتقل إلى سيرة الثمرة الأولى لهذا الجد، ألا وهو سيدي العم الشيخ محمد سعيد المسعود، ذلك العالم الفاضل مفتي هذه البلدة (الباب) وذلك لسبق وفاتهما وتقدمهما في العمر، ولما في الحديث عنهما نفس القصد والهدف من الحديث عن سيدي الوالد.

٤- ناقلاً بعض هذه القطوف من الكتابين اللذين شرعت في إعدادهما ـ يسر الله في أتمامهما ـ وهما (تاريخ الباب الشامل وأعلامها) والثاني (من أعلام الطريقة النقشبندية في بلاد الشام المباركة).

والله أسأل وبحبيبه المصطفى أتوسل أن يلحقنا بهم في عليين، وأن يجعلنا معهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

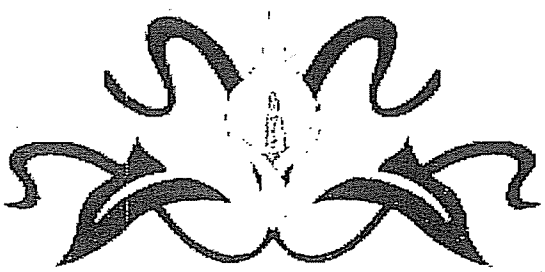
الباب الأول

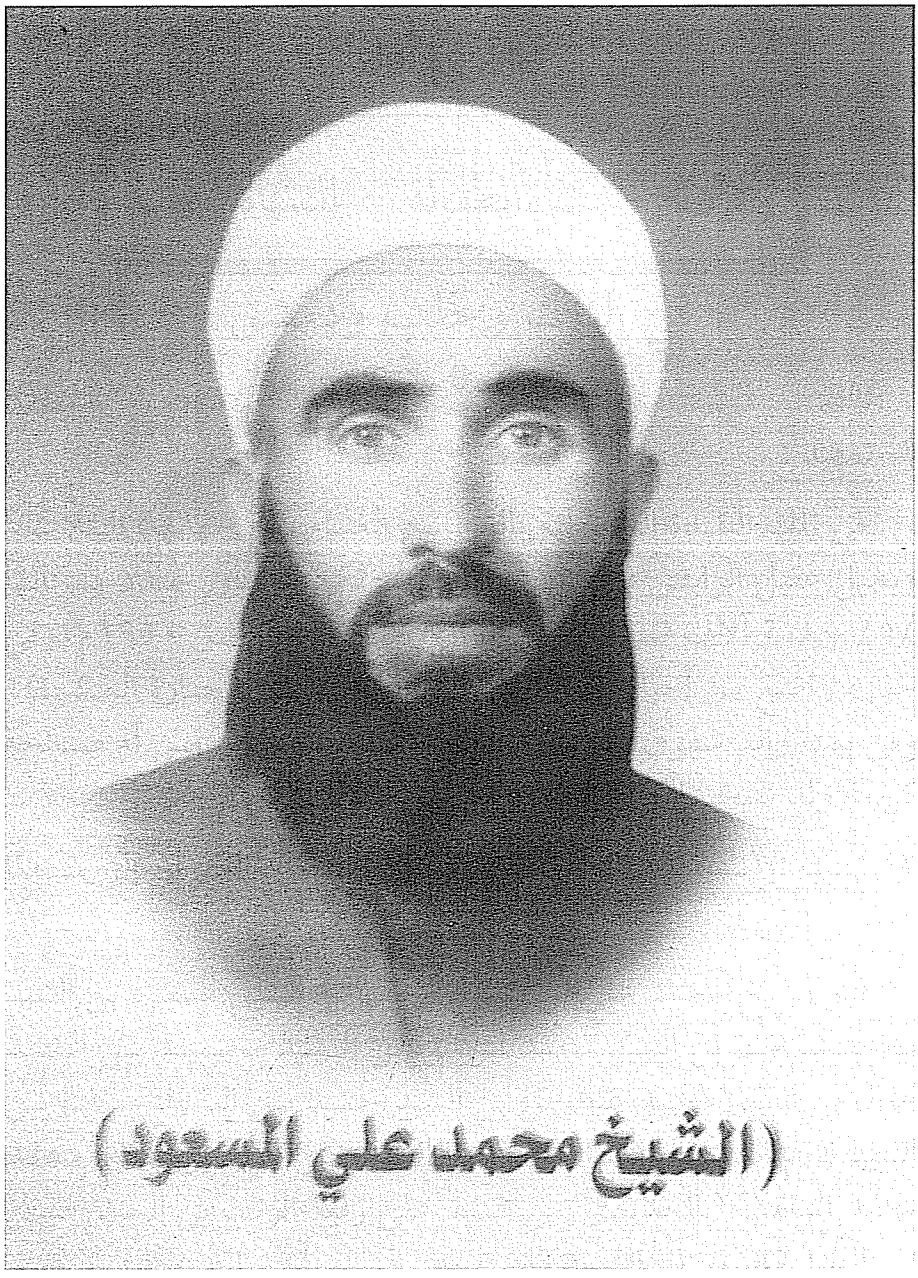
صحائف من حياة

العالم الربّاني

الشيخ محمد علي المسعود

رحمه الله وطيب ثراه





(الشيخ محمد علي المسعود)

الفصل الأول

ولادته - نشأة الطفولة - النشأة العلمية

- في الباب وحلب ودمشق -

١- **تمهيد :**

في تلك البلدة المحاطة بالبساتين الغنّاء من جهاتها الثلاث، وبجبل عقيل الرابض في غربها، والتي لم تكن يتجاوز عدد سكانها /٥/ خمسة آلاف نسمة، وفي عام ١٣٢٨ هـ الموافق ١٩١٠م، وفي حي متواضع من أحياء بلدة الباب الشمالية يسمى (حارة العشرة)، وفي بيت والد شفوق ودود، وعالم عامل حليم، ومن أم صالحة كريمة ولد شيخنا الكريم محمد علي المسعود...

٢- **نسبه** : (نسب الشيخ محمد علي المسعود الغزالي إلى سيدنا الحسين الشهيد رضي الله عنه):

فهو الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد بن الشيخ مسعود بن السيد محمد سرحان بن السيد محمد أبو غرة بن السيد محيميد بن السيد غزال بن السيد محمد غنطوس بن السيد حمد بن السيد سيف بن السيد نجم الدين بن السيد فاضل بن السيد خير الدين بن السيد محمد حديد الملقب (بالحديدي) بن السيد علي رفيع الرتب بن السيد حسين ابن السيد منصور بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد عبد الرحمن الصميدع بن السيد علي الأصغر (دفين سرمين) بن السيد شمس الدين عجان الحديد (دفين الحديثة) بن السيد حسين الأكبر بن

السيد ولي الله حديد بن السيد أحمد بن السيد صالح بن السيد محمد ابن السيد يحيى بن السيد محمد تاج العارفين أبو الوفا الحسيني بن السيد أحمد بن السيد عبد الرحيم بن السيد نجم الدين الصالح بن السيد جعفر بن السيد حازم بن السيد كعب بن السيد يحيى المكي أبو رفاعة بن السيد مهدي المكي بن السيد محمد أبو القاسم بن السيد حسين المحدث بن السيد أحمد الأكبر بن السيد موسى الثاني أبو سبحة بن السيد ابراهيم المرتضى بن السيد موسى الكاظم بن سيدنا جعفر الصادق بن سيدنا محمد الباقر بن سيدنا علي زين العابدين بن سيدنا الحسين شهيد كربلاء بن سيدنا علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء البتول بنت سيدنا محمد رسول الله ﷺ القائل: «**الناس مؤتمنون على أنسابهم**» [1]

٢-النشأة الأولى :

لقد كانوا ثلاثة: ابنان وبنت واحدة من أصل خمسة، أبقى المولى هؤلاء الثلاثة أحياء لوالديهما الكريمين، كبيرهم محمد سعيد، ثم يليه محمد علي، ثم عائشة أختهما؛ ثلاثة متقاربون في العمر [2] درجوا في بيت الوالد الكريم، ورضعوا منه صغاراً حب المولى وحب رسوله ﷺ، وحب أحبابه وأولياءه، وتفتحت عيونهم على مظاهر الإيمان، وشعائر التقوى في بيت هذا الوالد، وتغذت أجسامهم بالمال الحلال الذي كان الوالد يكسبه من تجارته وزراعته، وكرومه.

ونطقت ألسنتهم أول مانطقت بكلمات الذكر والتوحيد، وتمرنت على النطق بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، التي تعلَّم

---

[1] – هذا النسب بالسند المتصل نقلاً عن ثبت السيد ذي النون السوادي رحمه الله نقيب أشراف الموصل، وهو محفوظ لدينا صوتاً وصورةً .

[2] – وجدت في باطن غلاف أحد كتب جدي رحمه الله تأريخ ولادة ووفاة هؤلاء الثلاثة، وقد أرخ ولادة الوالد يوم ٧جمادى الأولى ١٣٣٠هـ الموافق الأول من آذار ١٩١٢م .

للأطفال في البيوتات الإسلامية، وأخصها الشهادتان، وما يعلمه الصغار من آداب الأكل والشرب والجلوس، والدخول والخروج، واحترام الآباء والكبار، والأقارب والجيران، وتفتحت عيونهم على مرأى الصالحين من علماء وعامة، يرتادون بيت والدهم، زائرين متباركين أو مستمعين لمجلس علم، أو حلقة ذكر، أو مستفتين لمسألة، أو مستنصحين في مشورة، وتفتحت أعين الأطفال على مرأى الصالحين، وسماع آذانهم لكلامهم، كالوابل الصيب للزرع الطيب، والغذاء الوافي للشجر المبارك والزرع الخصيب.

٣ – **مبادىء القراءة والكتابة:**

حدثنا سيدي الوالد، وذكر هذا مراراً؛ أن أول ما تلقى مبادئ القراءة والكتابة كان لدى أستاذه الشيخ أحمد الحداد التاذفي رحمه الله تعالى، وكان شيخه الكريم هذا مقيماً في قرية بزاعة (شرقي الباب ٥كم) إذ كان لديه مكتبٌ أوليٌ (أهليٌ) لتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة.[1]

وكان عمي الشيخ محمد سعيد طيب الله ثراه، الذي كان يكبر الوالد بأربع سنوات أو تزيد، يردف الوالد على فرس والدهما كل يوم سبت فيوصله إلى شيخه في بزاعة، ثم يعود به يوم الخميس إلى الباب إذ كان يقيم هذه المدة للتعليم في بيت أستاذه الشيخ أحمد الحداد رحمه الله وأجزل مثوبته.

كان هذا بعام ١٣٣٧ هـ ١٩١٩ م، ولم يتجاوز من العمر السابعة، وبقي على هذه الحال مدة سنة تعلم فيها مع القرآن الكريم، مبادىء القراءة والكتابة وأتقنها لدى شيخه الجليل التادفي.

---

[1] – وقد أكرمني الله به فيما بعد عندما كنت في سن السابعة من عمري، حيث تعلمت عنده أيضاً(لما كان مفتتحاً مثل هذا المكتب في الباب حوالي عام ١٩٤٧م) .

٤ – في المكتب الإبتدائي:

ولما تأهل لدخول المدرسة الإبتدائية الوحيدة - آنذاك في الباب – وكانت تسمى (مكتب الإبتدائي) أدخله والده المدرسة الابتدائية، وكان مديرها الأستاذ الفاضل الشيخ إسماعيل زهدي الخطيب الحلبي رحمه الله تعالى الذي توفي ودفن في الباب بعام ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م تقريباً.

كان المدير كما حدثنا سيدي الوالد من أهل العلم والفضل، وتلقى علومه في مدارس حلب الشرعية، ثم عين بعد ذلك مديراً للمكتب الإبتدائي وكان من أساتذة المدرسة الذين تلقى عنهم علومه الأستاذ توفيق بيلاني، وعدد من الأساتذة الآخرين.

وأنهى مدة الدراسة خمسة سنوات فيها بعام (١٣٤٤هـ ١٩٢٥م) تقريباً، وكانت تدرس في المكتب الإبتدائي مبادئ العلوم والقراءة والكتابة، واللغة العربية، والفرنسية، والجغرافية، والحساب، والتاريخ، بالإضافة إلى العلوم الدينية التي كانت كتبها من تأليف مدير المدرسة الأستاذ إسماعيل زهدي الذي كان مدرساً فاضلاً وإدارياً حازماً، كما حدث بذلك سيدي الوالد رحمه الله تعالى.

٥ – في المدارس الشرعية في الباب: وبعد التخرج من المدرسة الإبتدائية، لازم سيدي الوالد –كما أفادنا– المدرسة المعبدية حيث كانت أولى المدارس الشرعية الثلاث الموجودة في الباب، وثانيتهما المدرسة الحسبية، والثالثة المدرسة الشهابية.

وقد بنى المدرسة الحسبية وجدد بناءها على انقاض مدرسة قديمة شيخ الشيوخ في البلدة الشيخ مصطفى أبو زلام، العالم العلامة الذي كان له الفضل الأكبر في استمرار إحياء النهضة الدينية، والنشاط

العلمي الذي تميزت به مدينة الباب في مطلع القرن الرابع عشر الهجري بعد وفاة العالم الرباني والعلم الشهير محمد راغب الطرابيشي الحلبي رحمه الله تعالى المتوفى في الباب والمدفون فيها عام ١٣٠٢هجري.

كما لازم دروس المدرسة المعبدية لدى والده الشيخ محمد المسعود، وكان علماء الباب ينشرون علومهم ومواعظهم ودروسهم – آنذاك – في هذه المدارس الثلاث، إضافة إلى المساجد الكثيرة في البلدة.

٦- **متابعة العلم لدى شيوخ الباب:**

وتابع سيدي الوالد لدى شيوخ البلدة، فقرأ في المدرسة **الحسبية** على شيخها العلامة (مصطفى أبو زلام) مبادىء العلوم الشرعية كالفقه والحديث، واللغة العربية (من نحو وصرف).

وكان يجتمع لدى الشيخ (أبو زلام) في مدرسته كبار علماء الباب حيث يقرأون (صحيح الإمام البخاري) وأمهات الكتب الدينية الأخرى من تفسير وفقه وغيرها.

كما قرأ في المدرسة **المعبدية** على والده الشيخ محمد المسعود (مراقي الفلاح) في الفقه الحنفي، (وشرح الأزهرية) في قواعد النحو.

وكان الشيخ أحمد أبو البقاء يقرأ في المدرسة **الشهابية** النحو وبعض العلوم الأخرى للطلاب والعامة، أما الشيخ محمد البكور(أبو الفتوح) فكان يقرأ للطلاب والمبتدئين (مراقي الفلاح) والقرآن الكريم.

وكان الأفاضل الثلاثة؛ الجد أبو السعود، وأبو البقاء وأبو الفتوح، قد تزاملو في طلب العلم في الأزهر الشريف، وعادوا يحملون الإجازة العالمية منه بعام ١٣١٨هـ ١٩٠٠م.

قال سيدي الوالد: (ثم حضر من مصر متخرجاً من أزهرها الشريف الشيخ محمد صادق الغزال، فقرأ لنا فقه المعاملات من كتاب القدوري، و(قطر الندى) في علم النحو، وشيئاً من علم البيان في البلاغة وانتفعنا من الشيخ صادق انتفاعاً جيداً رغم أنه قرأ لنا ليلاً ويعمل نهاراً في بستانه بجانب (تل بطنان حبيب)، وكان يحضر معنا عنده الشيخ أحمد الحامد النعساني، وهو أكبر منا سناً، والشيخ عبد الله زعيتر، وأخوه الشيخ مصطفى، وتابع الأخيران معي في المدرسة الخسروية في حلب فيما بعد.

كما حضر من مصر أيضاً من أزهرها العلامة الشيخ عبد الوهاب سكر، وقرأ لنا بعد عودته من الأزهر جملة من الكتب، وكان تعلقنا المعنوي والروحي به أكثر من غيره).

٧- السفر لدمشق لطلب العلم:

ذكر سيدي الوالد أنه قبل دخوله للمدرسة الخسروية بحلب، وبعد أن أتم تحصيله العلمي على علماء الباب الذين ذكرناهم، أراد السفر إلى مصر للإنتساب إلى أزهرها الشريف وإكمال تحصيله هناك بعدما أعجب بخريجيها الذين قرأ عليهم وتأثر بهم، فتوجه إلى دمشق بنية السفر إلى مصر هناك، وكان رفيقه في هذه الرحلة إلى دمشق زميل الطفولة وصديق الشباب الحاج محمد النايف رحمه الله تعالى، كان ذلك في آذار عام ١٩٢٩ م، ولما يتجاوز من العمر سبعة عشر عاماً،

وقد حدث سيدي الوالد عن هذه المرحلة؛ مرحلة السفر لدمشق لطلب العلم، وكتب عنها في ثَبَته، بأنه ذهب لدمشق، وبنيته السفر إلى مصر لطلب العلم في أزهرها الشريف. قال: أكرمني الله سبحانه بزميل لأخي الشيخ محمد سعيد في طلب العلم، ألا وهو الشيخ برهان الدين الداغستاني، وكان تخرج من من الخسروية بحلب بذلك العام ١٩٢٩م مع أخي محمد سعيد، فالتقيته في دمشق، فأنزلني

عنده، ثم تيسرت الإقامة في غرفة في سوق الخياطين، بجانب الجامع الأموي حيث سهل الشيخ برهان الدين لي العمل في مهنة النجارة التي كنت أعمل فيها لأستعين على كسب الرزق، ريثما يتم أمر السفر إلى مصر، وعرَّفني الشيخ برهان بالسيد الشريف علامة دمشق ومحدث بلاد الشام السيد بدر الحسني رحمه الله ونور ضريحه، فحضرت مجالسه في المسجد الأموي. وقد حدثنا سيدي الوالد مراراً؛ بأنه لا يشبه مجالس العلامة الحسني في المسجد الأموي مع إخوانه، إلا بمجالس سيدنا رسول الله ﷺ مع أصحابه، لما كان يتمتع به السيد بدر الدين من الوقار والهيبة والسمت النبوي الشريف، والأخلاق المحمدية العظيمة.

يقول سيدي الوالد: وكذلك تعرفت على كبار علماء دمشق كالشيخ توفيق الأيوبي وأقرانه.

٨- العودة إلى الباب :

ولما لم يشأ الله سبحانه أن يتم السفر إلى مصر، وبعد مضي مدة أربعين يوماً حافلة بلقاء العلماء والصلحاء وحضور مجالس سيدي محمد بدر الدين الحسني، عاد سيدي الوالد إلى الباب إلى والديه، ليتابع مجالس العلم على شيوخه ليلاً، والعمل في التجارة نهاراً، وعمل وكيلاً للتجارة في مخزن أستاذه معلم الحرفة الشيخ أحمد الحامد النعساني، وبقي ملازماً للدروس يقرؤها لمن هم دونه، ويقرأ على أشياخه أيضاً، حتى صار أهلاً للأنتساب إلى المدرسة الشرعية الخسروية بحلب، والتي كانت تضاهي الأزهر آنذاك.

٩- في المدرسة الخسروية بحلب : وبعام ١٣٥١ هـ الموافق ١٩٣٢م، تم انتسابه في سلك طلاب الخسروية، حيث كانت إدارة المدرسة تجري اختباراً للطلبة المتقدمين إليها لتسجيلهم في الصفوف الموافقة لمستواهم العلمي، يقول سيدي فيما كتبه في ثبته: وبعد أن

صار لنا تهيؤ جيد في العلوم انتسبنا للمدرسة الخسروية بحلب، وبعد اجتيازنا للفحص الذي أجروه لنا ليختبروا تأهيلنا العلمي، قبلوني في الصف الثالث مستمعاً فترة، ثم تم تسجيلي طالباً رسمياً، وكان أخي الشيخ محمد سعيد قد أنهى دراسته في الخسروية بعام ١٣٤٩هـ ١٩٣٩م.

قال: وكانت إدارة المدرسة تقدم طلاب العلم الوافدين إليها من الباب على غيرهم، وتدخلهم في الصفوف المتقدمة نظراً لكونهم ممن درسوا أمهات العلوم.

١٠ - شيوخه في الخسروية: وقد أكرمه الله بجملة من الشيوخ الصالحين الذين كانت تقوم عليهم المدرسة الخسروية، ومعظمهم ممن سعى إلى تأسيسها، وجمع المدارس العلمية بحلب وتوحيدها فيها، فنال من العلوم زبدتها، ومن أخلاقهم أحسنها، ومن حلمهم وتقواهم أكرمها، واكتسب بالإضافة لماحصله من علماء بلدته (الباب) معارف جديدة وثقافة إسلامية مفيدة من علماء حلب ومشايخها.

وقد ذكر لنا سيدي الوالد رحمه الله شيوخه في الخسروية وماذا قرأ عليهم من العلوم والكتب فقال:

١- قرأنا الفقه الشافعي على الشيخ محمد سعيد الإدلبي، رحمه الله لمدة سنة واحدة.

٢- وكان أستاذنا الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله مدرس الأخلاق قالاً وحالاً.

٣- والشيخ أحمد الشماع رحمه الله تعالى قرأ لنا تفسير النسفي.

٤- أما أستاذنا العلامة الشيخ أحمد الزرقا فقرأ لنا الدرر على الغرر في الفقه الحنفي.

٥-وأستاذنا العلامة الشيخ أحمد الحجي الكردي (مفتي حلب) قرأ لنا أصول الفقه في كتاب نسمات الأسحار.

٦-أما الشيخ الكبير والولي الشهير الشيخ ابراهيم السلقيني (الكبير) فقرأ لنا كتاب (اللباب في شرح الكتاب) في الفقه الحنفي، كما كان يدرس النحو لغيرنا في الصفوف الأخرى .

٧-وقرأ لنا أستاذنا الشيخ محمد الناشد في النحو (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، وكان يلقب بالزمخشري الصغير.

٨-أما الشيخ أسعد العبه جي (مفتي الشافعية) فقرأ لنا قطر الندى، لابن هشام في النحو أيضاً.

٩-وقرأنا جوهرة التوحيد وشروحها على أستاذنا الشيخ فيض الله الأيوبي، وكان علماً في المعقولات، ودرسنا عليه المنطق أيضاً، إذ كان من البارعين بهذه العلوم، وكان من علماء الأكراد المهاجرين من الشرق.

١٠-وكان أستاذنا الشيخ محمد الحكيم يعلمنا الإنشاء (التعبير).

١١-وكان فرضيُّ عصره أستاذنا الشيخ عبد الله عبد المعطي يدرسنا الفرائض (علم المواريث).

١٢-أما مدرس التجويد والقرآن الكريم فكان عمر مسعود الحريري.

١٣- كما ذكر أن من جملة مدرسيهم في المدرسة الخسروية المؤرخ الشيخ كامل الغزي، وقد دَرَّسَ بعد وفاته الشيخ محمد الحكيم.

وكان الشيخان الغزي وعبد المعطي من المعمَّرين ويسميان بالمئويين وقال لنا سيدي الوالد أن الشيخ الغزي عاصر مفتي مكة الشيخ أحمد زيني دحلان، وصلى به إماماً عندما حج في شبابه.

١٤ – وكان الشيخ راغب الطباخ، أستاذنا في المصطلح والحديث الشريف والسيرة النبوية، وقرأ لنا (مقدمة ابن الصلاح) في المصطلح التي طبعها في مطبعته العلمية بحلب، والتجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، للزبيدي الذي اختصر به صحيح البخاري، كما قرأ لنا نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للخضري.

١٥- أما أستاذنا الشيخ عبد الله حماد فقد قرأنا عليه (متن الغزي في الصرف).

١٦- والأستاذ أمين الله عيروض كان أستاذ الحساب.

١٧- كما كان يدرسنا الأستاذ القسطلي (الجغرافيا).

١٨- وكان مدير المدرسة آنذاك العالم الفاضل الشيخ مصطفى باقو.

ثم قال سيدي: وقد كان لنا حضور على علماء آخرين من غير أساتذة الخسروية، وكان من أشهرهم وأكثرهم نفعاً، سيدي الشيخ **محمد نجيب سراج الدين** رحمه الله إذ كان يدرس في جامع بانقوسا، والحموي، وجامع سليمان، وقد استفدت منه كثيراً أنا وغيري ممن كنا نلازم دروسه، وكان عَلَماً وحجَّةً في العقائد والتفسير.

وقد انتفعنا بمشايخنا جزاهم الله عنا خيراً كثيراً، وإن كانت خميرة العلوم التي أفادتنا هي مما حصلناه على مشايخنا في الباب.

وهذا نص الشهادة العلمية الممنوحة له من المدرسة الخسروية:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾

﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون . ﴾

حمداً لمن أنار بصيرة من شاء من عباده بنور العلم والإيمان، وزين قلوبهم بمصابيح الحكمة والعرفان، وصلاة وسلاماً على هادي الأمم إلى الصراط المستقيم والدين القويم ، سيدنا محمد ﷺ المبعوث لتتميم مكارم الأخلاق، وهداية البشر إلى توحيد الواحد الخلاق، والقائل : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وخيركم من تعلم وعلم » .

وبعد : فإن الشاب النجيب السيد الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد المسعود ممن انتظم في سلك طلاب المدرسة الخسروية في مدينة حلب الشهباء، وأنهى صفوفها الستة حضوراً على أساتذتها، حائزاً على الدرجة ( ) في العلوم التي تدرس فيها:

التفسير الحديث الأصول الفقه علم الكلام التجويد البلاغة النحو الصرف الفرائض

المصطلح السيرة النبوية المنطق الجغرافيا الحساب الإنشاء الأخلاق السير والسلوك

وبعد الفحص العام من جميع هذه العلوم منح هذه الشهادة من قبل مدير المدارس العلمية وأساتذتها، وإنا نوصيه بتقوى الله تعالى والاعتصام بحبله المتين، واتباع سبيل المؤمنين والنصح لله ولرسوله، وألا يألو جهداً في نشر العلم وعدم كتمانه، وإرشاد الأمة، والله يجزل به وبعلمه النفع ويوفقه لمرضاته إنه سميع مجيب.

مدرس الأخلاق	مدرس التفسير	مدرس الحديث والمصطلح والتاريخ	مدرس الفقه
عيسى البيانوني	أحمد الشماع	محمد راغب الطباخ	أحمد الزرقا
مدرس علم الكلام والمنطق	مدرس الحساب	مدرس الجغرافيا	
فيض الله الأيوبي	أمين الله عيروض	القسطلي	
مدرس الإنشاء والعروض	مدرس الفرائض	مدرس التجويد	مدرس علوم البلاغة والنحو
محمد الحكيم	عبد الله عبد المعطي	عمر مسعود الحريري المؤذن	
مدير الأوقاف	مفتي حلب	نظرت	مدير المدارس العلمية
	عبد الحميد الكيالي	قاضي مدينة حلب	خاتم وتوقيع
		محمد عزيز الخاني	

وقد كتب الشهادة بخطه الجميل الأستاذ الخطاط محمود النقشبندي (البابي) وكان زميلهم في طلب العلم.

١١- حياته في الخسروية:

وبعد أن أنهى الدراسة في المدرسة الخسروية بحلب واجتاز الامتحان العام بنهاية السنة السادسة منح شهادتها التي أثبتنا نصها آنفاً، وذكر لنا سيدي الوالد أن من زملائه الذين درسوا وتخرجوا بسنتها عام ١٣٥٤هـ الموافق ١٩٣٥م.

السادة المشايخ الأفاضل: صالح النعمان، ومحمد سيادي المراد، وابراهيم الطنجير من حماه، ومفيد خير الله، ومحمد زعتري وعاكف حبال، ومحي الدين حللي من حلب، وحسن العاروني من تادف، وأحمد سعيد، وأحمد اعزازي من اعزاز، ونوري النائب المجني من أريحا، وعمر عنداني، حمادة العنداني، وحسين قرقناوي، ومحمد خير شيخوني رحمهم الله جميعاً.

وكان سيدي الوالد يقيم أثناء دراسته في الخسروية في المدرسة نفسها، وكان هذا في أول سنة قدم فيها إلى حلب، ثم انتقل بعدها إلى غرفة في جامع الأرمنازي، في حارة الباشا بحلب، والذي هو مسجد حي، يقع جنوبي جامع بانقوسا.

وكان يتردد عليه أثناءها العلامة الشيخ محمد النبهان، والعلامة الشيخ محمد الجبريني، رحمهما الله تعالى، إذ كانا زميلين متقدمين في العلم والفضل والانتساب لسلك المرشد العلامة سيدي الشيخ محمد أبي النصر، وكانا أيضاً قريبين وتوثقت الصلة بينه وبينهما، وأحبهما وأحباه، وبقيت صلاته بهما لم تنقطع حتى توفى الله سبحانه (الجبريني) في سن مبكرة بعام.....والنبهان بعام ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

وكان ينفق أثناء الدراسة على نفسه من المرتب البسيط الذي تقدمه المدرسة للطلاب، فيؤمن قوته منه، وبما كان يزوده به والده الشيخ الجليل محمد المسعود، وكان يوفر من هذا الراتب مايشتري به الكتب

العلمية، وقد كانت معظم الكتب التي في مكتبته - وهي من الأمهات - مما اشتراه أيام الدراسة؛ كالمبسوط للسرخسي، وتفسير الطبري، وتبيين الحقائق للزيلعي وغيرها.

١٢- **العودة إلى الباب بعد التخرج:**

وبعد أن تخرج من المدرسة الخسروية وكان ذلك بعام ١٣٥٤ هـ، الموافق ١٩٣٥م، عاد الوالد إلى مدينته (الباب) ليعيش مدة طويلة في كنف والديه الكريمين وقد صار عمره /٢٣/ عاماً؛ عاد ليتابع العلم والتعليم، وليقرأ فيها للطلبة ومحبي العلم الدروس، ويؤدي واجب العلم تجاه أبناء بلده وأمته، وكان قد سبقه للتعليم في مساجد البلدة ومدارسها الشرعية أخوه الشيخ محمد سعيد، حيث كان يدرس في المدرسة المعبدية، التي هي مدرسة والده.

ولم تكن تفوته مجالس سيدي الشيخ محمد أبي النصر الذي كان يتجول في محافظة حلب، والجزيرة، ومدنها وقراها، ناشراً العلم والهداية، من خلال مجالس الطريقة النقشبندية، وذلك في خريف كل عام، وأحياناً في الربيع.

وكان لطلاب المدرسة الخسروية الحظ الأكبر من مجالس الشيخ أبي النصر.

الفصل الثاني

التربية الإيمانية وأثرها في حياته

١٣- **تربية الجد له :** كانت تربية الجد رحمه الله لكافة من ولاَّه الله أمرهم تربية مميزة، يمتزج فيها العلم بالحلم، والحزم بالعطف واللطف، والتربية والتهذيب السلوكي، مع التعليم النظري في الكتب، وحفظ الدروس، والمتابعة الجادة للتربية والتهذيب..

كان الوالد يشب عنده متخلقاً علمياً بآداب الإسلام التي يراها قراءة في كتب العلم وسلوكياً بأخلاق الجد.

هكذا كان حال الجد مع أولاده، ومعنا نحن (أحفاده) فيمابعد، عندما شرفنا المولى سبحانه أن نكون في حِجْره سنوات التعليم الإبتدائي.

وقد حظي الوالد – كما حظي العم – في سنوات طفولته بمزيد من عناية الجد، استمرت حتى بعد أن انتقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الفتوة والشباب والرجولة.

١٤- **مع الشيخ أبي النصر في المنطقة:**

وكان التزام الوالد للشيخ أبي النصر رحمه الله منذ الطفولة – كما أسلفنا - وكان لسيدي (أبي النصر) جولات مباركة في تلك المنطقة، (قرى اعزاز) وكان أثره واضحاً في إصلاح أحوال أهلها وتوجيههم إلى العلم والدين وتشجيعهم على تعليم أولادهم العلم الشرعي، فكان الوالد يقوم على هذا النهج ويدعو إليه.

ورسائل الجد إلى شيخه أبي النصر وأولاده – وبخاصة الوالد – بينت بوضوح منهجه التربوي وسلوكه العملي في التهذيب والتعليم والتخلق بآداب الإسلام.

كما كان لسيدي الشيخ أبي النصر والشيخ بدر الدين الحسني الدمشقي – وبقية الشيوخ الذين التقاهم الوالد الأثر الكبير في سلوكه، وتربيته الروحية، ولعل أول عالم مربٍ ومرشد كامل تفتحت عيناه على مرآه بعد الجد هو: **سيدي الشيخ محمد أبو النصر الحمصي النقشبندي.**

وكان هذا عام ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢١م، وكان الشيخ يزورالباب وكان اللقاء الأول به في منزل الجد، وكان العم والوالد فتيين ناشئين في طلب العلم، وتم بطلب من الجد إلى شيخه أبي النصر تلقينهما الذكر في بيت والدهما، فلقنهما الذكر /٥٠٠/ مرة لفظ الجلالة لكل منهما، وصار فيما بعد يرسل إلى الشيخ سلامهما وطلب الدعوات لهما في رسائله المتتابعة لشيخه، وكان الشيخ أبو النصر أيضاً يخصهما بالسلام والدعوات والملاحظات.

وكان يصحب الشيخ أبا النصر في جولاته إلى تلك المناطق كثير من العلماء المحبيين للشيخ من حلب والباب ومنبج وحماه وغيرها أمثال الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ بكري الرجب البابي، والشيخ عثمان المارعي.

١٥- عناية الجد بالوالد برسائله إليه:

وكان الجد الشيخ محمد المسعود يتفقد الوالد بالرسائل التي يظهر فيها مزيد حبه وعنايته وعطفه عليه وإيثاره له، ومن أولى تلك الرسائل، رسالة مؤرخة ٨ رجب ١٣٥٩هـ الموافق ١٩٤٠ م، يوصيه فيهابتقوى الله سبحانه ذاكراً فيها سلام والدته وأهله وجيرانه وهذا

نصها:باسمه سبحانه نرجوه إحسانه ولدي وقرة عيني محمد علي المسعود أسعده وأحبابه الملك المعبود آمين يامعين.

أما بعد: فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ عليك بتقوى الباري سراً وعلناً، تنال سعادة الدراين، وفقنا الباري جميعاً لما يحبه ويرضاه بجاه نبيه الأمين وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

جميع العائلة ووالدتيك (أمه، وخالته زوجة أبيه) وشقيقك وشقيقتك، وأولاده والجيران والأقارب والأحباب؛ الجميع بالخير التام يدعون لك بكل خير، ويقبلون وجنات (محمد زكريا)، ووالدك يدعو لك وللعيال والمحبين بخير الدارين والسعادة الدائمة في الدارين، والسلام على مسك الختام وآله وصحبه الكرام ومن تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين آمين يامعين، والحمد لله رب العالمين.
٨ رجب الخير ١٣٥٩هـ.

المحب: والدكم يدعو لكم وللمحبين بخير الدارين.

وظلت رسائل الجد تترى وتتابع توصيه بتقوى الله دائماً ونفع أهل منطقته.

الفصل الثالث

العلم والعمل الديني والدنيوي – الزواج –

١٦- **العمل في النجارة والتجارة:** كان الجد قد أراد لولديه تعلم مهنة مصاحبة لطلب العلم، فاختار لهما الرجل الفاضل الشيخ أحمد الحامد النعساني الذي علمهما مهنة النجارة، وكان معلمهما يذهب إلى القرى بناءً على طلب أهلها لأشغال النجارة، وكان يأخذ تلاميذه الصناع معه.

يقول الوالد – فيما كتبته عنه من ثبته – [قال: وقد كنت قبل التحاقي بالمدرسة الخسروية بحلب، أثناء قراءتي على علماء الباب، قد عهد بي الوالد إلى الشيخ أحمد النعساني لأتعلم عنده صنعة النجارة، وكان شيخنا النعساني يحضر معنا الدروس على مشايخنا المذكورين آنفاً[1]، وكنا نخرج إلى القرى أحياناً لعمل النجارة للبيوت التي تبنى حديثاً مع معلمنا، وكنا نعمل في النهار في المهنة، أما في الليل فكان معلمنا يدارسنا كتب الفقه والنحو، إذ أن كتبنا كانت معنا، وكان يحفظ القرآن الكريم ونسمعه له.

وقد أدركت فيما بعد أن مقصد والدي من تعليمي مهنة النجارة عنده ليس تعلم مهنة فقط، وإنما صحبة الصالحين، والتربية الأخلاقية التي كان يحرص عليها كثيراً، وحتى نحصل على مزيد من العناية والتربية ممن يكبرنا سناً من الصالحين، بخلقه وحاله.] اهـ.

---

[1]– كالشيخ مصطفى أبو زلام والوالد الشيخ محمد المسعود، والشيخ محمد أبو الفتوح وغيرهم.

ثم افتتح معلمهم الشيخ أحمد النعساني دكاناً للتجارة في البلدة ووضع فيها سيدي الوالد وكيلاً أميناً عنه، وأراد الجد أن يكون هذا العمل تحت أنظار وتوجيهات شيخه أبي النصر فكتب إليه يطلب ملاحظته والدعوات له ودوام التوجه بالعناية والرعاية له ولأولاده.

١٧- في قرية دابق (اعزاز) مدرساً ومعلماً :

مضت شهور على تخرج الوالد من الخسروية وهو مقيم بين أهله في الباب معلماً ومتعلماً، حتى جاء وفد من أهالي قرية (دابق)، إلى قرية (تركمان بارح) المجاورة لقريتهم شرقاً، ليستشيروا عالمها الشيخ (عبد الرحمن الحوت) في اختيار طالب علم، ينشر فيهم علوم الشريعة، ويزكيهم بآدابها، بعد أن رأوا أثر الشيخ الحوت في أهل تركمان بارح فأرسلهم الشيخ عبد الرحمن الحوت إلى صديقه وابن عمه الشيخ محمد النبهان رحمهما الله، الذي قال لهم: الطيبات للطيبين، تأخذون الشيخ محمد علي المسعود، وكان الوالد آنذاك في زيارة للشيخ النبهان ثم قال له: اذهب وشاور والديك، فشاورهما الوالد، ووافقا على ذلك لكن سيدي الجد قال لوفد دابق:أنا لم أرسله إلى دابق فقط، وإنما أرسلته إلى المنطقة كافة، وقد ظهر هذا في سلوك الوالد فعلاً عندما استقر في تلك المنطقة.

وتم توجه سيدي الوالد إلى دابق مودعاً لوالديه طالباً منهم دوام الملاحظة القلبية والدعوات بظهرالغيب، وفي طريقه إلى دابق في المرة الأولى مرّ على قرية ليست ببعيدة عنها هي (أسنبُل) وقضى ليلة فيها، عند أصدقاء الجد الشيخ عبد الرحمن الحوت، وأصدقائه فيما بعد آل النجار، ثم توجه في صباح اليوم التالي إلى (دابق).

وكان هذا بعام ١٣٥٥هـ، الموافق ١٩٣٦ م ونزل في دابق ضيفاً عزيزاً مكرماً على أهلها.

وكان أول من أضافه الرجل الصالح الحاج علي الناصر [1] رحمه الله والتزمه التزام الأخ لأخيه. وأقام الوالد في دابق، وكان يبقى غالب الشهر في القرية، ويعود إلى بلده الباب كل شهر بضعة أيام لزيارة والديه، وكانت مهمته التعليم والإرشاد والتفقيه في دين الله كما أمر ربنا سبحانه: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الآية ١٢٢ التوبة، ولم تكن هذه القرية (دابق) بل وغالب قرى المنطقة في تلك الفترة تحظى بالعلماء أو المدرسين، بل كان هناك بعض الصالحين من عوام الناس ممن قرأوا القرآن الكريم واستظهروا بعض سوره وآياته، يقومون بمهمة الإمامة، والخطابة في الجمعة والأعياد، كما يقوم غالبهم أيضاً بتعليم أبناء القرية القرآن الكريم تلاوة وتجويداً، وكان بعضهم، يقوم بمهمة تعليم القراءة والكتابة.

ولما جاء سيدي الوالد إلى قرية دابق أطلقوا عليه لقب (الشيخ العالم)، ولا تزال هذه التسمية تطلق على طلبة العلم الدارسين في المدارس الشرعية حتى الآن.

وتسابق أهل القرية في إكرامه وضيافته ومجالسته والسماع لأحاديثه ودروسه، والتخلق بأخلاقه من أول يوم وطئت قدمه تلك التربة الطيبة، (دابق عمر بن عبد العزيز) وكان من أولئك من التفَّ حوله، أضافوه الحاج علي ناصر والحاج عبد الفتاح المارعي، والحاج مصطو النعيمي رحمهم الله وباقي أهل القرية من آل المنصور وسواهم جزاهم الله خيراً.

وأحب أهل القرية (عالمهم) كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءاً، ووقع في قلوبهم موقع الغيث الوابل الصيب على الأرض الهامدة العطشى.

---

[1] – توفي هذا الرجل الصالح في ربيع الأول ١٤٢٣هـ الموافق عام ٢٠٠٣ م

واجتهد (الشيخ العالم) في تعليمهم وتدريسهم وتفقيههم، وتلقينهم مبادىءالعلوم الشرعية، وفقه العبادات، (صلاة وصوماً وزكاة وحجاً) وفقه المعاملات (مزارعة ومساقاة وإجارة وشركة)، وفقه الأحوال الشخصية (بل كل ما يحتاج إليه أهل المنطقة من أمور دينهم ودنياهم، يتوِّجُ ذلك سلوك فاضل وخلق كريم، وشمائل محمدية تأخذ بمجامع القلوب وتأسر القلب والروح وتجذب الجليس إلى الأسوة الحسنة، والعمل الصالح، فأحبوه حباً جماً، وتعلقوا به، تعلق الأخلاء المتقين، بأصدقائهم الصالحين، والتفوا حوله، ولازموا دروسه ومجالسه).

حادثة طريفة: ومن طريف مايذكر أن إمام القرية – وقت قدوم الوالد إلى دابق – كان شيخاً من صالحي العوام، وكان يقرؤهم القرآن، ويقوم فيهم بمهمة الإمامة في المسجد والخطابة يوم الجمعة والأعياد، لقاء مرتب معلومٍ من أهل القرية، فلما قدم الوالد إلى تلك القرية، واستقر فيها مقيماً، شعر ذلك الإمام أن مَقْدَم الشيخ العالم سوف يضيق عليه بمرتبه المعلوم، أو يستغنى عنه كإمام ليعطى راتبه (للعالم الجديد)، وأحس الوالد بداخله بما كان يظنه ذلك الإمام، وكان الوالد قد دعي مرة إلى عقد زواج ضم وجوه أهل القرية، بما فيهم الإمام السابق، ولما أجرى الوالد العقد، وانتهى الجمع من الحضور، منحوا الوالد – وهذا فوق العادة – ليرة ذهبية فأعطاها الوالد إلى الشيخ الإمام، بخفاء وحياء وأدب جم، ليزول بهذا كل ماوقع في قلب ذلك الشيخ الصالح من غيرة، أو ضيق حال، ثم ليدعو بعدها جهراً وفي كل المجالس للشيخ العالم الجديد، ويثني عليه أحسن الثناء ذاكراً هذه الحادثة بخشوع وحب ممزوجة بدموعه، ويقول: كيف لا أحبه ؟!..ثم تتابعت صلات الوالد له، مادياً ومعنوياً، وإيناسه له وجبر خاطره، حتى صار أحب الناس إليه، ثم لنكون نحن أولاد الشيخ العالم لديه نتعلم القرآن الكريم تلاوة وتجويداً، جزاه الله عنا خير الجزاء.

المكتب الأولي لتعليم أهل القرية:

وافتتح الوالد هناك مكتباً أولياً يعلم فيه أبناء القرية مبادىء القراءة والكتابة والحساب بالإضافة إلى مبادىء العلوم الشرعية، كالفقه والنحو والحديث.

وامتلأ وقته ليلاً ونهاراً؛ يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم ويفقههم، قالاً وحالاً، وتجاوز قريته إلى القرى المجاورة، ضيفاً زائراً قائماً بالموعظة الحسنة والإرشاد الفعلي والقولي، وفقيهاً مربياً، يدلهم بحاله وقاله على مكارم الأخلاق وحسن التعامل مع الخالق والمخلوق... ومضى على هذا الحال ثلاث سنوات تقريباً، وهو عَزب...

١٨- مصاهرة الشيخ عبد الرحمن الحوت:

ومع أن أحواله كانت كلها تسليماً قلباً وقالباً لأقدار الله سبحانه ومشيئته، إلا أن الزواج مطلب فطري وأمر شرعي، واختيار ذات الدين مما يجب أن يسعى إليه عامة الناس، فكيف بخواصهم وصالحيهم ؟!وتم عرض الفكرة بحياء وأدب على الوالدين، وعلى الأخ الكبير الشيخ محمد سعيد...

وكان العم الشيخ محمد سعيد – رحمه الله تعالى- يثني على زميله ورفيقه في طلب العلم في الخسروية، وفي الطريق النقشبندي لدى سيدي أبي النصر، كان العم يثني على رفيقه الشيخ عبد الرحمن، ويذكر مزاياه وفضله وأرومته الصالحة وحاله القوي بالله، وكان العم الشيخ محمد سعيد يمر على صديقه الشيخ عبد الرحمن الحوت الذي كان إماماً في قرية (تركمان بارح) أثناء قدومه إلى دابق زائراً لأخيه وعرف أن مراد أخيه هو عند صديقه، ولم تكن أخلاق الشيخ عبد الرحمن ومزاياه غريبة عن سيدي الوالد فقد كانا يلتقيان كثيراً في مجالس

الشيخ أبي النصر أثناء جولاته في محافظة حلب، كما كان يزور الجد أثناء زيارته لرفيقه الشيخ محمد سعيد في الباب، بالإضافة إلى أن الشيخ أبا النصر كان له زيارة معلومة لبيت الشيخ عبد الرحمن في قرية (التيارة) بجوار حلب، ويحضر مع الشيخ أبي النصر معظم إخوانه من علماء حلب والباب ومنبج وحماه، ونتيجة البحث والمشورة اقترح العم الشيخ محمد سعيد أن تتم خطبة إحدى بنات الشيخ عبد الرحمن الحوت للوالد حتى تتوثق العلاقة والمودة والمحبة بين الأصدقاء والزملاء وكان من عادة الجد الشيخ محمد المسعود ألا يقطع أمراً دون مشورة شيخه أبي النصر؛ مشافهة إن كان حاضراً، ومكاتبة إن كان غائباً. فكاتب الجد شيخه أبا النصر برسالة مؤرخة ٦ذي الحجة ١٣٥٧ هـ الموافق ١٩٣٩، وذكر في مقدمة الرسالة أنه يقرأ الدروس في مساجد الباب، ويطلب من شيخه الدعوات والتوجيهات، ثم قال: (وخدامكم؛ محمد سعيد ومحمد علي مواظبون على دروسهم حسب الإستطاعة، ويقبلون الأيادي الكرام، ويرجون الدعاء والتوفيق بالخير الدائم في الدارين.

وخادمكم محمد علي له رغبة في بنت الشيخ عبد الرحمن الحوت، فنرجو التفضل عليه وعلينا وعلى الإخوان والمحبين بالدعاء والتوفيق لمافيه خير في الدارين).

١٩- **عقد الزواج**: وكان عقداً مباركاً ميموناً، إذ حظي بتوجيهات المرشد الكامل الشيخ محمد أبي النصر ودعواته ومباركاته، وتم العقد لدى ذلك الشيخ الكامل محمد النبهان، حضره الجدان الشيخ محمد المسعود، والشيخ عبد الرحمن الحوت، ولفيف من العلماء الفاضلين، من أحباب الشيخ أبي النصر ومريديه، والأقرباء من آل الحوت، وذلك في غرفة الشيخ النبهان، في جامع الكلتاوية بعام ١٣٥٨هـ، وبعد أيام قليلة تم تجهيز الوالدة إلى بيت الزوجية، وانطلاقها من بيت الشيخ

محمد النبهان، في حلب إلى منزل الوالد في الباب حيث قضى الوالد أيام الزواج الأولى، ثم ارتحل مع الوالدة بعد إذن والديه إلى مقر عمله في دابق.

قال أخي عبد الله: وكان ممن حضر عقد الزواج الشيخ بشير حداد رحمه الله تعالى، وكان يقول لي كلما رآني: بالأمس حضرنا عقد زواج والدك، فيقول أخي عبد الله: هذه الأمس مضى عليها أكثر من خمسين عاماً ...

٢٠- **أيام العز (بدابق):**

كانت أيام دابق أياماً خصبة، وزمناً مباركاً من أزمنة الدعوة إلى الله، ونشر العلم وإشاعة التقوى والخلق الفاضل المستقيم في تلك الأماكن المباركة التي كان يحن إليها الخليفة الزاهد الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ بعد توليه الخلافة في مسجد دابق وانتقاله إلى دمشق، فكان يقول لزوجته فاطمة بنت عبد الملك (أخت سليمان بن عبد الملك الذي عهد إليه بالخلافة عندما كان في دابق، وبمشورة العالم الصالح رجاء ابن حَيْوَة): أتذكرين أيام العز بدابق ؟! ففي دابق أخذت له البيعة بالخلافة، وبدابق عاش أيام العز، قبل توليه الخلافة، عز الدين والدنيا.

وكذلك كانت دابق عندما أحيا فيها سيدي الوالد مكارم الأخلاق، وسقى أهلها حب الله ورسوله ﷺ، وزرع فيهم الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين. اهـ.

الفصل الرابع

سلوك الداعية

٢١- أخلاقه العامة :

إذا قلت إن الوالد رحمه الله كان نموذجاً فريداً متميزاً في خلقه وسلوكه، عمن عرفناه من العلماء والفضلاء والصلحاء، فإنني لا أجانب الحقيقة، وإذا قلت أنه كان يتبع الشمائل المحمدية والخلق النبوي ليتمثلها عملياً وسلوكياً في حياته فما أنا بمُغرِبٍ في القول..

كانت حياته كلها دعوة إلى الله في عباداته ومعاملاته، في أقواله وأفعاله، مع لين في الجانب، وإلفة في المعاشرة، ونصح للخلق أجمعين، وعطف على عباد الله، وشفقة على الفقراء والمساكين، مواساة لهم، وخفض جناح للوالدين، وصلةً للأرحام، ورحمة للصغار وتوقيراً للكبار..

ماكنت تقرؤه أو تطلع عليه من أخلاق الصالحين، وشمائل الصادقين؛ تجده لديه واقعاً ملموساً في سلوكه وأخلاقه، سجية دون تكلف أو تصنّع..

وكان من أهم ما يميز حياته وسلوكه ذلك **الزهد العملي في الدنيا**، ومناصبها وزخرفها، وأموالها ووظائفها، والزهد في الجاه والرئاسة، والبعد عن كل ألوان الظهور، وسكنى القصور، حتى سكنى المدن، فإنه قام بنشر الدعوة في الأرياف، وهذا ما يَعزِف عنه كثير من طلاب العلم.

لذلك ما سأذكره عن أخلاقه الكريمة، وسيرته العطرة بعد أن استقر في (دابق) بعد زواجه إنما كان كذلك في كل مراحل حياته، من قبل

تخرجه من المدرسة الخسروية، وبعد انتقاله وعودته من (منطقة اعـزاز) إلى الباب مسقط رأسه، ولنطلع على أحواله وكمالاته في تلك المراحل في دابق، وتركمان بارح، ثم أخيراً الباب، وماصاحب هذه الفترات من أحداث تظهر فيها شخصيته المتميزة، وأخلاقه العالية.

أ- **نبذ من أخلاقه الكريمة وسيرته العطرة في دابق:**

كانت تلك المدة زمناً خصباً غنياً بالخير والعطاء، وجمع القلوب على الله، ونشر العلم والفضائل، وإرشاد أهل المنطقة إلى فضائل الدين الحنيف.

فقد كان الوالد رحمه الله لايفتأ ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً يتجول في قرى المنطقة، يغتنم المناسبات؛ **ملبياً** دعواتهم في إقامة الموالد لأفراحهم وزواج أبنائهم أو عودة حجاجهم، أو ولادة مولود لهم...أو..أو **ساعياً** إليهم – دون مناسبة خاصة– مرشداً ومعلماً، واعظاً ومدرساً، أو **مذكراً** بمناسبة دينية كريمة كموسم الحج مثلاً، ليشد همة متراخ، أو يقوي عزيمة متردد أو ينهض عزم متقاعس أوغافلٍ عن تلك المناسبة العظيمة التي هي أمل ومطلب المؤمنين، أومنبهاً إلى إخراج الزكاة في مواسمها في زمن الحصاد، أوالجني والقطاف، أو **شارحاً** فضل الصيام، أحكامه وآدابه في شهر رمضان أوقبيله في أواخر شعبان، أو **لافتاً** النظر إلى قيمة وبركة المناسبة وفضل أيامها، والواجب حيالها، كشهر ربيع الأول، أو **مبيناً** فضل شهر رجب وشعبان، ومايناسب الأشهر الحرم عند أهل التقوى والإيمان، أو **معزياً** لمصابين في مصيبة، أو مؤنساً لهم ومسلياً في يتم وليد، أو ثكل أرملة، أو فقد صاحب، أو ساعياً مع بعض أحبته وإخوانه من طلبة العلم في المنطقة لإصلاح ذات البين، أو إطفاء فتنة قبل أن تشتعل، ويصعب إخمادها.

وكان سلوكه – طيب الله ثراه – في كل هذا؛ السلوك المحمدي الشريف؛ يبتدر كل من يلاقيهم بالسلام قبل أن يبدأوه، ويصافحهم إذا لقيهم قبل أن يصافحوه، ولاينزع يده من مسلّم عليه قبل أن ينزع الآخر يده منه، كان لا يواجه أحداً بما يكره.

يلتفت إلى جلسائه مسلماً مؤانساً باشاً هاشاً، يسأل عن أحوالهم، وأمور دنياهم، وقضاياهم متوجهاً بكليته إلى من يحدثه، حتى يظن كل جليس له أنه أحب الحاضرين إليه.

لا يُغتاب الناس في مجلسه، وإذا أحس أن المجلس انحدر إلى اللغو، أو الإنشغال بما لا يفيد نبههم بلطف قائلاً: كان شيخنا الشيخ سعيد الإدلبي يقول؛ احكوا لنا على النبي ﷺ.

وإذا انشغل اثنان أو أكثر - ممن لايعرفون عادة الشيخ، أو أدب المجلس في الإصغاء إلى المتحدث - بحديث جانبي، كان يقول بلطف: إنما تنزع البركة من المجلس إذا لم يُصْغِ الحاضرون، وسرعان مايصيخ الجلساء أسماعهم، متأسياً بكل ذلك بأحوال النبي ﷺ قالاً وحالاً.

وإذا جلس مع إخوانه أو الآخرين إلى طعام؛ آنس الآكلين بحديثه، وتلقيمه لهم، وإكرامه من حوله، من الطعام الذي يقدم له، فيشاركهم فيما يخصه به أهل الدعوة ولا يدع أحداً منهم دون إكرام أو مؤانسة أو إلقامه لقمة، وكان يلاحظ الآكلين فلا يقوم إلا آخرهم، حتى لا ينصرف أحد عن الطعام ونفسه تشتهيه أو له به حاجة، ولو أراد جليسه أن يعد له لقيماته التي يأكلها لعدها، فيتوهم الجالس معه أنه يأكل وفي الحقيقة يطعم ويؤانس، وهكذا كانت سيرته مع الناس طول عمره، حتى لقي الله سبحانه.

وكان أدب جلسائه معه عظيماً، واحترامهم له كبيراً، وفي كل مكان يزوره أو يدعي إليه، كان يسبق حضوره ذكر شمائله وأخلاقه من

الـذين خـالطوه وعرفـوه، أو سمعـوا عنـه أو جالـسوه، فكـان الأدب والإحترام القلبي سمة جلسائه حتى أن الغريب الذي لا يعـرف الـشيخ ولم يسمع به، كان يستغرب هذا التأدب من الناس فيعزم في نفـسه ألا يتأدب وأن لايترك عادته، ولكن ما إن يجلس مع الشيخ دقائق، حـتى يحس بمؤانسة وملاطفة الشيخ له، فيسأله عـن اسمـه وبلـده وعملـه، فيرى نفسه أوفر الجالسين أدباً مع الشيخ وأكثرهم احتراماً، بـل يـرى قلبه يتعلق به كأنه صاحبه ويعرفه من سنين.

وكان من أدب جلسائه معه، ألا يدخنوا احتراماً وإكراماً له عن رائحـة الدخان المزعجة، بل كانوا يهيئون المجلس له قبـل قدومـه، بإزالـة آثـار الدخان ومابقي من فضلاته، دون أن يطلب منـهم ذلـك، بـل مـن تلقـاء أنفسهم مع كمال الأدب والمحبة والاحترام.

ب- **بناء المساجد والحض على طلب العلم:**

كان يحض أهل القرى التي يزورها – معلماً ومرشداً – على تعلـم العلم، وإرسال أولادهم للمدارس الشرعية، وكم سعى لهـم في بنـاء المساجد في القرى التي لا يوجـد فيهـا مـسجد، أو تـرميم الموجـود وتوسعته. فعلى سبيل المثال:

١- رمم ووسع مسجد دابق عندما كان إماماً بها.

٢- رمم ووسع مسجد بارح كذلك عندما كان إماماً بها.

٣- سعى في بناء مسجد الشهداء، المجاور لمنزله في مدينة الباب.

٤- تبرع بأرض جامع المسعود – في مدينة الباب – التي ورثهـا عـن والده وسعى في إعماره.

وكان يطلب منهم أن يكـون في كـل قريـة طالـب علـم يـؤمهم في صلاتهم، ويعلمهم أحكام دينهم، وكانت استجابتهم – ولله الحمـد – جيدة، فما من قرية من قرى اعزاز، زارها أو تـردد إليهـا، إلا وصـار

فيها من طلبة العلم الذين نفع الله بهم، ما لا يحصون كثرة وعدداً، حتى صار ريف المنطقة والحمد لله من أفضل الأرياف، بسلوك أهله الشرعي، وكثرة طلاب العلم فيه، والتزامهم لآداب الشريعة.

وقد نقل لي بعض الأحبة أن الأخ الشيخ خالد الحمود (الدابقي) إمام (صوران اعزاز) حالياً أحصى من طلبوا العلم في دابق وتخرجوا من المدارس الشرعية بفضل توجيهات الوالد فبلغ عددهم ستين طالب علم، ماعدا المتعلمين في فروع المعاهد والجامعات الأخرى، وقد ينوف عن المئة.

ج- **تعليم النساء**: أما النساء فكان لهن من توجيهه الحظ الأوفر، فكان يخصص لهن في بيته يوماً لإرشادهن وتعليمهن أمور دينهن اقتداءً بفعل سيدنا رسول الله ﷺ فصلحت أحوالهن، والتزمن الحشمة، واللباس الساتر، وزال الإختلاط المقيت بين الرجال والنساء في السهرات والأعراس والمناسبات الأخرى.

قال عبد الله: حدثني الحاج مصطفى الدابقي – المنشد المعروف – قال: لما قدم الشيخ إلينا لدابق إماماً لم تمض فترة من الزمن على قدومه حتى تغيَّر حال النساء إلى الحشمة والوقار وعدم الاختلاط في الأعراس والرقص الجماعي المسمى (الدبكة).

قال: وكان الشيخ يتقنَّع[1] عندما يسير في الطريق.

ومرة كان في طريق سيره إلى المسجد مقنعاً فشاهده بعض النسوة فزدن في الحشمة والتستر وانصرفن مسرعات، فشاهد ذلك المنظر أحد أقربائي –ذكر اسمه– قال: ما هذا ؟!... والله العظيم أعظم هيبة من السلطان عبد الحميد !!... وكان ذلك الرجل من حرس السلطان عبد الحميد العثماني رحمه الله.

---

[1] – انظر في الشمائل في تقنعه . كان ﷺ يكثر القناع .

د- **تجوله في المنطقة داعياً إلى الله**: قال عبد الله: كما مر معنا في الفقرات السابقة والأخص فقرة – ١٧- ولندرة العلماء في المنطقة كان يطلق عليه (الشيخ العالم)، أقول: قبلت قدمه بعد أن فاضت روحه إلى بارئها وبعد تغسيله وقلت: كم سارت هذه الأقدام في الحر والقر متنقلة بين القرى والأرياف داعية إلى الله في وقت عزت فيه المواصلات وندر فيه طلبة العلم والدعاة. استطعت أن أقبل قدمه لأنه في حال الحياة لا يسمح بذلك، ولا أجرؤ على إزعاجه. أهـ

وكان يصحبه في جولاته وزياراته للقرى بعض إخوانه ممن توجهوا للعلم وممن علمهم وخصص وقته لهم، فصاروا من أفاضل طلاب العلم، والقائمين بالدعوة إلى الله [1]، كما كان يصحبه بعض مداحي المصطفى ﷺ الذين يرافقونه لله، ويقومون بالإنشاد في الموالد وتهييج كوامن الشوق والمحبة لله ولرسوله ﷺ، حسبة لوجه الله تعالى، دون أجر يبتغونه من الناس، أو منفعة مادية تعود عليهم، سوى حبهم لله ورسوله ﷺ وصحبتهم للشيخ الذي تعلقوا به أكثر من آبائهم وأمهاتهم.

وكان يُدعى – كما أسلفنا – إلى قرىً فيها طلبة علم دعاة من زملائه وإخوانه في تلك المنطقة، فيحضرها هو وأولئك الفضلاء والمحبون من أهل القرى الذين يفدون إلى هاتيك المجالس، فكانت مجالس إيمان وتقى، وخير وبركة، وهدى ونور، يحسِ الجليسِ فيها بأنه في مجالس رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانت غذاء وعطاء للذين ساروا على نهج السداد ومغناطيساً جذاباً للذين أراد الله لهم التوبة، والعودة

---

[1] – من أخص الدعاة من طلاب العلم الذين كانوا يصحبون الوالد عمنا الشيخ عبد السلام الفرهودي، المعروف بالمنطقة بالشيخ عبد، من قرية دابق، والشيخ يوسف منصور، من قرية دابق، والشيخ اسماعيل الحمدو من بارح، ومن المداحين الحاج مصطفى اليوسف، والحاج عبد الرزاق الإبراهيم، من دابق، رحمهم الله جميعاً وأجزل مثوبتهم .

إلى سلك الرشاد، فكانت تلك المجالس تزكية وتربية، واستتابة وتقرباً إلى الله لمن لم يكن ذاق طعم التدين والسلوك الشرعي.

ومما كان يحرص عليه – رحمه الله – إذا زار قرية من القرى، احترامُ شيخها (عالمها) وتوقيره وإجلاله، كائناً من كان هذا الشيخ، صغيراً أو كبيراً، فيدعوه إن غاب عن المجلس، ويرسل إليه إن تخلف، ويظهر احترامه القلبي وتقديره العلمي له إن حضر، ويثبت في قلوب أهل قريته محبته واحترامه.

هـ – **أخلاقه مع أهل العلم والمشايخ الوافدين** : أما إذا قدم القرية التي كان يسكنها أحد من أهل العلم ضيفاً أو أحد مشايخ الطريق متفقداً إخوانه، فقد كان الولد يرحب به، ويحترمه، ويحضر مجلسه، ويشارك إخوانه أذكارهم ومجالسهم، قاصداً بذلك تثبيت محبة إخوانه لشيخهم، وإعلامهم أن كل الدعاة إلى الله إخوة، وإن اختلفت طرقهم ومشاربهم، إذ كان في قرى المنطقة بعض المنتسبين للطريقة القادرية والرفاعية، لذلك ماكان هؤلاء يحسون بأنهم من فرقة مغايرة، أوجماعة أخرى، كما يفعل بعض جهلة المنتسبين لأهل الطرق في زماننا، بل كانوا يحسون أنه شيخهم وابن طريقهم، إذ كان يحضر لأذكارهم ومجالسهم – كماذكرت آنفاً – ليثبت لهم عملياً أن الطرق التي تدعو إلى الله كالمدارس منهاجها ونظامها واحد وأساتذتها مختلفون. ووجدت كلها لتربط الإنسان بالله وبرسوله ﷺ وتزيده بهما محبة وصلة.

ولقد سرى حاله هذا سلوكاً وخُلُقاً إلى أبنائه وتلاميذه، بفضل توجيهاته العلمية وسلوكه الصادق، وتخلقنا بها نحن أولاده وكافة إخوانه ومحبيه فلا نعتبر –رغم نشأتنا بأذكارنا ومجالسنا في الطريقة النقشبندية – أننا أغيار وبعداء عن الطرق الأخرى، بل ورثنا والحمد لله من حاله وقاله، محبة سادتنا أهل العلم والمعرفة والطريق كلهم.

وصار لنا والحمد لله – هذا الحال سلوكاً وخلقاً – بفضل هديه وتربيته لنا.. فما نشعر في أي مجلس من مجالس أهل الذكر والطرق الأخرى إلا أننا في مجالس أهلنا وأحبتنا وقرابتنا، طالما أنهم منضبطون بأحكام الشريعة متقيدون بآدابها، وكان لا يخصص أهل طريقته بالرعاية دون غيرها فالكل عنده سواء.

وما كان رحمه الله يريد في مجالسنا العامة التي تجمع مختلف فئات الملتزمين أو المحبين لأهل الطرق الأخرى أن نخصص الطريق – النقشبندي – بالدعوة، حتى لاينكسر قلب بعض من لايتحمل أن يسمع ذكر غير شيخه، أو يحدث لديهم نفور أو وحشة فيحرموا الخير والعلم في ذلك المجلس.

و- **إرسال الأولاد إلى الباب من أجل المدارس :**

وهكذا مضت زهرة حياته في (دابق) أثناء إقامة العائلة فيها، ولم تكن قد أسست بدابق مدرسة ابتدائية في تلك الفترة حوالي عام ١٩٤٨، فأَرْسَلَنا – نحن الأولاد الذين كانت تتهيأ أعمارنا للدخول في المدرسة الإبتدائية – إلى مدينتنا (الباب) للتَّعلم في المدارس الإبتدائية، ولنحظى بملاحظة وتربية الجد – طيب الله ثراه – وكان هذا القصد الأول من ذلك، فكان كلما صار واحد من الأولاد قابلاً للمدرسة أرسله إلى الجد لينال خيري الدنيا والآخرة،

فكنت أنا الذاهب أولاً بعام ١٩٤٨م ثم أخي احمد بعام ١٩٤٩م ثم أخي محمود بعام ١٩٥٠ م، ثم أخي عبد الله ١٩٥٨م.

وكثيراً ما سمعته يقول: أنا وأولادي إخوة، اشتركوا معي في تربية والدي ووالدتي لنا جزاهما الله عني خير الجزاء، وهذا من تواضعه الجم، وعرفانه بالجميل لوالديه، وفضلهما عليه وعلى أولاده..

فمكثنا أنا وأخي أحمد ثم محمود ثم عبد الله تحت رعاية الجدين وتربيتهما خمس سنوات، فكانت خير إقامة لدى أبوين شفيقين عطوفين بذلا- جزاهما الله عني وعن إخوتي خيراً – كل ماوسعهما، بل وفق طاقاتهما وهما في ذلك السن (سن الشيخوخة).

وكنا بعد انتهاء الفصول الدراسية – في الصيف – نعود إلى القرية، تصحبنا توجيهات الجد للوالد بإحسان التربية، ودوام الملاحظة.

حتى إذا انتهت الدراسة الإبتدائية لكل منا، كان يوجهه للمدرسة الشرعية بحلب (الخسروية).

٢٢ – **وفاة والدته رحمه الله**: وفي عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٧ م اختار الله سبحانه وتعالى والدته الشفوقة الحاجة أمينة الزريق إلى جواره الكريم، وكان آنذاك في قرية دابق، فحضر إلى الباب سريعاً مع أخوين عزيزين كانا يلازمانه هناك، هما الحاج علي الناصر والحاج عبد الرحمن الجنيد رحمهما الله.

يقول الحاج عبد الرحمن: وصلنا الباب عشية – إذ لم تكن وسائط النقل متوفرة آنذاك – وكانوا قد فرغوا من دفنها ظهراً، فلما دخلنا على جدك وسلمنا عليه وقبلنا يده قال الجد للوالد برقة وعطف ولطف: (**يسلَم دينك وإيمانك يابني، وأعظم الله أجرك، ماكنت أريد إزعاجكم وتنغيصكم، ولكنه أمر الله**). وكأنه يعتذر بكلماته هذه لوالدك عن إخباره بوفاة والدته.

قال – والكلام للحاج عبد الرحمن –: ثم ذهب والدك إلى المقبرة ليزور والدته.

قال:وجلسنا في بيت جدك من بعد صلاة العشاء نتحدث مؤانسين مواسين لوالدك، وهو أيضاً يؤانسنا وكان جدك يصلي ويدخل علينا

أحيانا يؤانسنا ثم يعود إلى صلاته حتى طلع الفجر، فما نمنا ولانام جدك طيلة تلك الليلة.

٢٣- **أيام العز بدابق (مرة أخرى)**: ولا مانع من أن أستعير هذا العنوان (مرة أخرى) من مقالة سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ لزوجته فاطمة بنت عبد الملك بعد توليه الخلافة كما أسلفت في الفقرة ١٧، لقد كانت أيام عزٍ، بل وسمِّها أيام صفاء أيضاً.

مضى مايزيد على عشرين عاماً على إقامتنا في دابق والوالد يتعهد أهلها بالرعاية والعناية والدعوة والإرشاد متجولاً في القرى المجاورة لها، مغتنماً المناسبات الكثيرة لرعاية الإخوان والمحبين بدوام التوجه والملاحظة، وكان كثيراً ما يصحبه – كما أسلفت- العم الكريم الشيخ عبد، أو الشيخ يوسف المنصور، رحمهما الله والمنشدان الحاج مصطفى اليوسف، والحاج عبد الرزاق الإبراهيم من دابق.

وحدث ولا حرج عن تلك الساعات الطيبة التي تقضى مع خيرة الأشياخ، من علماء تلك المنطقة والذاكرين وأبناء الطريق المحبين لله ولرسوله ﷺ، يؤجج نار الشوق فيها مدّاحو الحبيب المصطفى ﷺ، ويذكي عواطف الحب هؤلاء الأشياخ الذين كان سيدي الوالد قطب لقائهم ومحور اجتماعهم، حدّث بشوق وما تملك من حب وإيمان عن تلك المجالس التي يباهي الله بها الملائكة.

فما من إنسان حضرها، إلا ويحدثك عنها حديث الخشوع والدموع، حديث الحرقة والأسى، كيف ذهبت تلك الأيام، وكيف انقضت تلك المجالس، وأنى لها أن تعود ؟!.

كنا نحس أننا نجالس فيها رسول الله ﷺ وأصحابه، نحس أننا نجالس كبار العارفين، والعلماء العاملين من الربانيين الذين إذا ذكروا

حضروا، وإذا غبنا عنهم نحس أنهم معنا. ويالله تلك الساعات، وتلك الأويقات كما قالها الإمام الرواس:

ما العمر إلا أويقات ذهبن بها صفرسواها، وهن الخالص الذهب

وقال غيره:

ليالي وصال لو تباع شريتها بروحي ولكن لا تباع ولا تشرى

٢٤- الإنتقال إلى تركمان بارح المجاورة لدابق:

ويشاء الله سبحانه وتعالى أن تكثر ترددات سيدي الوالد إلى قرية تركمان بارح، المجاورة لدابق، والتي كان الجد الشيخ عبد الرحمن الحوت قد قام فيها قبل زواج الوالدة، ونظراً لكثرة الإقامة في هذه القرية، وطول تردده إليها، اقترح أهلها – وكلهم محبون له – نقل أثاث البيت إليها، فتمَّ هذا في خريف ١٩٥٧م ١٣٧٧هـ.

وتابع الوالد نشاطه الدعوي، وتعليمه وتربيته لمن حوله من أهل القرية ومن يتردد عليها من المحبين، لايزيده إكرام أهل القرية له إلا شكراً لله سبحانه الذي هيأ له من يقوم بأمر دنياه، ليتفرغ هو لأمر آخرته، مما ندبه إليه الشارع الحكيم بمقتضى قول الله سبحانه:

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ التوبة .

فكان بكليته متوجهاً إلى النظر لما حض عليه الشرع الحنيف، من تزكية المؤمنين وتعليمهم الكتاب والحكمة.

كما كان يتابع أيضاً جولاته على قرى المنطقة المجاورة بصحبة إخوانه المحبين أو طلبة العلم في القرى المجاورة كما كان يفعل في دابق.

واستمر الحال ولم يتغير بانتقاله إلى بارح، وتتابعت الجولات والإجتماعات والدعوة إلى الله وعقدت مجالس العلم والدعوة في كل قرية يزورها، أداءً لواجب العلم، وأمانة الدعوة إلى الله، فكانت هذه المجالس تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؛ إما بتوبة لتائب، أو تثبيتاً لمؤمن، أو تقوية لروح الدين والخلق في نفوس من يزورهم، أو رعاية وعناية لمن أحبهم وأحبوه وسلكوا طريق الهداية بسببه، أو تفقداً وإرشاداً لأولئكم الأبناء الذين ارتادوا المدينة لأجل طلب العلم من أبناء تلك القرى.

وكانت رسائل الجد الشيخ محمد المسعود تترى إليه كل وقت، وفي كل مناسبة، منذ أن كان في دابق وبعد أن انتقل إلى بارح وكانت الرسائل تحضه على دوام النظر في أمر إخوانه المؤمنين والعناية بتعليمهم وتفقيههم في أمر دينهم، وملاحظة أولاده وتحفيظهم المتون العلمية (مختصرات كتب العلم) والأحاديث الشريفة النبوية، وسنعرض لهذه الرسائل في فصل خاص إن شاء الله تعالى، بعنوان (رسائل والده).

وهكذا ظل في قرية بارح موجهاً ومعلماً وداعياً، وازداد أهل القرية وماجاورها من القرى له إكراماً وحباً، وبجنابه تعلقاً وتشوقاً، وكان إخوانه في تلك القرية – كماكانوا في قرية دابق – انتدبوا بعضهم ليُعنوا بحاجات البيت وما تتطلبه شؤون الإنفاق، من مؤونة ونفقة وكسوة، وماسواها فما كان من خلقه ولا من سيرته طيلة إقامته في القريتين، وبعد انتقاله إلى مسقط رأسه (الباب) أن يشترط عليهم أو يطالبهم بأجرة شهرية أو سنوية، بل كان كما ذكرتُ يقوم بهذا الأمر بعض المحبين المخلصين له في القريتين، فيقومون بما يفرضونه على أنفسهم من راتب بتحصيله وإنفاقه على حاجيات الأسرة، وماعرف عنه أنه سأل؛ ماذا حصلوا وممن؟ ولا من أعطى؟ ولا من أمسك، بل

كانوا يعرضون عليه مافعلوا، فيشكرهم ويثني عليهم بخير، اللهم إلا أنه كان يسأل عن الديون التي ترتبت من جراء نفقات الأسرة، ويكتبها عازماً على وفائها، وحتى لا يضيع لأحد حق.

كما أنه كان يكتب أسماء من يُهدي إليه وماذا أهدى – وذلك في المناسبات المختلفة – من حج أو ولادة أو زواج ولد، حتى يقوم الشيخ بمكافأته فوراً، أو عند حدوث مناسبة للمهدي، حسب الحال والتيسير، وكان يدقق في هذا الأمر ويطلب منا أن لا نهمله.

وكان يعتذر في بعض الأحيان عن قبول هدايا الناس، ولاحظنا هذا كثيراً أثناء الإقامة في الباب، ووجدنا الغالب فيمن يعتذر عن قبول هداياهم، أنه كان يلاحظ عدم وجود نية خاصة لله من المهدي، أو أنه يبغي من ورائها أمراً لا يرضاه الشيخ رحمه الله تعالى، وإذا اضطر إلى قبول هدايا البعض ولم يردها – لسبب ما – فكان يهديها أو ينفقها ولا تستقر عنده.

٢٥- **وفاة والده الشيخ محمد المسعود**: وفي أوائل عام ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٢م، وفي يوم الأحد الثاني عشر من تموز اختار الله سبحانه وتعالى إلى جواره والده العالم العامل الفاضل، سليل الكرم والجود الجد الشيخ محمد المسعود رحمه الله وكان الوالد لايزال مقيماً في قرية تركمان بارح، فكان وقع النبأ عليه عظيماً هدَّ أركانه، وقوّض بنيانه، إلا أن الله سبحانه قد حباه ومنحه الصبر والتماسك والثبات، فصبر محتسباً، واسترجع حزيناً، إذ أن الجد كان أعظم شخصية في حياته، وكان الجد يجله ويحترمه، ويقدره تقديراً كبيراً، وكان لايحب إزعاجه، ولا يكتب إليه للحضور لديه، إلا في حالات الضرورة القصوى، ويفوض له أمر زيارة والديه.

وكان الوالد يحترمه ويوقره، ويذكره بالإجلال والإحترام، وينسب كل خير يمنُّ الله به علينا وعليه، وكل توفيق وسداد منه سبحانه، ينسب

ذلك كله إلى المولى سبحانه بفضل هذا الجد الكريم والمربي العظيم الذي يحفظنا الله ويفيض علينا البركة والخير، والعناية واللطف بسببه، ومن أجل صلاحه وتقواه، ذاكراً دائماً بهذا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ الكهف (٨٢) الآية.

وفور علمه بالوفاة، حضر الوالد سريعاً إلى الباب وحضرنا – الأولاد– كافة وصلينا عليه في الجامع الكبير وتم دفنه في سفح جبل الشيخ عقيل حيث مقبرة البلدة.

وبقي الوالد مع العم يتقبلون العزاء من مختلف أهالي البلدة والمحبين والأصدقاء، من حلب وحمص وحماه ودمشق، مدة العزاء الشرعية ثلاثة أيام، عاد بعدها الوالد إلى القرية حزيناً أسفاً مسلماً لقضاء الله وقدره، صابراً محتسباً، كلما ذكر والده ترحم عليه، وكلما صلى دعا له واستغفر له، وإذا فتح كتاباً ووجد فيه رسالة من والده إليه- وهكذا كان يصنع برسائل والده – قرأها متعظاً معتبراً، متذكراً متدبراً، وأسمع مضمونها من حوله، وذكر مآثر والده، ومناقبه الجميلة، وترحم عليه وأثنى عليه، وأفاض بذكر شمائله وأخلاقه وحرصه على التربية والتوجيه الشرعي، السليم لأولاده وللناس كافة.

ما بعد وفاة الجد: مضت هذه السنون والوالد في القرية (تركمان بارح)، شأنه وسيرته فيها – كما أسلفنا وتكلمنا آنفاً-وكان أغلب الأولاد قد تزوج وسكن حيث محل عمله أو وظيفته.

وكنت أول من تزوج وفارق بيته، بعد الإقامة سنين لديه أثناء وظيفتي الأولى في التعليم في قريته، ثم في حلب ثم عدت للإقامة لديه في القرية موظفاً في ناحية أخترين، المجاورة لها، وكانت هذه السنون من أعظم السنوات التي أثرت في حياتي وثبتت علائق الحب العميق والتعلق الوثيق بحضرته، حيث كنت لا أستطيع فراقه أو عدم رؤيته كل يوم، وذلك بعد أن أفاض الله عليَّ من الحب العظيم له والعودة إلى

السنن الذي يرتضيه، وذلك كله بفضل توجيهاته وملاحظاته وعنايته المستمرة القلبية والروحية.

وكان انتقالي إلى منبج وزواجي بعام ١٣٨٤هـ، الموافق ١٩٦٤ م، ثم انتقل أخي محمود إماماً ومدرساً لقرية العيون بعام، ١٣٨٦ هـ، ١٩٦٦.

أما أخي أحمد فكان منذ عام ١٩٥٨ ملازماً في حلب للمربي الكبير الشيخ محمد النبهان، وكان أخي عبد الله أيضاً يتابع دراسته في كلية الشريعة بدمشق ولم يبق لديه إلا الأخ عبد الرزاق الذي أنهى الثانوية الشرعية وعاد مقيماً لديه حتى انتقاله إلى الباب، ومع هذا كان لا يخلو بيته من أحد الإخوة، وكنا نتردد للزيارة وقضاء إجازاتنا لديه نحن وأزواجنا وأولادنا، وكان السرور العظيم حين نلتقي به ويحفنا ويلاحظنا بعطفه ورعايته وملاحظاته اللطيفة؛ لطف النسيم العليل في ليالي الصيف.

وتزوج الإخوة كلهم لديه في القرية، وكانت حفلات الزواج مظاهر عظيمة للإجتماعات الكريمة على محبة الله ورسوله، وإقامة مجالس الذكر والمديح النبوي، ومَعْلَماً من معالم التعاون على البر والتقوى، والحب في الله، والتواصل في الله، والإجتماع على طاعة الله وإحياء شعائر التقوى والإيمان، شهدتها تلك المنطقة، ولا زال الذين حضروها يتحدثون عن تلك الساعات والأيام الرائعة، التي شهدوا فيها مظاهر الإيمان والحب في الله، والعاطفة الصادقة، والفطرة السليمة التي أحيوا فيها مراسم الزواج كما يرضاه الله ورسوله ﷺ.

٢- **وفاة العم الشيخ محمد سعيد المسعود:**

بقي الوالد في قرية تركمان بارح، وفي نهاية عام ١٩٧٦ م في آخر أيام كانون الأول من تلك السنة الموافق ليوم ١٢محرم ١٣٩٧هـ، اختار

الله لجواره أخاه الكريم، العالم الحليم فضيلة العم الشيخ محمد سعيد المسعود مفتي البلدة، فحضر الوالد وصلى على جنازته مع جمهور أهل البلدة وعلمائها، والجم الغفير من علماء حلب ومنبج، والأحباب والأصدقاء.

وكان على رأس المشيعين فضيلة العالم العارف الشيخ عبد الباسط ابن الشيخ محمد أبي النصر النقشبندي الحمصي، رحمه الله وطيب ثراه.

وبقي الوالد والأسى والحزن يعتصر قلبه وهو يبدو صابراً محتسباً يستقبل وفود المحبين من المعزين ممن وفدوا إلى البلدة من كافة جهات القطر، وبعد انتهاء مدة العزاء الشرعية ثلاثة أيام، عاد إلى القرية يحمل معه الأسى واللوعة لفقد ركن ركين من أركان العلم والدين وأخ كبير شفوق، وعالم عامل حليم صبور، مسلماً لله قضاءه راضياً بقدره ومشيئته طالباً من الله سبحانه أن يعوض الأمة خيراً.

وكما أسلفت لم يبق لدى الوالد أحد سوى أخي عبد الرزاق وعائلته، وكان الإخوة بمافيهم كاتب السطور قد تبع كل منهم محل عمله، وأصبح وضعُ مدينة الباب خالياً تقريباً من أهل العلم إلا بعض الناشئة الذين انتسبوا لسلك المدرسة الشرعية التي افتتحت بعد وفاة العم من قبل جمعية النهضة في الجامع الكبير.

وبوفاة العم الفاضل الشيخ محمد سعيد المسعود شغر مركز الإفتاء عملياً ورسمياً، فهيأ الله سبحانه أمر انتقال الوالد إلى مدينته الأولى ومسقط رأسه، ومرابع طفولته وشبابه.

٢٧- العودة إلى مدينة الباب :

لم تمض على وفاة العم شهور قليلة، حتى هيأ الله سبحانه أمر انتقال الوالد لمدينة الباب، فقد كان كثير من الإخوة المحبين يأتون من مدينة

الباب إلى القرية كل يوم جمعة فيحضرون صلاة الجمعة عندهُ، ويحضرون مجلس العلم والذكر الذي يقام بعد الصلاة، ثم يقضون غالب يومهم ويعودون مساءً إلى الباب.

ولقد ارتأى الإخوة الذين كانوا يترددون على الوالد من الباب ارتأوا أن ينتقل الوالد إلى مدينة الباب، وبخاصة أن الأمور أصبحت مهيأة، فالأولاد والبنات تزوجوا ولم يبق في بيت الوالد أحد سوى الأخ عبد الرزاق، ومدينة الباب قد شغر مركز الإفتاء فيها ولم يبق أحد من العلماء الفضلاء الذين يلجأ الناس إليهم في أمور دينهم.

وبعد الإستخارة والإستشارة وما أبداه الإخوة المحبون عاد الوالد إلى الباب لوحده أولاً ثم تم انتقال أثاث المنزل والوالدة [1]، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل حياته رحمه الله تعالى هي الإنتقال إلى مدينة الباب[.. وفي ذلك الوقت أدرك أهل القرية أن المصيبة بانتقال الشيخ لا تعوض، لأنهم لم يعتبروا وجود الشيخ رحمه الله تعالى لديهم كإمام جاء إلى القرية ثم قضى مهمته ونزح منها، وإنما كانوا يعدونه أخاً ناصحاً، ووالداً شفوقاً، ومرشداً كاملاً، بل ولياً من أولياء الله قائماً بالحجة على عباده، بسيره وسلوكه الفريد، ولذلك كان تقديرهم أن مصيبتهم بهجرته لا تعوض، والخطب أكبر من ذلك، ولكن هكذا سنة الحياة ومراد الله سبحانه، فلا بد لكل لقاء من فراق...

---

[1] – قال أخي عبد الله: حدثني عمنا الشيخ محمد خير المارعي – رحمه الله تعالى – أن والدك قال لي: (قال لي والدي – الشيخ محمد المسعود – أنت بعد وفاتي تسكن الباب)، وقد حاول الوالد السكنى في المرة الأولى بعد وفاة الجد رحمه الله تعالى، وما أن علم أهل القرية بذلك حتى توافدوا جموعاً بسيارات متعددة إلى منزل العم بحالة من البكاء والحزن الشديد، شاركهم فيها العم لما رأى عليهم من التأثر، راجين منه التدخل في ذلك، فأجاب الوالد رجاءهم، وجبر خاطرهم بعد أن صفت نفوسهم وعاد معهم إلى القرية أما المرة الثانية فقد تم الإنتقال فعلاً بعد وفاة العم الشيخ محمد سعيد المسعود رحمه الله تعالى.

وتم أمر الله وكان الإنتقال إلى مدينة الباب، أما أهل القرية فلا تسل عن الحزن والأسى، يوم غادرت الوالدة مع أثاث البيت في السيارات التي حضرت لتنقل العائلة ومتاعها، حيث أيقن جميع أهل القرية أن الأمر قد تم وانتهت إقامة الشيخ لديهم، وكانوا قبل يعللون النفس ببقائه، نظراً لوجود البيت والعائلة][1] اهـ.

[وبحلول الشيخ في مدينة الباب بعد مسيس الحاجة إليه وغياب دام أكثر من أربعين عاماً يتجول فيها في قرى منطقة اعزاز، بدأت مرحلة جديدة من حياة ذلك العالم العامل، المهاب الوقور، الذي اعتزل الناس تقريباً، وبقي مع ربه تالياً للقرآن الكريم، أو مطالعاً للسنة النبوية، ذابّاً عنها، مثبتاً لعقائد من حوله من أهل وقرابة، وأصدقاء وأحباب، يترددون إليه.

وبعد قدومه إلى الباب بدأت آثار مرض الشيخوخة (تصلب الشرايين) تظهر عليه، وظل هذا المرض ملازماً له ما يقارب خمس سنوات متواصلة، اضطر فيها للبقاء في البيت، ولم يخرج منه إلا نادراً، لكن هذا لم يمنعه من الاستمرار في مطالعة كتب العلم، وعقد الحلقات العلمية في منزله لمن واظب عليها من الإخوة والمحبين، كما كان يستقبل الزوار وطلاب العلم الوافدين إليه من مختلف الجهات.

ولما شفي من هذا المرض، رغم أن الأطباء قد أشاروا بلزوم استعماله الأدوية حتى آخر حياته، ولم يعد بحاجة إلى الدواء، ووجد من نفسه نشاطاً وهمة، استأنف السفر إلى منطقة اعزاز، ليسقيَ ماغرسه بيده من بذور العلم والمحبة، ويتعهد أيضاً غرسات شيخه قبله المرشد الكبير الشيخ محمد أبي النصر قدس سره، والتي لا تزال آثار بركاته ظاهرة إلى اليوم.

---

[1] - من مذكرات : طوالع السعود بتصرف للأخ الشيخ محمود المسعود .

وكان الوالد يتعهد تلك الغراس بحاله وقاله وسلوكه وزياراته، حتى أصبحت تفقداته لتلك المنطقة منتظمة، فكان يذهب كل يوم جمعة إلى قرية (دويبق) فيصلي الجمعة فيها، مهما كان الظرف صيفاً أو شتاء، ومهما كان الطقس حاراً أو بارداً، وكان يتحمل هذه المشقات، وبخاصة أيام الشتاء القارس، وإن كان جسمه النحيف الرقيق لا يقوى على تحمل البرد منذ حداثة سنه، فكان رغم ضعف بنيته وسوء صحته، إذا جاء يوم الجمعة فكأنه رزق همة وقوة جديدة، فلايفوّت الصلاة هناك ويقول: نذهب بنية الشفاء.

وكانت تلك القرية متوسط قرى المنطقة، فيقدم إليها الإخوان والمحبون من القرى حولها ومن حلب أحياناً للإلتقاء بالشيخ في ذلك اليوم، وحضور مجلس العلم الذي يكلف الشيخ أحد طلاب العلم به، ثم يستمع الحضور إلى الإنشاد ممن حضر من المنشدين، ويختم ذلك بقراءة الختم النقشبندي، ويغتنم أهل القرية حضور الشيخ لإضافته ومن حضر معه، وكان المضيف الدائم ذلك الأخ الكريم والمحب الصالح الحاج مصطفى الديبو رحمه الله وبارك فيه وفي أولاده الذين كانوا يتسابقون مع أبيهم لخدمة الشيخ وضيوفه.

وفي الحقيقة لقد كان الشيخ يجد أنسه وراحته لدى هذا الرجل المحب الصافي، وكنا نشعر بهذه المودة وهذا الصفاء والكرم وحسن السيرة ولانزال، وحتى بعد وفاته رحمه الله.[1]

وقد كان الوالد رحمه الله يذهب خلال الأسبوع أيضاً إلى قرى المنطقة تلبية لدعوة أخ محب من زواج ولد أو قدوم حاج أو معتمر أوغيرها.

وكان بيته قبلة الطالبين والوافدين من كافة الجهات من المحبين وأصحاب الحاجات، وكأنه أغلقه من جهة وفتحه من عدة جهات،

[1] – توفي يوم ١ شباط ٢٠٠٤ ودفن في قريته دويبق .

واعتزل من ناحية ليستقبل القاصدين من كافة أنحاء القطر ممن يروم مشورة أو استشفاءً، أو رقيةً أو حاجة، في زمن كثر فيه الكذب والزور والشعوذة والمتاجرة بدين الله، وقلت فيه الأمانة والصدق والنصح لعباد الله، فكان الناس الوافدون إليه يلتمسون البركة والشفاء والنصح، يصحبهم حسن اعتقادهم بالشيخ وبركة رقياه الشفهية أو الخطية.

أما أهل البلدة فكان محل حسن اعتقادهم، ومثلهم الأعلى في العفة والأمانة والتقوى، والإخلاص لله سبحانه التي يتحلى بها العلماء العاملون والربانيون من هذه الأمة.] اهـ بتصرف من طوالع السعود.

الفصل الخامس

أسفاره ورحلاته

٢٨ – الأسفار الداخلية:

أ- ضمن المحافظة: كانت غالب أسفاره إلى **القرى المجاورة**، لأجل الدعوة إلى الله سبحانه، وقليلاً ماكان يتجاوز هذه القرى، ومعظم أسفاره كانت ضمن المنطقة، وكان يتردد إلى منطقة اعزاز لزيارة بعض الإخوة المحبين الذين كانوا يزورونه كثيراً، وكذلك إلى بلده الباب قبل أن يسكنها ويقيم فيها، لزيارة والديه حال حياتهما وبعد وفاتهما، وتلبية لدعوات الإخوة المحبين في مناسباتهم.

أما **حلب** فقد كان تردده إليها بعد عام ١٣٨٢ هـ، ١٩٥٣ م كثيراً وبخاصة بعد أن انتظمنا في طلب العلم أنا وإخوتي في مدرستها الشرعية (الخسروية) ولزيارة أحبابه وإخوانه الذين نزحوا إلى المدينة بعد عام ١٩٥٢ م من قرى حلب، وسكن معظمهم في حي الصاخور والحيدرية وكان تردده أولاً على صديقه وزميله في العلم والطريق الشيخ موسى الزيادي حيث كان إماماً لجامع الحدادين في محلة بانقوسا بحلب، وكان لديه غرفة واسعة في المسجد يلتقي فيها مع الإخوة الأفاضل من محبيه وإخوانه.

ثم بعد أن أنشىء حي الصاخور وتوسع عمرانياً بنهاية الخمسينات، واستقطب أهل المنطقة من قرى إعزاز الذين هم معارفه وأحبابه وأصدقاؤه صار تردده إلى ذلك الحي، فكان يبقى الأيام الكثيرة لديهم، متفقداً وموجهاً وناصحاً، ومثبتاً للأخوة الريفيين (الذين قطنوا المدينة) على منهج الإستقامة والأخلاق الفاضلة، التي نشأوا عليها

حينما كانوا ينعمون بصحبة الشيخ وتوجيهاته في قراهم، فكانت زيارته ولقاؤه بهم من أقوى الدعائم التي تثبت الإيمان والخلق تجاه عواصف الدنيا وزخارفها، وفتنها التي واجهتهم في المدينة، وكانوا في أمان منها في قراهم.

وقد كنا أولاد الشيخ نغتنم هذه الزيارات التي نحيي فيها الليالي المباركة والسهرات الإيمانية فنحس أننا في عالم غير عالمنا، وحياة ليست من الدنيا ومافيها من زخرف وبهارج، وإنما هي مجالس الآخرة التي تزيد الإنسان قرباً من ربه وحباً لدينه وثباتاً على نهج الإستقامة.

وكان طيب الله ثراه أكثر ماتكون إقامته إذا قدم حلب لدى الأخ المحب الفاضل الحاج حسين حموش الديري، نسبة إلى دير جمال، رحمه الله وطيب ثراه، والد زميلنا وأخينا المحب الفاضل والعالم العامل الشيخ حسن حموش نزيل المدينة المنورة، أمد الله في عمره مع العافية.

فقد كان الحاج حسين رحمه الله أكثر الإخوان حباً وتعلقاً وشغفاً بالشيخ وخدمته وملازمته له، وكان هو وأولاده وزوجته رحمهما الله تعالى إذا تأخر عليهم الوالد ولم يحضر إليهم يعتبرون أنفسهم مذنبين حتى حرموا قدومه، فكانوا جميعاً الأب والأم والأولاد أكرمهم الله وأحسن إليهم ورحم والديهم، مايعتبرون أنفسهم إلا أنهم عائلة الشيخ وأبناؤه وبناته، فكنت تراهم في غاية السرور والحبور بوجود الشيخ وما تقدر سعادتهم إذاحل بهم ونزل عندهم.

وإن كان رحمه الله يزور معظم الإخوان والأحباب هناك ويسهر لديهم وينام أحياناً إلا أن المركز والمستقر كان لدى الحاج حسين حموش رحمه الله وأحسن مثواه.

وكانت هذه المجالس الإيمانية – كما قدمت – غذاء للأرواح ومتعة للنفوس وبهجة لقلوب المحبين، وكان حركة هذه المجالس ولولبها والمدير الفعال لها عمنا

الشيخ عمر عادل ملاحفجي، حفظه الله، حيث كان مقيماً آنذاك في الصاخور.

أما الليالي العامرة التي تقام هناك ويحضرها مداحوا الحبيب الأعظم ﷺ، وأهل العلم والتقوى أمثال أستاذنا الشيخ محمد أديب حسون وولده عبد الباسط، حيث كان مقيماً أيضاً في الصاخور، كان لتلك الليالي طعم خاص ومذاق لاينسى، هذه المجالس الإيمانية العامرة، كانت نقطة تحول كبيرة في حياتي، إذ كنت في سن الشباب إبان دخولي الجامعة، وكنت أحس فيها بنظرات الوالد العطوفة الحانية، تنزل على قلبي كالغيث للأرض العطشى، وكان توجهه ولإخوتي حفظهم الله مما لا ينسى، وكنت أشعر بالعطف واللطف واضحاً، والحفظ الإلهي بيِّناً، وأتذوقه كما يتذوق الإنسان لذيذ الطعام، وقد كان لهذه التوجهات والرعاية أكبر الأثر لعقلي وروحي في الحفظ من زيغ الأفكار، وتلوث الأخلاق الذي يفعل فعله في نفوس الشباب المثقف في المدن الكبرى التي تشهد – في حينها– تفتحاً جديداً على عوالم الغرب بعد إنتشار التلفزيون ووسائل الإعلام الحديثة، وما جلبت معها من كثير غث، وقليل سمين، وكذلك ما شهدته في انقلاب الأفكار لدى العامة، والمثقفين من الفكر الفطري الديني السليم، إلى الفكر غير الإسلامي بشتى ألوانه وصنوفه.

٣١ – **الأسفار الخارجية :**

ب – خارج المحافظة: ماعهدناه رحمه الله وطيب ثراه سافر خارج المحافظة إلا لحج أو عمرة، ثم قبيل آخر حياته كانت سفرته – وفي العقد الأخير من عمره– إلى تركية لزيارة الآثار النبوية في استانبول

وزيارة مرقد سيدنا أبي أيوب الأنصاري فيها، وكنا تحدثنا عن سفره في أول شبابه إلى دمشق لطلب العلم وحضوره مجالس العلامة المحدث بدر الدين الحسني ﷺ.

أولاً أسفار الحج والعمرة: ١- كانت أولى حججه بصحبة الجد الشيخ محمد المسعود والعم الشيخ محمد سعيد بعام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤م رحمهم الله جميعاً وأحسن مثواهم،- وقد كان الجد رحمه الله رغب لي أن أكون في خدمتهم - ولكن لم يقدر الله سبحانه شرف تلك الصحبة والخدمة حتى يسرها الله تعالى في عام ١٣٩١هـ، ١٩٧١م. فحججت بصحبة الوالد في أول أسفاري للحج.

ثم تتابع سفر سيدي الوالد إلى الحج مرات متفرقة حتى عام ١٣٩١هـ، ١٩٧١ م فأكرمني الله بصحبته، فهيأ الله سبحانه وتعالى أسباب السفر بسيارة سياحية من سيارات السفر بين حلب والباب.

نبذة من أخلاقه في سفر الحج:

وقد هيأ الأخ المحب الحاج عدنان فرحات قائد السيارة كل أسباب الراحة التي تناسب صحة الوالد، إذكان وقت السفر شتاء، وكان شتاء بارداً ثلجياً، حيث انطلقنا والثلوج تعم البلاد في شهر كانون الأول عام ١٩٧١م، وعدنا في شهر كانون الثاني ١٩٧٢م، فكان الوالد رحمه الله وأجزل مثوبته في هذا السفر الأول الذي أكرمني الله بصحبته، نعم العون على مشاق السفر وعنائه، رغم ضعف جسمه وقسوة الظروف، وفي السفر تعرف أخلاق الرجال، فكان يختار الأسهل الأرفق بمن معه، وهذه حاله دائماً في كل شؤونه مع إخوانه ومرافقيه، وإن كان يأخذ لنفسه بالعزائم غالباً، وكان مرورنا بداية ونزولنا في المدينة المنورة، وأكرمنا الله سبحانه بالسلام على سيدنا رسول الله ﷺ بصحبته فما رأيت رجلاً أكثر أدباً وخشوعاً واحتراماً لرسول الله ﷺ منه، فكأنما هو بين يدي رسول الله ﷺ حياً يراه ويكلمه ويسلم عليه ويسمع منه،

ثم مارأيته بعد ذلك اقترب من المواجهة الشريفة بل كان يقف بعيداً بجانب باب السلام، أو أمام خوخة سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ، فيقف متأدباً خاضعاً هناك، متوجهاً تجاه الروضة، مستأذناً في دخول المسجد أو الخروج منه، وإذا طلب منه أحد السلام على رسول الله ﷺ بصحبته، فإنه يعتذر بأنه غير أهل لذلك.

وكان عندما يدخل المسجد النبوي الشريف يحرص أن يكون جلوسه وصلاته في بقعة المسجد التي أسسها رسول الله ﷺ، وهي ضمن ما يعرف بالحرم العثماني، وذلك لينال بركة آثار رسول الله ﷺ، وإذا وجد فسحة للصلاة في الروضة الشريفة دون مزاحمة أحدٍ أو إيذائه، صلى فيها ما تيسر وإلا فحيث يتيسر.

وقد أكرمنا الله تعالى بزيارة البقيع الشريف ومافيه من مقابر لأهل البيت الكرام، والصحابة الأفاضل، ثم شهداء أحد، كما أكرمنا الله سبحانه وتعالى بزيارة الصالحين المقيمين في المدينة المنورة الشريفة، من أهلها والمجاورين فيها أمثال الشيخ (محمد بن عبد العزيز الشنقيطي)، والشيخ (محمد بن زكريا البخاري)، والشيخ القاري (عباس صاحب) البخاري، وغيرهم وقد أورد ذكرهم وتراجمهم في ثبته الخاص الذي ذكر فيه من التقاهم من العلماء والفضلاء، وسنذكره في فصل لاحق إن شاء الله تعالى.

ثم أحرمنا بالحج مفردين من ذي الحليفة (بيار علي)، ولما وصلنا الحرم الشريف كان حاله من الهيبة والخشوع كحاله عند السلام على سيدنا رسول الله ﷺ، ولما كان نحيف الجسم ناحله، ضعيف القوى، كنت أنا والأخ عدنان فرحات نحفه عن يمين وشمال أثناء الطواف والسعي حتى أكمل مناسكه، وماكان شأنه في عرفة أن يخرج من خيمته رحمة وشفقة بمن معه، وتفادياً للزحام الشديد الذي يحدث من

الحجاج الذين يجتمعون حول جبل الرحمة، فيصعدون عليه، وخوفاً من ضياعهم إذا هم غادروا خيامهم.

وفي مكة المكرمة بعد إنتهاء المناسك أكرمنا الله سبحانه وتعالى بزيارة علمائها وصلحائها: الشيخ حسن المشاط رحمه الله تعالى والشيخ محمد بن علوي المالكي، الذي خلف أباه السيد (علوي المالكي) مفتي مكة، وعالم الحجاز، فكان بيته موئلاً لأهل العلم والفضل، وملاذاً لكل الصلحاء والفضلاء، وطالبي الخير من شتى أنحاء العالم الإسلامي، وصار الشيخ محمد بن علوي المالكي قطب الدعوة والإرشاد بعد أبيه رحمهما الله تعالى.

ثم حج الوالد بعدها وأكرمني الله بصحبته ومعنا أخي الشيخ عبد الله عام ١٤٠١هـ، ١٩٨١م وكان معنا جمع من الإخوة والمحبين، فكنا بخدمة الوالد رحمه الله، فنزلنا في المدينة المنورة في بيت أخي الحاج أحمد المسعود، أما في مكة المكرمة ففي ضيافة الصديق الكريم العالم الفاضل الشيخ (أحمد بالبيد) الحضرمي الأصل، الأندنوسي المنشأ، الذي أقام أخيراً في مكة المكرمة ولزم علماء مكة وعلى رأسهم الشيخ علوي بن عباس المالكي رحمه الله تعالى،

وكان الشيخ أحمد البيد رحمه الله تعالى، تَعرَّف على الوالد منذ عام١٣٧١هـ، بواسطة الشيخ عمر ملاحفجي نزيل المدينة المنورة حالياً، وفي تلك الحجة عام ١٤٠١هـ، رأى الشيخ بالبيد الوالد في الطواف، فأصر أن يكون في ضيافته هو ومن معه في منزله الكبير العامر بحي القرارة في مكة، وكنا مايزيد على عشرة أشخاص بصحبة الوالد، فأكرمنا الشيخ (بالبيد) أيما إكرام وقام هو وأولاده بخدمة الوالد وضيوفه طيلة فترة إقامتنا بمكة، رحمه الله وجزاه عنا خير الجزاء.

ثم تفضل الله سبحانه علينا وأكرمنا بخدمة الوالد والوالدة بعمرة في رجب عام ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢م،

وقد كان أخي الحاج أحمد المسعود أصهر إلى السيد محروس بن لادن بعام ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ومن يومها صارت المعرفة ثم الأخوة في الله، فكان الشيخ محروس حفظه الله يأبى إلا أن يكون الوالد في ضيافته هو ومن معه.

ثم أكرمني الله سبحانه وتعالى بعمرة معه بعام ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م وكانت في شهر رجب الموافق لشهر أيام ذلك العام، وقد تكررت منه بعد ذلك أسفار العمرة، إذ صعب عليه الحج في زحامه، وحره الشديد وبسبب ضعفه وعدم تحمله عناء السفر ومشاق الرحلة.

ثانياً سفره إلى تركيا: وهنا أترك الحديث عن هذه الرحلة المباركة الممتعة التي قصد بها الآثار النبوية في استانبول، وزيارة قبر سيدنا أبي أيوب الأنصاري ﷺ، إلى أخي الشيخ محمود الذي صحبه في هذه الرحلة، وكان معهما الأخ العالم الفاضل الشيخ محمد ولي بن الشيخ عبد القادر الإنطاكي، رحمهما الله الذي كان بمثابة الترجمان، ورفيق سفر لطيف المعشر، والأخ محمد علي زعيتر أبو بشير، والأخ الحاج عبد العزيز الياسرجي، الذي كان قائد الرحلة حيث تمت الرحلة بسيارته.

يقول أخي الشيخ محمود المسعود:

(أما الحديث عن أسفاره والغرض منها وسفره وسلوكه فيه فيوجب على الدارس لهذه الشخصية العظيمة أن يقف منها موقف الإجلال والإكبار سعياً وراء الإقتباس من أهدافها واتباعها في السلوك والتأسي إن أمكنه ذلك، أما الغرض من أسفاره فلم يعهد أنه سافر للمتعة والاستجمام وترويح النفس، وإن كان ذلك مباحاً بل كان جُلّ أسفاره

فيما عهدناه منذ الطفولة إما صلة للرحم أو براً للوالدين أو نشراً للعلم أو تعلماً له أو أداء للعبادة كالحج والعمرة أو لزيارة الصالحين أحياء وأمواتاً والتبرك بآثارهم، وهذه هي الحقيقة التي لمسناها والتي كان يوصينا بها بشكل دائم.

أما سفره لمدينة استانبول فكان بهدف زيارة الصحابي الجليل سيدنا أبي أيوب الأنصاري والتبرك بالآثار النبوية الموجودة هناك، أما سلوكه في السفر والذي عهدته منه في الفترة التي أكرمني الله بصحبته فيها سواء كان في الحج والعمرة أو السفر إلى متحف الآثار النبوية:

أقول: كان يحرص على شيئين أساسيين.

الأول: الهدف من الرحلة، والغرض من السفر مستصحباً فيه النية الصالحة والإخلاص لله ليفرق بين العادة والعبادة.

والثاني: الرفقة وسلوكه مع رفقته، أما اختيار الرفقة وهو شيء أساس فكان ضمن رأيه واختياره، ومن أحبائه فكان الرفيق **الأول** الأخ محمد علي زعيتر، أبو بشير المخلص في محبته وخدمته **والثاني**: المرحوم الشيخ محمد بن الشيخ عبد القادر ولي الأنطاكي ذي القلب الصافي والفطرة البريئة حيث كان يجيد اللغة التركية نظراً لمنشأ أسرته في تركية، والأخ عبد العزيز بن رفيقه أيضاً الشيخ مصطفى العزو الياسرجي صاحب السيارة الخاصة الذي عرض نفسه لخدمة الشيخ ونقله في هذه الرحلة المباركة! وكان من حظي أن أصحبهم في تلك الرحلة، ولقد كانت رحلة ممتعة حساً ومعنىً والسفر يسفر عن أخلاق الرجال، وخاصة في مثل هذا الأمر... ولنتحدث عن سلوك الشيخ الوالد في سفرنا معه؛ فقد كان مثال الأب الناصح الشفوق لكل واحد منا بل كنا نبادله ذلك الشعور في الأدب والإحترام، ومثال المرشد الكامل في التقيد بالشريعة المطهرة المتعلقة بأحكام السفر الشرعية من قصر الصلاة وجمعها وما يتعلق بذلك فكنا اذا آوانا المبيت في بلدة ما؛ فصلاة المغرب في المسجد ليدلنا إمامه على المكان النظيف حساً ومعناً وذلك

إذالم نقصد إنساناً بعينه رحماً أو رجلاً صالحاً فيكون النصح الإيماني حيث تجنبنا جميع المفاسد الأخلاقية ولم تفتنا عبادة، ولم تصدر منَّا مخالفة شرعية بفضل الله، وكان سيدي الوالد مثال الأخ الناصح الذي ينزل إلى مستوى من كان معه من رفقة ليتجاوز زلة سقطت، أو هفوة غير متعمدة، فإذا حدث هذا من أحدنا، فترى سيدي يتجاوزها بأن يعتبر نفسه لم يسمع، وإن كانت المداعبة بمباح شاركه شعوره وضحك معه.

وقد كان بسلوكه العام : لا يظهر التأفف ولا الضجر ولا السخط على أي تصرف يصدر من أحد الرفقاء بل يوافق الجميع رأيهم ولا يبدي رأياً مخالفاً لنا وكان يقول دائماً افعلوا الأيسر، وكان من شأنه في غير هذا السفر بسبب ضعف جسمه أن ينزعج وتسوء صحته ولو كان السفر قصيراً أو مريحاً، أما في هذه السَفرة التي طالت أحد عشر يوماً- وغالبها سفر متواصل سوى بعض الاستراحات في الطريق لأداء العبادة أو تناول بعض الطعام- فقد كان يستغرق السفر أحياناً اثنتا عشرة ساعة متواصلة، والسيارة متواضعة، ليست حديثة ولا فاخرة، وقد يمتد السفر أربعة عشرة ساعة متواصلة، وهو يشعرنا بالجد والنشاط بل ربما يُظْهِرُ لنا بأنه أنشط منا، فقد كان ينتابنا بعض الملل والكلل وهو لا يشعرنا بذلك، يرفع هممنا ويدعو لنا بالتوفيق والنجاح.. فلم يسخط من طعام ولم ينهنا عن طعام أو فاكهة بل كل ما أحضرنا شاركنا فيه لتطيب نفوسنا وإن كان طعامنا نصنعه نحن بواسطة الأواني الخاصة بذلك والمصطحبة معنا، وما كان يقول لإنسان لا تفعل كذا أو لا تشتر كذا [1]، طيلة هذه السفرة المباركة، ولقد لمست اليسر والمعونة

---

[1] – قال عبد الله المسعود : قال سيدنا أنس بن مالك ﷺ : (**خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال قط أف، ولاقال لي لشيء فعلته لم فعلته، ولالشيء لم أفعله هلاّ فعلت كذا ولاعاب عليَّ شيئاً قط**) متفق عليه .. فانظر يارعاك الله إلى هذه الأخلاق المحمدية الشريفة وحسن الإقتداء بها.

في أسفاري للحج أو العمرة وفي هذه الرحلة إلى تركية ،, كذلك كان واضحاً إكرام الله لنا بصحبته وخدمته.

أما في رحلة تركية :(تنبيه لطيف، بحجة كأس الشاي).

فقد مضت تلك الرحلة بأمان دون أي تعثر أو إزعاج بل كان الأمن والأمان مرافقاً طيلة الذهاب والإياب، ومن العناية الإلهية التي جرت؛ فقد نبه الشيخ سائق السيارة التي تُقلُنا بعد السير مدة طويلة لتفقدها، قائلاً لنا: هلاً جلستم للاستراحة أو تناولَ كأس من الشاي فنزلنا ونزل الأخ السائق معنا ثم ذهب يتفقد الآلية فإذا به يجد الزيت جافاً من المركبة وهذا يسبب خطورة يعرفها الجميع، والغرض من الوقوف بحجة الشاي أن ننظر الى السيارة فقد أصبحت على حافة الخطر دون أن ينتبه السائق لذلك.

تنبيه آخر بحجة كأس الشاي: وفي الطريق أيضاً إلى (مدينة بورصة) مررنا بجانب نهر وجاوزناه بخمسة كيلو مترات تقريباً وإذا به يقول عودوا الى النهر نتناول بعض الشاي أو نستريح ولم يكن من شأنه أن يوقفنا في مكان معين إلا إذا عرضنا عليه ذلك فكلما رأينا مكاناً مناسباً وشعرنا بالتعب أو الملل نقف، والمسافات المراد قطعها طويلة وطويلة جداً، فبعد أن جاوزنا النهر بمسافة ٤-٥كم تقريباً قال ارجعوا إلى جانب النهر لنجلس ونأخذ قسطاً من الراحة فلما استرحنا وتأهبنا للسفر وكان الطريق ضيقاً بين جبلين ولا ثاني له وإذا بالسيارات كلها تذهب وتعود من هذه الزاوية التي جلسنا فيها والذي يذهب في نفس الطريق يصل إلى مسافة طويلة ليعود أدراجه وينحني من هذه الزاوية الترابية وذلك بسبب قطعه للإصلاح وهذا المفرق الترابي هو البديل ولم توضع إشارة لتنبيه السائقين إلى ذلك. فكان هذا من إكرام الله سبحانه وتعالى لنا أيضاً بعد تفقد زيت السيارة.

وأختم حديثي بمسألتين :

الأولى: لما زرنا سيدنا أبا أيوب الأنصاري بعد صلاة الجمعة في مسجده في استانبول انطلقنا الى متحف الآثار الإسلامية ودخلنا ذلك

المكان المخصص لذلك وقرت أعيننا بتلك المشاهد خرجنا لنستريح على مرج من الأعشاب هناك فإذا به يقول لي: لو الإنسان نقل الى بيته مباشرة فقلت له على الفور:حسناً يا سيدي نأخذ الطائرة المسافرة الى حلب بأقرب وقت فقال أليس فيها دخول المطار قلت نعم، فقال فلا إذن بل نبقى معكم على بركة الله، والغرض من ذلك طبعاً معلوم «**فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله**»، وقصده من ذلك ظاهر، وهو أن لا تدخل على النية الصالحة شوائب ما تكسبه الجوارح في الطريق.

أما الثانية : بعد خروجنا من متحف الآثار الإسلامية قال له الشيخ محمد ولي: تفضل نزور مسجد السلطان أحمد الذي كان كنيسة ثم حوِّل الى مسجد فقال:لا،بعد زيارة الآثار النبوية لا نزور مكاناً ربما فيه بعض القهر أوعدم الرضا[1] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ الجن

ولقد كان الذي شاهدته منه أدبٌ خالصٌ مع الشريعة المطهرة وتربية سلوكية صالحة من أرفع مستوى وكان لا يحب سفاسف الأمور، ويتخذ أخف الضررين في الأمور التي لا خيار للإنسان فيها، ولما انتقلنا من مدينة (يالوى) إلى مدينة استانبول عبرنا البحر بواسطة العبارة الى الجزء الشمالي من البحر عند مدينة القرطل وكان ركوبنا العبارة بعد العصر وقبل الغروب ومعروف شأن الحافلات العامة البرية والبحرية وشأن الناس فيها فأشاح بوجهه ووقف على سور الباخرة ينظر إلى البحر حتى جنَّ الليل؛ كي لا ترى عينه معصية أو مخالفة شرعية، ولم يظهر الإمتعاض أو التأفف أو يعنف واحداً منا على تصرف ولم يأمر واحداً منا أن يقف بجانبه فأخذ العزيمة وترك لنا الرخصة، هذه بعض مما شاهدته وعايشته فيه وذكرت في كتابي (طوالع السعود فيما أدركته من حياة الشيخ محمد علي المسعود). انتهى

---

[1] - وسبب ذلك والله أعلم أن المسجد كان كنيسة ثم حول إلى مسجد زمن السلطان العثماني أحمد .

جـ - **السفر الداخلي إلى قرى إعزاز**: وبعد أن استقر الوالد في الباب منذ عام ١٣٩٧هـ، الموافق لآخر عام١٩٧٧م، لم يترك تفقد أهل المنطقة التي كان فيها من قرى إعزاز، بل كان دائم المواصلة لهم وزيارتهم، كما كانوا لاينقطعون عن زيارته، والجلوس لديه، وسماع حديثه، والإسترشاد بنصحه ورأيه بما يستشيرونه، ويستفتونه في أمورهم الدينية والدنيوية، أضف إلى ذلك أحبابنا وإخواننا من أهل بلدة (الباب) الذين كانوا حوله دائماً، وقد ذكرنا أسفاره في الفصل الخامس فقرة /٢٨/ فعد إليها.

ومنذ شهر شعبان من عام ١٤١٨هـ، فإنه لم يغادر البلدة بسبب ثقل وطأة المرض وقدوم الشتاء، حيث صادف شعبان من ذلك العام كانون أول ١٩٩٧م وألزمه المرض الفراش حتى إنه لم يكن أحياناً قادراً على صلاة الجمعة من منزله؛ إلى مسجد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، المجاور لمنزله.

وفي أوائل ذي الحجة من ذلك العام ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ازداد ثقل المرض والتزم الوالد الفراش فلم يغادره إلا في بعض الأيام التي يجد فيها نشاطاً وخفة، فكان يتوجه إلى أقرب مكان متيسر، يتخلص فيه من الإستلقاء على الفراش، فإما إلى بستان أخينا أبي بشير، أو إلى بستاني اللذان لا يبعدان عن البلدة إلا قليلاً، وأحياناً ماكان ينزل من السيارة، بل يعود إلى البيت بعد فسحة قصيرة يجدد فيها نشاطه ويستنشق هواءً نظيفاً.

وقد كان من إكرام الله لي أن زاره بعض أحبابنا من حلب ومعهم أخونا الشيخ (محمد ولي) رحمه الله تعالى، والعم (حاج حمدي ويسي) من (سيفات) ووجد نشاطاً وخفة، وكان هذا يوم الأحد قبل وفاته بعشرة أيام فقط (٥رجب ١٤١٩هـ)، وانطلقنا إلى بستاننا،

حيث قضى وقتاً ممتعاً وساراً مع هؤلاء الأحبة، وأخونا الشيخ محمد ولي يزيد المجلس سروراً بلطائف حديثه، وحسن استماع الوالد له..

وكانت هذه آخر مرة يخرج فيها من المنزل، لتكون بركة ووداعاً لبستاننا، الذي تباركت أشجاره وغرفه وأرضه بوطء أقدامه مرات كثيرة، والحمد لله رب العالمين.

الفصل السادس

شيوخه وإخوانه ومن لقيهم

٣٢- تمهيد:

أ- قد كفانا عناء تتبع أشياخه، وإخوانه من العلماء والصلحاء، وترجمتهم رحمه الله تعالى وطيب ثراه، إذ أنه دوَّنَ ذلك في (ثَبْت) له، فذكر فيه من التقى بهم من أشياخ وإخوان وأحباب وصلحاء وعلماء، وكان قد دون ذلك قبلاً في أوراق متفرقة - كمسودة - ثم جمعها في كراس لطيف بخط يده، صنفهم زمراً حسب الأوراق والكراس، وهذا قبل قدومه إلى الباب، عندما كان في تركمان بارح، ويظهر ذلك من تاريخ وفيات من مات منهم أو من ذكر في قيد الحياة،

فذكر أولاً: (ذِكْرُ أسيادي من أهل الجوار الشريف عند سيدنا الحبيب الأعظم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام).

وذكر ثانياً: (ذكر أسيادي الذين أكرمني المولى بلقائهم في جوار الحرم الشريف بمكة المكرمة).

وذكر ثالثاً: (نبذة عن أسيادي الذين أكرمني المولى بلقائهم في سورية).

وذكر رابعاً: (الأحباب والأسياد الذين لنا صلة بهم خارج سورية من مصر وغيرها)، ولها ذيل ذكر فيه (السادة والأحباب في العراق وما وراءه وحوله من أفغانستان والكويت).

ب- وكان قبل أن يترجم لهم بهذه الأوراق رتبها على شكل فهرس، وبجانب كل منهم وَصْفُه؛ إن كان من أهلِ العلم والصلاح، أو الصحو أوالجذب أو ما شاكلها، قد ترجم قسماً مفصلاً، ولم يسعفه الوقت لترجمة الآخرين، لكنه كما قلت ذكر وصف كل منهم، ولما سألته رحمه الله عن ذكر بعض المجاذيب، فقال: اعتبرها من أجل التاريخ...وقد بلغ تعداد قائمة العلماء الأولى المعنونة بـ(ذكر الأحباب والرفاق) /١٤٧/مائة وسبع وأربعين عالماً، ذكر فيها أسماء علماء الحرمين الشريفين المقيمين فيهما، ثم رفاقه من أهل العلم (خريجي الخسروية) والعلماء الذين تعرف عليهم في ريف منطقة إعزاز، ومن علماء حلب والباب ومنبج الذين كانوا يصاحبون شيخنا أبي النصر رحمه الله تعالى.

ثم أردفها بقائمة أخرى عنونها بـ(أسماء المشايخ الذين أكرمني المولى بإدراكهم في سورية وخارج سورية) بلغ تعدادها /١٥٠/ مائة وخمسين عالماً، من دمشق وحمص وحماه وحلب وإدلب والمعرة ومنبج، والحرمين الشريفين ومصر والعراق، وتركية والكويت والمغرب وغيرها، ومنهم طبقة من أشياخه، ومنهم طبقة من زملائه ومعارفه.

ت- ثم ترجم (الشيوخ الذين لقيهم) في ثبت (كراس) مستقل، بعد أن كان ترجمهم بأوراق متفرقة، وجمع هذه التراجم في ثبته، وذكر في أوله بعض الفوائد النفيسة، والمقتطفات الثمينة التي اختارها من مقروءاته، وبعدها ذكر هؤلاء الشيوخ من العلماء العارفين والربانيين الصالحين، وكتب في المقدمة مايلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدناومولانا محمد حبيبه ومصطفاه وعلى آله وصحبه ومن والاه، صلاة وسلاماً دائمين بلا تناهٍ، كاملين كما يحبه ويرضاه، وبعد: فقد أكرمني المولى بالتطفل

على موائد سادة من أهل العصر، الذي قُدِّر لي أن أكون من أهله، ومصاحبة سادة منهم، لا بكد مني ولا بجد، ولكن بفضل الله سبحانه.

وأقول: (**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**)، وكذلك عاصرت رفقة أحببت تسجيل أسمائهم تذكرة لي، ولمن بعدي من ولد وصاحب ومحب، نسأل المولى أن يجعلنا من الذين ذكرهم في سورة العصر من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾، وأذكر بعض مقتطفات من تلك اللقاءات، وماحصل فيها من الخيرات، نسأله سبحانه أن يتكرم بختم أعمالنا بالصالحات، وآجالنا بالسعادات، إنه أهل التقوى وأهل الرحمة). أهـ

د - وقد بدأ سيدي الوالد أولاً بذكر (السادة العلماء والأساتذة الكرام الذين لقيهم أو صحبهم، أو كان لهم عليه مشيخة وأستذة من القطر السوري - البلاد الشامية - ثم البلاد الحجازية ثم مصر وغيرها وكان بوده أن يضيف إليهم آخرين ممن ذكرهم أفراداً في القوائم السابقة، أو يستفيض في ترجمة بعض شيوخه، كالشيخ أبي النصر، والشيخ النبهان، قدس سرهما العزيز، ولكن مشيئة الله سبحانه قضت ألا يكون التمام والكمال إلا لهذا الدين.

هـ - وقد ارتأيت بعد مشاورة إخوتي - حفظهم الله تعالى - أن نفرد تراجم الشيوخ والأصحاب الذين لقيهم بمصنف خاص، منوِّهين هنا بأنه ترجم لعلماء دمشق: فذكر الشيخ السيد بدر الدين الحسني، والشيخ محمد توفيق الأيوبي، والشيخ محمود السيد مفتي دوما، والشيخ محمد الهاشمي، والشيخ عبد الكريم الرفاعي، والشيخ بكري الشويكي، والشيخ أحمد الحارون، والشيخ ابراهيم الغلايني، والشيخ ملا رمضان البوطي، والشيخ حسن الفاخوري، والشيخ عبد الرحمن السباعي، والشيخ أحمد الشامي مفتي دوما، والشيخ حسن حبنكة، والشيخ محمد سعيد البرهاني، والشيخ أحمد رأفت أكبازلي، وأخوه

الشيخ صدقي، وصهره الدكتور صالح خوجة، والشيخ برهان الدين الداغستاني، والسيد حسام الدين المقدسي.

وترجم لأهل حمص: بادئاً بـ (سيدي وقرة عيني ووالد روحي محمد أبي النصر بن سيدي ومولاي سليم آل خلف الحمصي النقشبندي) والشيخ راغب الدويري.

وترجم لأهل حماه: الشيخ أحمد سليم المراد، والشيخ محمد الحامد.

أما قائمة علماء حلب فقال عنها: فإننا نتكلم عنها إن شاء الله فيما بعد، ووافته المنية قبل إتمام تراجم علمائها.

كما ترجم **للعلماء الذين التقى بهم في الحرمين الشريفين**، فذكر في مقدمتهم؛ من **مكة**: سيدي ومولاي السيد علوي المالكي، في ترجمة مسهبة[1]، وسيدي حسن المشاط، وسيدي الشيخ أمين الكتبي، والسيد أحمد بالبيد، والشيخ أحمد الراضي المطوف، والحاج محمد علي النكلي، والشيخ الحاج حسن جسومة، والحاج فوزي العسلي، وغيرهم.

ومن المدينة المنورة: سيدي ابراهيم الختني، والشيخ محمد عبد العزيز الشنقيطي، وسيدي الشيخ عباس البخاري، والسيد عبد الغفور العباسي، والشيخ عبد الغفار البخاري، والشيخ أحمد مشيِّخ، والشيخ عبد العزيز المصري الطبيب، والحاج ابراهيم السمان، والشيخ محمود الطرازي، والشيخ محمود الكردي، والشيخ فهمي مهرجي الحفار التركي، والشيخ محمود قازانلي، والسيد عباس جمل الليل، والسيد

---

[1] -كنت أفردت هذه الترجمة للسيد علوي وأعطيتها لفضيلة ولده العلامة الدكتور محمد بن علوي المالكي، وأثبتها في الكتاب الذي ترجم فيه لوالده وما قال فيه العلماء والذي أخرجه أخوه السيد عباس بن علوي المالكي. بعنوان: (صفحات مشرقة من سيرة العلامة علوي المالكي).

المنشد عبد الله فرج، والشيخ محمد علي الحلبي، والشيخ عثمان ذوّادي، وآخرون غيرهم من أهل الصلاح.

كما ترجم (**للأحباب والأسياد الذين لنا صلة بهم خارج سورية من مصر وغيرها**): فذكر أولاً سيدي نجم الدين محمد أمين الكردي، وسيدي أبو العباس الداندراوي، والشيخ عبد اللطيف المصري.

ومن (**السادة والأحباب في العراق وماوراءه وحوله من أفغانستان والكويت**): ترجم للشيخ عبد العزيز السامرائي، والشيخ عبد الرحمن العراقي، والشيخ جاسم المشهداني، والشيخ سليمان الواعظ، وصاحب الناقة، والشيخ صالح أفغاني، والشيخ عبد القادر سليمان الأفغاني، والسيد يوسف الرفاعي الكويتي، والشيخ مراد التركي (الرفاعي)، والشيخ علي تلميذ الشيخ مراد المذكور، والشيخ محمد الحراني.

أقول: بالإضافة إلى ما ذكرت فإنه ذكر قوائم بأسماء من لقيهم من أهل الصلاح والتقوى من العامة ومن العلماء الآخرين وممن صحبهم أو عرفهم أو التقاهم؛ رجالاً ونساءً، ومنهم بعض أهل الجذب.

وكما أسلفنا، فإن في النية إخراج تراجم هؤلاء السادة في مصنف خاص، كترجمة لعماء صالحي أهل عصره، ولعل الله سبحانه ييسر ويوفق، إنه ولي كل أمر، والمعين في كل شأن.

الفصل السابع

أدبه الرفيع من خلال رسائله وشعره

٣١- الرسائل والتحريرات منه وإليه:

والرسائل فيها صور وافية عن المرسل والمرسل إليه، وهي تعبير صادق عما يجري في حينه، وبخاصة إذا صدرت من قلب محب شفوق، ووالد عطوف رحيم، وتستحق هذه الرسائل أن تفرد بتصنيف خاص، بعد جمعها من مظانها، لما فيها من التوجيهات النافعة، والنصح الخالص والأدب الرفيع.

ومعظم رسائله التي كان يوجهها لأولاده، إنما كانت توجيهاً وتعليماً ولفت نظر إلى بعض الأمور التي يجب أن يلفت النظر إليها في شؤون الدنيا والآخرة.

وقد كان لي الحظ الأوفر منها، إذ كنت منذ بدء الطفولة من عمري بعيداً عن الوالدين، فمنذ السابعة إلى الثانية عشرة لدى الجد بالباب، أيام الدراسة الإبتدائية، وفي أيام الصيف لدى الوالد، وبعد سن الثانية عشرة إلى الثامنة عشرة، في حلب بمدرستها الخسروية (الثانوية الشرعية)، وأما مابعدها فقد طوفت بي أسباب الدراسة والجامعة والوظيفة؛ بين اللاذقية ودمشق ومدن محافظة حلب.

وقد وجدت قسماً لا بأس به من الرسائل للجد رحمه الله، ولي ولبعض الإخوة والأصدقاء الأفاضل، وها أنذا أذكر مافي عرضه فائدة، وعظة لنا ولمن طالع هذه الصفحات من الإخوة الأفاضل والأحباب الأكارم، والقراء الأعزاء.

وإن من أعظم رسائله توجيهاً ماكان يرسله إلى الأخ الفاضل طلعت رمضان – أبو بسلان- عندما كان رئيساً لشعبة تجنيد إعزاز، وكان له محباً وبه متفانياً، إلا أن هذا الأخ سافر إلى أمريكا بعد التقاعد، ولم نحصل على شيء منها، ولعل الله سبحانه يعيده إلى وطنه، ونكسب أخاً محباً، وعقداً فريداً من هذه الرسائل.

أولاً : رسائله لوالده.

ورسائله لوالده كثيرة ولكن لم نعثر إلا على قسم ضئيل منها، ولعل المولى ييسر لنا بعضاً آخر منها...

وأبدؤها برسالة كتبها للجد بعام ١٣٨٢هـ، ١٩٦٢ م، وكنت قد أرسلت إليه أطلب مساعدتي في تسجيلي في كلية الشريعة بعام ١٩٦٢م، فكتب الوالد إلى الجد ما يلي: (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين:

وفي هذا اليوم ورد لي مكتوب من محمد زكريا أرسله مع أخيه أحمد مستعجلاً، ويريد أن يرجع له الجواب؛ وهو أنه يريد الذهاب إلى دمشق لتسجيل اسمه في كلية الشريعة، ويريد أن أستقرض له بعض الدراهم إلى حين يطلع معاشه (راتبه).

وعرض لي بالطلب لأن أدعو له، وأنا لست أهلاً لذلك، فأحلت الأمر لحضرتكم بالدعاء لي وله بالثبات والإستقامة، ولنا جميعاً وللمسلمين، فأنا بحاجة ماسة لذلك، وإذا أذنتم لخادمكم أن يتشرف بزيارتكم يحظىبالحظ الأوفر من الدنيا والعقبى.

ليلة الأحد ٨ شعبان ١٣٨٢هـ **سيدي الخادم : محمد علي المسعود**

فكتب سيدي الجد بظهر الرسالة ما يلي: ولـدي: أهـل المـصاري (النقود)؛ الدنيا غالية عندهم أكثر من الآخرة. وأنت مخير في رواحك ومجيئك، ولك الرضا مـن الله تعـالى، ثم مـن والـدك، ولا أحـب لي شيء أو أحد من الناس سوى المولى سبحانه وتعالى، وأحباب المولى ثم أنت ومن يحبك. والدك الشفوق: محمد الشيخ مسعود عفي عنه.

ثانياً : رسائل المشايخ إليه.

ومن الطبيعي أن ندون ماعثرنا عليه من رسائل لديه، وكـان غالبـاً مـا يحفظ هذه الرسائل إما في الكتاب الذي يقرؤه عنـد وصـول الرسـالة، أو في أحد رفوف مكتبته، واقتضت بواعث التصنيف أن ندون ماتيـسر لنا الإطلاع عليه، من إخوانه وأحبابه، وأقرانه وأصدقائه، فمنها:

رسالة من الشيخ محمد خير الصالح الحجي (المارعي) [1]: رحمـه الله، مؤرخة ٨شوال ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠:

(بـسم الله الـرحمن الرحيم، وصـلى الله علـى سـيدنا محمـد وآلـه وصحبه أجمعين وسلم وبارك، وبعد: السلام عليكم شيخنا الكـريم، وصديقنا القديم، وأخانا في الله، ذا القلب السليم، والخلـق القـويم، جابر الخواطر، والساتر على ذي العيب العاثر، أنـت أهـل الـسماح، والصفح عن كل ذي قصور، أخي الشيخ محمد علي المسعود، دامت سعادتك دنيا وأخرى، وهداك الله وهدى بك المسلمين آمين.

لقد طالت غيبتك عن زيارتنا في القرية المعروفة (مـارع)، وعهـدي بك وَصُول، ودعوناك مراراً عديدة فلم تجب لنا دعوة، وعلمـي بـك تجبر خواطر معارفك، ولست بجافي، فما هذا الجفاء ؟

---

[1] – توفي رحمه الله في رمضان ١٤٢٢هـ الموافق كـانون الأول ٢٠٠١ م راجـع ترجمتـه في كتابنا (من أعلام النقشبندية) في بلاد الشام المباركة .

إذا كنت تقيِّد علينا الزلات ولا تسامحنا بالهفوات، وأنت الفاضل، فما هذا منك بمعهود، والخلاصة لا أدري ما أقول، والقول يطول، ولكني أعرف أن حفظ الإخاء من الكمال، وليس عندي شك في كمالك، أليس بيننا إخاء ومحبة قديمة، وتبادل في الزيارات ؟!. أليس تجمعنا الأخوة الإسلامية ؟!.

ولاشك في نفسي أني مذنب، وأني مسيء الأخلاق، وأني غير مستقيم، وأني ذوعيوب وعيوب، فإذا نظرت إلينا بهذه الأمور، ولم تسامح في التقصير، فما أقول لك ؟ أخجل أن أقول فلا أقول، فلا أرضى منك إلا أن تشرف محلنا، والسلام ختام).

٨ شوال ١٣٩٠هـ

محمد خير أحمد الصالح المارعي

(ملاحظة: واضح تواضع الشيخ محمد خير رحمه الله ومحبته الراقية، وتواضعه الجم، إذ أنه من العلماء العاملين).

رسائل من مولانا الشيخ قاري عباس صاحب: المجاور في المدينة المنورة رحمه الله تعالى، وكانت جواباً على رسائل الوالد إليه، ولنبدأ أولاً برسائل الوالد إليه: **الأولى**: مؤرخة: ختام ربيع الأول ١٣٩٣ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم، لحضرة سيدي الكريم الشيخ عباس قاري صاحب المحترم، أدامه المولى بوافر النعم، وزاده فضلاً وكرماً، آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: سيدي؛ كنت أرسلتُ لأخي الشيخ محمد علي الحلبي[1] رسالة أطلب فيها أن يسأل حضرتكم عن كتاب (بذل المجهود شرح سنن أبي داود) تأليف حضرة مولانا الحاج

[1] – الشيخ محمد علي الحلبي من أفاضل علماء حلب، ومن أصحاب سيدي الشيخ محمد أبو النصر النقشبندي الحمصي، هاجر إلى المدينة المنورة في أوائل الأربعينات، وجاور فيها وما غادرها بعد حجة الإسلام، رجاء أن يموت فيها، ومات بها عام ١٤٠٥هـ تقريباً، وكان مشهوراً بعلم المواريث، له ترجمة في كتابنا من أعلام النقشبندية في بلاد الشام المباركة .

خليل أحمد السنهافوري، وقد أخبرني الشخص الذي حضر عندكم من جهة بلادنا أنكم سألتموه عن الكتاب ووصفه...).

(وبعد أن بين سيدي الوالد وصف هذا الكتاب، وكتاباً آخر كان أرسله الشيخ عباس له أيضاً وهو (أوجز المسالك إلى موطأ مالك) وإذا كانت توجد هناك طبعة أجود فإنه يرغب بها)، قال: (فإذا كان يمكن أن نستبدل هذه الأجزاء الخمسة بأجزاء من الطبعة الثانية مع أداء فرق الثمن، إذا كان هناك فرق، وكانت توجد لديكم، فإننا نشكر حضرتكم على ذلك. وعلى كل حال نطلب من فضلكم الدعاء وأن تتكرموا علينا بأن تذكروناكما قال سيدنا ابن الفارض:

وتعطف واجر ذكري عندهم علهم أن ينظروا عطفاً علي

لا زلتم منهلاً للخيرات ودمتم سيدي.

خادمكم الفقير لمولاه

محمد علي بن الشيخ محمد المسعودعفي عنه آمين.

والثانية: مؤرخة ٦شعبان ١٣٩٣هـ، ويسأل فيها أيضاً عن بعض الكتب المطبوعة في الهند كشروح للكتب الحديثية الستة، وقد أجابه **الشيخ قاري عباس صاحب**، وإليك نص واحدة من رسائله:(لحضرة المكرم محمد علي المسعود، أستاذنا، مد ظله العالي) .الدعاء المتكاثرة، والسلام المتوافرة، أعني الغني عن التعريف والتوصيف والبيان، كان مشهوداً، لخاطر عاطركم، أننا نحن الفقير مع الطلبة، طيبين وسالمين عند حبيبنا الأعظم، ببركة دعاء أمثالكم، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم لنا ظلكم العالي، وفيضكم للمستفيدين نافع وجاري، أمين يارب العالمين بحرمة النبي وآله الأمجاد.

بغية المرام: محمد الشيخ حمو[1]، شرف عندنا، وجابوا (أحضر معه) كتاب(الحُجَّة) مجلد رابع، وواصل سلامكم وسلام جميع الإخوان الذين لقيناهم وصحبناهم أجمعين.

تطلبون (لامع الدراري)، و(كوكب الدري)، وأرسلت إلى خدمتكم العالي، وسلموا إلى جميع الطلبة والأحباب، وأرسلت قليلاً من الحلاوة باكستاني، إذا قبلتم عين عنايتكم والسلام عليكم، وعلى من لديكم من الأحباب، وخاصة إلى أخيكم أستاذ مفتي[1]، مد ظله العالي، ونطلب الدعاء من الجميع، وإني كثير محتاج إلى الدعاء.

ملاحظة: أي حاجة اكتبوا لي أمتثل أمركم. **الحقير عباس خويدمكم**

وفي رسالة مطولة من الشيخ قاري عباس رحمه الله تعالى إلى سيدي الوالدكتب مايلي: جناب أستاذ المعقول والمنقول مد ظله العالي: الدعاء المتكاثرة، والسلام المتوافرة، الغني عن التعريف والتوصيف والبيان. كان مشهوداً لخاطر عاطركم أن الحقير ببركة دعائكم، بالصحة والسلامة عند النبي الأعظم ﷺ وندعو الله سبحانه أن تكونوا بأتم الصحة مع الأهل والأولاد والأتباع والطلبة، وندعو الله سبحانه أن يحفظكم من فتن الزمان، ونحن مشتاقون إلى زيارتكم.

وتفضلوا وقت الحج ونتشرف بزيارتكم في كل وقت وجميع الإخوان، خصوصاً من ينتسب إلى جنابكم، وأنا والحمد لله على قدر استطاعتي أرجو من الله سبحانه وتعالى لا يحرمنا من هذه الخدمة.

---

[1] – الشيخ محمد الشيخ حمو من أفاضل طلبة العلم، والدعاة إلى الله من تلاميذ العم الشيخ سعيد، عمل داعياً وملماً ومدرساً في قرى منطقتنا وفي تل حاصل، ثم توفي أخيراً في قريته (الشيخ جراح) منطقة الباب بعام ١٤٠٦هـ، ودفن فيها رحمه الله تعالى، راجع ترجمته في كتابنا الشامل عن تاريخ منطقة الباب.

[1] – هو العم الشيخ محمد سعيد المسعود، ارجع إلى ترجمته الواسعة في القسم الثالث من هذا الكتاب .

يا سيدي (كوكب الدري)، كان عندي نسخة منه جزء أول، و(الإمع الدراري) جزء ثاني أُرْسِلُه مع نجلكم المكرم حفظه الله، وباقي الأجزاء إذا حصلت أرسلها لكم هدية، وثوابه يكفينا، وأدعو الله ألا يحرمنا من هذه البقعة الطاهرة، ويرزقنا حسن الأدب والاستقامة والسلام عليكم وعلى من لديكم. يوم الأحد ٢٣رجبواصلكم هدية قليلة من تبريكات المدينة المنورة (رُطَب)، إذا قبلتم بعين عنايتكم.

ثالثاً : رسائله إلى أولاده

وكانت معظم هذه الرسائل إليَّ حيث كنت بعيداً عنه كما ذكرت، ولم يكن الإخوة تغربوا عنه بعد، وهناك أيضاً رسائل لهم بعد زمن متأخر، سأثبتها إن شاء الله، وتعد هذه الرسائل بحق دستوراً حياتياً، ومنهاجاً إسلامياً، لسَيْرِ المسترشدين بالهدي النبوي في طريق النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، لأنها كانت من غرر الفوائد، ومن أجمل القلائد التي تتوشح بها صدور المستنصحين والطالبين لطريق الهدى والفلاح، فهي فضلاً عن كونها نصائح وتوجيهات والد شفوق عطوف، فإنها أيضاً إرشادات ومنارات هدي للمستهدي، وتعليم للمتعلم والمتبصر لطريق الحق والرشد.كما كانت تسلية ومواساة لنا – نحن أبناؤه – لما كان يعترض حياتنا من مصاعب ومتاعب، وفيها موعظة وتوجيه من أب رحيم، ورباني عارف متوكل على الله مسترشد بتقواه، موفق بتأييده وعونه.

وكان منها توصيات بشأن قضاء حوائج بعض الناس الذين جاؤوه يلتمسون مداخلته عندي لتيسير معاملاتهم أثناء قيامي بالوظيفة، وكذلك لبعض إخوتي.

ومنها توجيه خاص لنا نحن الإخوة وعوائلنا وأولادنا, نحو السداد والرشاد، والخير والهدى، لما كان يعترض حياتنا من مواقف حرجة، وما نعانيه من هموم، أو يصيبنا من كروب الحياة.

وسأبدأ بالرسائل التي تلقيتها أنا أولاً، ثم رسائله الكريمة إلى إخوتي الأفاضل، وقد راعيت في سردها جانبها الزمني (التاريخي) وإن كان منها ما يستحق التقديم، نظراً لعمومها وشمولها لنا ولغيرنا.

1- رسالة موجهة إليَّ من أجل قضاء حاجة أحد المراجعين:

باسمه سبحانه، نرجو إحسانه.

من والدكم الشفوق محمد علي المسعود، إلى ولدنا العزيز محمد زكريا حفظه مولاه وأحبابه آمين.

السلام عليكم وعلى من حولكم من الأحباب، ومن يلوذ بكم وبعد: فإن حامل الرسالة من جيراننا في الباب وله قضية ضرورية، ساعدوه في بيان وجه السير فيها هو ومن معه، بدون ضرر لأحد الجهتين، وإذا أمكن كتابة الشيء اللازم بيدكم. والله يحفظكم وأحبابكم. **والدكم: محمد علي المسعود** وعمكم الشيخ عبد من (دابق).

وهذه دون تاريخ – على خلاف عادته، فإنه يؤرخ كل تحريراته – وأغلب الظن أنها بين عامي ١٩٦٤- ١٩٦٧ م (١٣٨٤- ١٣٨٧هـ) عندما كنت موظفاً في دائرة الأحوال المدنية في الراعي محافظة حلب.

2 – ومن أوائل رسائله إليَّ رحمه الله وقدس روحه: وكنت مقيماً في مدرسة البهائية (قبل زواجي) وهي بعام ١٣٨١هـ، ١٩٦١م، وهذه هي بنصها:

بسم الله الرحمن الرحيم: ولدي العزيز محمد زكريا مسعود حرسه مولاه آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: ياولدي قد قال سيد الكائنات الذي هو الصادق المصدوق: «**إن روح القدس نفث في**

روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمحارم الله».[1] أو كما ورد عنه عليه أفضل صلوات من الله وأزكى تسليماته العاطرات، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين:

ولدي العزيز: كنت في هذا اليوم وهو يوم الجمعة في قرية (إرشاف)، وقد أخبرني أحد إخوتك، وهو عبد الله أنك تريد العمل في الجريدة، وقد كنت سألته عن أحوالك، وماذا جرى معك، وذلك قبل أن يصل المكتوب الذي أرسلته، ولم أكن واجهت محمود أخاك، فوجدت نفسي قد تأخرت، وقبل ذلك بساعتين أو أقل كنت أفكر في أني أريد أن أبعث إليك شيئاً من الدراهم بقدر ماتيسر، لأني أعلم أنك لاتحب أن تطلب مني، وتفكر أنك أنت الذي ينبغي أن تعين والدك، وقد تَأَخَّرَتْ عليكَ الأسباب حسب قضاء الله وقدره، والحمد لله على كل حال.

ثم بعد ذلك بقليل اطلعت على المكتوب الذي أرسلته، وما جرى معك، وهذا التأخر عسى أن يكون خيراً، وأن المولى قد أخر لنا في غيبه ما هو أحسن، ولا شك إن شاء الله، **إذا اتقينا وصبرنا** عن كل مافيه وجه من الوجوه التي تمس الكرامة، أو يكون فاعله معاتباً من قبل **أولي العقل الكامل**. وقد ذكرتم أنكم تحملتم ديوناً فالرجاء الإعلام بأسماء الأشخاص، عَلَّنا نتعاون في إِنْظَارِهم إذا كان هناك واسطة بصبرهم، إلى أن يفتح المولى، أو يتكرم بوفاء جانب (منها).

---

[1] – الحديث رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن أبي أمامة، كما في الجامع الصغير ورمز لضعفه إلا أن له شواهد كثيرة كما في الترغيب للمنذري، ونصه كما في الجامع: (إن نفساً لن تموت) بدلاً من (لن تموت نفس).

وآخره بلفظ: (ولايحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لاينال ماعنده إلا بطاعته).

وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ صدق الله العظيم، جعلنا المولى من أهل ذلك إنه سميع مجيب.

ويا ولدي؛ المولى يعلم كم كنت مسروراً، وأتذاكر مع إخواني ومع أعمامكم المشايخ عن وجهتكم إلى الطاعة وميول روحكم إليها، وذلك عندي أعظم مما لو كنت تأتيني كل يوم بمقدار كبير من المال. **والسلام على مسك الختام.**

والدكم الداعي لكم بالتوفي: محمد علي المسعود

3 – وكتب إلي مجيباً عن استشارتي له بالتقدم إلى وظيفة في وزارة الأوقاف أو في الداخلية، وأخرى لا أذكرها، وكنت مقيماً في حلب لدى جدي الشيخ عبد الرحمن الحوت: فقال: بعد البسملة والإستعانة:

ولدي العزيز محمد زكريا حفظه المولى ورعاه وصانه وحماه، آمين.

السلام عليكم وعلى جدكم ومن حواه منزلكم العامر، لازالوا بخير وتمام عافية إن شاء المولى آمين، ثم على كل من يسأل عنا من الأحباب، وأنا والحمد لله بخير، وتقدم في الصحة، ونرجو من كرم المولى تمامها ودوامها لنا، ولإخواننا المؤمنين أجمعين، في دنيانا، ومن كرمه أن يديم ويتم لنا العافية أيضاً في أخرانا، فإنها التي عليها المعول عند أهل العقل الكامل، منَّ الله علينا باللحوق بهم والإستنارة بهديهم؛ إذ يقول المولى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾.

وبعد: فإنك ذكرت من جهة الوظائف التي تريد الإقدام عليها، والميسر والموفق هو المولى سبحانه، لامعول إلا على إعانته وتوفيقه، فإنك تعلم رغبة والدك ومن بين هذه الثلاث التي ذكرتها، إن كنت أرجح واحدة فالأقرب عندي الأخيرة وهي وظيفة الأوقاف، وعلى كل

حال؛ العاقل يختار ماكان أقرب للدين، والله المعين، وقد قال المولى عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾.

هذا وأرجو من المولى أن يسعدك وإخوتك، وإخواننا المؤمنين، ويحمينا من آفات الزمان بحرمة حبيبه سيد ولد عدنان، وآله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان، إنه سميع مجيب صلى الله عليه وعلى أصحابه أكمل صلاة وأزكى التسليم والحمد لله رب العالمين.

حرر ليلة الأربعاء ١٣صفر الخير ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.

المحب والدكم الداعي لكم ولأحبابكم بخير الدارين

محمد علي المسعود عفي عنه.

4 – وكتب إلي بعد انتقالي من منبج إلى ناحية الراعي وقد كانت لزمتني ديون بعد زواجي، وذلك بعام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.

أحمد الله الغني، الوفي العليم، الذي ورد عنه أنه (يقول لمناد كل ليلة من هذا الشهر المبارك إلى انفجار الصبح، ياطالب الخير أقبل وأبشر، ويا باغي الشر أقصر وأبصر، من يقرض المليء غير المعدوم والوفي غير الظلوم)[1] وفقنا المولى سبحانه للتخلق بأخلاقه، واغتنام نفحاته، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد حبيبه وسيد أهل أرضه وسماواته.

وبعد: يا ولدي العزيز؛ وردني كتابك فكان فيه نوع من شغل البال من جهتكم، وإن الشاغل الأهم عندي هو حالتكم وسيركم، فأمر المال هو

---

[1] – هذا جزء من حيث رواه البيهقي عن ابن مسعود كما في الترغيب للمنذري دون عبارة (من يقرض المليء غير المعدوم..) إلخ، وهذه العبارة وردت في آخرحديث ابن عباس: (**إن الجنة لتنجَّدُ من الحول إلى الحول**)كما في الترغيب والترهيب للمنذري، كتاب الصوم .

كما قال أبو طالب عندما خطب سيدتنا خديجة للرسول الأعظم والحبيب الأكرم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الكرام وأصحابه الفخام، (**إن المال ظل زائل وعرض حائل وعارية مستردة**).[٢]

ولكن الخلق والسيرة؛ هو الأمر الأهم عند العقلاء، وقد أهمني أن تكونوا في اعتدال في أمر المعيشة، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف (ماعال من اقتصد)[٣] وورد في حديث آخر: « **وإن لكل امرىء رزقاً هو آتيه لامحالة، فمن رضي به بورك له فيه فوسعه، ومن لم يرض لم يبارك له فيه فلم يسعه**»[١].

ومن ناحية ثانية:إحسان النية في أمر الوفاء، وأن يكون الإنسان همه الوفاء أكثر من قضاء حاجاته، والمثل يقول:من أخذ ورد ما ارتد، أي عندما يطلب مرة ثانية لا يرده المطلوب منه، والله سبحانه يهيء الوفاء عندما تكون النية طيبة لما ورد: في الحديث: «**من أخذ أموال الناس يريد وفاءها أوفاها الله عنه**»[٢].

ثم ذكر الوالد في رسالته بعض الأمور والحاجات التي تهمني، وأنه أرسل بعض المؤونة لي جزاه الله عنا خير الجزاء.

---

[٢] – ذكر السهيلي شارح سيرة ابن هشام أن أبا طالب لما ذهب خاطباً خديجة رضي الله عنها لابن أخيه محمداً ﷺ قال: (أما بعد فإن محمداً من لايوزن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وأن كان في المال قُلٌّ، فإن المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك) السهيلي ١/٢١٣ بهامش السيرة .

[٣] – رواه الإمام أحمد كما في كشف الخفا .

[١] – ورد في مسند الإمام أحمد مايلي: (أن الله تبارك وتعالى يبتلي عبده بما أعطاه، فمن رضي بماقسم الله عزو وجل له بارك الله له فيه ووسعه، ومن يرض لم يبارك له) المسند ٥/٢٤حديث رقم (٢٠٢٩٤) .

[٢] – الحديث أورده في الجامع الصغير بلفظ (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله) رواه البخاري برقم :٢٢١٢.

وختمها بقوله: (**وإذا تطلبوا شيئاً من اللوازم نرسله إن شاء المولى وكان متيسراً، والاعتماد على المولى الكريم، وعسى أن يكون التعسير في مثل هذه القضايا سبباً للتيسير حتى يتمرن الإنسان على الإعتدال، خَلَّقَنا المولى وإياكم بأخلاق الكمال**) ويسلم عليكم والدتكم وإخوتكم ...

والدكم الشفوق: محمد علي المسعود

٥ً - **وكتب إلي وكنت في ناحية الراعي**: وقد كنت أشعر في ضيق نفسي من جراء قضية بسبب الوظيفة، وكان رحمه الله يبشرني بالفرج، ويوصيني بلزوم باب الله وتقواه، والالتجاء إليه، وهذه هي بنصها: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى. ولدي العزيز سلام عليك وعلى عيالك إبنتنا فاطمة الزهراء، حرسكما مولاكما ومن والاكما وجميع الأحباب.

وبعد: فقد وردتني الورقة التي كتبتها لي في يوم قضيتك، وأن فيها استبشاراً بالفرج، نرجو من كرم المولى تمام الفرج، بجاه من صلى بالأنبياء وعرج، عليه وعلى آله الكرام، أكرم الصلوات وأكمل التحايا العاطرات.

وقد ذكرتُ في ذلك الحين عندما ورد الكتاب؛ حديث الثلاثة الذين وقعت عليهم الصخرة في الغار، عندما آواهم المبيت إليه، فقالوا: «**لا ينجيكم إلا الالتجاء إلى الله بأحسن أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً إلى آخر قصته...**»

وقال الآخر: «**اللهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنة عم إلى آخرها...** »

وقال الآخر: « **اللهم إنك تعلم إنه كان لي أجراء إلى آخر كلامه أيضاً. . وكلما ذكر واحد منهم حكايته ينفرج قسم من الصخرة حتى انفرجت عنهم**».[1]

فأنا تذكرت أنه مرت مرحلتين كان فيهما التجاء إلى المولى وفرج الله سبحانه من كرمه عندما لجأ عباده إليه وسددوا وقاربوا ماكان جرى منهم من النقص في هذه النواحي الثلاث المذكورة في الحديث الشريف، وهي بر الوالدين، وناحية العفة عن محارم الله، وناحية أداء الحقوق إلى أهلها بأحسن شكل وأتم هيئة، لأن المراد من هذه القصص الإعتبار بما فيها، وتسديد ما يجري للعبد من الخلل من طلب العون من المولى في ذلك.

نرجو من كرمه التوفيق بكمال السداد والهدى إلى طريق الرشاد، فنجتاز المرحلة الثالثة سالمين في دنيانا وعقبانا، وتكون لنا عظة وعبرة وفحصاً نخرج منه فائزين بالنجاح.

فقد اعتبرت أول مرحلة وهي عندما كنتم في ذلك الضيق، وقد تكرم المولى بالخروج وبقي مقيداً، ثم الكربة الثانية التي مرت وقد كان بها استبشار بالنجاح، وبقيت هذه المرحلة التي وعدتم بها، فنرجو من المولى أن يوفقنا لتمام سداد هذه النواحي الثلاثة بكثرة التوبة إلى الله سبحانه منها؛ أي ناحية بر الوالدين، وناحية العفة، وناحية أداء الحقوق إلى أهلها، فنحاسب أنفسنا تماماً ونتوب إلى الله منها ومن غيرها، وخاصة وقد تكرم بهذا الشهر المبارك الذي يأمر المولى منادياً ينادي من أول ليلة منه في أهل الأرض (**ألا إن شهر التوبة قد استهل، فطوبى لمن استغفر الله فيه**) ويقول أيضاً في كل ليلة منه: (**الشهر شهري، والعبد عبدي، والرحمة رحمتي، والفضل**

---

[1] – انظر الحديث وفيه قصة الثلاثة بتمامها في الترغيب والترهيب للمنذري، في باب البر والصلة ج٣، ص٢١٩، وقد رواه البخاري في صحيحه باب إجابة دعاء من بر والديه.

بيدي، وأنا غافر لمن استغفرني في هذا الشهر ومعط لمن سألني فيه)[٢] والدتك وإخوتك يسلمون عليكم ويدعون لكم.

الأحد ٤رجب، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤م

والدكم الشفوق : محمد علي المسعود

ملاحظة:أقول بحمد الله ثم بفضل رضاه ودعواته فرج الله عني الكربة الثالثة، وأزال الهم والغم، والحمد لله رب العالمين.

٦- **وأثناء إقامتي في ناحية الراعي** (محافظة حلب) كنت موظفاً في دائرة الأحوال المدنية هناك، وكان قد زارني قبل رسالته هذه إلى تلك البلدة، وكنت لا أزال أعيش تحت كابوس الكربة الثانية، فكانت رسالته بلسماً لجرح الهم وتطميناً وبشرى بانزياح الكرب، وتوجيهات تربوية في أمور الحياة، لي ولأمثالي الذين أكرمهم الله سبحانه بهؤلاء الربانيين العارفين وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان وشرفه بالعقل والبيان وزاد شرفاً من اختاره أن يكون من أمة حبيبه المصطفى سيد ولد عدنان عليه وعلى آله البررة وأصحابه الخيرة أكمل الصلاة وأتم السلام، وبعد:

ولدي العزيز محمد زكريا حفظه مولاه ومن يلوذ به؛ من عائلته ومعينته على الخير إن شاء المولى، وجميع الأصحاب..

لقد قام بخاطري منذ ثلاثة أو أربعة أيام أو أكثر بعد مجيئي من سفرة الباب أن آتي إليكم، أي اشتقت أن تقر عيني بكم وبالأحباب، ولكني لم أتمكن من ذلك لما تعلمون من ضعف جسمي، وعلى الأخص في

---

[٢] – راجع الحديث في الترغيب والترهيب.

مثل هذه الأوقات من حالة الشتاء والصيام، علاوة على مزاج جسمي الضعيف، والذي اعترته أمراض قبل الصيام، ولولا إعانة المولى لم أقدر أن أقضي تلك السفرة، ومع ذلك أخذت معي الحاج عبد الرحمن (صديقه من دابق) جزاه المولى خير الجزاء.

والآن أكتب هذه الكلمات وأنا ناشط من المرض الذي اعتراني منذ يومين والحمد لله، وقد أتى أخوك محمود وأخبرني أنه يريد الذهاب إليكم، فأحببت أن أصحبه هذه الرسالة التي كنت أفكر في إرسالها، لما رأيت جسمي لا يساعد على السفر، ومرت عطلة توقعت أن أراكم أو أخبر عنكم، وعلى كل حال الأشياء كلها بقدر الله.

ولدي: أول شيء قبل أن أسأل ماذا جرى معكم من جهة القضية، وإن كانت تعرض لفكري أحياناً، أوصيك بتقوى الله لأن المولى يقول ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ وأوصي بنتنا أم يحيى حفظها الله كذلك، عسى أن تكون مطبقة للحديث الشريف وهو قوله ﷺ عندما سأله أصحابه الكرام وكان قد نزل في شأن الذهب والفضة مانزل من التهديد والوعيد، من أن يكونا نهمة الإنسان أو جمعهما والإنهماك في تحصيلهما وأن لا يكون أمر الدنيا والإعتناء بهما هو همة العبد ومحط نظره، قال الصحابة الكرام: مانتخذ إذن ؟ قال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: «**ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً، وزوجة صالحة تعينه على دينه**» [1] أوكما ورد.

ولديَّ العزيزين، وقرة عيني، حفظكما المولى وجعلكما أُسوةَ خير، يُتأسَّى بكما في الفضائل، وأصحابَ همة لا ترضى أن تكون

---

[1] – انظر الحديث في الترغيب والترهيب، وأورده في الجامع الصغير للسيوطي بلفظ «**ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة تغنيه عن أمر الآخرة**» ورمز لحسنه برواية الترمذي عن ثوبان.

مقلدة، وأعني بذلك ما أخبر عنه الحبيب الأعظم ﷺ من قوله في الحديث الشريف: «**لا تكونوا إمعة يقول أحدكم: أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنَّا، وإن أساءوا أسأنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أساء الناس أن تحسنوا**» [٢]. أو مافي معناه، تحيون ذكرى جدكم فإن جدكم لم يرفعه قبيلته ولاماله، ولكن العلم المزين بالتقوى مع الإخلاص، ورفعه تأسيه بمشرب سيدنا الفاروق رضي الله عنه: (**نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما نبتغي العزة بغيره أذلنا الله**).

وطالب العلم إن كانت همته بذل العلم لوجه الله ووجهته الآخرة أكثر، نفع المولى بعلمه ورفعه، وإن لم تكن له هذه الوجهة، لم ينفع بعلمه ولم يهنأ بعيشه.

فهو مبشر بالعيش الهني، ويتكفل الله برزقه كما أخبر المصطفى ﷺ عندما تكون الوجهة إلى الله فتأتي الدنيا وهي راغمة، وهو عزيز نزيه مرفوع، لأن المولى رفعه ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾. صدق الله العظيم.

ولدي: كنت متهيأً لكتابة هذا الكتاب من البارحة، ومرت معي عبارة وأنا أطالع في كتاب (العهود) للإمام الكبير عبد الوهاب الشعراني، الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة، والذي أجمعت الأمة المحمدية على جلالة قدره كما يعبر عنه أحد الأكابر من علماء الأمة، فمرت بي عبارة أحببت أن أسمعكم إياها، كما أني قرأتها وسررت بها وكان البحث في مسألة الإنفاق في مرضاة الله، يقول رضي الله عنه في بعض العبارات: (**إن الإنسان إذا لم تُهَذَّبْ روحه، وذلك لايتم إلا عندما يُلْقِي القِيادَ أي قِيادَ نفسهِ لمن يرشده ويهذب روحه، فيأمره بذكر الله، ومن خاصية**

---

[٢] – الحديث رواه البزار والترمذي والطبراني، والمنذري في الترغيب وأقربها رواية له؛ رواية البزار والترمذي بلفظ البزار: «لاتكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن أساء الناس أسأنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسنوا أن تحسنوا، وإن أساؤوا ألا تظلموا».

الذكر جلاء القلب من الظلمات والرعونات النفسانية، وعند ذاك يصغر أمر زخرفة الدنيا في عينه لأنه قد عظم في عينه أمر رضاء الله، والأمور الأخروية الباقية، فيصير يبادر بالإنفاق في الطرق التي ترضي الله، ولو منعوه جهراً أنفق سراً، لما يرى لنفسه في ذلك من المصلحة، ولا هكذا من يعلم أحكام الله على التقليد مع تعاطي شهوات النفوس من أكل وشرب ولباس ومركب ومنكح، وغير ذلك من الأمور التي لا تكاد تكمل له إلا بالدنيا، فلا يكاد ينفق شيئاً في مرضاة الله تعالى، إلا إن اكتفت نفسه من شهواتها، والشهوات لاقرارلها، كل شهوة تجذبه إليها ولو كان له كل يوم مائة دينار ماكفته، واعلم يا أخي أنه قد ورد أن العبد يرزق رزق سنة في شهر، فإن رَفِقَ به كفاه، وإلا احتاج بقية سنته، وإن العبد يرزق رزق شهر في جمعة، فإن ترفَّقَ به كفاه، وإلا احتاج بقية الشهر، وإن العبد يرزق رزق جمعة في يوم، فإن رفق به كفاه، وإلا احتاج بقية جمعته).

فاسأل المولى سبحانه متوسلاً بأحبابه هؤلاء وأمثالهم عند حبيبه الكريم الذي استنقذنا من هوة النزول إلى مرتبة البهيمية أي رتبة البقاء مع الطبع الحيواني، مع عدم الإلتفات إلى درجة الإرتقاء عن هذه الهوة؛ إلى رتبة الآدميين الحقيقيين أي الذين اعتنوا برتبة كمال الخلق والدين، وعناهم الشاعر الحكيم بقوله:

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ومتوسلاً بحضرته الكريمة وروحه الرحيمة عند مولاه، وبحرمة هذا الشهرالنفيس المبارك أن يتولاني وإياكم، ومن يواليكم، ويتم نعمه علينا كما أتمها على أبوينا وأن يحفظنا ببركة صلاحهم، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، أن يجعلنا لهم قرة عين، وذكرى حسنة يذكرون بها، وتبقي ذكرهم عطراً غَيْرَ مُغيَّر، إنه سميع مجيب جواد قريب، وما ذلك على

الله بعزيز، والسلام عليكم وعلى من لديكم من الأحباب، على الأخص الحاج مصطفى فاضل[1] جزاه المولى عنا خير الجزاء، وشمله والمحبين بهذه الدعاء.

(**والدكم الشفوق**) الذي كثيراً مايمر به مكاتيب جدكم عطر الله مرقده وفيها التوصية المؤكدة في شأنكم وأحياناً تكون في شأنك، فجزاه المولى خير الجزاء، حياً ومنتقلاً، مع الجدة الذين سهرا وتعبا على تربيتكم، نسأل المولى أن لايخيب آمالنا في كرمه وجوده، ولا يخيب سهرهم وتعبهم علينا، وأن يكشف عنا وعن المسلمين ببركتهم الغمة آمين.

والدتكم تسلم عليكم وعلى جميع أحبابكم الذين واجهتهم، وأخواتكم يسلمون عليكم كذلك. حرر صباح الجمعة ١٦ رمضان المبارك١٣٨٥ هـ (١٩٦٥/١٢/١٥م)

٧ً – **وكتب إليَّ وكنت أسكن دمشق** أثناء خدمتي في الجيش، وكان أخي عبد الله في كلية الشريعة بدمشق أيضاً، وكان أخي محمود حول دمشق في الخدمة العسكرية أيضاً، وذلك بعام ١٣٨٩هـ، الموافق ١٩٦٩م.

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي المحترم محمد زكريا، وأخويه محمود وعبد الله، حفظهم وأحبابهم ومن يلوذ بهم المولى الكريم آمين، وبعد إهدائكم السلام .. ونَعُمُّ بسلامنا من حواه منزلكم حفظكم الله، ورعاكم أنتم ومن لاذ بكم ووالاكم، نخبركم أنه وصل إلينا كتابكم المؤرخ ١٦محرم الحرام

---

[1] – الحاج مصطفى فاضل إمام وخطيب ناحية الراعي أيام كنت فيها وكان من أهل الفضل والصلاح والعلم، وقد كان لي نعم الأخ والرفيق أيام كنت هناك، انتقل بعد ذلك إلى مدينة حلب عام ١٩٧٨تقريباً وسكن فيها مع أولاده الذين كانوا يعملون فيها وتوفي في حلب ودفن في الراعي بعام ١٩٨٤م.

١٣٨٩هـ، فحمدنا المولى على ما ذكرتم لنا فيه، وعلى الأخص حضوركم جميعاً ليلة الجمعة عند فضيلة الشيخ حسن حبنكة [١]، فإن هذا الخبر هَزَّ جوارحي سروراً، وشكراً للمولى على هذا التوفيق، وزادكم المولى توفيقاً، أنتم وأهلكم وأحبابكم.....وقد فرحنا بهديتكم الثمينة وهي آثار وترجمة الشيخ الجليل سيدنا الشيخ سعيد البرهاني [٢] تغمده الله بالرحمة والرضوان، هو وجميع الأئمة الهداة، ورعى من أعقبهم من الأنجال الأكارم بعين عنايته وزادهم توفيقاً، وسدد خطانا وخطاهم إنه خير مسؤول، وأكرم مجيب، ثم قال بعدها:.. وقد جرى على ذهني حال كتابة هذه الأسطر الأخيرة مطلع قصيدة أبي محجن الثقفي التي كان سيدنا عمر ﷺ يعجب بها، ويؤيده على ذلك سيدنا علي كرم الله وجهه وهي:

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته وسائلي القوم عن ديني وعن خلقي

وفقكم المولى، وأحبابكم والمسلمين للتحقق بها، ودمتم أنتم وإياهم بحفظ المولى ورعايته، آمين.

٨ ـ **ومن أدب خطابه ولطف كلامه**، وتواضعه حتى مع أبنائه، أنه كان يرسل إلي في حاجات الناس الذين يفدون إليه متوسطين في قضاء حوائجهم عندي وكنت آنذاك (**في دائرة الأحوال المدنية بحلب وندبت للجنة تسجيل المكتومين التابعة للمحافظة**)، وكانت أعمال اللجنة من الكثرة بحيث أنه تتأخر المعاملة فيها شهوراً طويلة حتى يأتي دور صاحبها - إن كانت أوراقه تامة، وأراد الموظفون إنجازها - وإلا فإن الشهور تمتد سنوات. وفيما يلي رسالتين بهذا الخصوص.

---

[١] – الشيخ حسن حبنكة العالم المجاهد، العلامة الفقيه المفسر، من خيرة علماء دمشق توفي فيها بعام ١٩٧٦في مسجد الحسن.

[٢] – الشيخ سعيد البرهاني العالم العلامة الفقيه الصوفي، خليفة الشيخ العارف محمد الهاشمي توفي بدمشق .

الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز محمد زكريا المسعود، حفظه المولى ورعاه آمين.

السلام عليكم وعلى جميع من حولكم من الأهل والأحباب، وبعد: فقد كنت أسمع من جدك، الذي له الأيادي البيضاء علينا وعلى كثير من الأمة، رحمه المولى وأعلى درجته في المقربين عنده، وجزاه المولى عنا وعن المسلمين أفضل الجزاء، كنت أسمع منه هذه الكلمات التي هي مضمون أحاديث شريفة، سوف أذكرها على الله أن يمن علينا بالقيام بها، وهذه الكلمات: حوائج الناس إلينا من نعم الله علينا، فلا تملوا النعما فتعود نقماً. والأحاديث الشريفة: «**من عظمت نعمة الله عنده، عظمت مؤونة الناس عليه، فمن لم يتحمل المؤن، عرَّض تلك النعمة للزوال**»[1] والحديث الآخر: «**إن لله عباداً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرها فيهم مابذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم**»[1]. **والحمد لله أن المولى قد جعل فيك محبة الخير لإخوانك وهم يدعون لك، ويثنون عليك**، فهذه الحوائج، أي حوائج الناس ومصالحهم وإن كان فيها كلفة عليك، ولكن فيها الأجر الكبير، وفقك المولى وإخوانك، وسدد خطاكم، وأعانكم بمنه وكرمه. أهـ الخميس ربيع الأول ١٣٩٢هـ الموافق ١٥/٥/١٩٧٢م

كاتبه والدكم الشفوق محمد علي المسعود، عفي عنه.

(ملاحظة: تم قضاء حاجته والحمد لله رب العالمين).

---

[1] - ورد هذا الحديث بعدة روايات كما في الطبراني ومجمع الزوائد وشعب الإيمان للبيهقي، وفيه بلفظ: «**ماعظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت مؤونة الناس عليه، فمن لم يحمل تلك المؤونة على نفسه، فقد عرض تلك النعمة للزوال**».

[1] - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر، وفي مسند الشهاب عن ابن عمر أيضاً، وفي الشعب لفظه أقرب، ولكن بلفظ: «**إن لله أقواماً اختصهم بالنعمة..**» إلخ.

الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز محمد زكريا مسعود أسعده وأحبابه ومن يلوذ به المولى المعبود آمين.

السلام عليكم وعلى جميع الأحباب ورحمة الله وبركاته وبعد: واصلكم حامل رسالتي هذه، الرجاء ملاحظته والسعي في مصلحته بما يمكنكم من الوسائط والطرق التي تنفع المؤمنين، ويقول المثل: انفع صديقك بشيء لايضرك.

وعلى كل حال فالمؤمن عندما يقصد قضاء حاجة أخيه المؤمن امتثالاً لقوله ﷺ: «**والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه**»[٢]. أو كما ورد، فإن المولى يسهل عليه الطرق، ويكشف له إن شاء سبل التيسير.

وفقكم المولى وإخوانكم وأحبابكم والمسلمين، وجعلكم ممن قال فيهم الحديث القدسي: «**خلقت الخير وخلقت له أهلاً – إلى أن قال في الحديث الشريف– فهنيئاً لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه**»[١] والله يحفظكم والسلام عليكم وعلى جميع الأهل والأحباب.

الإثنين ٢٧ذي القعدة ١٣٩٢هـ (١٩٧٣/١/٢٠م)

كاتبه والدكم الشفوق محمد علي المسعود، عفي عنه آمين.

---

[٢] – قطعة من حديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرةﷺ أوله: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة». ذكره المنذري في الترغيب كتاب العلم ١/ ٧٢.

[١] – الحديث ورد في مجمع الزوائد، والإعتقاد للبيهقي ولفظه: «إن الله عز وجل يقول: أنا الله لاإله إلا أنا، خلقت الخير وقدرته، فطوبى لمن خلقته للخير وخلقت الخير له، وأجريت الخير على يديه، أنا الله لاإله إلا أنا خلقت الشر وقدرته، فويل لمن خلقت الشر له وخلقته للشر وأجريت الشر على يديه».

٩ــ وبذلك العام١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م طلبت الحكومة السعودية مدرسات لمادة التربية الإسلامية من حملة الإجازة في الشريعة مع دبلوم الدراسات التربوية، فرغبت زوجتي أم يحيى أن تغتنم هذه الفرصة المواتية لتحسين الوضع المادي – بنظرنا – فكتبت إليه أستشيره، وأنا أعلم أنه لايرغب من أحد يقبل نصحه إذا استنصحه، ومشورته إذا استشاره، لايرغب مغادرة هذه البلاد الشامية المباركة، ولقد رغبت السيدة المصونة بذلك، وطلبت استشارته، فكتبت إليه أعرض عليه الحال، فكتب إلي هذه الرسالة وفيها يظهر غضبه وحزنه أيضاً مع نصحه.

وإني أثبتها رغم خصوصيتها لبيان مدى حب سيدي الوالد لبلاد الشام والحرص على سكناها وعدم مغادرتها، وذلك كله اقتداءً بأصحاب رسول الله ﷺ الذين استشاروه قبل وفاته في البلد الذي يرغب لهم بسكناه، فأشار في عدة أحاديث إلى الشام.

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز محمد زكريا المسعود حفظه ومن يلوذ به الملك المعبود آمين.

السلام عليكم وعلى من يلوذ بكم من الأهل والأحباب ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد وصلتني رسالتكم مساءَ الليلة الماضية، فقرأتها فأتتني (كشيء حرك مشاعري)، ولم أكن قرأت المكتوب قراءة مستبينة، لأني قرأته وكان الوقت قد أخذ في الليل، وأنا على المصطبة بدون ضوء، فخفت أن يكون فيها شيءوارد فيه تفريق لأسرتنا، وفيه شيء من العذاب عوضاً عن أن يكون من الرحمة، وكان عدم تثبتي في قراءتي له لما ذكرت من

أمر الوقت أنه بدون ضوء والثاني من الأمور أنه أتاني كشيء مفاجيء، وتذكرت الأحاديث التي وردت في فضل بلادنا؛ بلاد الشام الذي منها هذا الحديث الشريف، وهو ما رواه سيدنا أبو أمامة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الشام صفوة الله من بلاده، إليها يجتبي صفوته من عباده، فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه، ومن دخلها من غيرها فبرحمته**». رواه الحاكم وصححه، والطبراني وابن عساكر، وحسنه الترمذي.

ثم في الصباح أعدنا القراءة وإذا هو فيه أن المطلوب (فاطمة) وأنت تكون بالعَرَض (أي محرم لها) وهذا مما زادنا عدم رغبة، والله يتولانا برحمته ورضاه والمؤمنين والسلام عليكم وعلى جميع الأهل والأحباب.

وقد ورد في الحديث الآخر:(من سعادة المرء أن يكون رزقه في بلده) أو كما ورد. صباح الأربعاء، جمادى الآخرة ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣/٥/٢١ م.

كاتبه والدكم الشفوق

محمد علي المسعود عفي عنه آمين.

ملاحظة: أقول: كانت هذه الرسالة – والحمد لله – من عوامل تثبيتنا واستقرارنا في قطرنا، وبالأخص لأم البنين (أم يحيى)، التي أيقنت أن البقاء في بلاد الشام المباركة خير من الخروج، وصارت هي تشير على من استشارها من زميلاتها المدرسات بذلك – الحمد لله – وقد أفاض الله علينا الخير، ورزقنا الإستقرار أكثر مما لو تغربنا عن بلدنا، لنكسب المال ومعه ذل النفس والغربة، والبعد عن الوطن والأهل والأحباب كما هو واقع كثير ممن تغربوا، وهذا من بركات دعائه ونصحه رحمه الله تعالى.

رسائل متفرقة إليَّ وإلى الإخوة :

أ- وهناك رسائل عدة بخصوص شراء بعض الكتب له من مكتبة أخينا الشيخ عمر زيتوني[1] أو دفع ثمنها ويطلب فيها بيان حسابه عليه، وفيها مراجعة بشأن الحساب الذي للشيخ عمر على الوالد وأنه غير مطابق، فيطلب سيدي الإستيضاح، وهذا أمر عادي وطبيعي ولكن العبارة التي وردت في إحدى الرسائل يصف بها سيدي الوالد أخانا الشيخ عمر زيتوني بعبارة تمنيتها لنفسي وهي وسام رفيع من عالم رباني لأخ كريم من أهل العلم والفضل أحببت أن أدونها وهي كما يلي من المقدمة:[فأردت الاستيضاح عن هذا الأمر ببيان المفردات (مفردات الحساب) وما وصله منا من الدفعات لعله يتذكر أو نتذكر إذا كان أحدنا ساهياً وإلا فهو – أي الشيخ عمر – **مأمون عند أهل الأرض والسماء إن شاء الله**]. ويذيلها بالسلام على عمه الشيخ عمر ملاحفجي إن كان قدم من السفر، فأكرم بها من كلمة وأكرم بها من وسام يعلق على صدر أخينا الشيخ عمر (**أنه مأمون عند أهل الأرض والسماء**)، وتأريخ الرسالة ١١جمادى الثاني ١٣٩٢هـ١٩٧٢).

ب- وذكر الشيخ عمر زيتوني يسوق إلى ذكر عمه الشيخ عمر ملاحفجي صديق الوالد وحبيبه وقد كتب إلى أخي الشيخ عبد الله بحلب رسالة مؤرخة ١٦محرم ١٤٠١هـ من المدينة المنورة يستوضح فيها عن سبب عدم رد سيدي الوالد عليه بالرسائل وهي هذه:الحمد لله الذي أنعم علينا بسيدنا محمد ﷺ .

---

[1] – الأخ الشيخ عمر زيتوني بن الحاج عبد القادر زيتوني من العلماء الأفاضل، والصالحين الأماثل توفي رحمه الله بحلب بعد صبر طويل على الأمراض وقدحضرنا جنازته وتشيعه والعزاء الذي أقيم في مسجد أسامة بن زيد (حلب ـأقيول) وقد ألقيتُ فيه كلمة أثنيت على أخلاقه وكمالاته رحمه الله، توفي ودفن في حلب الأربعاء ٢٩شعبان ١٤٢٤هـ الموافق ١٥ تشرين الأول ٢٠٠٣م.

جناب ابن أخي وحبيبي الشيخ عبد الله المسعود وفقه الله وحفظه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، نرجو الله أن تكونوا بخير وعافية، وكل عام وأنتم بخير جميعاً، لقد أرسلت للسيد الوالد المحترم أكثر من رسالة ولم أحظ بجواب، ولكن الجواب القلبي حاصل، يعلم الله تعالى، والله ماوقفت أمام جناب سيدنا رسول الله ﷺ إلا وبلغت سلامه له وإلى أبنائه جميعاً.

بَعُدْتُم ولم يبعد عن القلب حبكم وغبتم وأنتم في الفؤاد حضور

وكما يقول بعض المحبين:

ما عودوني أحبابي مقاطعة بل عودني إذا قاطعتهم وصلوا

وصلوا، وصلوا والله وصلوا. فيا أخي وابن أخي وحبيبي، أرجوك أن تقبل يديه نيابة عني، وقد أوصيت أخي الفاضل الشيخ بكري (ملاحفجي) أن يبلغه سلامي واحترامي، ويزوره حتى يريح قلبه وهمه، وكما يقول بعض أهل الله: زيارة أرباب التقى مرهم يبري، وأوصيته بزيارة شيخنا الفاضل الشيخ عبد الباسط أبي النصر مع تقبيل أياديه، والسلام عليه وعلى أبنائه جميعاً، وزيارة جميع أحباب رسول الله ﷺ. سطرت هذه الرسالة وأنا والحمد لله قد غمرني التجلي العظيم، ونرجو الله أن يوفقنا للإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب، وهذا يكون بحب سيدنا رسول الله ﷺ، اللهم زدنا حباً فيه واتباعاً له وحسن الجوار عنده مع الأدب يارب العالمين، ثم يختمها بإهداء التحيات والسلامات للمشايخ والأحباب.

جـ - وهذه بعض الرسائل إلى أخي الشيخ عبد الله المسعود عندما كان طالباً يدرس بجامعة دمشق وشكا إليه بعض المتاعب في حياته فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز عبد الله المسعود أسعده مولاه وأحبابه آمين، سلام الله عليك وعلى من لديك من جميع الأهل والأحباب وبعد: فقد وصل كتابكم يوم السبت الماضي وفيه ماذكرتم من قلقكم لعدم تيسر الأمورالتي تبغونها أنتم، وعسى أن يكون الخير في الواقع وأنتم تعتبرون نفسكم أنكم في بيت أهلكم وأعز، إن شاء المولى جزى الله عمك وعياله ومن يلوذ بهم كل خير، وربما أننا ضمناً أحببنا هذا الأمر وهو أن تكونوا عندهم وإن كنتم أردتم أن يكون في نفس البلد لئلا يضيع عليكم شيء من الوقت، ولكن الذي ييسره المولى هو الذي فيه الخير، وعسى أنَّ المولى يعوض البركة والفهم من حيث لا يشعر الإنسان بسبب موافقة رغبة الوالدين.

ولدي: ذكرت في كتابك أنك تلاحظ أن تعسر الأمور هو من جهة بعض التغيير في قلب والديك عليك، فلا تظن أن أحداً بعد الله ورسوله ﷺ أشفق من الوالدين، وإن ظهر شيء في الظاهر مما لا يلائم الولد، فإنما هو باجتهادهم أن هذا الشيء فيه النفع له، فإن أصابوا في هذا الإجتهاد فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، باعتبار النية إن شاء المولى، ولا يخطر لك غير ذلك، كيف والمصطفى ﷺ يقول في حديثه الشريف الطاهر: (فاطمة بضعة مني)، وتتمته في رواية:«**يسوؤها مايسوؤني**».[1]، وفقك المولى وحفظك وأحبابك إنه سميع مجيب.

جواب على سلام عمك (أبو فيصل) والأبيات، قال بعض العارفين:

---

[1] – حديث (فاطمة بضعة مني) رواه الإمام أحمد في مسنده، ومالك عن المسور ﷺ، أورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ (فاطمة بضعة مني يقبضني مايقبضها، ويبسطني مايبسطها، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وصهري)، قال المناوي شارحه :أكره ماتكرهه، ويبسطني: يسرني مايسرها .

ياراحلين إلى المختار من مضر زرتم جسوماً وزرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر كمن راحا

جعلنا المولى ممن طار بقلبه إن لم يقسم له السير بجسمه.

قال ﷺ لأصحابه الكرام، وقد كانوا في جهاد معه: «**إنكم خلفتم بالمدينة أقواماً ماقطعتم وادياً إلا قطعوه معكم، ولاقاتلتم عدواً إلا قاتلوه معكم، حبسهم العذر**».[٢] أو كما ورد، سلام عام إلى جميع من يسأل عنا من عرفنا ومن لم نعرف من أهل العلم والفضل والأحباب.

كنت أريد أن أكتب لك يا ولدي لتسأل عن الأستاذ الفاضل، الشيخ ملا رمضان البوطي[٣]، والد الأستاذ الشيخ محمد سعيد، وتبلغه من والدك السلام وتطلب الدعاء لوالدك ولك، لأني اجتمعت به في الحرم المدني على مشرِّفه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وكانت المعرفة بواسطة المفتي السابق الأستاذ محمد بلنكو، وإني سررت به لأني وجدت منه بعض أوصاف جدك رحمه الله تعالى، وأدام علينا بركاته وهو في ذلك العالَمَ آمين، فإذا تيسر ذلك لك يكون فيه الخير.[١] ١١ذي القعدة، ضحوة الجمعة ١٣٨٧هـ، (١٩٦٧م)

والدكم الشفوق : محمد علي الشيخ محمد المسعود . عفي عنه آمين

---

[٢] – ورد في مسند أحمد وأبي عوانة :(لقد خلفتم بالمدينة رجالاً ماقطعتم وادياً ولاسلكتم طريقاً إلا شركوكم في الأجر حبسهم العذر) .

[٣] – الشيخ العالم العلامة المهاجر التقي ملا رمضان البوطي والد الدكتور محمد سعيد هاجر من تركيا واستوطن دمشق وتوفي فيها .راجع ترجمته في كتاب (هذا والدي) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

[١] – قال عبد الله:كان ذلك أول ذهابي إلى دمشق وانتسابي لكلية الشريعة، واغترابي، وكنت أبحث عن غرفة أو سكن في دمشق من أجل الدوام في كلية الشريعة، وكانت الأمور في بدايتها صعبة عليَّ فخشيت أن يكون بدر منِّي ماعكر خاطر والدي عليَّ، فاستصعبت عليَّ الأمور، ولكن الله يسر بعد ذلك وأعان ببركته ورضاه .

٣ - وهذه الرسالة إلى أخي **الحاج أحمد المسعود** أرسلها إليه من الباب وكان أخي الحاج أحمد مقيماً في المدينة المنورة (دون تاريخ بالسنة) أغلب الظن أنها كانت بعام ١٤٠١هـ، الموافق ١٩٨١م، بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد: ولدي العزيز أحمد مسعود حفظك وإخوتك وأحبابك الرب المعبود، السلام على سيدنا رسول الله وضجيعيه الكريمين، وأهل البقيع وأحد، ثم عليكم وعلى باقي الأحباب بجهتكم، خاصَّةً أستاذنا وابن أستاذنا الجوهرة النفيسة التي حرمتها البلاد السورية في هذه الأيام، الشيخ عبد الله سراج الدين[٢] نسأل المولى أن لا يطيل المدة وأن يردها ويرد كل غائبة لنا بخير عاجلاً غير آجل، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

ثم على عقد الألماس المشهور بين الناس، والمعروف في المهمات وكشف المعضلات عمك وأقرب من العم الشيخ عمر ملاحفجي[١]، الشهير بأبي قبقابة، حفظه مولاه ولاحرمنا من مواقفه المستطابة،

---

[٢] – أستاذنا الشيخ عبد الله سراج الدين بن شيخ مشايخ حلب الشيخ نجيب سراج الدين الحسيني الحلبي المحدث المفسر الفقيه، العلامة البارع، الرباني العارف بالله صاحب التآليف المفيدة، والدروس النافعة في مساجد حلب ومدارسها العلمية الشرعية، ولد في حلب وتوفي فيها ودفن في المدرسة الشعبانية (في تربتها) وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً .انظر ترجمته وترجمة والده في الكتابين الذين ألفهما صديقنا وأخونا العالم العلامة المحدث الأستاذ الدكتور نور الدين عتر.

[١] – عمنا الشيخ عمر ملاحفجي بن الشيخ محمد الشهير بالشيخ القصير أبي قبقابة الحلبي مولداً بعام ١٩٢٩ والمقيم حالياً في المدينة المنورة ومعه ولداه العالمان الفاضلان الشيخ محمد ضياء والشيخ عبد الله عز الدين، وهو من أخص أحباب الوالد وأصدقائه الأوفياء الخلص، متع الله بحياته وأمد في عمره مع العافية.

ثم عمكم (**الشيخ أحمد قلاش**) [٢] الدرة النفيسة والذي هو رفيق عمكم الشيخ محمد سعيد، وحبيب والدكم، ثم باقي أحبابنا ممن هم هناك ولم أذكرهم الآن ممن حضروا في الحضرة الشريفة، وشملتهم الرعاية من قريب، والذين نالوها من زمن بعيد كأخينا الشيخ محمد علي الحلبي وأولاده وكل من حضر في تلك البقاع الطاهرة، وشملتهم الرعاية الباهرة، سواء كان عندكم أو في الحرم الشريف المكي، كأولاد أخينا الشيخ (حسن) الجسومة [٣]، وأولاد عمهم ثم أهل المقام الشريف، ممن أحظانا المولى بالتعرف عليهم، واكتساب الصلة بهم (السيد محمد وأخيه عباس) ووالدهم قبلهم، وتكرم المولى علينا بأن حظينا بالإجازة منهم، أولاد سيدنا (علوي) [٤] المالكي حفظهم الله وزادهم كرامة وقدراً.

وعلى كل حال كتبت هذه الكلمات بعد أن صليت سنة الصبح يوم الثلاثاء السابع من جمادى الأولى، وقد أدركت صلاة الفرض فأنهيت الكتابة وختمت الرسالة، والسلام عليكم أولاً وآخراً مني ومن والدتكم، وإخوتكم وأخواتكم الحاضرة والغائبة [١]، في حدود

---

[٢] – أستاذنا العالم الفاضل الأديب الفقيه اللغوي المفسر، الصوفي الذائق، المحخب المحبوب، صاحب التآليف النافعة للكبار والصغار ولد بحلب ١٩٠٨وتخرج من مدرستها الخسروية ودرس بها وبالمدرسة الشعبانية بعد تخرجه حتى عام ١٩٨٠ ثم هاجر إلى المدينة المنورة، ولايزال مقيماً فيها، متع الله بحياته وأمد بعمر وعافاه.

[٣] – الشيخ حسن جسومة ولد في مدينة الباب حوالي ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م وقرأ القرآن على مشايخها ولازم الشيخ محمد أبي النصر واستأذن شيخه في المجاورة بمكة ولازم علمائها مع اشتغاله بمهنة الساعات توفي بمكة سنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤ م رحمه الله تعالى، راجع ترجمته في كتابنا من أعلام النقشبندية .

[٤] – السيد علوي المالكي ولد بمكة المكرمة بباب السلام ١٣٢٨هـ فبدأ بحفظ القرآن فأتمه وهو في العاشرة من عمره والتحق بمدرسة الفلاح وبرع فيها ودرَّس بها قبل التخرج وكانت له دروس في المسجد الحرام وله مؤلفات عديدة توفي في مكة سنة ١٣٩١هـ رحمه الله تعالى، راجع ترجمته في كتابنا أعلام النقشبندية .

[١] – الغائبة في حدود العراق يعني بها أختي السيدة عائشة أم اسماعيل زوجة العالم الفاضل الشيخ أحمد اسماعيل الحاج علي، عندما كان مدرساً في اليعربية على حدود العراق عام

العراق، ثم من جميع الأحباب، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

شعره :

لم يعتنِ الوالد بالشعر كثيراً إلا أنه نظمه في فترة متأخرة بعد الأربعين من عمره، نظم عدة قصائد في مدح الحبيب المصطفى ﷺ، والتوسل بجنابه الكريم.

وحفظها بعض الأحباب المداحين ممن صحبوا الشيخ رحمه الله تعالى، وكتبوها ودونوها، وكان قد جمعها أحدهم في كراس صغير، وفقد الكراس.

ولكن بقي من شعره هذه القطعة:

ياسيد السادات ياخير الورى ... روحي إلى نعليك جاءت تضرع
إني احتميت بظل نعلك سيدي ... من كل صد عن جنابك يمنع
لا تنسني يافخر سادات الورى ... وارحم ضنأي فإنني متوجع
ألقيت حاجاتي ببابك سيدي ... ورميت حملي والمكارم أوسع
صلى عليك الله يا علم الهدى ... دوماً صلاة فيها جاهك يرفع
والآل والأصحاب أرباب التقى ... والتابعين ومن هداهم يتبع
ماصاح قمري بغصن أراكة ... أو لاح برق في سماء يلمع

وقد نقشت هذه الأبيات في الحجرة التي دفن فيها مع والده على لوحة حجرية فوق ضريحه.

١٩٨١ ثم نقل إلى حلب (الباب) ولازال مدرساً بها، والحاضرة هي أختي السيدة فاطمة أم حامد، أمد الله بعمرهما مع العافية .

الفصل الثامن

آثاره العلمية وتحقيقاته

٣٢- تمهيد:

فيما قدمنا من فصول تظهر معظم جوانب سلوكه الحياتي العام، وكذلك تظهر بعض أخلاقه وشمائله لدى من عاشره وخالطه.

وليس بعيداً ولاغريباً إذا قلنا أنه رحمه الله تعالى- كان يتمثل في حياته وسلوكه اليومي الأخلاق المحمدية، والتصرفات الشرعية، ويحاول أن لا يخرج عنها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فلقد كانت دراسته للعلوم الشرعية لدى مشايخه في الباب، ثم في المدرسة الخسروية، واطلاعه في هذه الدراسة على الشمائل المحمدية والسنة النبوية أكسبته - أولاً- العلم بهذه الأخلاق المصطفوية، ومكنته ثانياً من العمل بما علم.

وكانت صحبته للعلماء العاملين من أشياخه المربين، السياج الجامع لهذه الأخلاق الإسلامية، كي تكون للمسلم - وله بخاصة - برنامج عمل حياتي لازمه طيلة حياته، وإلى أن لقي ربه سبحانه وتعالى.

ولم ينفك عن العلم والتعليم، والدرس والتحصيل بعد المدرسة، بل انفتحت آفاق أوسع لديه بعدها، وماكانت المدرسة، كما نَقَل هو عن أشياخه، إلا مفاتيح للعلوم يضعها الأساتذة بأيدي الطلاب ليفتحوا بعدها خزائن العلم، ويضعوا هذا العلم في ميدان العمل المخلص لله تعالى.

٣٣- مسلكه العلمي والتعليمي في أواخر حياته :

وهكذا بدأ بعد تخرجه من الخسروية بل استمر، لأنه كان أثناءها وفي الباب قبل دخولها، يعلم ويتعلم.

فافتتح مكتباً أولياً للتعليم في قرية دابق، لما جاءها مدرساً لأهلها وتلقى لديه شبابها وفتيانها مبادىء العلوم الشرعية الأولية، والقراءة والكتابة، مع التخلق بالسلوك الإسلامي الذي اكتسبوه منه، وأشربوه في قلوبهم من حبهم لأستاذهم، فمنهم من أكمل التعليم لديه، ولدى غيره، كالشيخ يوسف المنصور رحمه الله تعالى، والشيخ عبد الحي الخطيب، والشيخ يوسف الكردي، ومنهم من لم يكمل التعليم، بل أكمل الخلق والتسليم لأهل العلم، كالحاج عبد الرحمن الجنيد وأقرانه.

بل من أبرز من استفاد منه وأصبح داعية إلى الله تعالى الشيخ عبد السلام المجعان – المشهور بالشيخ عبد -.

وكان في جولاته على القرى من منطقة إعزاز كان في دروسه في مساجد تلك القرى، وفي مجالسه بين أهلها، في المناسبات الدينية والإجتماعية وغيرها، كان مدرسة تربوية تعليمية متنقلة، وبالإضافة إلى هذا السلوك اليومي في سيره التعليمي كان يبذر في قلوب أهل تلك المناطق بذور العلم وحبه، ويحضهم على التعلم وإرسال أولادهم إلى المدارس الشرعية، ويبذل جاهه ومعرفته لدى القائمين على المدارس الشرعية لقبول هؤلاء التلاميذ الذين كانوا يفدون إلى تلك المعاهد العلمية، لينهلوا من موارد الشريعة الغراء، ويرعاهم بعدما يتخرجون منها، ويشجعهم على الإستمرار في طلب العلم مع الإخلاص لله تعالى.

ويبشرهم بأحاديث الرسول ﷺ قائلاً لهم: «**طالب العلم تكفل الله له بالعيش الهني**»، أو برغد العيش، ويوجههم إلى التعليم في كل المجالات المتاحة للقرى والمدن، للمساجد والمدارس، وكان يحب أن يعلِّم الخريجون في المدارس الرسمية، وكثيراً ما يقول لنا: (**إن الناس يأتون إلى المساجد طوعاً واختياراً ولكن معظم طلاب المدارس لا يأتون إلى المساجد، فاذهبوا أنتم إليهم، ولو استطعت وأمكنني الحال لذهبت أنا إلى المدارس معلماً**).

لم تمض سنوات غير كثيرة حتى أثمرت بذور العلم التي بذرها في المنطقة، وأقبل الشباب على المدارس الشرعية، والمعاهد العلمية يرشفون من منابعها العلم والفضيلة، وغدا الريف الشرقي لمنطقة إعزاز تزدان قراه ومزارعه بطلاب العلم والعلماء من مختلف المستويات، ولايزال أبناء هذا الريف لديهم حب العلم والعلماء، وحب التعليم ظاهراً، وله شأن واضح في حياتهم، وقد كثرت المدارس الشرعية في ريف محافظة حلب وماحولها والحمد لله، إضافة إلى مدارس ومعاهد مدينة حلب نفسها..

وكان في خاصة نفسه لا يفتر عن المطالعة والدرس حتى بعد تقدم سنه وإلى آخر أيام حياته، فلقد كانت له مطالعات خاصة في أمهات كتب العلم مع زملائه من طلاب العلم في المنطقة في مختلف أمهات العلوم كالتفسير والفقه والنحو والأخلاق، وغيرها..

ولما انتقل إلى الباب ظل ملازماً لهذا المنهج في مدارسة العلم فكان يقرأ في بيته لمن يحضر عليه من الإخوان الذين لهم اشتغال في العلوم، وكانت له نهمة في اقتناء أمهات الكتب وما يصدر منها حديثاً أيضاً ويرسل بطلبه إن لم يكن موجوداً في سورية، كشروح الكتب الحديثية الستة لكبار علماء الهند المعاصرين وفي مقدمتها إعلاء السنن، وكتب التراجم والطبقات، وكتب معاجم اللغة.

الفقه والفتوى في حياة الشيخ رحمه الله تعالى:

قال عبد الله: معلوم لدى أهل العلم أن الفقه: هو الفهم الصحيح للنصوص والأحكام وتنزيلها على واقعة الفتوى.

ولا بدَّ من التأهل علماً بأخذ العلم عن العلماء الثقاة حتى يصبح فقيه النفس وهي ملكة علمية يميز بها الصواب من الخطأ ويشتهر بين معاصريه ويُشهد له بذلك، والتأهل ديانة وصلاحاً وذلك بالتحلي بالعمل الصالح والتقوى والورع.

يقول سيدنا علي كرم الله وجهه: ألا أدلكم على الفقيه كل الفقيه ؟ قالوا بلى يا أمير المؤمنين، قال:

١- من لم يؤيس الناس من روح الله، ومن لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى.

٢- ومن لم يؤمن الناس من مكر الله، ومن لم يزين للناس معاصي الله.

٣- ولا ينزل العارفين الموحدين الجنة، ولا ينزل العاصين المذنبين النار حتى يكون الرب هو الذي يقضي بينهم،

٤- لا يأمنن خير هذه الأمة من عذاب الله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾. سورة الأعراف.

٥- ولا ييأس شرَّ هذه الأمة من روح الله، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ سورة يوسف.

قال الحسن البصري ﷺ: إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بذنبه المداوم على عبادة ربه.

وهذه سمات الفقيه الفقهَ الأكبر – وأحسب أن شيخنا الوالد كان من أهلها.

وأما فقه الفروع فكان مذهبه: التيسير على الناس ويردد حديث النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين، أحدهما أيسر من الآخر، إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً، فإن كان إثماً، كان أبعد الناس منه. رواه البخاري ومسلم.

ولقد درس ودرَّس الفقه الحنفي وكان يأخذ بالأحوط لنفسه والأيسر للناس، وكان مع إجلاله واحترامه العجيب للفقهاء وعلماء السلف لم يكن يرى التشدد في الأحكام ويقول:

١- إن في المذاهب سعة : مسألة: كان يحب إشاعة سنة الأضاحي ويضحي كل عام ويرغب فيها لما لها من الأجر الجزيل والفضل العميم، فإذا اعتذرنا بالفقر وأن بعض الفقهاء يعتبرها بحكم المنذورة ويحرّم على الفقير أكلها.

يقول إن في المذاهب سعة. إشارة إلى قول ابن عابدين (**وندب ترك التصدق لذي عيالٍ غير موسَّع الحال، توسعة عليهم**). فيرى القول الأرفق بالناس.

٢- فقه الضرورة عند أمن الطريق :

قال الشيخ مصطفى الزرقا رحمه الله في فتاويه: سفر المرأة وحدها بالطائرة دون محرم أو زوج لا مانع منه – وهو ضرورة – إذا كان في مكان وصولها زوج أو محرم، ومثلها القطار، فهما للركوب الجماعي، تحت نظام ورقابة موظفين يحصل معهم الإطمئنان مادام يوجد من يستقبلها عند وصولها. والله سبحانه أعلم.

أقول: استأذنت الوالد في إرسال ابنتي مع أولادها في الطائرة إلى زوجها في المدينة المنورة وركبت معها في الطائرة إلى مطار دمشق ثم تابعت سفرها إلى جدة حيث كان زوجها بانتظارها في المطار. فوافق على ذلك.

٣- **فقه الضرورة وبعد النظر لحال الأمة** : تقول أم الهدى الحاجة عاتكة أبو السعود: سألت عمي عن سفر الطالبات من حلب إلى دمشق من أجل الدراسة والإمتحان في كلية الشريعة، فقال:لا يجوز إلا بوجود محرم.

فقلت: ما كل الطالبات يجدن محرماً. ونحن بحاجة إلى مدرسات للشريعة في المدارس وعدم وجود المدرسات المختصات أدى ويؤدي مع الزمن لتدريس غير المختصات لمادة التربية الإسلامية ويكون بذلك فساد وإفساد.

فقال: رحمه الله: إن كان الأمر كما وصفت فلا مانع من سفرهن من باب (**الضرورات تبيح المحظورات**) ومن باب (**مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب**).

أقول: أنظر يارعاك الله إلى فقهه حيث أفتى بالمنع أولاً، وبعد نظره حين علم حاجة الأمة إلى مدرسات مختصات لتعليم دين الأمة وعقيدتها وأنها من الضرورات التي تبيح المحظورات أفتى بالجواز.

وكان من فضل الله علينا أن قمنا باستقبال طالبات الشريعة في جامع الأنوار تدرسهن المقررات الجامعية، أستاذتهن المشرفة عليهن ـ الحاجة عاتكة ـ ثم نرسلهن في سيارات تنطلق من أمام الجامع وتقف بجوار كلية الشريعة في دمشق وتعود بهن بعد امتحانهن إلى الجامع بعضهن معهن محارمهن في هذه الرحلة والباقيات مع زميلاتهن. وكان هذا دأبنا على مدى السنوات العشر الماضية وبين الطالبات بنات خيرة علماء حلب ولله الحمد والمنة.

٤ – **الفقه والورع** : ذهب لزيارته خلص محبيه، وأعطاني مبلغاً من المال على انفراد، وقال لي أعطه للشيخ، فخلوت به وقلت هذا أرسله فلان إليك، فقال لي: أظنه زكاة، وأنا لا يجوز لي قبول الزكاة. فقل له

يوكلنا في مصارفه أو أعطه لفلان – أحد أصحابه – يتصرف في توزيعه.

أقول:أنظر يارعاك الله إلى ورعه لمَّا أحسَّ أن المال زكاة، فأخذ بالاحتياط والورع، مع أنه لو أراد الترخص لنفسه لوجد سعة في المذاهب. التي تعطي طالب العلم المتفرغ الزكاة.

٥ – **فقه لا ينتبه إليه الناس** :كان يأتي إليه شاب من المعتوهين اسمه (طه) وكان يطعمه ويحسن إليه ويأمر بالإحسان إليه، وفي يوم من الأيام أتاه طه بعصى (عكاز) هدية للشيخ فردها، وقال: إن هذا وأمثاله – لا تجوز منهم الهدايا. وهي إشارة إلى حكم (ناقص الأهلية) حيث يشترط في الواهب أن يكون كامل الأهلية، لأن الهبة – كما يقول الفقهاء من التصرفات الضارة بالواهب ضرراً محضاً.

أما الموهوب له فيكفي فيه أن يكون مميزاً، لأن الهبة من التصرفات النافعة للموهوب له نفعاً محضاً.

٦ – **أحكام الطلاق** : كان من فقه الشيخ في أحكام الطلاق، خلاف ماهو دأبه من التيسير في الفتاوى والأحكام الأخرى، وهو ما يعبر عنه علماؤنا – بالاحتياط بالفروج – وعدم الإجابة عن أسئلة الطلاق وإرسالهم إلى علماء آخرين في أمكنة أخرى.

وسبب ذلك: يقول رحمه الله:لماتخرجت في المدرسة الخسروية وباشرت عملي في الإمامة وتعليم الناس وتفقيههم وكنت أجيب على أسئلتهم الفقهية وفق ما تعلمت وأجيب على أسئلة الطلاق كأي سؤال يردني.

قال لي أبي رحمه الله: هل تظن أنك بإجابتك العوام عن أسئلة الطلاق تحسن إليهم؟!. ثم قال لي: إنهم يستمرؤون ذلك ويكررونه ولا يأبهون به... ومنذ ذلك الوقت لم أعد أجيب عن أسئلة الطلاق

وأحيلها إلى غيري من أهل العلم. هذا... ليشعر السائل,حين تردده إلى أكثر من عالم بخطورة ما أقدم عليه في يمين الطلاق فيرعوي.

أعماله العلمية في الكتب:

١-شرع بعام ١٤١٣ هـ بمراجعة الموسوعة الحديثية الكبرى (كنز العمال) للمتقي الهندي وهو ستة عشر جزءاً فبدأ بذلك العام بشرح وبيان غريبهاحتى أتم هذا العمل بعام ١٤١٥ هـ، ثم بعد عام أعاد المراجعة والضبط، واستغرقت معه المراجعة عامين آخرين.

٢- كما أنه لما رأى كتاب الشيخ يوسف النبهاني (الفتح الكبير) في ضم (الزيادة) إلى الجامع الصغير، وهو كتاب حديثي ميسر، وفي متناول أيدي أغلب طلاب العلم، وجد أن الجامع الصغير قد خدم واعتني به شروحاً مفصلة ومختصرة، إلا أن (الزيادة)لم ينلها شرح ولا تفسير،فشرع في تفسير كلمات الزيادة في (الفتح) ومضى فيها شوطاً كبيراً حتى بلغ النصف، وهو من الحديث رقم ١/وحتى /٢٠٧٦/ وكان هذا العمل يقوم به في أوقات فراغه أيضاً، وحتى قبل وفاته بعشرة أيام فقط، حيث لم يعد يستطع المتابعة بعد ذلك الدأب والمطالعة والكتابة والمراجعة في كتب اللغة.

٣-وفسر غريب كتاب الأنوار المحمدية الذي اختصر فيه الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله كتاب المواهب اللدنية للقسطلاني، وقال في آخر صفحة من الكتاب: (بفضل الله ورحمته، تمت مراجعة هذا الكتاب المبارك يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى ١٤١٨هـ)كما فسر غريب كتابي الإمام السيوطي (شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور) (وكتاب البدور السافرة في أحوال الآخرة)، وكل ذلك تعليقات وملاحظات على هوامش تلك الكتب.

٤-كما عمل فهرساً لكتاب (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) للإمام العيني، ثم بنهاية الفهرس ذكر محتويات الكتاب كله من الجزء الأول حتى الخامس والعشرين.

٥-كما فهرس كتاب إعلاء السنن، وقال في أول الفهرس: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه أعلام الإسلام وحملة لوائه ومن تبعهم بإحسان وسار على دربهم إلى يوم الدين، وبعد: فهذا فهرس جامع لمحتويات كتاب إعلاء السنن للإمام المحدث الناقد ظفر أحمد العثماني رحمه الله المتوفى ١٣٩٤هـ، على ضوء ما أفاده الإمام الفقيه التهانوي رحمه الله المتوفى ١٣٦٢هـ، وهو مجموع كبير في الحديث النبوي الشريف الذي يؤيد أقوال فقهاء الإسلام وعلماءه في الدين والشرع المطهر، وبالدرجة الأولى أدلة مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه المولى وباقي أئمة المسلمين، ورحمنا المولى بهم أجمعين.

ولهذا الكتاب مقدمة في مجلد خاص في أصول الحديث، وهذا المجلد مقسم ثلاثة أقسام: الأول في المصطلح، والثاني قواعد في علوم الفقه، والثالث ترجمة الإمام أبي حنيفة وأصحابه المحدثين.

وذكر في النهاية إجمالي محتويات أجزاءه ال/١٨/، وختمها بقوله: تم الفهرس والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين).

٦-كما فهرس كتاب الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني الذي شرحه الشيخ أحمد البنا.

٧-كما فهرس موطأ الإمام مالك.

وهذه الفهارس ضرورية – كما لا يخفى على طلبة العلم – لأنها دليل مختصر ييسر للباحث معرفة أبواب الكتاب وبيان مواطنها في أي جزء من الكتاب.

وأما شرح غريب كنز العمال، فقال في أول الجزء الأول مايلي:

(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، المؤتى جوامع الكلم، وأفصح من نطق بالضاد من خلق الله أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، حملة شريعته الغراء، خير القرون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه كلمات ألحقتها بهذا المجموع المبارك، توضح بعض الألفاظ الغريبة تذكيراً لي ولأمثالي ممن قصر باعه عن تناول جناها الطيب، انتقيتها من المراجع التي تحت يدي حسب فهمي، ماتحريت منها أنه هو الأقرب للمعنى، وبالله التوفيق وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إنه ولي العون والتمام، وصاحب الفضل، ومنه أرجو السداد، وصلى الله على حبيبه ورسوله سيدنا ومولانا محمد الوسيلة العظمى إليه، فيما أهمنا من أمورنا في الدنيا والعقبى، والحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويكافىء مزيده، ونسأله جلت عظمته أن يجزي عنا سيدنا ونبينا محمداً ﷺ وآله وصحبه أفضل ماجزى نبياً عن أمته، وأن يعلي في المقربين درجته، كما هو سبحانه له أهل آمين.

بقلم صاحب هذه النسخة: محمد علي بن الشيخ محمد الشيخ مسعود غفر المولى ذنوبه وستر عيوبه ورحم والديه أمين يامعين والحمد لله رب العالمين، ليلة الأربعاء غرة جمادى الأولى ١٤١٣هـ).

وقال في آخر الجزء ١٦ مايلي: (وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتثمر وتغدق

البركات، ويعم البر، نحمده سبحانه على ماأولى من إتمام ماوفقنا إليه من بيان بعض المغلقات من هذا الكتاب، ومامنحنا من اقتطاف بعض جناه المستطاب، حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده، ونسأله أن يتفضل ويتكرم بإيصال صلواته التي تليق بعظمته وكمال حبيبه، المصطفى ﷺ، وتعم أصحابه الكرام وآله أهل الوفا ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين هم أقرب الناس إليه، وأن يتم نعمه علينا وعلى من يلوذ بنا من أهل وأحباب وألايقطعنا عن ذلك الجناب، جناب حبيبه الكريم وأحبابه من أهل اليقين وأن لا يحول بيننا وبينهم في ذلك اليوم العظيم ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾الشعراء.إنه ولي ذلك وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).

وبعد المراجعة الثانية كتب بذيل الخاتمة السابقة مايلي:

(الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتثمر، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي أعطي جوامع الكلم، وعلى آله وأصحابه الكرام، الذين نقلوا لنا هذا الهدي الطيب، نسأله سبحانه التوفيق بالسير على منهاجه، وجزى أسيادنا التابعين وأئمة الدين على مابذلوا من جهد في ترتيب وجمع هذا الكنز العظيم، والذخر والدر النظيم، أفضل الجزاء.

وهذا ختام النظر في هذا السفر المبارك، ثم والحمد لله على توفيقه لذلك من شهر ميلاد الحبيب الأعظم عليه أفضل صلوات الله وتسليماته، اليوم الحادي عشر منه ١٤١٥هـ، ألف وأربعمائة وخمسة عشر والحمد لله رب العالمين.

فما كان من صواب فمن فضله سبحانه، وبركة حبيبه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى آله وصحبه الغر الميامين رضوان الله عليهم أجمعين، وماكان من غير ذلك فأنا أستغفر الله العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

وكان تقييد هذه الكلمات بقلم المفتقر إلى الدعوات من كل من نظر إليها من إخوانه المؤمنين، محمد علي بن الشيخ محمد الشيخ مسعود، عفي عنه آمين.

٨-كما أنه عمل (ثبتاً) ذكر فيها الأشياخ أهل العلم الذين لقيهم أو استفاد منهم أو صحبهم وتعرف عليهم في بلادنا الشامية، أو في رحلاته إلى الديار الحجازية ؟ أثناء الحج والعمرة، وقد ذكرنا ذلك في الفصل السابع.

٩-وعمل أيضاً (كراساً) لطيفاً ضم فيه الفوائد التي كان يستحسنها فيكتبها أثناء مطالعاته في الكتب، وكان أولاً يكتبها في أوراق متفرقة، ثم جمعها في هذا الكراس، ولم يدونها كلها، ولعل المولى ييسر علينا جمعها وإفرادها في مجموع خاص، مع تراجم شيوخه وإخوانه، لتعم به الفائدة، فإنها كانت مما فيه حكمة أو عظة أو فائدة من أقوال العلماء والصلحاء المبثوثة في بطون كتبنا العلمية وما أكثرها.

الفصل التاسع

عباداته – وسلوكه مع ضيوفه

٣٥- مسلكه العام في العبادة :

وكان رحمه الله يسلك في عباداته مسلك القصد والإعتدال وحسبما يساعده جسمه الضعيف على تحمل أداء العبادات.. لكنه لم يدع سنة ثابتة قولية أو فعليه إلا وفعلها – تأسياً واقتداء بالحبيب الأعظم ﷺ وكان تعبده أولاً على مذهب الإمام أبي حنيفة كما هي دراسته الأولى، ثم لما ذهب إلى القرية ووجدهم على مذهب الإمام الشافعي، درس الفقه الشافعي، وصار يأخذ في عبادته الأحوط في المذهبين – وكأنه بذلك يريد ممن حوله الذين يقتدون به سلوك هذا النهج؛ عملاً بقوله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**»[1] وقوله ﷺ:«**أما إني أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**». متفق عليه.

ولذلك كان صيامه للنوافل المندوبة، فلم يتركها إلا آخر حياته حين أثقل عليه المرض وضعف جسمه، وصار مواظباً على استعمال الدواء، واستمر هذا الحال ما ينوف عشرين عاماً، فكان يحمد الله أنه يتمكن من أداء صوم رمضان.

كما كانت صلاته للنوافل، لايدع منها الرواتب ولا المستحبات المندوبة على لسان الشارع، كقيام الليل والضحى والأوابين، وكان الإستيقاظ المبكر قبل الفجر وصلاة ماتيسر مما واظب عليه، حتى في

---

[1] – الحديث متفق عليه عن عائشة كما في الجامع الصغير .

السفر والمرض غير الثقيل، وكان يحب أن يبقى دائماً على طهارة، فيتوضأ كلما أحدث، ويتيمم لرد السلام إن لم يكن متوضأً، كما في شمائل المصطفى ﷺ.

وكان مسلكه في **الحج** (النفل) استئذان أشياخه فإن أذنوا ذهب، وإلا فهو ملتزم لمن استأذنه، وقد أرسلني مرة عندما كان في بارح، إلى الشيخ النبهان رحمه الله بعد وفاة جدي رحمه الله أستأذن له في حجة بدلية، فقال لي السيد النبهان رحمه الله لايحتاج إلى الحج الحج يأتي لعنده، أو كما قال، وكان هذا منذ أكثر من /٣٥/ عاماً، وكان يكرر الحديث الشريف: «**ماخاب من استخار، ولاندم من استشار**»[٢] وامتثالاً لأمرالله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ فكان بذلك يحقق سنة الإستخارة والإستشارة.

وأرسل مرة أخانا أبا بشير زعيتر – بعد سكنه في الباب – إلى أخينا وشيخنا الأستاذ اسماعيل أبي النصر النقشبندي، الذي قام مقام والده شيخنا عبد الباسط أبي النصر بإذن منه، يستشيره في الحج، كما أخبرنا الأستاذ الشيخ اسماعيل بذلك في أحد مجالسه.

وكان في عمراته التي ذهب فيها أكثر من مرة متلمساً جبراً لخاطر أرحامه وأولاده الذين كانوا يقيمون بعد عام ١٤٠٠هـ في المدينة المنورة وأصدقائه الكثر، كأخي الحاج أحمد وأصهار أخي أحمد كالشيخ محروس بن لادن حفظه الله..، وعمنا الشيخ عمر ملاحفجي، وغيرهم من الأحباب.

أقول: جبراً لخاطرهم، مع أن العمرة عبادة مقصودة لذاتها، وكذلك زيارة الحبيب المصطفى ﷺ لأن جسمه لم يعد يتحمل وعثاء السفر ومشاقه..

---

[٢] – رواه الطبراني في الصغير والقضاعي عن أنس رفعه، كما في الكشف، وأورده السيوطي في الجامع ورمز لحسنه.

كذلك لم يكن يدع قراءة القران الكريم، فلقد كان له ورد يومي لايتركه مهما كانت الظروف، وكذلك الأذكار المسنونة والختم النقشبندي الشريف بل كان الذكر مستغرقاً لأوقاته؛ بما تشمله وتعنيه كلمة الذكر بمفهومها الواسع من قراءة القرآن، ومذاكرة العلم، والتسبيح والدعاء، والصلاة على النبي ﷺ التي كان له منها ورد يومي وقراءة دورية في كتب الصلوات للشيخ يوسف النبهاني وغيره، **كما كان التفكير والتدبر، ومراقبة الله في جلواته وخلواته، ومحاسبة نفسه على الخطرات والنيات، واستحضار النية الصالحة في كل قول وعمل، وأن يكون هدفنا الإخلاص لله سبحانه فيما نفعل أو نترك..**

٣٦- ورعه وموارده المالية:

ومن أجل هذا كان شديد الورع، دقيق البحث عن النية الصالحة، والعمل المقصود به رضوان الله تعالى، لارضاءُ غيره. وكان هذا المسلك، التدقيق فيما يرضى الله ليفعله، والتدقيق فيما يغضبه لإجتنابه، كان هذا واضحاً في أمر الموارد المالية بخاصة، فقد كان يدقق في أمر مايدخل إلى بيته، حتى إذا رأى شبهة، أو مورداً ليس من الحلال، أو فيه منة لغير الله، تركه ولم يقبله، وبقدر ماتكون الشبهة أكبر كان الرفض أكثر.

وقد يقال هل كان يعلم الغيب حتى يعرف هذا فيه منَّة ؟ وهذا فيه شبهة ؟ وآخر لايقصد بمايهب وجه الله ؟!، أقول: لايعلَم الغيب إلا الله، ولكن الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه قال: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**».[1] ومن التزم طهارة النفس، والعفة عما في أيدي الخلق، والوقوف عند حدود الله، فليس غريباً أن ينظر بنور الله، ولكن الغريب ألا يكون هكذا.

---

[1] – رواه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

وسوف نرى مما نحكيه عما جرى مع إخوانه المحبين له، في لقاءاتهم معه شيئاً ظاهراً من هذا القبيل.

وهنا يبرز سؤال مهم، إذا لم يكن الشيخ موظفاً، ولم يكن صاحب أرض زراعية، أو محل تجاري، فمن أين كانت وارداته المالية، التي ينفق فيها على عياله ؟!.

وقد قدمنا فيما سبق (في الفقرة ٢٥- الإنتقال إلى بارح) إيضاحاً لهذا الجانب، فإنه كان رحمه الله مؤمناً بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ التحريم الآية (٣)، وقوله ﷺ: « **طالب العلم تكفل الله له بالعيش الهني**»[٢].

فقد كان إخوانه ومحبوه الذين طلبوه لقرية دابق بعد تخرجه من الخسروية وضعوا على أنفسهم مقداراً من المال يلتزمونه سنوياً، فيقومون بجبايته ويصرفونه في حوائج البيت، وقد كان هؤلاء المحبين في دابق وبارح يفعلون هذا، والشيخ واثق بمحبتهم وأمانتهم، فاستراح من هَمِّ هذا الجانب، وماكان يسأل من أعطى ومن منع من الملتزمين بالأجرة السنوية، في كلتا القريتين، اللهم إلا أنه كان يسأل عمن أهدى إليه وقبل هديته، ليكافأه عليها بالمثل أو أكثر، كما قدمنا في تلك الفقرة، وكم حاول عمي الشيخ محمد سعيد رحمه الله تعالى، وكم سعى لتوظيفه كمدرس ديني براتب رسمي عندما شغرت وظيفة مدرس منبج وجرابلس والباب، ولكنه كان يأبى أن يكون موظفاً.

ولما انتقل إلى الباب كان المورد المالي من ريع عقار له ورثه من والده (كرم زيتون) ودخل ضمن التنظيم العمراني، وسكن في دار ورثها من والده وكان الأخ الصالح والصديق الناصح، الحاج محمد علي الزعيتر يقوم بشؤون البيت المالية، قبل انتقال معظم الإخوة

---

[٢] - كان كثيراً مما يورد لنا هذا الحديث رحمه الله

للباب، ثم تولى ذلك أخونا الفاضل الشيخ محمود المسعود بعد انتقاله إلى مدينة الباب من حلب وسكناه فيها.

وكان من ورعه رحمه الله تعالى ونظره الدقيق، إذا أحس بأن أخاً محباً أهداه أو أعطاه شيئاً ناوياً به الزكاة، يقول له بلطف بالغ: أنا لست مصرفاً لها، كي يتدبر في أمره، ويضع عطيته في موضعها.

وقد قدمت في الفقرة ٢١ – أ- (نبذة من أخلاقه الكريمة وسيرته العطرة) شيئاً وافياً عن أخلاقه وسلوكه، جعلنا الله وأبناءنا وأحبابنا وإخواننا ممن شملهم نظر أحباب الله، وعطف علينا قلوبهم، وتولانا بماتولاهم وأعطاهم.

ولا بد لي قبل أن أختم حديثي العام عن سلوكه وأخلاقه العالية، أن أشير إلى أن أعظم أخلاقه كان؛ **ذلك التواضع الجم، ولين الجانب، وخفض الجناح، والإلفة للصغير والكبير، والغني والفقير، فماكان من أحد بمجلسه يشعر أنه بعيد عن قلبه، غير محبب إليه، بل كل من جالسه يشعر من صميم فؤاده أنه أحب الناس إليه، حتى ولوكان يجالسه أو يخالطه لأول مرة**، وهذا من مظاهر الوراثة المحمدية، التي نقرأها في الشمائل المحمدية [1].

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا الجانب خلق يتميز به عن غيره ظاهر من سيرته السالفة إجمالاً؛ ألا وهو **الزهد في الدنيا** ومناصبها وجاهها، والرئاسة فيها، التي يحرص عليها غالب الناس اليوم، بما فيهم كثير من طلبة العلم، ودعوته إلى الله بحاله وقاله، ونشره للعلم والتقوى، وهما ثمرة الدعوة الإسلامية في ربوع المسلمين في الأرياف، وتجرده لها حتى آخر عمره، مما يعزف عنه كثير من الدعاة هذا اليوم.

---

[1] – أخرج الترمذي في الشمائل من أوصاف سيدنا رسول الله ﷺ «**يعطي كل جلسائه بنصيبه، لايحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه**». الشمائل باب تواضع رسول الله ﷺ باب ٤٧

٣٩- سلوكه مع الضيوف: وكان جبر خاطر الضعفاء والفقراء والمغمورين من الناس، ومن لايأبه لهم أحد همه وشغله، فضلاً عن سواهم من المعروفين، والمحبين من الإخوان والملازمين له، فما كان يحب أن يزعج أحداً، أو يكسر قلب إنسان، بل ماكان يرد سائلاً إلا بما جاء به، أو بميسور من القول [١]، وكنا ندعوه - نحن أبناؤه - لبيوتنا فيعتذر أحياناً - وهذا في أواخر حياته - فنقول له: اجعل إجابتنا جبراً لخاطرنا، فيقول: أنتم خاطركم مجبور بالقرابة، أي لستم كبقية الناس.

وكان مسلكه في بيته، أن يأكل ماوجد، ويقدم لضيفه ماحضر دون تكلف، وماكان يحب أن يخرج أحد من البيت إذا زاره أو وفد إليه مسلماً دون (ذواق) [٢] بل لا بد أن يطعمه مما تيسر من طعام البيت، ويكرمه ويثيبه على هديته إن أهدى، وإذا كانت الزيارة سريعة، أو لم يأكل الضيف فقد كان يتحفه بسقيه ماء زمزم، وبعض التمرات من تمر المدينة، (**وكان التمر وماء زمزم متوفر لديه دائماً والحمد لله**) ويقول:

كان ﷺ يتحف أضيافه بماء زمزم [٣].

وكان بضيافته يسلك مسلك والده الذي كان يتمثل بقول النبي ﷺ: «لا تكلفوا للضيف فتكرهوه». [٤] و«**أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف**» [٥].

---

[١] - وهو من الشمائل أيضاً فقد ورد في شمائل الترمذي: (**من سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول**).

[٢] - في شمائل الترمذي ح رقم ٣٣٠ في وصف أصحاب النبي ﷺ يدخلون رواداً، ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة، يعني على الخير.

[٣] - حيث كان يتحف أضيافه أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في الحلية عن ابن عباس . وفي الجامع الصغير للسيوطي بلفظ «**كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم**». (ورمز له:حل عن ابن عباس).

[٤] - حديث (لا تكلفوا للضيف) دون كلمة فتكرهوه رواه ابن عساكر عن ابن مسعود كما في الجامع الصغير ج ص ، ورمز لضعفه، قال المناوي شارحاً : لئلا تملوا الضيافة وترغبوا عنها .

وكان الجد يقول: (**لا تتكلف بالمفقود، ولا تبخل بالموجود**)،لذلك كان الناس يحبون طعامه – كما كانوا يحبون طعام الجد على بساطته وتواضعه – ويقصدون بالأكل منه الشفاء، ويحصل هذا والحمد لله.

وفي الفقرة التالية أسجل فيها انطباعات زائريه من إخوانه ومحبيه الذين كانت تشدهم أشواقهم لزيارته بين الفترة والأخرى، أو كانت أخباره لمن لم يره تدفعهم إلى لقياه والتعرف عليه ومجالسته وسماع حديثه، ومنها يتبين بعض مواهب الله سبحانه وما أكرمه به من المحبة في قلوب الناس، والتعظيم في قلوب المحبين، وهذا يزيدنا إيماناً وتصديقاً بأنه كان ممن يتولاهم الله بعنايته، ويكلأهم برعايته، ويخصهم بإكرامه ومدده، ويسبل عليهم ستره ولطفه، ويذكرهم فيمن عنده...

---

(٥) – ذكره في الكشف، وساق له عدة روايات عن الدارقطني والطبراني وابن عساكر، وكلها تفيد النهي عن التكلف، فارجع إليه فإنه مهم .

الفصل العاشر

ما أكرم الله به إخوانه وزواره - وحديثهم عنه

٤٠ - أحاديث عنه من زوّاره وأحبابه وإخوانه:

وها أنذا أذكر في هذه الفقرة، وأنقل عن أحبابه وإخوانه الذين التقوه ولو مرة، انطباعاتهم وأحاديثهم عنه، التي سمعتها أنا وغيري منهم مراراً، ولايزالون يتحدثون بها، لتعطينا الصورة التي رأوها هم في الشيخ الوالد رحمه الله تعالى، وما أراد الله أن يكرمهم به من تثبيت إيمانهم وزيادة محبتهم للصالحين، وتكون من عوامل تقوية إيمانهم في عصر بدأ يتزعزع فيه الإيمان في قلوب الناس إلا من رحم ربي، وجعل له مع أحبابه وأشياخه صلة ورابطة.

وقد يتحدث بعض إخوانه بماجرى لهم معه وكيف أجابهم عما جال في نفوسهم، فيقول لهم - وهذا كثيراً ماكنا نسمعه منه؛ معللاً تلك الإكرامات الإلهية له - بأنه حسن ظن منهم، أو معونة من الله لهم، أو تقوية من الله لإيمانهم، ويخرج نفسه من هذا كله غير معنيٍّ به، وأن الأمر لا يخصه هو، بل إن ذلك الذي جرى مع محدثه لصدقه أو لحسن ظنه، وبتواضع جم، ونكران للذات لانظير له، ولا تشعر فيه تكلفاً، أو رياءً أو مداهنة لأحد، حاشاه من ذلك كله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. ولقد كان من أكثر الناس ملازمة له، منذ أن كان في دابق وحتى آخر حياته، أخانا الكريم حاج عبد الرحمن الجنيد [1].

---

[1] - رحمه الله فقد توفي هذا الأخ الكريم، والصديق القديم إلى رحمته تعالى يوم الثلاثاء ١ ذي الحجة ١٤٢٥هـ الموافق ١١ كانون الثاني ٢٠٠٥ في دابق وصليت عليه أنا وإخوتي ودفن في مقبرة دابق رحمه الله وأجزل مثوبته .

ولديه الحكايات الكثيرة، والقصص المثيرة عما جرى معه، وكذلك عمنا الشيخ علي ناصر رحمه الله، لكنه لكبر سنه وعدم ترددده الكثير بعد انتقال الشيخ الوالد إلى الباب لم نسمع منه إلا القليل، ولو كان عمنا الشيخ عمر ملاحفجي أيام تحرير هذه الترجمة موجوداً لحدثنا عنه الشيء الكثير، فقد كان حفظه الله ولا يزال من المتفانين بحب سيدي الوالد، وقد سمعناه مراراً يقول: (أنا لا آمن أحداً يدخل بيتي في غيابي، ولكن الشيخ محمد علي آمنه أن يدخل على زوجتي).

ولقد حدثنا عمنا الشيخ عمر ملاحفجي مراراً أنه لما انتقل من الصاخور وشرى داره الحديثة في محلة الجبيلة (بحلب) ودعا لحفل افتتاحها سيدنا الشيخ محمد النبهان رحمه الله تعالى، وكان يجلس على السطح بعد العصر الشيخ النبهان ولفيف من إخوانه – وكان عمنا الشيخ عمر دعا سيدنا الوالد أيضاً – وكان الوالد في (بارح) فقال الحاج أبو عمر دباغ للشيخ عمر مستبطئاً قدوم الوالد: أين حبيبك الشيخ محمد علي ؟ قال الشيخ عمر: فهزتني الكلمة واعتراني حال المحبة للوالد، والشوق لحضوره في هذا الحفل المبارك، فوقفت بجانب جدار البيت متجهاً للشمال – تجاه قرية والدك – وقلت (وينك أين أنت يا أبو زكريا ؟! حرِّكْ حالك) فلم تمض مدة من ذلك اليوم إلا والشيخ محمد علي حاضر، فقال أبو عمر دباغ لعمنا الشيخ عمر: ولايتك أم ولايته ؟! فقال سيدنا الشيخ النبهان: صدق المحبة والوجهة.

ولقد يسر الله – وقتها – للوالد القدوم لحلب وكان يوم الجمعة، وليس ثمة سيارات تقدم من القرية إلى حلب إلا في الصباح، ولكن يوم الجمعة لا تقدم فيه السيارات لا في الصباح ولا في المساء، يقول عمنا الشيخ عمر، فيسر الله لوالدك: من يمر عليه قادماً من قريته على حدود تركية وهو حاج حسن أفندي مرعشي، وليس له عادة المرور

على الوالد، فعرض على الوالد إن كان يريد الذهاب إلى حلب ليكون في خدمته، فقدم معه، وتمم الله لعمنا الشيخ عمر سروره والحمد لله.

■ قال الحاج عبد الرحمن: اشتهيت مرة أن أتغدى من أكلة بسيطة أحبها، ولما شرعوا في طبخها، أحببت أن يكون الشيخ معي، وقلت في نفسي: هذه الأكلة مما يحبه الشيخ أبو زكريا، فكيف آكلها وحدي، واغرورقت عيني بالدموع، ثم صعدت على سطح الدار أتلفت شرقاً وجنوباً وشمالاً، وأتساءل في نفسي أين هو الآن ؟! أفي بارح أم إرشاف أم الغيلانية، وألتفت تجاه القرى وأطلبه بقلبي طلباً ملحاً، ثم نزلت وتوجهت خارج القرية انظر إلى الطرق، وكلها مكشوفة يرى القادم منها على مسافات بعيدة، فلم أرَ أحداً قادماً على أي من هذه الطرق المؤدية إلى قريتنا، ولم أزل هكذا أراقب وانتظر، وإذا بشخص يناديني قائلاً: الشيخ صار في البيت، فجئت وسلمت عليه فرحاً مغتبطاً بقدومه، وقلت له أتشرب الشاي ؟ فقال نعم، وآكل أيضاً، ثم قال لي: ماذا جرى لك ؟ أقلقتني، فقلت لم أستسغ أن آكل هذا الطعام وحدي، وتغدينا وسهرنا ونام عندي، وفي الصباح قال لي: سأحكي لك حكاية، هناك جماعة لهم شيخ، فإذا أرادوه نادوه بقلوبهم فيأتيهم حالاً، وهم جالسون في محلاتهم، وهو في بلد أخرى، فقال لهم مرة: أنتم جالسون في بيوتكم، وأنا جسمي ضعيف، فتطلبوني، فيشق علي ألا آتيكم ويصعب على جسمي المجيء إليكم !! قال الحاج عبد الرحمن: فقلت له: شيخي، بطلت (أي لا أناديك)، فقال لي: أنا أحكي حكاية (أي أقصد أولئك الذين يطلبون شيخهم). وكان من عادة الحاج عبد الرحمن أنه كثيراً ماكان يقف وينادي لحاجة، أو زيارة فيحضر.

■ وكان عندنا – مرة – والكلام للحاج عبد الرحمن – والساعة قاربت العاشرة ليلاً، والوقت شتاء، والبيت دافيء من أثر نار المنقل، فقال لي

فجأة: كأنني سأبرد، قم واتنا بحطب لنشعل النار، وكان الحطب في الإصطبل، فدخلته لإحضار الحطب، وإذا بشاة من شياهنا تضطرب تكاد تموت، فأسرعت وذبحتها، وعدت إليه، فقال لي: ماذا جرى معك؟ قلت: ذبحت الغنمة، فقال: لاتزعل، هل هي سمينة؟! أريد أن آكل منها، فسلختها، وأيقظت زوجتي لإتمام إصلاح اللحم، فحزنت على ذبحها كثيراً، وأنا أكتم هذا على الشيخ، فقال أريد أن آكل من لحمها، ولكن بيدك أنت لا بيد زوجتك، وأنا أعلم لماذا بيدي لا بيدها، لأنها كانت غاضبة وحزينة على ذبح الشاة، فلما أحضرت له الطعام قلت له: أقسم بالله! إنك لست بردان، فلماذا تحتج بالبرد ؟ ولماذا لا تقول لي: قم اذبح الشاة قبل أن تموت ! فضحك الشيخ وقال نريد الحطب لإشعال النار والدفء عليه.

■ يقول الحاج عبد الرحمن الجنيد: ومن فضل الله علي أني كنت تحت ملاحظته ورعايته القلبية، والروحية، وكنت لاأقطع أمراً دونه، وكنت أشعر بعنايته ورعايته لي كمايشعر الولد برعاية والده بل وأعظم، وكنت لا أحج حتى أستأذنه، وفي عام ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، استحصلت على جواز سفر، فقلت له: حصلت على جواز سفر (في موسم الحج) فقال لي: مامعنى جواز ؟ (أي مامعنى الحج ؟ كما فهمته) ثم قال: أتسمع ؟، قلت نعم، قال: لاتخرج من بيتك، ولم يكن عندي أولاد لا ذكور ولا إناث سوى بنت وولد، (هو أحمد) وكان يدرس في إعدادية صوران المجاورة، وإذا سافرت فإن البيت لا يبقى فيه سوى النساء، فلم أذهب ذلك العام.

(وكنت حججت معه الفريضة بعام ١٣٧٨هـ، ولما صار تنظيم الحج كنت أستأذنه؛ فإن أذن ذهبت وتيسرت كل الأسباب، وإن لم يأذن، لا أغادر).

■ والحديث عن الحج يذكرني بحجته عام ١٣٨١هـ، ١٩٦١م، فلما عاد – والحديث للحاج عبد الرحمن – استقبلته في مطار دمشق، وكان قد مات أخوك أنس بغيابه وعمره سنتان، وهيأ الله من يدخلني إلى المطار، فاستقبلته على سلم الطائرة، فتلقاني مرحباً، وقال لي أنت هنا ؟ قلت نعم، واغرورقت عيناه بالدموع، فقال لي: كيف حال الأولاد ؟ قلت بخير.. ولما وصلنا إلى حلب ونزلنا في بيت جدك لأمك الشيخ عبد الرحمن الحوت رحمه الله تعالى، قال لي الأهل – ويعلمون دالتي عليه ومكاني عنده – قالوا لي: أخبره أنت، فقلت لا، وذهبنا إلى الباب ليسلم على جدك الشيخ محمد المسعود، وكان من عادته إذا قدم من الحج ألا يذهب إلى بيته قبل أن يسلم على والده – جدك – فسلم عليه وقال له جدك: على الإنسان أن يكون صبوراً، ويتحمل المصائب، فقال له والدك: مات أنس ؟! فقال جدك: نعم، فقال والدك: طالما أراني ربي بيته، وأزارني حبيبه المصطفى ﷺ ورأيتك حياً صحيحاً معافاً فالكل هين، وبتنا ليلتنا وحدنا، ولما خلوت معه قال لي: مرض أنس؟ قلت نعم: وأخذتموه من القرية إلى حلب إلى الطبيب ؟ قلت نعم، قال ودفنتموه في الباب ؟ قلت نعم، فأخبرني بماصار قبل أن يحدثه أحد بذلك، فرحمه الله كم كان براً كريماً على الله.

■ وعلى ذكر أخيك أنس قال: ذهبنا يوم زواج أخيك عبد الله من ابنة عمك لنأتي بالعروس، وكنا بصحبة والدك ووالدتك، فزار الشيخ والدته في المقبرة، ومر على قبر أنس الذي لم يكن بعيداً عنها، في طريق ذهابه إلى جدك، وكان هذا بعام ١٩٧٠م، فبكت والدتك عند زيارة قبر أنس، فقال لها لا تبكي، رأيته خرج من عند حضرة الحبيب المصطفى ﷺ ثم سلَّم عليَّ ورجع.

قال الحاج عبد الرحمن: فهل مثله أحد؟!وكيف لا أحبه وأتعلق به كيف لا أشتاقه، وأحزن على فراقه؟، لقد كان أباً وأخاً وشيخاً، ومربياً عطوفاً، لقد كان ملء عيني وسمعي وبصري، لقد كانت أخلاقه مما لم نسمع به ولم نره من شيخ قبله، لقد غير أفكارنا ومشاعرنا، وصرنا نعرف أن العالم هو هكذا لا غير، فصرنا نجعله ميزاناً لكل شيخ، وإن كان مثله رضيناه، وإلا لا، وهيهات هيهات أن نرى مثله ؟!.

■ وسأختم لك حديثي عن سيدي ومولاي أبي زكريا بهذه الحكاية، كان هذا في أحد أيام الربيع، وكان بيته لايزال في دابق، وكنا نجلس في بيتنا وحدنا، والوقت ضحى، وحوالي الساعة العاشرة صباحاً، قال لي: قم لنذهب إلى إرشاف، فخرجنا باتجاهها، فقال لي: تعال نستبق في الركض، فركضنا – وليس على الطريق أحد – فتابع هو، ولم أستطع أنا متابعة الركض، وبعد لحظات وإذا بالشيخ عمر ملاحفجي قادم إلينا يحمل الأثر الشريف النبوي، فعدنا إلى البيت معه فهل خرج ليستقبل الأثر الشريف أم ليستقبل الشيخ عمر ملاحفجي، أم ليطبق السنة عندما تسابق الرسول الكريم ﷺ والسيدة عائشة ؟!.

■ وحكى لنا عمنا العالم الفاضل الشيخ محمد خير الحجي المارعي رحمه الله مراراً، وكان ولايزال يحب الوالد كثيراً، قال: جئت مرة إلى دابق لزيارة والدك، وقبل وصولي إلى القرية قلت في نفسي إن كان الشيخ محمد علي ولياً لله فإنه يستقبلني، فلما وصلت مشارف القرية، إذا به يستقبلني ويسلم علي ويرحب بي فقلت له: مالذي جاء بك إلى هنا ؟ قال: ولايتك ! وضحك ! وأخذني إلى البيت، وبعد سهرة حلوة ممتعة معه، ومع الإخوان المحبين، استأذنته في العودة إلى مارع، فطلب مني المبيت، وعدم العودة ليلاً، فأصررت على الذهاب، كشأننا أهل مارع إذا عزمنا على أمر، وودعته وسرت – وكان ليلاً مظلماً – تجاه مارع، وبينها وبين دابق حوالي

ساعتين سيراً على الأقدام، والطريق غير معبد، وبين القريتين يمر أحد روافد نهر قويق، فداخلني الخوف وفزعت في نفسي من اعتراض وحش أو غيره في الطريق وأنا وحدي، ولم أقطع مسافة بعيدة عن القرية فقلت في نفسي: بعدما قررت العودة إلى دابق، وعدت فعلاً، الدليل على ولاية الشيخ محمد علي أن يخرج لاستقبالي ودلالتي في هذا الليل المظلم إلى بيته، ولم تمض دقائق، وإذا بالشيخ محمد علي بيده فانوس، يناديني ويؤنسني حتى وصلت ونمت ليلتها عنده.

■ وحكى الشيخ محمد خير مراراً، أنه قال في نفسه مرة، هل حوى الشيخ محمد علي وهو الزاهد في الدنيا عشر ليرات في جيبه، وكان بحضرة الشيخ، قال: ولم يتم الخاطر في نفسي حتى أخرج الشيخ محمد علي من جيبه عشر ليرات أراني إياها، ثم أدخلها في جيبه.

■ وكان الشيخ محمد خير حفظه الله وعافاه يتردد على دابق كثيراً لزيارة أخيه في الله الشيخ الوالد وكان سيدي الوالد بمثلها أيضاً يزور مارع ويزور أهل العلم فيها، أمثال الشيخ محمد خير والشيخ يونس عبد الغني، وغيرهم، من أهل العلم والفضل والصلاح، وفي أواسط الخمسينات الميلادية (مايوافق السبعينات الهجرية) كانت السهرات عامرة بالعلماء والإخوة المحبين، وكان عمنا (الشيخ عبد السلام) الشهير (بالشيخ عبد) الفرهودي (في دابق)، في أول أمره في سلوك الطريق النقشبندي، وكان يكثر الصياح، وتغلب عليه الأحوال، وهو في مجلس العلماء والمحبين، وكان الشيخ محمد خير ينزعج من ذلك، فقال له مرة: أتريد أن تعمل علينا مشيخة ؟! وذهب غاضباً عائداً إلى مارع، وتأثر سيدي الوالد من ملاحاته، ولما اتجه الشيخ محمد خير إلى مارع لم يهتد إلى الطريق، فكلما سار مسافة يجد النهر أمامه، أو غير ذلك، - شك المحدث- فندم وصاح: يا شيخ محمد

علي تعالَ أرجعني إن كنت ولياً، فجاء سيدي إليه فوراً وقال له: لا تزعل من الشيخ عبد.

■ وحكى لنا مراراً الأخ المحب محمد بهاء العمر المارعي (أبو دياب) أن صديقه (أبا نضال) وكان في قلم قيادة الشرطة بحلب، طلب منه أن يذهب معه لزيارة الوالد في بيته في الباب، قال أبو دياب فقلت في نفسي إن أبا نضال محب للصالحين، فلو أراه الشيخ كرامة لازداد حبه للصالحين، فلما وصلنا الباب وسلمنا على والدك، قال لي الشيخ رحمه الله فوراً: الذي يزور الصالحين وقلبه مسلم لهم لا يحتاج إلى كرامات، فخجلت في نفسي كثيراً، إذ أنني لا أقصد شيئاً سوى زيادة حب الصالحين، فكان جواب الشيخ هكذا.

■ قال الأخ محمد بهاء العمر وزرنا الشيخ رحمه الله أنا ووالدي فقدم لنا ضيافة (رز بحليب)، فقال لي والدي همساً لا يكاد يسمعني: هذا رز بالحليب طيب، فقال الشيخ له فوراً كل حصتي وحصتك.

■ ويتابع الأخ محمد بهاء العمر قائلاً: كنت أجلس معه في البيت القبلي الذي يجلس فيه دائماً، وأحضروا السفرة – كعادته في تقديمها لكل داخل عليه – وكان في السفرة بيض مقلي فاشتهيته في نفسي لكنني حدثت نفسي: هل هذا البيض خاص للشيخ ؟ فقال فوراً بعدما قدمه لي: هذا فَضَل(زَادَ) من البارحة، وهو ليس خاصاً بالشيخ.

■ وكان الأخ المحب يحيى نجيب الشهابي يصحب الشيخ كثيراً بعدما سكن في الباب وينقله في سيارته كل جمعة إلى منطقة إعزاز، ويضعها تحت تصرفه في البلدة أيضاً إن أراد الشيخ الإنتقال والذهاب إلى أي مكان، فجزاه الله خير الجزاء، قال: كنت مرة معه أوصله إلى المقبرة (وكانت في سفح جبل الشيخ عقيل) لزيارة والده، فكنت أنزله بالجهة الجنوبية للمقبرة، ليزور والدته وآتي بالسيارة من الجهة الشمالية حيث والده، وأوقفها على الطريق باتجاه العودة، والطريق منحدر شديد

الأنحدار، فأوقفتها مرة بعد نزول الشيخ، ونزلت لزيارة قبر جدي – جد له – ونسيت شد الفرامل، ووقفت السيارة، ويمكن أن يكون دولابها على حصوة أو حجرة صغيرة، فما إن وصلت إلى الشيخ وإذا بالسيارة تنفلت مسرعة باتجاه المنحدر، قال أبو نجيب: فصرخت ياشيخي السيارة !! فلما رآها الوالد وسمع صياحي صاح أيضاً، وأظنه قال يارجال الله احبسوا، وما أنهى كلامه حتى وقفت السيارة مكانها فجأة، وصار صوت كبح الفرامل مسموعاً، وثار الغبار وسقط الزجاج الأمامي للسيارة، من شدة صدمة الوقوف، ولم ينكسر وركض الناس إلى السيارة لما سمعوا الصوت، ورأو الوقوف الفجائي، فجاء الشيخ وتقنع بعباءته وركب وقال لي احمل البلور في السيارة، وامض بنا بسرعة، لا يريد أحداً أن يراه ومضينا، والحمد لله على السلامة.

■ وإن هذا التعلق بالوالد – طيب الله ثراه – أمر طبيعي في كل من خالطه وعاشره بصدق المحبة وحسن الإعتقاد، فإذا حدث هذا التجاوب القلبي بين الإنسان وبين من يحب لابد أن يجيب المنادي المحبوب مناديه المحب، سواء ناداه بلسانه أو بقلبه.. وقد كنت – كاتب هذه السطور – لدى إقامتي في القرية بارح قبل زواجي وأوائل دراستي الجامعية حيث كنت موظفاً في ناحية أختـرين، وهي بقرب بارح وذلك بعامي (١٣٨٢-١٣٨٤هـ- ١٩٦٢- ١٩٦٤م).

أقول: كنت أقيم لديه وهذه أول فرصة أتيحت لي للإقامة في بيت والدي بعد سن الوعي وانتهاء الدراسة الثانوية، وكنت قد تعلقت به تعلق المحب قبل عامين عندما كنت في حلب، وكان يتردد بكثرة راعياً لنا – أنا والإخوة حيث كنا ندرس هناك – زائراً متفقداً لإخواننا، فلما صارت إقامتي عنده زاد التعلق بجنابه والحب له أكثر من حب ولد لوالده، ومرة انصرفت من وظيفتي بعد الظهر وعدت إلى البيت فسألت عنه الوالدة فلم تدر أين هو، وضاقت بي الدنيا وغلبني الشوق

إلى رؤياه فركبت دراجتي العادية وانطلقت من القرية وخطر ببالي أنه في قرية إرشاف فسلكت طريقها وفي منتصف الطريق التقيته قادماً إلى البيت بسيارة أحد المحبين فتوقفنا وسلمت عليه وسألني هل حدث في البيت شيء فقلت:لا، إلا أنني ضاقت بي الدنيا حيث لم أرك فطلبتك بقلبي، فقال: خيراً إن شاء الله، فلنعد إلى مضيفنا وعدنا سوية إلى بيت ذلك الرجل الذي كان مضيفاً للوالد ليجبر خاطره ويكمل سروره، وكان سروره لا يقدر بعودة الشيخ والحمد لله على هذا.

■ ومن فرط محبته وعطفه أنه كان لايصرح بألفاظ الأمر والنهي، بل كان يقول من الأفضل عمل كذا، ومن الأحسن اجتناب كذا مع أولاده وغيرهم.. وذات يوم من أيام رمضان –والله أعلم – استأذنته في السفر إلى حلب – وكنت لا أزال عنده ووظيفتي في أختـرين، والسفر إلى حلب يتم من محطة القطار فيها، وهو الوسيلة الوحيدة آنذاك (١٣٨٣هـ ١٩٦٣م) فقال لي: إن والدتك تسر بإفطارك عندها، فقلت: لي عمل ضروري بحلب ولم أفصح عنه، وأنا أعلم إن صرحت له بغاية السفر فإنه لا يريدها ولكن لم يرد أن يصرح بالنهي عن السفر، حتى لا أكون عاقاً بمخالفة أمره فكرر القول إن إفطارك لدى والدتك يسرها فقلت: سأسافر، وقبلت يده وتوجهت إلى أختـرين ممتطياً دراجتي، وأنا أسرع حتى لا يفوتني القطار، وفي منتصف الطريق انكسرت (دعاسة) الدراجة، فقلت أتابع السير مشياً على الأقدام، فالمسافة بينهما (٤)كم، والقطار يتأخر في محطة أختـرين على الأقل ساعة زمنية، فتابعت السير مشياً على الأقدام أسحب دراجتي، ولم تمض دقائق حتى وصل القطار (المحطة) فقلت في نفسي:أدركه فإن وقوفه الطويل عادة يمكنني من اللحاق به، ولم تمض دقائق أخرى حتى مشى القطار مغادراً المحطة فغضبت – في نفسي- أن فاتني الموعد، ورجعت أدراجي إلى البيت فاستقبلني الوالد وعلى شفتيه ابتسامة ؟.

فضحك مني وقال: خيراً إن شاء الله، وإفطارك مع والدتك يسرها ويسرك..

● ويوم ولدت لنا مولودتنا الأولى (رقية أم الخير) حفظها الله ومن يلوذ بها، وذلك بتاريخ ١٣٨٧هـ، (١٩٦٧/٢/٢٢) وكانت أم يحيى قد ذهبت إلى حلب استعداداً للولادة هناك، قال سيدي الوالد لوالدتي (ساعة الولادة) إن زكريا رزق ببنت، فقالت أمي: نريد صبياً، فقال لها: جاءت البنت وخلص (انتهى) ولكن الله سبحانه أكرم أمي بالصبي بعد فترة إذ كنت لديهم في القرية أقرأ في المصحف ومررنا بالآية: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ قال لي: إذا جاءك غلام فسمه يحيى، وبعد فترة أخرى أيضاً كانت قراءة بحضوره ومرت هذه الآية أو أخرى تبشر سيدنا زكريا عليه السلام بيحيى فقال (إذا جاءك غلام فسمه يحيى) فلما ولد يحيى أرسلت إليه وكنت مقيماً في حلب وذلك بعام ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م وكان في بارح: ولد يحيى فماذا أسميه ؟!.

■ وكان المداح المرحوم الحاج مصطفى اليوسف الدابقي، يحكي قصص صحبته للوالد وما رأى منه من لطائف وأخلاق وتواضع وحلم وبركات وخيرات، في أسفاره معه في المنطقة (ريف اعزاز) وفي الحج، ويؤكد أن عينه مارأت ولم تر مثل الشيخ محمد علي، وليس هناك من استولى على قلبه وعقله مثله،

ومما حدثناه مراراً قال: دعانا الشيخ اسماعيل الحمدو إلى طعام لديه في الغيلانية فذهبنا أنا والشيخ عبد الرحمن ريحاوي بكور وصالح الصوراني (من دابق) وحاج محمد العيسى من حزوان، اتجهنا من دابق ملبين دعوة الشيخ، ونعلم أن شيخنا أبا زكريا عنده، وكان الوقت ربيعاً كما أظن، وجلسنا في الطريق نستريح قليلاً، ونتحادث فيما بيننا، فقلت للشيخ عبد الرحمن: هناك (موّال) لاأدري أمن نظم

الشيخ أمين الجندي أم غيره ؟، وفيه كلمة لا أعرف معناها فهل تعرف أنت معناها، فقال ماهي ؟ قلت: كلمة (الظُّبا) في قوله:

لي مهجة بعدكم فرط الأسى ملَّها
تهوى هواكم أبداً، لو بالظبا ملها
زاد اشتغالي بكم باللهو مع من لها
حتى على عبدكم أعدى الأعادي جار
ظلماً وعني تخلى كل خِلٍّ وجار
عار على الجار أن يرضى بذل الجار
إن لم تكن يا أبا الزهرا لها من لها ؟.

قال الشيخ عبد الرحمن: لا أدري لمن ! فقلت هناك أبيات تقولها أنت؛ من نظم من هي؟ أهي للشيخ عيسى البيانوني أم لشاكر الحمصي أم غيرهما ؟ لمن هي ؟ وهذه الأبيات:

إن رمت سكنى جنان الخلد أعدى لك
إركب خيول قيام الليل أعدى لك
واملأ من الخير أخراجك وأعدالك

فقال الشيخ عبد الرحمن: هي للشيخ شاكر فقلت أنا:لا، واختلفنا فقلت نصل ونسأل شيخنا الشيخ محمد علي عنها، ولا يحلها إلا الشيخ، فلما وصلنا وجدناهم جالسين على السفرة، قال حاج مصطفى: قلت في نفسي بعد الغداء نسأل الشيخ، ولم أُنْهِ خاطري حتى قاطعني الشيخ محمد علي قائلاً: يا أبا يوسف عندك موال من نظم الشيخ أمين الجندي تقول فيه من لها وملها، فقلت ياسيدي أكنت

معنا ؟ فقال: الظُّبا حد السيف، وأما أبيات الشيخ عبد الرحمن فهي من نظم الشيخ عيسى البيانوني.

■ وهو في هذه الأمور لا ينسب لنفسه شيئاً، بل إذا نسب أحد إليه منها شيئاً يقول له: هذا حسن ظنك وصدق توجهك.

■ وعنايته ورعايته لأحبابه وإخوانه مما لا يحصر ولا يضبط، فما من أحد ممن عرفه وخالطه إلا وله معه قصة وحكاية تشعر باهتمامه به، ورعايته له، وبالأخص أبناؤه..

وكان إذا قال له أحد من الإخوة أو من يلوذ بنا من القرابة القريبة (ادع لي) يقول هذا الأمر لايحتاج إلى طلبكم، فقد قال أحد الصالحين لأحد أبناءه: يابني إني لأجعل لك من صلاتي شيئاً (أي أصلي لله بنية حفظك ورعايتك وقضاء حاجاتك) وهكذا كان اهتمامه بمن يحب من أهل وأصدقاء وإخوان، ومما مضى من الصفحات التي قدمنا يظهر هذا الذي نقول واضحاً جلياً.

قراءته وتوجهاته لشفاء المرضى :

■ وكان أغلب زائريه من المحبين، والإخوان الصادقين ومعارفه المترددين عليه، ومن يسمع بأحواله المباركة من بقية الناس، يرغب أن يرى كرامة أو كشفاً أو تقضى حاجته أو يشفى مريضه، على حسب النية والغاية التي زاره من أجلها، ولم يكن الله سبحانه ليخيب رجاءهم ومقصدهم فيحصل لهم المطلوب وتقضى حوائجهم، وكان يكتب لهم (رقى) بنية شفاء مرضاهم، وكان غالباً مايكتب الفاتحة الشريفة وأحياناً – وهذا بعد مجيئه للباب– كان يزودهم بماء زمزم، على نية شفائهم فيحصل المقصود بفضل الله وينسبه هو إلى بركات ماء زمزم، وكان الجيران يرسلون أطفالهم إذا أصابتهم الأمراض للقراءة فيقرأ لهم ويبرأون بإذن الله وكذلك كان يأتي أهل الأمراض التي عسر شفاؤها

على أيدي الأطباء، فيكرمهم المولى سبحانه بالشفاء وكثيراً ماكان يزودهم (بِرُقْيَةٍ مكتوبة).

وأما المرضى الذين يقصدونه من أجل القراءة للشفاء هم أو ذووهم أومن يحبه، ولولم يأته، أو من يلوذ بهم فإن هذا أمر مستفيض ومشهور، وسنذكر بعض ما علمناه من قريب، وما أسعفتنا به الذاكرة، فمن هذا:

- أمر شفاء أخينا وصديقنا الطبيب الجراح الدكتور جمال حمدو المحمود حيث أصيب – عافاه الله – بنوع من أنواع السرطانات في المعدة يسمى (داء كرون) وكان على درجة من المحبة للأولياء والصالحين والإعتقاد بهم وبالأخص الوالد واضطر إلى إجراء عمل جراحي لاستئصال القسم المصاب في المعدة، وهي عملية خطرة وبالرغم من أنه طبيب جراح ويعلم أثرها وخطورتها ولزوم العناية الشديدة أثناءها وبعدها خوف الإختلاطات، وضرورة سلامة الأنابيب المفرغة للدم والقيح والمواد الضارة للجسم..، وبعد التهيئة للعمل الجراحي، دخل غرفة العمليات وهو يردد أبيات سيدي الوالد:

ياسيد السادات ياخير الورى ... روحي إلى نعليك جاءت تضرع
إني احتميت بظل نعلك سيدي ... من كل صد عن جنابك يمنع
لا تنسني يافخر سادات الورى ... وارحم ضنأي فإنني متوجع
ألقيت حاجاتي ببابك سيدي ... ورميت حملي والمكارم أوسع
صلى عليك الله يا علم الهدى ... دوماً صلاة فيها جاهك يرفع
والآل والأصحاب أرباب التقى ... والتابعين ومن هداهم يتبع
ما صاح قمري بغصن أراكة ... أو لاح برق في سماء يلمع

ودخل غرفة العمليات بتخوف شديد من جميع من حوله من هذا العمل الذي قد يودي بحياته، وكان أكثر الخائفين عليه زوجته المصونة الدكتورة إلهام تاج الدين، التي كانت أكثر الناس قلقاً على حياته، وخوفاً من نتائج الجراحة.

وبعد إجراء العملية بنجاح وخروجه منها إلى غرفة العناية المشددة؛ لإجراء الإنعاش وإذا به يرى الوالد الشيخ محمد علي المسعود يرقاه (يقرأ عليه) ويطمأنه بأنه قد زال البأس، وحصل الشفاء بإذن الله، وفي الحال يستيقظ من التخدير ويخلع الأنابيب المعلقة بجسمه، علماً أن سحبها فيه خطورة شديدة، فدهش الأطباء الحاضرون من صنيعه؛ ماذا حصل له ؟ هل انتابته حالة عصبية ؟ ولكن الذي حدث أنه شعر بالعافية والشفاء وهو بكامل رشده وصحته، وخرج من المستشفى بعد أيام بعدما زال الخطر ولم يعد له أثر، ولايزال يتمتع بالصحة والعافية إلى الآن بعد مرور سنوات على الجراحة والحمد لله على ذلك.

■ ومن هذا أيضاً ماحصل من الأخ حاج علي بن محمد جديد من الباب فقد أصيب بأمراض أفقدت أهله الأمل في شفائه، وقرر أطبائه المعالجون له أنه لابد من إجراء العمل الجراحي في مشافي دمشق، ولما كان يصعب نقله من الباب إلى دمشق بسيارات عادية، لأن الأمر جد خطير وكل يوم يزداد الخطر، فجهز له والده سيارة إسعاف مع مرافق صحي يصحبه فيها إلى دمشق، وقبل السفر رأى والده أن يزور الوالد ليرقاه ويكتب له رقية ففعلوا، وقرأ له الوالد وأعطاه ماطلب، وتوجهوا إلى دمشق، وكان الوقت شتاءً والبرد قارس ووصلوا إلى المستشفى، وأجريت للمريض الفحوص والتحاليل اللازمة مع الصور، فاستغرب الأطباء قدوم هذا المريض الذي لا توجد فيه علة تستحق النقل إلى المستشفى فضلاً عن قدومه إلى دمشق!!، ومكث في المستشفى عدة أيام، وفي كل يوم يتماثل

للشفاء، ولم يحتج على عمل جراحي أو معالجة متميزة كما هو متوقع، وكما كان يخشى الأطباء الذين قرروا إسعافه بهذه الإجراءات المشددة، وبرىء بإذن الله وببركة لجوئه إلى الله سبحانه واستشفائه بالقرآن الكريم على أيدي الصالحين، وهو الآن يتمتع بصحة جيدة وعافية تامة، وقد أكرمني الله بالحج منذ عامين فكان بصحبتي مع بعض الإخوة المحبين، وأفضنا من عرفات إلى مزدلفة إلى منى إلى مكة سيراً على الأقدام، وفقه الله وأتم عليه العافية مع التقوى هو وسائر أحبابنا والمسلمين.

■ ومن ذلك أيضاً أن صديقنا وأخانا الأستاذ حسن عبد الحميد أبو جمعة، جاء مرة يقرع باب سيدي الوالد مستأذناً للسلام عليه ويحمل بيده قارورة ماء فسأله أخي الشيخ محمود المسعود حفظه الله ما شأن القارورة فأخبره أن ابنه حمدي في مدينة الرياض هتف له مستشفياً يرجوه البحث عن رجل صالح يقرأ لابنه المريض في المستشفى في الرياض، والذي أصيب بخناق أعيا الأطباء من شفائه هناك، مع كثرتهم وتوفر وسائل العلاج، وقالوا لوالد الطفل: أن طبنا لم يعد ينفع، فإذا وجدت رجلاً صالحاً يقرأ له فعليك به !.

قال الأستاذ حسن: فلم يخطر في بالي رجل صالح تقي عالم غير شيخنا الشيخ محمد علي المسعود وجئت لذلك، فأخذ أخي الشيخ محمود القارورة إلى الوالد في غرفته وقرأ عليها ماتيسر من القرآن وآيات الشفاء، ثم أعطاها له، فأرسلها الشيخ حسن إلى الرياض ليسقي منها حفيده المريض فبرىء بإذن الله تعالى.

■ وحدثني أخي عبد الله المسعود أن أخاً سودانياً اسمه (صالح مقدم) كان يعمل لدى صهرنا الشيخ محروس بن لادن، في المدينة وقد أرسله الشيخ محروس إلى جدة في بعض شؤونه ومع أحد أولاد أخي أحمد واسمه (محمود) وجرى لهم أثناء الطريق حادث سير

انقلبت فيه السيارة عدة قلبات وخرجت عن الجادة الإسفلتية، وإذا بهم يرون شيخاً في الطريق ينهضهم، ويأخذ بيد الولد ويقول لابأس عليكم، ولم يصابوا بأي أذى سوى جروح طفيفة أصيب بها الأخ السوداني، وكانت المدينة أقرب إليهم فأسعفوا إلى أحد مشافيها، فرأى الأخ مقدم الشيخَ مرة ثانية حوله في المستشفى يطمإنه بأنه لا بأس عليه ويدعو له ويقرأ له، ولم يكن هذا الأخ السوداني يعرف سيدي الوالد، فلما قدم الوالد إلى المدينة بأحد زياراته لها وكان معه الطفل محمود ابن أخي قال الأخ مقدم لأخي أحمد: هذا هو الشيخ الذي رأيته أثناء الحادث، رحم الله سيدي الوالد ونفعنا به، ورزقنا بره وبركته.

■ وذهبنا مرة – والقول لمحمد علي الزعيتر – إلى بستانك ومعنا الشيخ عمر ملاحفجي، وكان يشكو من ألم رجليه ومن عادة الشيخ أن يجلس متأدباً في حضرة من يزوره، إذا لم يكن من الخاصة أو أبنائه، فمد رجليه، وقال للشيخ عمر مد رجليك هكذا.

■ قال أخي الشيخ عبد الله: لما شرفنا الله تعالى بالحج والزيارة بمعيته في عام ١٤٠٢ انطلقنا قريب المغرب لزيارة مسجد قباء – قبل إصلاحه وتوسعته الحالية – وصلاة المغرب فيه ومعنا الحاج محمد اليونس والمنشد مصطفى الدابقي رحمهما الله – وبعد صلاة المغرب – خرجنا من الزحام في المسجد – وجلسنا للإستراحة فوق المرج تحت الأشجار – في ملتقى طريق قباء الطالع والنازل، فالتفت إلينا قائلاً هذه الجلسة ماذا تحتاج ؟ فقلنا الشاي، وبعد لحظات قُدِّم لنا – ترمس – ابريق من الشاي مع الكاسات اللازمة، فشربنا الشاي وحمدنا الله تعالى على كرمه وشرف المعية وزيارة هذا المسجد المؤسس على التقوى من أول يوم ثم صلينا العشاء – في مسجد قباء – وعدنا إلى المنزل والحمد لله رب العالمين.

صورة من تواضعه:

ومع هذا كله لم يكن يحب أن يظهر بمظهر المشيخة أوالأستذة على أحد، ولا حتى على أولاده، بل كان رفاعي المشرب – ذوقاً وفعلاً – حيث كان يقول سيدي أحمد الرفاعي: (**أنا لست بشيخ، حشرت مع هامان وفرعون إن كنت أرى نفسي شيخ المجلس أو من أحد أفراده، أنا لاش اللاش، أنا أحيمد**) ﷺ، ولذا إذا اشتم من أحد أنه يريد أن يكون له مريداً أو تلميذا أو أن يفعل مايفعله المريدون مع أشياخهم، ينفر من هذا ويكرهه، فإنه لايريد في قرارة نفسه هذا الوصف ويرى أنه غير أهل له، ويرى ذلك تحققاً وذوقاً لا تصنعاً وتكلفاً..

■ لذلك لما جئت من الحج بعام ١٤١٠هـ، وقد أجازني الشيخ المسند ياسين الفاداني المكي بإجازة خطية بعدما حضرت آخر مجالسه رحمه الله – وتوفي بعدها بأسبوع – قال لي (الفاداني) أحضر على والدك وتلق عنه، فطلبت منه أن يقرأ لي ولمن حضر، فامتنع، لأنه رأى في ذلك مشيخة – أنا أطلب فيها التلمذة أو الإجازة أو غير ذلك، وقال لي الأخ محمد علي الزعيتر، طلب ذلك قبلك منه أستاذه الشيخ أحمد الحامد النعساني مراراً وأراد منه أن يقرأ عليه كتاباً، وألح في الطلب، وأحضر الشيخ أحمد الحامد كتاباً، وصار يقرأ والشيخ يسمع، ولايجيب بكلمة –ثلاثة أيام– في كل يوم يعاود القراءة والشيخ صامت، حتى أيس منه وطوى الكتاب ولم يعد لمثلها، مع كمال حبه وتقديره العظيم لوالدك، وتقدير والدك له..

ومع هذا لم يكن يترك مدارسة العلم والقراءة مع الإخوان أبداً حتى توفي رحمه الله.

ولكن هذه المدارسة بهيئة التواضع، ولم يطلب منه أحد أن يكون مريداً أو تلميذاً، وهذا هو الفرق.

■ أقول – قدمت – أنه لم يكن من عادته التصريح بالأمر والنهي، إلا في المجالات التي تحتاج إلى ذلك، كأن تسيطر على أحدنا حالة مما لاينفع فيها التلميح أوالإشارة، كما حدث معي عام ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م عندما كلفتني لجنة بناء جامع الفتح بحلب بإمامة وخطابة الجامع أول افتتاحه بذلك العام، وكان بيتي في أقيول بحلب والجامع بجانب (الجامعة) فخيرني جماعة اللجنة بين شراء سيارة لي تنقلني إلى المسجد في أوقات الصلاة أو شراء بيت لي قريب من المسجد، فاخترت البيت، وشاورته في ذلك وعرضت عليه بيع بيتي لتكملة شراء بيت مناسب لي بجانب الجامع، وهممت بذلك بجد، وصرت أبحث عن بيت هناك، وصرت أعرض عليه الأمر فكان يوجه أمري إلى مشيئة الله، وشعرت بعدم رغبته في بيع بيتي، إلا أن حالة التوجه لشراء بيت جديد كانت تلازمني، ولم ألتفت إلى تلميحاته وإشاراته بعدم بيع البيت، فلما رأى شدة إقبالي على هذا الأمر قال لي بصراحة: لاتبع بيتك، فالتزمت آنئذ وصيته، وصرفت الأمر عن خاطري، ولم تمض أشهر قليلة حتى جرى ما يوجب تركي إمامة الجامع فتركته، ولم تمض شهور أخرى إلا وحدثت فتنة عام ١٩٧٩-١٩٨٠م في بلادنا، وذاقت حلب من ويلاتها الشيء الكثير، وكان الخير في حقي ترك الجامع، وعدم بيع بيتي في إقيول، فحفظني الله سبحانه – ببركاته وتوجيهاته – من كثير مما وقع فيه الشباب المؤمن..، ثم أراد الله لي الخير فانتقلت إلى الباب لأكون تحت ملاحظته ورعايته وأكون في خدمته، وأقرب إلى رضاء الله سبحانه ورضائه.

بعض بركاته وتوجيهاته:

■ ولما شغلت منصب الإفتاء ثم الأوقاف في البلدة – الباب – شعرت شعوراً أكيداً، بل أيقنت أن ملاحظته لي ونظره المبارك علي هو

سبب كل توفيقي في قيامي بهذه النهضة الإصلاحية للأوقاف وعمران مساجدها، والعناية بأرباب الشعائر وبخاصة طلبة العلم.

■ وكنت أحس بمدى التوفيق الرباني لي، وتيسير الأمور التي أريدها للوقف، ممالم يكن ميسراً من قبل، وقد كان إذا قصد السفر لعمرة أو حج ولم أكن معه أقول له: لا تطل غيابك علي، لأنني أحس العناية الفائقة بوجوده كما يحس أحدنا بنور الشمس ليس دونها غيوم، وكنت إذا حدثته بذلك يقول:(هذا بفضل بركات جدكم ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾).

■ وكنا نقرأ في الدرس الصباحي اليومي الذي يحضره بعض الإخوان المحبين، نقرأ شيئاً من التصوف والفقه والنحو، ولما صرنا إلى قراءة الرسالة القشيرية، نقرأ فيها أخلاق الأولياء والصالحين، يقول أخونا الأستاذ عبد الله دبش: ماكان يمر علينا خلق من أخلاقهم إلا وأبحث عمن يطبقه ويتحقق به في المعاصرين، كالإيثار، والفتوة، والحلم والسخاء، فلا أجد أحداً سوى شيخنا الشيخ محمد علي، وقال: لما مر معي حديث سيدنا أنس ﷺ:« **مامسست ديباجاً ولاحريراً ألين من كف رسول الله** ﷺ» [1]، قال كنت أشعر بهذا عندما ألمس يد الشيخ وأقبلها.

■ يقول الأخ عبد الله دبش، وأصابني في أحد أيام الجمعة ضيق نفسي شديد، آلمني حتى ظننت أنها آخر ساعات حياتي، وبدا على وجه زوجتي الخوف مما حل بي، وجئت إليك أستشيرك فيما حل بي، فأشرت علي بالذهاب إلى الشيخ والجلوس بين يديه ليقرأ لي ويدعو الله بشفائي، فذهبت وما إن جلست بين يديه ونظرت إليه حتى ذهب عني ماكان يؤلمني وسري عني في الحال قبل أن يقرأ لي.

---

[1] – أخرجه الشيخان والترمذي عن أنس ﷺ.

■ ويحدث أخونا الحاج عدنان فرحات عن سفرته مع الوالد للحج (عام ١٣٩١هـ ١٩٧١م) حيث كنت بمعيته يقول: كان الشيخ بجانبي في السيارة التي أقودها، وكانت كلما تأتيني خاطرة، يحدثني الشيخ بما يصدها ويبعدها عني وهكذا طول الطريق، ثم قال لي: يابني إذا جاء إنسان إلى بيت صديقه ونبحه كلب الدار فإنه إذا ضربه بحجر يعاود الكلب النباح عليه فيضطر لضربه بحجر آخر أما إذا صاح على صاحب الدار (يامحمد) مثلاً فإن صاحب الدار يطرد الكلب ويريحه منه، والشيطان كلب الإنسان.. قال الحاج عدنان فأراحني رحمه الله وصرت أذكر الله فانزاحت عني الخواطر، وأرحت الشيخ من الحديث عما يصد هذه الخواطر.

بعض توجيهاته التربوية :

■ أما الأخ (مصطفى سعيد الملوك) فقد كان للشيخ معه حال تربية خفية أحسها ولاحظها فسلم زمام الأمر واستراح من التعب يقول وهو المحب الصادق للشيخ رحمه الله، لما شريت سيارة أردت البركة بركوب الشيخ بها، فذهبت مع عمنا محمد علي الزعيتر بناءً على رغبته، ليذهب الشيخ إلى البستان كعادته يومياً، فلم يخرج الشيخ رحمه الله ذلك اليوم، وجئنا في اليوم التالي أيضاً فلم يخرج كذلك؟ فقلت لنفسي: أنا السبب في عدم خروج الشيخ، لأنه كان معي شيء من العجب أو الغرور، وكنت أظهر في نفسي أنني صالح، فتراجعت وتذللت لربي واستغفرت الله سبحانه وقلت لنفسي إذا لم يخرج الشيخ هذا اليوم فمعنى ذلك أن عملي كله غير مستقيم وأمري غير صحيح وجئته في اليوم الثالث بهذا التواضع فيما بيني وبين نفسي ودخلت عليه وسلمت عليه فوضع يده على كتفي بعد رد السلام وقال: اليوم نجبر بخاطر ابن أخينا ونخرج معه.

فجعلت هذه الحادثة ميزاناً لنفسي، وصرت في الأيام المقبلة لا أجد لنفسي ميزة على أحد، وأصحح نيتي دائماً وأراقب سري وبخاصة إذا خرجت معه.. وأصبح الأمر – بعد ذلك – عندي عادياً إن خرج الشيخ معي فإكرام لي وإلا فقد عرفت السبب.

■ وقد دخلت في ميزان ومعادلة صعبة بل في امتحان عسير على نفسي –والكلام لمصطفى المللوك – وذلك يوم وفاته، فقد كان لي على أحد الناس دين ووعدني يوم الوفاة أن آتي لحلب لآخذ منه مبلغ /٣٠٠/ ألف ليرة سورية من الدين وذلك صباح اليوم التالي للوفاة، ولما علمت مساء بوفاة الشيخ وأن الجنازة ستخرج صباحاً، قبل الظهر (حدثت الوفاة بعد العشاء الساعة العاشرة ليلاً) صارت تتأرج همتي بين الذهاب لحلب أو حضور الجنازة، لأنه كان علي طلبات واستحقاقات، وإن كان عندي مال غيره لكن هذا المبلغ يغطي كل الطلبات المتفرقة، وفي الصباح قلت لنفسي إن حضور الجنازة لا يعوض، فذهبت مع الجنازة ولكني بعد نزولي من المقبرة عاودني الكرب من جراء الإستحقاقات التي علي، وقد فات موعدي مع من سيعطيني المبلغ الذي ذكرته، وفي المساء صرت آتي مع إخواننا إلى جامع الشهداء لاستقبال المعزين، فإذا دخلت المسجد زال عني الضيق وصار بدله الإنشراح والسرور، ولكن إذا خرجت تعود الدنيا لضيقها والكرب يعاودني وهكذا حتى مضت أيام التعزية الثلاثة، فهيأ الله سبحانه لي من طرف آخر مالاً سددت به ديوني بحمد الله وفضله وصار هذا الشخص المدين لي وهو مدين لغيري كلما تيسر له مبلغ من المال يريد إعطاءه لغيري فلا يجد نفسه إلا وكأنه مجبر لتسديده إلي فسدده لي بدل أن يرسله لغيري ولا يدري هو لماذا أما أنا فأدري لماذا، إنها بركات الشيخ رحمه الله حياً وميتاً.

■ أما الأخ يوسف الواكي وهو من محبي الشيخ من مدينة الباب فقد كان موظفاً في الأحوال المدنية في الباب، ولم ير أملاً في تيسير حج ذلك العام حتى يئس من السفر، ثم جاء يزور الوالد وكان بعض الناس يستأذنونه ويودعونه للسفر إلى الحج قال (يوسف) فالتفت الشيخ إلي وقال لي: سلم لنا على سيدنا حمزة قال ففتحت أمامي الأبواب وتيسرت ذلك العام ببركة الشيخ.

نظرات وداع:

■ ولما جاء أخونا الأستاذ عبد السلام البيراوي لوداعه قبل سفره إلى الأمارات وذلك قبل وفاته بشهر ونصف تقريباً قال، فقلت له: ادع لي سأسافر، فقال لي: أما تتأجل هذه السفرة فقلت لا (لأنه كانت لديه إقامة رسمية في الأمارات فإذا تأخر عنها يبطل مفعولها) قال أبو مصطفى: فقام إلي وعانقني ونظر إلي نظرة أحسست فيها أنها نظرة مودع، ثم دعا لي وطلب مني ألا أتأخر، قال: وقد لفت نظري إلى عدم إطالة السفرة الدكتور عثمان عزيزة عندما ودعته وقال لي لا تتأخر أكثر من ثلاثة أسابيع، فقال أخوك الشيخ عبد الله: اتركها مفتوحة، على تيسير الله يقول أبو مصطفى: وكأن الدكتور يشعر بقرب وفاة الشيخ رحمه الله.

■ أقول: وقد قال سيدي الوالد مثل هذا القول لأخي أحمد عندما ودعه ليسافر إلى المدينة المنورة وكانت لديه إقامة رسمية توشك على الإنتهاء فودعه قبل وفاته بأسبوع فقال له الوالد ألا تتأجل هذه السفرة، فقال: لا إن الإقامة توشك على الانتهاء، فودعه وسافر ليعود بعد الوفاة.

■ وفي يوم وفاته سأل عن كل أهله وأولاده الموجودين في البلدة، وكنت غائباً عنه لمدة ساعات فسأل عني أيضاً، وزاره ابني محمد سعيد فسأله عن ابنته (فاطمة) فذهب وأحضرها له ليراها وكان عمرها

حوالي سبعة أشهر، وصار يودع أهله وكنا نحس بأن أسئلته ونظراته نظرات مودع، وسنتكلم عن هذه الساعات الوداعية بفصل خاص إن شاء الله تعالى.

■ ومما يذكر هنا أيضاً أنه اختار مكان دفنه قبل موته بسنوات، قال صديقنا الحاج عبد الرحمن كنت منذ سنين أزور قبر جدك بصحبة والدك ومعنا أخوك عبد الله فقلت لعبد الله: (بعد عمر طويل، ألا نجعل لوالدك قبراً في مسجد الشهداء القريب من بيته ؟ فقال عبد الله: إنه لايرضى أن يدفن أحد في المساجد ولافي البيوت للنهي عن ذلك في الشرع، ويخاف أن تصبح سنة لغيره، وكان هذا الحديث بيننا بعيداً عن والدك الذي كان أمامنا، ولما وصل إلينا قال لنا: ياعبد الله إذا قبلني جدك تحت رجليه فادفنوني هنا، وبكى).

أقول: وقد تكررت الإشارة منه إلى ذلك، وتم له ماأراد من الدفن بجانب والده، وقد هيأنا له القبر قبل شهور دون أن يراه، وسوينا عليه وكشفناه يوم الدفن، رحمه الله وطيب ثراه، وأحسن جواره في علين آمين.

■ ومما حكاه لنا الأخ خلدون الخطيب من تادف قال: في صباح عيد الفطر ١/شوال ١٤١٩هـ كنت أعد أفكار خطبة العيد فخطر ببالي اشتياقي لسيدي الشيخ محمد علي المسعود رحمه الله فقلت في نفسي: ماهو مقامه عند الله، فماهي إلا لحظات حتى أخذتني سنة من النوم فرأيت الشيخ ولكن دون لحية ولا بهيأته التي كنت أعرفه فيها[1] فلما اقتربت منه دعاني، فاقتربت منه، وقلت له: من أنت، قال: أنا الشيخ محمد علي المسعود فقلت لا، لستَ الشيخ فالتفت إلى الوراء ثم نظر إلي وإذا هيئة الشيخ بلحيته وجبته، فقبلت يده وأنا ممسك بيده فقلت: ياسيدي مامقامك عند الله ؟ فلم يجب، فأعدت السؤال، فقال

---

[1] – ورد في الأحاديث أن أهل الجنة شاب، جُرْدٌ مُرْدٌ.

لي: (نائب القطب الفريد) ثم أراد أن يمشي فقلت: سيدي أريد أن أذهب معك، فقال: لا، نحن ستة والسيارة لا تتسع إلا لستة، فقلت إلى أين تذهب ؟ قال: هناك عرس لأحد الأحباب سوف نحضره، ثم مشى ولم أشعر إلا وأنا بأرض صحراء فجاءتني سيارة فأخذتني فرأيت ولده الشيخ محمد زكريا المسعود تحت مظلة من سعف النخل، فقصصت عليه الرؤيا فقال لي: في الرؤيا (أحسبه القطب الفريد).

■ وحدثنا الأخ حاج عبد الغني الويسي من صوران اعزاز، مراراً، وهو من محبي الشيخ رحمه الله، قال: أردت يوماً زيارة الشيخ، وقلت في نفسي ماذا أهديه؟ وكنت قد قبضت قيمة بعض المواسم الزراعية، فقلت /١٠٠/ ل س ؟ لا بل /١٥٠/ ل س وتوجهت من صوران إلى بارح وأنا أتردد فيما بيني وبين نفسي (مائة أو مائة وخمسون) فلما وصلت وسلمت عليه، فقال لي الشيخ مداعباً: وماذا ستعطي الشيخ مائة أو مائة وخمسون ؟ فأعدت تقبيل يديه مرة ثانية وقلت كما تريد شيخي، وناولته /١٥٠/ ل س فوضعها في يده وظل يباسطني وكان الطعام موجوداً، وأنا معه أخجل من نفسي على هذا التردد حتى جاء أحد أهل القرية ونسيت اسمه، وكان الشيخ يتعهده ويحسن إليه فأعطاه المبلغ، وقال: أظن أن هذا يكفي لكسوة العيال يا فلان، وقد كانت المائة ليرة في عقد السبعينات تكفي لكسوة عائلة فقيرة من أهل القرى، رحمه الله ونور ضريحه.

خاتمة :

■ والحديث عن هذا الموضوع لايكاد ينتهي، فكل أخ لقيه ولو مرة، أو صاحبه له معه حكاية، وكل من عرفه أو خالطه يحدثك عنه حديث الولد الملتاع الذي فقد والده، أو أحب الناس إليه، ومن ذلك: ماحدثني به الأخ الحاج نبهان الديبو من الغيلانية قال حكى لي شخص من بارح لا أسميه ليظل مستوراً، قال: تواعدت مع امرأة من القرية

نفسها لفعل الفاحشة، وأعطتني دراهم لأجل ذلك، وتواعدت معها على ساعة معينة من يوم الغد، وإذا بذلك اليوم يطرق بابنا الشيخ محمد علي المسعود، وليس له عادة أن يدخل دارنا، فأدخلته ورحبت به، فجلس يحدثني ويعظني ويخوفني من غضب الله وعقوبته، وعقوبة فعل فاحشة الزنا، ويحذرني من الوقوع في المعصية، ويقول لي إنك شاب، والله يحب الشاب التائب، وظل يتكلم من دون أن يفهمني أنه يعلم ذلك، قال الشاب فعاهدته على التوبة، بعدما أن صممت في قلبي عليها ومن يومها ولله الحمد لم أقع في الفاحشة، وكان هذا اللقاء يوم كان الشيخ ساكن في القرية منذ /٢٥/ عاماً تقريباً.

■ وحكى لي الحاج نبهان أيضاً؛ قال كان الشيخ يقيل عندي، ويتردد علي كثيراً، و يستريح لديَّ، ومرة كان جالساً لدي، وليس معنا آخر، فتذكرت كلاماً سبق أن قاله لي: (قال الصالحون: سرك في سبعين قامة دكو، أخفيه وخلي الناس إلى يوم القيامة فيك يشكو) ولما خطر ببالي هذا الكلام فقلت في نفسي؛ ماهي مرتبة الشيخ في الولاية، وهل يكتشف سري هذا، فأغمضت عيني في حالة مراقبة، وكان يوصيني بالمراقبة، وإذا بي أرى الشيخ قد ملأ الغرفة، ففزعت وصرخت (الله) بصوت عال، فقال لي مالك ؟ ماذا حدث معك ؟ فقلت لا شيء، وعادت الصورة كما كانت وكان هذا عام ١٩٥٨م تقريباً.

■ وكان كثيراً ما يأتيني قبل صلاة الفجر، فيوقظني للفجر، ثم ألتقي معه في المسجد للصلاة، وبعد ذلك نأتي إلى البيت، وكثيراً ما كنت أصحبه في أسفاره للقرى، وليس معنا ثالث إلا الله، وكنت إذا جاءني الشيخ تذوب همومي وكروبي من مجرد لقائه، وينشرح صدري، فأنسى الدنيا والزوجة والمال، وأعيش في عالم غير عالم

الدنيا، وكان يحضني على طلب العلم، وكنت أردد خطبه، وأقول له: هكذا خطبت فيقول لي إذا كان هذا حفظك؛ فلتطلب العلم، قال أخي عبد الله المسعود؛ نقلاً عن الحاج نبهان قال لي والدك: ياولدي اطلب العلم، قلت له: أطلب العلم وصار عمري أربعين سنة قال لي: ياولدي، قال أحد العارفين لتلميذه: (يابني تعلم كليمة - مصغر كلمة- تسبح في بحر الكرم) فطلبت العلم وقرأت عليه تنوير القلوب، وشرح ابن قاسم، والآجرومية، وقرأ لي الكفراوي، والدحلان، والأزهري على الآجرومية، ثم أرسلني والدك إماماً وخطيباً لقرية طريخم فبقيت فيها سنوات عديدة.

■ ومرة كان الوالد في قرية كدريش، وسمعنا بقدوم الشيخ عبد الباسط أبو النصر لقرية الغيلانية، وكنت آنذاك في كدريش أعمل مراقباً لزراعة أحدهم، فتوجهنا من كدريش للغيلانية أنا ووالدك، فلما التقى بالشيخ عبد الباسط، وكان معه بمنتهى الأدب، فقال له الشيخ: أهلاً بأبي زكريا، أنتم هنا بمقام الوالد، فقال الشيخ محمد علي: أنتم الأصول ونحن الفروع، هكذا وهما متعانقان، ولما انتهت السهرة، ودع الشيخ عبد الباسط والدك، فقال له الشيخ عبد الباسط: الله يفهم الإخوان يعرفوا قدرك ياشيخ محمد علي، فقال: الله يفهمنا نعرف قدر مشايخنا...

الفصل الحادي عشر

الشيخ والتصوف والطرق الصوفية

٣٩ - قالوا في تعريف التصوف :[1]

التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف.

من هذا التعريف للتصوف يبدو لنا جلياً أن الشيخ رحمه الله من أعاظم أئمة التصوف في هذا العصر لما يتمتع به من كمال الخلق وصفاء النفس، اقتداءً بصاحب الخلق العظيم ﷺ.

أما تصوف الشيخ رحمه الله تعالى، فقد كان عملياً أكثر من كونه نظرياً، وكان سلوكاً أكثر من كونه ادعاءً، وكان التزاماً أكثر من كونه تعصباً أو انتساباً، وإذا كان التصوف في الإسلام هو مقام الإحسان، فإن العارف لسيرة الشيخ يرى عليه آثار الإحسان في أقواله وتصرفاته.

لقد ظهر أثر التصوف فيه، وأثره في التصوف من خلال سيره وسلوكه وتربيته الصالحة في الحجر الصالح وأثر الرجال الصالحين فيه، ومن ثم أثره في غيره من الناس المخالطين والمجالسين.

فإذا كان التصوف حباً لله تعالى فهو المتيم لله تعالى، وماعرف عنه خلال حياته شيئاً أحب إليه من الله تعالى والسير في رضوانه..

وإذا كان التصوف حباً لرسوله ﷺ فإن حاله وقاله وقلبه وشعره يلهج بالهيام والوجد حباً لرسول الله ﷺ وما يلوذ به من آل وصحب وسيرة وشمائل وربوع وديار.

---

[1] – كتب هذا الفصل الأخ الشيخ عبد الله المسعود حفظه الله .

وإذا كان التصوف هوىً في القلب لسيدنا رسول الله ﷺ واتباعاً في الجسم لسنته وشمائله الطاهرة مصداقاً لقول النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**». [1]، أقول إذا أردنا نموذجاً مشخصاً لهذا الحديث الشريف في هذا العصر فإننا نجده في شخص شيخنا الراحل رحمه الله تعالى.

وإذا كان التصوف حباً للصالحين وأدباً معهم، فهو الأديب في نفسه والأديب في لسانه والأديب في جسده، والأديب في قلمه معهم.

وإذا كان التصوف صفاءً للنفس وطهراً للقلب ونفعاً للخلق من أجل الحق، فكل من عرف الشيخ يعلم طهر قلبه وصفاء نفسه وصدق لسانه ونقاء مجلسه من كل مخالفة شرعية، أو ثَلب عِرْضِ أحد من الناس أو لغو أو رفث، فضلاً عن الغيبة والنميمة، وأما حبه للخلق ونفعهم ونصحهم والدعاء لهم فهو شعاره ودثاره، متمثلاً بذلك قول النبي ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»[2].

التصوف علم ومعرفة :

كان الشيخ رحمه الله تعالى يطالع ويعتمد وينقح الكتب التي تبرز أسرار الشريعة وروحها، وتوجه الناس إلى تهذيب النفس وسمو الروح وتقوية الصلة بالله تعالى وعبادته، وإثارة الحب والإتباع لسيدنا رسول الله ﷺ وعباد الله الصالحين من العلماء العاملين والأولياء المقربين، وأذكر على سبيل المثال الكتب التالية:

١- الحافظ أبو نعيم الأصفهاني وكتابه القيم (حلية الأولياء).

٢- الرسالة القشيرية وشروحها.

٣- كتب الإمام الغزالي وأبرزها (إحياء علوم الدين).

٤- الإمام الشعراني وأشهرها (لواقح الأنوار القدسية في شرح العهود المحمدية).

---

[1] – قال ابن حجر رجاله ثقات، وصححه النووي في الأربعين

[2] – الجامع الصغير رقم /٤١٣٥/، وأبو يعلىوالبزارعن أنس والطبراني عن ابن مسعود .

٥-الإمام أحمد الرفاعي وأبرزها البرهان المؤيد.
٦-الشيخ محمد أمين الكردي وأشهرها: (تنوير القلوب).
٧-الشيخ يوسف النبهاني وأشهرها (الأنوار المحمدية).

وهذه نماذج عن الكتب التي يعوّل عليها الشيخ في دراسة التصوف كعلم ومعرفة، ويحذر العامة من قراءة كتب الشيخ الأكبر (ابن عربي) والجيلي وأضرابهم أسوة بجماهير علماء المسلمين الذين سبقوه، صيانة لعقائد المسلمين وسلامة من سوء الظن بالعارفين ولم تحتوِ مكتبته على رحابتها على هذه الكتب.

كما أنه لايسمح في مجلسه بالعبارات الموهمات، فضلاً عن الشطحات المنكرات، التي يدعيها البعض مقلداً بها غيره، وفي ظاهرها تجاوزٌ لسور الشريعة الغراء، وحين تكلم رجل في مجلسه من محبي الصوفية ببعض الكلمات الموهمة أسكته مع شدة لطفه ومؤانسته لجلسائه، ولكن الحق أحب إليه من كل أحد.

الحجر الصالح:

تفتحت براعم الشيخ في منزل والده على مجالسة الصالحين والمحبين والمادحين لسيدنا رسول الله ﷺ، عاش هذا الجو الذي يعبق بشذى المحبة ونسائم الإيمان، فتفتحت أزهاره منه، وأينعت ثماره فيه، حيث أن منزل والده – الشيخ محمد المسعود - كان موئلاً خصيباً لهذه المجالس المباركة بذكر الله والصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ.

وأذكر على سبيل المثال أن أستاذه الجليل المربي الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله تعالى كان صديقاً لوالده وأرسل لوالده رسالة جاء فيها أننا شكلنا جمعية عشاق النبي ﷺ وإن رسم الإنتساب لها /١٠٠٠/مرة صلاة على النبي ﷺ في اليوم، فاكتب لنا أسماء المحبين والمنتسبين عندكم، أي في مدينة الباب، بمعنى أن والده هو معتمد هذه الجمعية في الباب.

أقول: في هذا الجو وهذا المنزل الذي يشع منه نور العلم والعرفان، والحب والإيمان نشأ شيخنا الجليل وتربى فلا غرو أن تكون محبة الصالحين والعلماء العاملين وسيدهم طه الأمين صلوات الله وسلامه عليه تجري منه مجرى الدم في العروق، والروح في البدن، تفتحت عينيه على رؤية كمّل الرجال من أهل العلم والمعرفة والذكر والحال، ولقد تفتح قلبه على ذكر الله تعالى، حيث تلقى الذكر وهو فتى يافع من شيخ الشيوخ المرشد الكامل والعارف الفاضل الشيخ محمد أبي النصر النقشبندي الحمصي، بإشارة من والده، كما غُذِّيَ عقله بالعلوم والمعارف الشرعية التي تلقاها من أفاضل العلماء من أساتذته.

وصحب الرجال الصالحين والعلماء العاملين الزائرين لوالده حيث يقول في ترجمة الشيخ محمود السيد مفتي دوما والشيخ محمد الهاشمي مرشد الطريقة الشاذلية أنه اجتمع بهم في الباب في بيت الوالد رحمنا الله به وبالأحباب الذين كان بيته مجتمعاً لهم بفضل الله، وقد أهداه الأخير رسالة من مؤلفاته كما وأجازه بالطريقة الشاذلية.

صحبته للمرشدين الكاملين والأولياء والصالحين:

لقد ذكر لنا الشيخ رحمه الله تعالى كثيراً طيباً من أسماء الرجال الكمّل الذين التقى بهم وأثّروا في تكوينه النفسي والروحي إضافة إلى الأساتذة الأجلاء الذين أثروا في تحصيله العلمي نذكر منهم.

١-والده الشيخ محمد المسعود: الذي كان له أكبر الأثر في تربيته وتكوينه ويَنْسِبُ له كل خير يجري له ولأسرته وأحفاده، بعد الله تبارك وتعالى.

٢-**الشيخ محمد أبو النصر النقشبندي الحمصي**: مرشد الطريقة النقشبندية: قدس الله روحه بالرحمة والرضوان حيث يقول عنه: (**مربي روحي وجسدي**)وقد تلقن منه الذكر ومازل فتى يافعاً كما أسلفنا، ثم أكمل عليه أخذ اللطائف، وصحبه في رحلاته في البلاد الحلبية، وبقي

له الأثر البالغ في نفسه، والمودة والإجلال لأسرته وأبنائه من بعده.
٣-كانت له صلة وصحبة مع الشيخ محمد النبهان – قدس روحه – وكانت هذه الصلة مميزة، منذ كان طالباً في المدرسة الخسروية بحلب، حيث كانت له غرفة في جامع الأرمنازي جنوب جامع بانقوسا، وكان الشيخ محمد النبهان يزوره كثيراً فيها، وكان يصحبه إلى منزله أيضاً واستمرت هذه الصحبة ونمت، وكان من آثارها زواج الشيخ من ابنة الشيخ عبد الرحمن الحوت، ابن عم الشيخ محمد النبهان، وخروجها عروساً من منزله إلى منزل زوجها بالباب، واستمرت هذه الصلة والصحبة حتى أن الشيخ الوالد كان يستشير الشيخ النبهان في أموره الخاصة والعامة بعد وفاة شيخه أبي النصر.
٤- الشيخ أبو العباس الدندراوي شيخ الطريقة الرشيدية، اجتمع به في حلب في مجالس تزخر بالعلماء العاملين والأولياء الصالحين، وعلى رأسهم شيخنا الشيخ نجيب سراج الدين، ودعا له الشيخ أبو العباس قائلاً: (فتح الله عليك فتوح العارفين به) بلهجة قوية خارجة من قلب عامر بالإيمان فيه حال قوي.
٥- وذكر لقاءه بالمحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني قدس الله روحه، والشيخ محمود السيد – مفتي دوما الأسبق – والشيخ محمد الهاشمي والشيخ إبراهيم الغلايني، والشيخ أحمد الحارون، وغيرهم من أهل دمشق، وذكر أفاضل آخرين من العلماء والأولياء في المدن السورية والحرمين الشريفين.

٦- **التصوف سلوك :**

أما سلوك الشيخ طالباً راغباً في الخير فكان خلال حياته يغشى مجالس الصالحين من أهل الفضل والقرب من الله تعالى، ولم يمنعه كونه سالكاً على يد الشيخ أبي النصر قدس الله روحه، مقراً له ولآله بالفضل من حضور مجالس غيره، من أهل الفضل والكمال، وكانت صلاته مع أهل الطرق الصوفية الأخرى مشهورة تبرز منهجه في الدعوة

إلى الله تعالى، ونصحه للناس وإرشادهم، ولم يكن أحد منهم إلا ويشعر بقربه من الشيخ وأنه شيخه، أو بمثابة شيخه في طريقته حباً وتقديراً وأخذاً وإرشاداً، ولقد عرف من حال الشيخ – الأدب والحب – للصالحين والذاكرين عموماً كما عهد عنه أنه إذا علم أنَّ إنساناً التزم عند شيخ وظهر له النفع على يديه؛ حَبَّبَهُ إلى شيخه وشجعه على الإلتزام به.

ولقد مزج الشيخ سيره وسلوكه الحياتي بين التصوف والإرشاد والفقه في الدين، فصار سلوكاً راشداً في الحياة،

فكان مجلسه يوم الجمعة بعد خطبة الجمعة التي يلقيها، يقيم فيه مجلس ختم شريف (على الطريقة النقشبندية)، وهو الختم الكبير، ثم مجلس مديح وصلاة على النبي ﷺ ووعظ وإرشاد وتفقه في الدين، ثم ذكر جهري فجمع في مجلسه هذا الخير من أطرافه.

سيره وسلوكه :

ذكر العلماء الربانيون في مقامات السلوك إلى ملك الملوك مقامات وأبواب من التوبة والمجاهدة والمحبة والخلوة والورع والزهد والخوف والرجاء [1]

أما **مقام التوبة**: فقد أورد صاحب الرسالة القشيرية حديثاً بسنده إلى سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مامن شيء أحب إلى الله من شاب تائب**». [2]

---

[1] – اقرأ على سبيل المثال الكتاب الأول والثاني من رياض الصالحين للإمام النووي، والرسالة القشيرية للإمام عبد الكريم القشيري وقارن بمدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية .

[2] – الجامع الصغير، ٨٠٥ (مامن شيء أحب إلى الله تعالى من شاب تائب، ومامن شيء أبغض إلى الله تعالى من شيخ مقيم على معاصيه، وما في الحساب حسنة أحب إلى الله تعالى من حسنة تعمل في ليلة الجمعة أو يوم جمعة، ومامن الذنوب ذنب أبغض إلى الله تعالى من ذنب يعمل في ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة)، أخرجه أبو المظفر السمعاني، في أماليه عن سليمان، وضعفه السيوطي، وروى صدره الديلمي في مسنده الفردوس عن أنس وقارن كنز العمال ج٤ . ١٠٢٢٣ .

والتوبة أول منزلة من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين ثم قال: فأول ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفلة، ورؤية العبد على ماهو عليه من سوء الحالة، ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق سبحانه، يسمع قلبه فإنه جاء في الخبر: «**واعظ الله في قلب كل امرىء مسلم**» [1]

وفي الخبر: «**أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد كله ألا وهي القلب**» [2]، فإذا فكر بقلبه في سوء مايصنعه وأبصر ماهو عليه من قبيح الأفعال شع في قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة، فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ في جميل الرجعى والتأهب لأسباب التوبة !!إنتهى.

إن ماذكرناه في الفقرات السابقة من نشأة الشيخ في الحجر الصالح وصحبه كمَّل الرجال وتلقيه الذكر عنهم منذ فتوته وشبابه وسلوكه طريق العلم الشرعي وصحبة الرجال الأفاضل واستمراره على هذا النهج المبارك يبشرنا بأن شيخنا في ظل عرش الله سبحانه وتعالى مصداقاً للحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

---

[1] – عن النواس بن سمعان ﷺ أن النبي ﷺ قال: « ضرب الله تعالى مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى أبواب الصراط داع يقول ياأيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولاتعرجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويحك لاتفتحه فإنك إن فتحته تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق : واعظ الله في قلب كل مسلم ». الجامع الصغير رقم ٥٢١١، الترمذي ٢٩٣٥، والإمام أحمد في مسند الشاميين .

[2] – أخرجه البخاري /٥٢/ ومسلم /١٥٩٩/ عن النعمان بن بشير ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حولى الحمى أوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله، وذكر منهم: «**شاب نشأ في طاعة ربه**».[٣]

مقام المجاهدة: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ العنكبوت، وقال ﷺ فيما رواه الإمام أحمد عن فضالة ابن عبيد: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله». أخرجه الترمذي والطبراني وبوب له البخاري في الباب السابع والثلاثين من كتاب الرقاق.[١]

قال الإمام ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٣٤٥: (قوله باب من جاهد نفسه في طاعة الله) يعني فضل من جاهد، والمراد بالمجاهدة: كف النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة وبهذا تظهر مناسبة الترجمة لحديث الباب (ح رقم ٦٥٠٠).

قال ابن بطال: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (النازعات)

ويقع بمنع النفس عن المعاصي، وبمنعها عن الشبهات، وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها في الآخرة.

قلت: ولئلا يعتاد الإكثار فيألفه فيجره إلى الشبهات ولا يأمن من أن يقع في الحرام، وعن أبي عمرو بن بجيد: من كرم عليه دينه هانت عليه نفسه.

---

(٣) – عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» البخاري /٦٢٩، ومسلم ١٠٣١، والترمذي ٢٤٣١

(١) – «أفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وأفضل المهاجرين من هجر مانهى الله عنه، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله» الطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص الجامع الصغير ح١٢٩٢ .

وقال القشيري:أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات وحملها على غير هواها. وللنفس صفتان: انهماك في الشهوات وامتناع عن الطاعات، فالمجاهدة تقع بحسب ذلك.

قال بعض الأئمة: جهاد النفس داخل في جهاد العدو، فإن الأعداء ثلاثة: رأسهم الشيطان، ثم النفس لأنها تدعو إلى اللذات المفضية بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب، والشيطان هو المعين لها على ذلك ويزينه لها.

فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه، فمجاهدته نفسه حملها علىاتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، وإذا قوي العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدين فالأول: الجهاد الباطن، والثاني: الجهاد الظاهر.

[وجهاد النفس أربعة مراتب : حملها على تعلم أمور الدين، ثم حملها على العمل بذلك، ثم حملها على تعليم من لايعلم، ثم الدعاء إلى توحيد الله وقتال من خالف دينه وجحد نعمته.]

وأقوى معين على جهاد النفس جهاد الشيطان بدفع مايلقي إليه من الشبهة والشك ثم تحسين مانهى عنه من المحرمات ثم مايفضي الإكثار منه إلى الوقوع في الشبهات، وتمام ذلك من المجاهدة أن يكون متيقظاً لنفسه في جميع أحواله فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات وبالله التوفيق). انتهى منه.

قال عبد الله: نقلت هذا الكلام عن العلامة ابن حجر كلّه لنفاسته وهو الذي قيل في حق شرحه لصحيح البخاري: لو كتب بماء الذهب لكان قليلاً عليه.

أقول: نقلته لنفاسته ولأنه ينطبق على شيخنا الوالد الذي جاهد في الله حق جهاده وجاهد نفسه في ذات الله تبارك وتعالى من بدايته حتى نهايته، فعزف عن الشهرة والجاه والمال، وقنع بما حباه الله تعالى من علم قويم وخلق كريم.

ورحم الله أبا علي الدقاق حيث يقول: (**من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة**) لقد جاهد شيخنا نفسه فحملها على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه.[1]

١-حملها على أمور تعليم الدين ـأثناء دراسة الشرعية من العلماء العاملين ـ.

٢-ثم حملها على التخلق بما علم فكان مثالاً للأخلاق المحمدية في قاله وحاله وسلوكه، (**عمل بماعلم فورَّثه الله علم مالم يعلم**).

٣-ثم حملها على تعليم الناس أوامر الدين وكم سارت قدماه بين القرى متحملاً الحر والبرد والتعب والنصب متنقلاً داعياً إلى الله تعالى ومعلماً للناس أمور دينهم.

٤-ثم حملها على محبة أحباب الله وأهل طاعته وبغض أعداء الله والحض على جهاد الكفار وتمنى لو أتيح له ذلك.

وهكذا بقي متيقظاً لنفسه مراقباً لها لا يسمح لها بالانفلات من ضوابط الشرع، والتساهل في خلاف الأولى حتى الرمق الأخير من حياته المباركة في المنشط والمكره، في الصحة والمرض.

الخلوة والعزلة: قال الإمام القشيري:الخلوة صفة أهل الصفوة، والعزلة من أمارات الوصلة ولابد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ثم نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه.

ومن آداب العزلة: أن يحصِّل من العلوم مايصحح به عقد التوحيد لكي لا يستهويه الشيطان بوساوسه، ثم يحصِّل من علوم الشرع مايؤدي به فرضه ليكون بناء أمره على أساس محكم، والعزلة الحقيقية: اعتزال الخصال المذمومة فالتأثير لتبديل الصفات لا التنائي عن الأوطان، ولهذا قيل: من العارف ؟ قالوا: كائن بائن، يعني كائن مع الخلق بائن عنهم بالسر.

---

[1] – الرسالة القشيرية باختصار .

ولذا كان السادة النقشبندية خلوتهم في جلوتهم أي أن أجسامهم مع الخلق وقلوبهم مع الحق، ولقد تحقق شيخنا بهذا المقام ـ إنْ شاء الله تعالى ـ فحصّل علوم التوحيد والقرب من الله تعالى بمصاحبته الصالحين، وحصل علوم الشريعة عن العلماء الربانيين فأخذ يعبد الله على بصيرة من أمره، وتخلى عن الصفات الذميمة وتحلى بمكارم الأخلاق.

وعاش مع الناس عاملاً ومعلماً وناصحاً ومرشداً، ولما أدركته الشيخوخة جلس في بيته بين كتاب ربه وحديث نبيه المصطفى ﷺ، محققاً ومؤلفاً وشارحاً، لنفع الناس بعده في روضة من الأنس بالله تعالى، حتى أتاه اليقين.

مقام التقوى: قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران).

وحق التقوى:أن يطاع الله فلا يعصى ويذكر فلاينسى ويشكر فلا يكفر، لقد هون الله تعالى على شيخنا الطاعة فكان جسمه مطواعاً له في كل خير فيه رضوان الله تعالى، ولسانه كان ذاكراً لله تعالى، بل ومذكراً بالله تعالى ومن عمل بطاعة الله تعالى كان ذاكراً لله.

أما شكره لله تعالى: فكان دائم الثناء على الحق تبارك وتعالى بما هو أهله ويحض أهله وذويه على دوام الشكر لله تعالى، ويذكرهم بنعم الله تعالى، التي لا تعد ولا تحصى وكأني به قد تحقق فيه الدعاء الشريف: «**اللهم هب لي لساناً رطباً بذكرك، وقلباً منعماً بشكرك، وبدناً هيناً ليناً لطاعتك**».

فتحقق بهذا المقام الذي جمع بين القلب واللسان والبدن وَوَجَّهَ جميع ذلك في سبيل رضوان الله تعالى، فكان تقياً لله بلسانه، فلم يؤثر عنه كلمة خلاف الأولى فضلاً عن هُجر القول وفُحْشِ الكلام، وكان تقياً لله في مطعمه ومشربه وملبسه وبعيداً عن الحرم والشبهة، والشهوة والشهرة.

تقياً لله بقلبه معظماً أمره خاشعاً له متبتلاً معظماً أمره ومجلّاً شعائره: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ (الحج).

مقام الورع: عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه». أخرجه الإمام أحمد في مسند أهل البيت، وأخرج الطبراني عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع». وأخرج البيهقي عن يحيى بن أبي كثير قال: أفضل العمل الورع، وخير العبادة التواضع.

أما ورع النبي ﷺ فما رواه الشيخان:«**أن النبي ﷺ وجد تمرة في الطريق فقال: لولا أني أخاف أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها**». وورعه عن إطعام الحسن بن علي ﷺ تمرة من تمر الصدقة أخرجها من فيه قائلاً:«**أما تعلم أنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة**»، قال لأبي هريرة ﷺ:«**يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحب للمسلمين والمؤمنين ما تحب لنفسك وأهل بيتك، تكن مؤمناً، وجاور من جاورت بالإحسان تكن مسلماً وإياك وكثرة الضحك، فإن كثرة الضحك فساد القلب**»، أخرجه ابن ماجه باب الورع ٤٢١٧.

وإنما كان المتورع أعبد الناس لأن من أحل الحلال الخالص يصير لايمل من العبادة ومن لايمل من العبادة فهو أعبد ممن يمل على اختلاف طبقات الناس.اهـ

والورع الحقيقي إنما هو حماية الله تعالى للعبد فلا يقسم له الأكل من شيء للشرع عليه اعتراض فيستخرج له الحلال كما يستخرج له اللبن من بين فرث ودم، وقد درج العلماء العاملون كلهم على عدم أخذهم من الدنيا فوق زاد الراكب. [1]

---

[1] – الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء ج١٠/ص٧٤-٧٥ .

الجنيد وقصته مع الحارث المحاسبي في الورع :

ذكر صاحب حلية الأولياء في ترجمة الحارث المحاسبي عن الجنيد قائلاً: كان الحارث كثير الضر، فاجتاز بي يوماً وأنا جالس على بابنا، فرأيت في وجهه الضر والجوع، فقلت له: ياعم لو دخلت إلينا لنلت شيئاً من عندنا، فقال: أو تفعل ؟ قلت: نعم، وتسرُّني بذلك وتبرُّني.

فدخلت بين يديه ودخل معي، وعمدت إلى بيت عمي، وكان أوسع من بيتنا، لا يخلوا من أطعمة فاخرة، لا يكون مثلها في بيتنا سريعاً، فجئت بأنواع كثيرة من الطعام فوضعته بين يديه، فمد يده وأخذ لقمة، فرفعها إلى فيه، فرأيته يلوكها ولا يزدردها، فخرج وماكلمني، فلما كان الغد لقيته، فقلت: ياعم سررتني ثم نقضت علي ؟! فقال: يابني، أما الفاقة فكانت شديدة، وقد جهدت أن أنال من الطعام الذي قدمته إليَّ، ولكن بيني وبين الله علامة، إذا لم يكن الطعام عند الله مرضياً ارتفع إلى أنفي منه زفرة، فلم تقبله نفسي، فقد رميت بتلك اللقمة في دهليزكم وخرجت.[1]

هل كان بين شيخنا الوالد وبين الله علامة في الطعام والمال الحلال؟.

ربما كان الجواب في القصة التالية، حدثني الشيخ حسين اليحيى رحمه الله تعالى من قرية (إرشاف) التابعة لمنطقة إعزاز، جوار قرية (دابق) عن شيخنا الوالد قال: (صحبت والدك إلى قرية (حوار النهر) فنزلنا في ضيافة قريب لنا، فرحب بنا وأكرم وفادتنا، وقدم لنا في المساء طعاماً فنظرت وإذا الشيخ يتصنع الأكل ولا يأكل، دون أن يشعر رب المنزل، ثم انصرفنا في الليل ولم نبت عنده، وسرنا إلى قريتنا إرشاف، وفي منتصف الطريق قال لي: إن قريبك كريم ومحب، فهل في ماله شبهة أو حرام، قلت: نعم يستدين من المصرف، عند ذلك عرفت سر عدم تناول الشيخ من طعامه).

---

[1] – الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء ج١٠/ ص٧٥ .

ومن ورعه في الطعام أيضاً، أنه ربما دعي إلى عدة أماكن ويزورهم ويلبي دعوتهم، ويعود ليأكل طعاماً خشناً عند أخ صادق يُعتقد في ماله الحل وحاله الحب.

يقول أبو يحيى: وقد حدثني الأخ أبو بشير، والأخ حاج أحمد العلبي عن هذا مراراً، عندما كانا يصحبانه في زياراته آخر عمره إلى قرى اعزاز، فكان يلبي كثيراً من الدعوات، ويتظاهر بالأكل ولا يأكل، ويخاله جليسه يأكل، ويفطن لذلك الأخوان المصاحبان له، ثم يأتي بيت أحد الإخوة ليأكل ماتيسر له مماحضر عنده.

وتأتيه هدية يعتقد فيها شبهة، فيرسلها إلى قريب له فقير دون أن يردها إلى صاحبها جبراً لخاطره، وتأتيه نقود من محب متفان صادق يقول: أظنها مال زكاة ولا آخذ الزكاة، فيردها إليه، أو يخبره أن يوكل أخانا أبا بشير في توزيعها.

مقام الزهد: عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال: «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**» (١).

وكان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا لم يترك ديناراً ولادرهماً ولاأمة ولاعبداً ولاشاة ولابعيراً كما ذكرت ذلك السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها فيما رواه الإمام أحمد.

وهو القائل ﷺ:«**لو أن لي مثل أحد ذهباً ماسرني أن يأتي عليَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء أرصده لدين**» (٢)

وحقق ذلك صلوات الله وسلامه عليه كما أسلفنا في الحديث المتقدم وكذلك كان ورّاثه ﷺ بعده أشد الناس زهداً في الدنيا وأرغبهم في الآخرة.

---

(١) - حديث حسن رواه ابن ماجة بأسانيد حسنة

(٢) - أخرجه البخاري ومسلم

جاء في مصنف سعيد بن المسيب: كان أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه. وكان أزهد الناس في فضول الدنيا والكلام فيما لايعني ومن أكثر الناس أدباً.

وقيل: الزهد مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

فالزاهد: لايفرح بموجود من الدنيا ولا يتأسف على مفقود منها.

قال الجنيد: سمعت السري يقول: إن الله سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: رحمه الله ـ الزهد على ثلاثة أوجه:

الأولى: ترك الحرام وهو زهد العوام.

الثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص.

الثالث: ترك مايشغل العبد عن الله تعالى، وهو زهد العارفين .

وقال الحسن : لايزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دنياهم فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه.

وقال أعرابي لأهل البصرة: من سيدكم قالوا الحسن !.قال: بم سادكم ؟ قالوا احتاج الناس إلى علمه واستغنى عن دنياهم.

بعدهذا فما هو مقام شيخنا في الزهد : إن حب الناس لهو علامة على حب الله تعالى بمصداق وعد الله على لسان نبيه ﷺ (١) وهذه علامة على زهده في الدنيا وزهده فيما عند الناس.

وأما مايعرفه الناس من سيرته وبعده عن مواطن الشهرة والرياسة ومراكزها والتي يطمع لها الناس ويضحون بالذهب والفضة من أجلها، فقد أمضى زهرة شبابه وكهولته وصدراً من شيخوخته بعيداً عن مركز المدن التي تؤوي إليها التجمعات من الناس حيث الشهرة والزعامة

---

(١) - (إذا أحب الله عبداً نادى جبريل ياجبريل إني أحب فلاناً فأحبه .....)

والرياسة والأتباع، وعاش بعيداً عن ضوضاء وصخب المدن مدة أربعين عاماً في المناطق الشمالية من مدينة حلب بين البسطاء من الناس يعيش حياتهم ويعلمهم ويرشدهم ويزكيهم ويفقههم في دين الله تعالى، مكتفياً ببلغة من العيش وكم سعى شقيقه الشيخ محمد سعيد المسعود رحمه الله تعالى من أجل وظيفة له في الإفتاء في شواغر المدن ولكنه كان يأبى ذلك ويحب أن يكون علمه وعمله لله تعالى وكم سعى محبوه من أجل أن يهيء له راتباً شهرياً لقاء عمله وتجواله في المنطقة مدرس محافظة ولكن كان جوابه:

ولم أقض حق العلم إن كان كلما بدا طمع صيرته لي سلما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة إذاً فاتباع الجهل كان أحزما (١)

هذا زهده بالنسبة إلى الوظائف والرواتب.

أما زهده في حطام الدنيا، فقد ترفع الشيخ عن دنيا الناس، فأحبه الناس فكان كما وُصِفَ الحسن البصري ﷺ احتاج الناس إلى علمه وزهد في دنياهم، وما كان يحب الترفع في المجالس والمحافل وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس..زهد في الحلال من الدنيا فضلاً عن الحرام وزهد فيما يشغله عن الله تعالى.

فما ترك خلفه ديناراً ولادرهماً (مالاً أو عقاراً) ولكنه ترك خلفه ذكراً حسناً وحديثاً عطراً وإخوة في الله محبيين وآثاراً صالحة للمهتدين المقتدين، يصدق فيه قول القائل:

ما الناس سوى قوم عرفوك وغيرهم همج همج
دخلوا فقراء إلى الدنيا وكما دخلوا منها خرجوا

المحبة: وهي المنزلة التي فيها يتنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروَّح العابدون.

---

(١) – الأبيات من قصيدة حكمية للقاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني طالما كررها على مسامعنا مرشداً ومعلماً وناصحاً جزاه الله عنا خير الجزاء .

فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلالام.

وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال. وهي مطايا القوم دائماً إلى الحبيب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة. وقد قضى الله: (أن المرء مع من أحب).

ومن أجمع ماقيل فيها: قال أبو بكر الكتاني: جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله – أيام الموسم – فتكلم الشيوخ فيها، وكان **الجنيد** أصغرهم سناً، فقالوا هات ما عندك ياعراقي. فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس ودِّه، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. فبكى الشيوخ وقالوا: ماعلى هذا مزيد، جزاك الله ياتاج العارفين (١).

أقول: إن كل من عرف شيخنا الوالد بحق، أدرك أنه في هذا المقام الشريف حيث كانت حياته، بالله ولله ومع الله. كما قال تاج العارفين الجنيد.

الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها :

أحدها : قراءة القرآن بالتدبر، والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال.

---

(١) – مدارج السالكين في بيان منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) للإمام ابن القيم الجوزية، ج ٣ ص ٦ منزلة المحبة باختصار وتصرف يسير.

الرابع:إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنُّم إلي محابه، وإن صعب المرتقى.

الخامس:مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله:أحبه لا محالة.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه، وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإن فيها داعية إلى محبته.

السابع :انكسار القلب بالكلية بين يدي الله تعالى.

الثامن :الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه. والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالإستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر، ولاتتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت فيه أن فيه مزيداً لحالك، ومنفعة لغيرك،

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل. وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة وبالله التوفيق.

بعد استقرائنا لهذه الأسباب العشرة، واستقرائنا لحياة شيخنا الوالد رحمه الله نجد أنه مر بهذه المراتب بحق ،أكرمه الله تعالى بالتخلق بها وهو الذي يتولى عباده الصالحين، فأدخله في مقام (يحبهم ويحبونه) وهو كما ترى اجتباء منه وفضلاً، وسيراً منهم إليه عملاً.

وسار في منازل حديث الأولياء (١)، فتقرب إلى الله بالنوافل من بعد الفرائض فكان الله: سمعه وبصره ولسانه، بمعنى أن الله حفظ عليه جوارحه وأركانه من المعاصي والآثام، فكان بقلبه وقالبه مع الله. بلسانه وقلمه، في كل شؤونه وأحواله، مستغرقاً الأوقات والأحوال بطاعة الله عز وجل، فكان نداء جبريل (٢) في الملأ الأعلى ووضع له القبول في عالم الأرض، وما الثناء العاطر والذكر الحسن الذي خلفه إلا نفحة من عطاء ومقام لمحبة، أذاقنا الله لذيذ طعمها، وراحة أنسها، وكمال قربها، إنه أكرم مسؤول.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ مريم.

أثر هذه المقامات الراقية والأحوال الصافية في الآخرين:

يقول الشيخ اسماعيل (عبد الخالق) أبو النصر -حفظه الله -: إن الإحساس بالسعادة والسرور الذي كنا نشعره حينما نجتمع بالشيخ محمد علي رحمه الله ليعطينا تجربة عملية، ونموذجاً مبسطاً عن تلك

---

(١) - حديث الأولياء أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولإن سألني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه ....».

(٢) - البخاري / ٣٠٣٧ / باب ذكر الملائكة، ومسلم البر والصلة / ٢٦٣٧ / ولفظ الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببت فلاناً فأحبه، قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ الحديث كتاب تفسير القرآن من سورة مريم. وللبخاري: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إني قدأحببت فلاناً فأحبه، قال: فينادى جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض».

المشاعر الإيمانية الراقية التي كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم ينهلونها ويغرفونها من مجلس رسول الله ﷺ، فيصلون إلى درجة اليقين، وإلى رؤيا العين، ولاغرابة في ذلك، فكما تعلمون جميعاً أن علماء المسلمين كأنبياء بني إسرائيل، والعارفون هم الوارثون.

وليست هذه الكلمات أيها الأخوة كلمات إطراء، أوكلمات مناسبة أومجاملة، فحقيقة الموت وهيبته فوق كل مجاملة، هذا ماكنا نحسه فعلاً حينما كنا نجلس إلى الشيخ رحمه الله، وحينما كان الشيخ يضمنا إلى صدره، ولطالما عبرت في حياته أني كنت أشعر بالراحة النفسية حينما كان الشيخ الجليل رحمه الله يضمني إلى صدره.

قال عبد الله: ولطالما سمعنا هذا كثيراً من زائريه ومجالسيه، يقولون ندخل مجلس الشيخ وعلينا من الهموم والغموم أمثال الجبال فنخرج من عنده وقد زالت عنا هذه الهموم وسري عنا وشعرنا بالراحة والسكينة والاطمئنان.

أقول: هذا من أسرار الزيارة في الله والمجالسة فيه، تتشرب فيه القلوب أسرار وأنوار المحبة الإلهية، تصفو النفوس، وتشرق القلوب، وتسموا الأرواح. مصداقاً لحديث القدسي: «**وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتباذلين فيَّ، والمتزاورين فيَّ**».

ختاماً:

إن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال: إما عابد، وإما عالم، وإما متعلم، وإما والٍ، وإما محترف، وإما موحد مستغرق بالواحد الصمد.

١- **فالعابد**: هو المتجرد للعبادة الذي لاشغل له غيرها أصلاً لو ترك العبادة لجلس بطالاً، فالأنسب له أن يستغرق أكثر أوقاته في العبادة ومجالس الذكر، قال ﷺ: «**إذا مرتم برياض الجنة فارتعوا، فقيل يارسول الله وما رياض الجنة؟ قال حلق الذكر**» أخرجه الترمذي.

٢-**والعالم**: هو الذي ينتع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أوتصنيف، إن أمكنه استغراق الأوقات في ذلك فهو أفضل مايشغل به بعد المكتوبات ورواتبها، إذا قصد بالتعليم الإستعانة به على السلوك، والمراد بالعلم المقدم على العبادة – **العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا** – أو يعينهم على سلوك طريق الآخرة، دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق.

٣-**والمتعلم**: هو القاصد بالتعلم وجه الله تعالى، فاشتغاله بالأذكار والنوافل المطلقة: ولاينبغ له أن يخلي نفسه من ورد من الذكر كل يوم، ذلك أعون له على ما هو بسبيله إن شاء الله تعالى، بل لو كان من العوام لكان حضوره مجلس الوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد.

وقال كعب الأحبار ﷺ: لو أن ثواب مجلس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العالم وخاف واسترجع ورجع عن ذنوبه انصرف إلى منزله وليس عليه من الذنوب شيء، فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجلس العلم يكفِّر سبعين مجلساً من مجالس اللغو واللعب.

وعلى الجملة فما ينحل عن القلب عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام، زكي السيرة، أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا.

٤-**والمحترف**: الذي يحتاج للكسب لعياله، ليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات في العبادة، بل ورده في وقت الصناعة، حضور السوق والاشتغال بالكسب، ولكن لاينبغي أن ينسى ذكر الله تعالى في صناعته بقلبه، بل يواظب على التسبيحات والأذكار، وقراءة القرآن، فإن ذلك يمكن أن يجتمع مع العمل ولايفوته، ومتى فرغ من تحصيل كفايته يعود إلى العبادة.

٥-**والوالي**: مثل الإمام والقاضي، وكل متولي مصالح المسلمين، قيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من اشتغاله بالأوراد، فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهاراً، ويقتصر على المكتوبات ورواتبها، ويقيم الأوراد ليلاً.

٦-**والموحد**: المستغرق بالواحد الصمد، الذي أصبح وهمومه همٌ واحد، فلا يحب إلا الله، ولايخاف إلا منه، ولا يتوقع الرزق من غيره، فمن ارتفعت درجته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها، بل ورده بعد المكتوبات ورواتبها واحد، وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال، فلا يخطر بقلبه أمر، ولايقرع سمعه قارع، ولا يلوح لبصره لائح، إلا كان له فيه عبرة، وفكرة ومزيد، فهذا جميع أحواله تصح أن تكون سبباً للزيادة، وهذا منتهى درجة الصديقين. اهـ تنوير القلوب، قسم التصوف.

أقول: نحسب أن شيخنا الوالد، ونرجو الله تعالى أن يكون وصل هذه الدرجة، والمرتبة مرتبة الموحد المستغرق بالواحد الصمد وصفاء قلبه، وجهاد نفسه ثانياً، ولله المنة والفضل أولاً وآخراً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات وتجزل المثوبات، ويتولى الصالحين في أنفسهم وذرياتهم وأحبابهم، في حياتهم وبعد مماتهم، ولله الحمد والمنة، بدأً وختماً.

الفصل الثاني عشر

آخر يوم من الحياة وأول ساعات البرزخ

وأترك الحديث عن هذا اليوم أيضاً لأخي الشيخ عبد الله المسعود يصف لنا آخر ساعات حياته المباركة وكيف تم انتقاله إلى الدار الآخرة وكيف حمل الناس جنازته المحمولة من غيرهم والذين كانوا يتطاولون ليصلوا إليها، فكتب عبد الله ما يلي:

الحمد لله المبدىء المعيد، الباقي الوارث الشهيد، الذي لايبقى إلا وجهه، ولايدوم إلاسلطانه القائل لحبيبه المصطفى ونبيه المرتضى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾.(الزمر).

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾.الأنبياء.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل:«أيها الناس من أصيب منكم بمصيبة من بعدي فليتعزَّ بمصيبته بي عن مصيبته التي تصيبه فإنه لن يصاب أحد من أمتي بمثل مصيبته بي». كنز العمال٣/٦٦٥٦[1]

وبعد: فإن موت الصالحين مصيبة عظمى، وخطب جلل، فإذا كان هؤلاء الصالحون من العلماء العاملين، كانت ثلمة في الإسلام لاتسد إلا بمثلها، وإذا كان الفقيد عالماً ربانياً ووارثاً محمدياً وأباً روحياً وجسدياً فقد عظم الخطب وجل الرزء، ولا يخفف من هولها إلا قول

---

[1] - روى ابن ماجة في كتاب الجنائز عن عائشة رضي الله عنها قالت :فتح رسول الله ﷺ باباً بينه وبين الناس أوكشف ستراً فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر، فحمد الله على مارأى من حسن حالهم، ورجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم فقال:«**أيها الناس إيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعي أشد عليه من مصيبتي**». البخاري رقم ١٥٩٩ باب ٥٥.

الإنسان المؤمن بلسانه وقلبه ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾. اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها [1]

الموت سنة كونية، والفراق قدر لابد منه والجزاء وفق العمل، والله واهب الأجل، وبه يكون الأمل وعليه المعول، وفق هذا كانت موعظة صفوة الأنبياء من جبريل أمين السماء عليهما السلام: «**يا محمد عش ماشئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به**» [2].

الأيام الأخيرة من حياة الشيخ :

سبق الكلام عن شيخوخة الشيخ وعمره المبارك في الطاعة وإكرامه لزواره ومحبيه بالرغم من الضعف والعجز الذي انتابه في أيامه الأخيرة، وكان إخوتي – حفظهم الله تعالى – يحفون به ويراقبون صحته، ويبذلون قصارى جهدهم جزاهم الله خيراً في تأمين سبل الراحة والعلاج اللازم ومشورة الأطباء في ذلك ولكن لكل أجل كتاب وما قدر الرحمن كائن لا محالة وسنّة الله ماضية، وبسبب إقامتي في حلب والتزامي بإمامة جامع الأنوار والتدريس في الثانوية الشرعية، كنت في الأيام الأخيرة من حياته المباركة أخرج من الثانوية الشرعية قبيل الظهر منطلقاً إلى مدينة الباب لرؤيته والاطمئنان عليه، فإذا عاقتني المقادير يوماً اتصلت به بالهاتف مطمئناً على صحته أومستفسراً ممن هو بجانبه.

---

[1] – روى الإمام مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**مامن مسلم تصيبه مصيبة فيقول ماأمره الله عزوجل ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها**»، كتاب الجنائز، باب مايقال عند المصيبة .حديث ٩١٨ .

[2] – تتمة الحديث: (**واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس**) أخرجه الطبراني في الأوسط عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال الحديث .

الإستشفاء بالعلم:

واتصلت يوماً فرد علي ابن أخي محمد علي بن عبد الرزاق، الذي كان يلازم جده، قال لي: الحمد لله، جدي بخير، صلى الضحى، وقرأ القرآن، وكتب، قلت ماشاء الله هذا يبشر بالخير، قال لي: يقول جدي قال الإمام الشعراني: نستشفي بطلب العلم.

طلب العلم من المهد إلى اللحد :

قبل وفاته بقليل – نحو يومين – جئت كالعادة من حلب، وجلست بجانب سريره بعد تقبيل يده والسلام عليه ومؤانسته لي، قال لي: ماذا تحفظ في سبب النهي عن الصلاة في مبارك الابل؟، فأجبته خشية إيذاء المصلي، وأردت أن أوثق الجواب وأزيده وضوحاً ففتحت قواميس اللغة وشرح الغريب التي بجانب سريره، فما وجدت جواباً شافياً، وكان الشيخ – قدس سره – يشرح الزيادة على الجامع الصغير في الحديث الشريف، وكان آخر حديث وصل إليه في الجزء الثاني، الصفحة /٩٤/ عن جابر بن سمرة ﷺ كنت قاعداً عند النبي ﷺ فأتاه رجل فقال يا رسول الله أنتوضأ من لحوم الغنم ؟، قال:(إن شئت توضأ منه، وإن شئت لا توضأ منه) قال أنتوضأ من لحوم الإبل ؟ قال نعم (توضأ من لحوم الإبل) قال: فنصلي في مبارك الإبل ؟ قال: (لا) قال أنصلي في مرابض الغنم ؟ قال (نعم فصل في مرابض الغنم) فأسرعت إلى الغرفة الأخرى ثم أتيته بشرح الحديث من كتاب الفتح الرباني في شرح مسند الإمام أحمد وقرأت له التالي: والنهي عن الصلاة في مبارك الإبل وهي أعطانها نهي تنزيه وسبب الكراهة مايخاف من نفارها وتهويشها على المصلي والله أعلم، فرأيت السرور والراحة بدت عليه بسبب هذا الشرح للحديث، وفي هذه الأثناء دخل أخي الكبير الشيخ محمد زكريا منبهاً لي مسترحماً وضع الشيخ مشفقاً على صحته من إجهاد ذهنه وكلال فكره، فقال له: دعه فأنا طلبت منه ذلك.

وما أشبه هذه الحادثة بقصة الإمام قاضي القضاة أبي يوسف, صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان حين دخل عليه رجل يعوده وهو في النزع فقال الإمام: ماتقول في مسألة كذا ؟ - من مسائل الحج - قال له: أنظر ما أنت فيه (من حالة النزع ووطأة المرض)، قال له الإمام: مسألة تبقى بعدنا ينتفع بها الناس.. أقول رحم الله هذه الأرواح الطاهرة والهمم العالية ما أحرصها على نفع عباد الله. [1]

عود على بدء : كان يوم الأربعاء ١٥ رجب من عام ١٤١٩ هـ، آخر يوم من أيام الشيخ في هذه الحياة الدنيا، وقد ذكرنا فيما مضى أن صحة الشيخ كانت تتضاءل يوماً فيوماً، وقواه تضعف، وكانت ملازمة أولاده ومحبيه له وعنايتهم به وفق الطاقة البشرية تامة، وأحبابه من الأطباء يترددون إليه ويقدمون ما استطاعوا له من علاج، وأهله وأحفاده يراقبون عن كثب وألم وضراعة إلى الله تعالى.

وفي صبيحة ذلك اليوم زاره أبناؤه وأحفاده كالعادة فجلس إليهم يؤانسهم ويسألهم عن أحوالهم، وعن الأطفال الصغار منهم، وعن الغائبين من أحفاده وحفيداته واطمأن على أمورهم ودعا لهم بالخير.

قدمت في ذلك اليوم من حلب، ودخلت غرفته فوجدته جالساً على سريره والطبيب يقوم بفحصه، ووضع العلاج اللازم له، فسلمت ولم أتمكن من لثم يده لانشغاله بالطبيب، وحذراً من إزعاجه، فرغم انشغاله مع الطبيب أشار إلي بيده مسلماً.

---

[1] - إقرأ القصة في كتاب (قيمة الزمن عند العلماء) لشيخنا العلامة عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله .

يموت الإنسان على ما عاش عليه :

لقد كانت قرة عين النبي ﷺ (الصلاة) فإن آخر كلمات صدرت عنه موصياً بها الأمة:«الصلاة وما مكلكت أيمانكم».[1] كذلك وراثه ومحبوه.

فبعد خروج الطبيب سلم عليه أهله سلاماً لطيفاً مختصراً لأن صحته أخذت بالتضاؤل، وشمس الشيخ وشمس ذلك اليوم آذنتا بالغروب، فبماذا يودع ذلك اليوم الذي ستعرج فيه روحه إلى بارئها، فأخذ الشيخ بالصلاة وهو مستلق على سريره، مكبراً قارئاً الفاتحة والإنشراح وقصار السور، بصوت مرتفع مسموع، وأخذنا نقرأ معه، وكان قبل ذلك لا يقوى على رفع صوته، وكلما انتهى من صلاة ابتدأ بغيرها، وهكذا إلى أن كلت قواه وخفت صوته.

وأحب أن أذكر بما وضعته عنواناً لهذه الفقرة أن الشيخ – قدس الله روحه – كان شغوفاً بالصلاة، وكلما حزبه أمر فزع إلى الصلاة فزعاً إلى ربه لائذاً به، واستخارة له، وشوقاً إليه.

ثم أخذنا بقراءة سورة يس والإخلاص والمعوذات وترديد كلمة التوحيد، وأصبح الوقت بعد العشاء والضعف أصبح بادياً وأيقنا أنه الفراق وأنه في حالة استغراق عما حوله.

الممات على السنة كما الحياة:

إن أعظم ما تميز به الشيخ رحمه الله تعالى، حبه النبي ﷺ وتفانيه في ذلك، ودقته في اتباع السنة الشريفة قولاً وفعلاً، فلا تجد سلوكاً وخلقاً من أخلاقه إلا مدعماً بسنته الشريفة قولية أو فعلية (وهذا ذكرناه

---

[1] – أخرجه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة عن أنس ﷺ، قال المناوي في شرح الجامع الصغير في أسانيد صحيحة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كانت آخر وصية رسول الله ﷺ :«**الصلاة الصلاة ومامَلكت أيمانكم** ». حتى جعل النبي ﷺ يجلجلها (يرددها) في صدره ومايفيض بها لسانه . ج٦، أحاديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، حديث أم سلمة

مفصلاً في أخلاقه). فمن عاش محباً للنبي ﷺ خادماً لسنته متبعاً لهما لابد وأن الله سيكرمه بالموت على سنته.

فقبل وفاته بحوالي نصف ساعة جاء أحد محبيه من المتخصصين في الطب، الأخ أحمد اسماعيل الأحمد (أبو الخير) ليتفقد وضعه الصحي والشيخ مستلقٍ على ظهره منتظراً رحمة ربه لاحيلة له ولاقوة سوى نفس يتردد في صدره الطاهر، أخذ الأخ أبو الخير ميزان الضغط ليرى الحالة التي هو فيها، وما يستطيع عبد مخلوق أن يقدم شيئاً في مثل هذه الحالة ولكنه جهد المحب، أخذت الشيخ سعلة فقام هذا الأخ بإخراج النخامة من فيه بواسطة منديل لتخفف عنه، فقلت له: ياسيدي هذا أبو الخير أماط عنك هذه فقال: الله يعطيه العافية، يالله:الشيخ منذ ساعات لايتكلم وهو في حالة استغراق، ولكن الله تبارك وتعالى قواه ليرد له الجميل بدعوة صالحة رائعة، وكم مرة سمعنا منه الحديث الشريف:«**من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له، حتى تظنوا أنكم كافأتموه**»[1].

أنظر يا رعاك الله إلى تولي الله عباده حتى في آخر لحظات حياتهم.

ثم ارتاى الأخ أبو الخير أن يغير وضعية استلقائه على ظهره إلى توسيده إلى جنبه الأيمن لأن في ذلك راحة له، الإستلقاء على الجنب الأيمن، فما هي إلا لحظات حتى فاضت روحه الشريفة إلى بارئها بين تكبير أهله وتهليلهم، واسترجاعهم وحمدهم وثنائهم على الله تعالى بما هو أهله.

---

[1] - كشف الخفاء /٢٣٦٨/ وجاء في الأذكار للإمام النووي رحمه الله تعالى -٩٧٢هـ قال روينا في سنن أبي داود والنسائي بأسانيد صحيحة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ماتكافئونه فادعوا له حتى ترو أنكم قد كافأتموه**». أبو داود ٩٦٦، النسائي ١٦٧٢، والأذكار ص ٣٦٣، فصل يكره منع من سأل الله تعالى وتشفع به.

نعي الشيخ:

وفي الساعة العاشرة من ليلة الخميس صعدت الروح إلى بارئها، وسجي الشيخ على سريره، وساد الوجوم على الوجوه، وأظلمت العيون بسحب الدموع، واشتعلت في القلوب مشاعل الألم مع الرضا الكامل بالقضاء والقدر، وطار الخبر الحزين ليلاً في أرجاء البلاد، فوصل إلى حلب وضواحيها، وإلى منبج وريفها، وإعزاز وقراها وتذاكر الأحباب موعد الجنازة والصلاة عليها، وكان رأي الإخوة والمحبين في حلب من طلبة العلم أن يكون موعد صلاة الظهر، ليتسنى لمحبي الشيخ -وهم كثر- وأهل العلم والفضل من حلب والمناطق الأخرى حضور الجنازة، ولكن أحد الأخوة ألحّ على التعجيل بدفنه، لأن السنة في دفن الميت التعجيل، فهو كرامة للميت، وأن الشيخ رحمه الله كان محباً للسنة في شؤونه كلها، فلنختم له بذلك، واستقر الأمر على أن تكون الصلاة على الجنازة الساعة العاشرة صباحاً في الجامع الكبير.

ومع شروق الشمس من يوم الخميس نودي في مآذن مساجد الباب بالأذان إعلاماً بوفاة الشيخ العالم محمد علي المسعود، كما نودي في كثير من مساجد حلب ومنبج وإعزاز وريف المحافظة والقرى الشمالية، وكان الخبر تسرب ليلاً إلى كثير منها.

الجنازة والصلاة عليها:

توافد الناس إلى منزل الشيخ من الصباح الباكر ليوم الخميس، وأمّت المدينة أعداد كثيرة من حلب ومنبج والقرى الشمالية.

وكان أبناؤه وإخوانه يقومون بتغسيله، وقد تم ذلك في غرفة الشيخ وكان عندي صفيحة من ماء زمزم طلبت من ولدي إحضارها لتكون آخر غسلة لجسده الطاهر وطالما أحبَّ ماء زمزم، وأكرم أضيافه بها ذاكراً لهم الحديث الشريف: «**أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه ماء زمزم**». أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس، كما كان

يجعل زمزم سقيا المرضى الذين يفدون إليه مستشفين ذاكراً لهم الحديث الشريف: «**ماء زمزم لما شرب له**» [1]. وكفن الكفن الشرعي وفق السنة المطهرة ثم خرجت الجنازة من منزله باتجاه الجامع الكبير في مدينة الباب.

المشهد المثير الرائع: بعد أن غسل الشيخ وكفن وفق السنة الشريفة وضع في النعش، وكان الناس قد تكاثروا أمام منزله، وحضروا من الصباح الباكر، وخرجت الجنازة من غرفة الشيخ إلى ساحة المنزل، يحملها أهلوه على أكفهم، ثم ما إن خرجت خارج المنزل حتى تكاثر عليها المحبون والمشيعون، وارتفعت فوق الأكف في مشهد مؤثر ظاهر، ذلك أن الناس تتسابق ليس من أجل أن تحمل الجنازة، بل من أجل أن تلمس الجنازة، لأن الجنازة أصبحت فوق رؤوس الأصابع.

قال أحدهم لا يوجد في مدينة الباب رجل طوله (٢,٥) متر، فكيف كانت الجنازة أعلى من رؤس الرجال ؟؟؟!! إنها فوق المسافة، بل إنه بالكاد أن تلمسها أصابع اليد.!!

هل ساهمت ملائكة السماء في حمل الجنازة ؟ أخرج الإمام الترمذي في سننه وصححه من حديث أنس قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ ﷺ قال المنافقون: ما أخف جنازته، قال النبي ﷺ: «**إن الملائكة كانت تحمله**» وإن جبريل قال (**من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء، واستبشر به أهلها**) أخرجه الحاكم وقال الأحاديث التي تصرح باهتزاز عرش الرحمن لموت سعد مخرجة في الصحيحين.

وقيل هي علامة نصبها الله لمن يموت من أوليائه ليشعر ملائكته بفضله. اهـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ج/٧، اهتز العرش لموت سعد، كتاب المناقب ح رقم (٣٨٠٣).

---

[1] – روى الدارقطني عن ابن عباس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «**ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفي شافاك الله، وإن شربته ليشعبك أشبعك الله وإن شربته لقطع ظمئك قطعه، وهي هزمة جبريل، وسقيا اسماعيل**». هزمة: نقرة جبريل ضربها برجله فنبع الماء.

هل ساهمت الملائكة بالطيب والحنوط من الجنة ؟! :

يجيبنا على ذلك الحديث التالي: روى الإمام أحمد ﷺ وغيره عن البراء بن عازب ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: يا أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في - أي فم السقاء - بسهولة ويسر - فيأخذها - أي ملك الموت - فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلايمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ماهذه الروح الطيبة ؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى..» الحديث.

نفحة مسك :

الشيخ عبد الناصر معراوي طالب علم في مدينة الباب له صلة ومحبة واسترشاد وتوجيه من الشيخ رحمه الله تعالى، شارك في الجنازة مودعاً ومشيعاً، كان قد تطاول ليلمس الجنازة السائرة فلمست يده اليمنى غطاء سجيت به الجنازة، وسار معها حتى النهاية، عاد إلى المنزل ليشم في يده اليمنى رائحة زكية مسكية توضأ وذهب إلى الصلاة

لازمته الرائحة بعد الوضوء أيضاً قارن باليد الأخرى فلم يجد تلك الرائحة التي يجدها باليد اليمنى، وفي اليوم التالي اغتسل غسل الجمعة، وبقيت هذه الرائحة ملازمة له مدة ثلاثة أيام، فأسف وحزن على فقد الشيخ ثم فقد هذه الرائحة من يده.

صلاة الجنازة :

سارت الجنازة من منزل الشيخ في الحي الشمالي على رؤوس الأصابع، إلى الجامع الكبير الذي يتوسط المدينة والذي غصت أرجاؤه وساحاته الخارجية بالناس، وهو في رحابته يتسع لآلاف المصلين، ووضعت الجنازة في المسجد، وكان قد سبقها مئات المسلمين من حلب ومنبج وإعزاز وريفها، من أحباب الشيخ ومعارفه، وقام الخطباء يتكلمون واعظين للناس مترحمين على الشيخ ومعددين مناقبه، أذكر من هؤلاء:

الشيخ أحمد العيسى مفتي منبج ومدير مدرستها الشرعية:تكلم عن فقد الرجال في الظروف العصيبة، وحاجة الأمة إليهم، وقال: إن الشيخ رحمه الله تعالى كان مدرسة متنقلة تزرع الخير في كل موطن حلت فيه قدماه.

الشيخ عبد الماجد الشاوي مدير الثانوية الشرعية بالباب: تكلم مثنياً على أخلاق الشيخ رحمه الله تعالى وسلوكه الطيب وتواضعه الجمّ وأن هذه الرفعة التي أكرم الله تعالى بها الشيخ إنما هي من فرط تواضعه لله، فإنه من تواضع لله رفعه الله.

ثم قال **ولده عبد الله**:بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد من لا نبي بعده، وأشهد أن لاإله إلا الله، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد رسول الله، وأشهد أن محمد حق، وأن الموت حق، وأن الساعة حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن النار حق، وأن قضاء الله وقدره حق.

يا أيها الأحبة: ذكر إخوتي قبلي من مآثر سيدنا الذي هو في الحقيقة كما تفضلوا أب للجميع، هو والد للجميع، هو مرشد للجميع، وما عهدناه إلا كذلك، وما رأيناه إلا متمسكاً بالحق، والحق أحب إليه من كل ذات في الدنيا، ومتابعة النبي ﷺ في الأقوال الأفعال والأخلاق، ومارأينا متابعة للنبي كمثل دقتها في حياة شيخنا،

بل أقول وفي وفاته، أكرمه الله عز وجل بمتابعة النبي ﷺ، في حال حياته، في أدق الأمور، في مأكله، في مشربه، في منامه، وفي حديثه، وفي قراه لضيفه.

يا أيها الإخوة: ماينبغي لمثلي أن يتكلم في حضرته وهو ولا يحب الإطراء ولكنه انتقل إلى عالم آخر لابد من بيان الحقيقة، ونبينا المصطفى ﷺ يقول: «**اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساوئهم**»[1]. فذكر المحاسن فيه فائدة، فائدة الإهتداء بالهدي المحمدي الشريف.

يا أيها الإخوة: إذا أردنا أن نصفه كما قال السادة العلماء قبلي، بأنه المدرسة المتكاملة، وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد، إذا رأيته في الأخلاق الحسنة، فهو إمامها وقدوتها، وإذا أردته في الكرم وقرى الضيف فمعروف وصفه للقاصي والداني، وإذا أردته في الإخلاص فهو فيه عَلَمٌ، وأشار إخوتي المتكلمون قبلي إلى إخلاصه وحبه لله ورسوله ﷺ، وإذا أردت أن تتكلم عن علمه، وفقهه ودأبه، فإنه أتعب من بعده.

يا أيها الإخوة: العلمَ ياطلبة العلم، العلم يا أحبابنا، وهذه العمائم البيضاء من غرسه، كما تفضل أخي الشيخ أحمد العيسى لأنه كان كلما نزل مكاناً أو حل قرية، أرسل نفراً من أبنائها لطلب العلم، فكثرت بفضل الله العمائم البيضاء، وكثر طلبة العلم المحبين، وكثر الهدي النبوي الشريف، وإذا ماكنا ومازلنا في العلم، فأقول لكم: في شيخوخته وفي عجزه وفي سنه وضعفه، والله لقد أتعب طلبة العلم الشباب.

---

[1] الحديث رواه أبو داود والترمذي والطبراني والحاكم عن عمر، كشف الخفا .

أقول لكم: يا أيها الإخوة؛ ياطلبة العلم خاصة، إن كتاب كنز العمال في سنن الأقول والأفعال من حديث رسول الله ﷺ أكبر موسوعة في الحديث الشريف، وقد درسها الشيخ مرتين بمفرده، فقال بعض طلبة العلم: يحتاج هذا إلى مجمع علمي، فكيف تسنى للشيخ وحده أن يقوم بهذا العمل الجليل ؟.

لقد راجع أصول الأحاديث وحققها، وهذه هي المرة الأولى، وفي المرة الثانية عاد ليشرح غريب هذا السفر العظيم، من أحاديث رسول الله ﷺ، فخطر في بالي أن أقارنه بالإمام الغزالي رحمه الله تعالى، حيث كان آخر عمره منكباً على دراسة الحديث الشريف، وهذه ليست آخر أعماله الجليلة، يا أيها الإخوة؛ بل قام بشرح زيادة الجامع الصغير للسيوطي، وهذه لم يشرحها الإمام المناوي في فيض القدير، فقام بشرح هذه الزيادة، ولكن رحمة الله أدركته، قبل أن يتم هذا العمل المبرور، والمرض يجهده وكبر السن يتعبه، وينصحه الأطباء بالراحة فيقول: قال الإمام الشعراني رضي الله عنه: (إذا مرضنا تداوينا بطلب العلم) أين نحن من ذلك ؟ لقد أتعبت من بعدك ياسيدي، لقد اتعبت من بعدك من طلبة العلم، في كرم أخلاقك، في احتمالك في صبرك، في بشاشة وجهك، في سعة صدرك للقريب والبعيد، لقد كنت لا تُرى إلا باشاً طلق المحيا، تذكرنا بأخلاق سيدنا رسول الله ﷺ، حتى حين حضر عند وفاة والده ليصلي عليه، دخل المسجد والوالد (الجد الشيخ محمد المسعود رحمه الله) مسجىً فيه، فماذا فعل بربكم، قولوا لي: إن أول عمل قام به صلى ركعتين تحية المسجد اتباعاً للسنة الشريفة، ثم تقدم فصلى على والده، أجل أيها الإخوة، لقد أتعب من بعده، بدقة اتباعه لسيدنا رسول الله ﷺ.

وأقول: إن الله أكرمه في حال حياته وفي حال وفاته، فلم يفتر لسانه عن ذكر الله، حتى النفس الأخير لقد جعلت قرة عينه في الصلاة، وهو في شدة سكرات الموت، وفي شدة الألم المضني، وهو يصلي

ويصلي، ويقرأ حتى عجز لسانه حتى ماكاد يُفهم، يقرأ الفاتحة والإخلاص، والتشهد والصلوات الإبراهيمية، يقرأ المعوذات، وهو لا يكاد يظهر صوته، وأكرمه الله عز وجل باتباع السنة حتى عند وفاته، فكان مستلقياً على ظهره، فغيرنا استلقائه ووضعيته، ونحن لا نحسب أنها اللحظات الأخيرة من حياته، ولكن غيرناها بناءً على وصية الأطباء لراحة جسده، فعندما وضعناه باتجاه القبلة الشريفة، وكأنه ينتظرها، فاضت روحه إلى بارئها، أجل أيها الإخوة، معذرة ياسيدي، معروف أنك لا تحب المديح أو الإطراء، ولكنها الحقيقة، حتى نقتدي بها، ونتأسى بها، وحتى نتبع سيدنا رسول الله ﷺ الذي أحببتَه، وغرست في قلوبنا محبته، في أقوالك وأفعالك وتصرفاتك، أجل ياسيدي كنت مدرسة متكاملة، إن البكاء ليس عليك، إنما البكاء على أنفسنا، لأن موت الصالح، وموت العالم، ثلمة في الإسلام، إن الله لَيَرُدُّ بالرجل الصالح البلاء عن أهله وجيرانه وقرابته، اللهم أجرنا في مصيبتنا يارب، وضعنا مصيبتنا في بابك يارب.

لقد كان المتواضع أشد التواضع، وهو مدرسة كاملة في التواضع، لقد عرفه القاصي والداني، والقريب والبعيد، والجاهل والعالم، وكل من عرفه أحبه، ويذكرني أخي الشيخ عبد الماجد عندما رأى الجنازة وهي على رؤوس الأصابع، يالله هل كانت الملائكة تحملها، أم قلوب الصالحين تزفها، يارب استودعنا والدنا وشيخنا، وسيدنا ومرشدنا، ومربينا عندك، وأنت الذي لا تضيع عندك الودائع.

فلا تَرْزَأْنا به يارب، وصبِّرْنا في مصيبتنا، واجعل عزاءنا بسيدنا رسول الله ﷺ، واجعل اتباعنا لسيدنا رسول الله ﷺ، واجعلنا من أهل البر والإحسان والنور والإيمان في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويوم يقوم الأشهاد، إنك يارب أكرم مسؤول، إنك جبار الخواطر، اجبر خاطرنا يارب، وضعنا ذلنا في بابك، وضعنا فقرنا في باب غناك يارب وضعنا شيخنا في مستقر رحمتك، يا أرحم الراحمين ارحمنا، يا أرحم

الراحمين ارحمنا، يا أرحم الراحمين ارحمنا، اللهم ارحمه يارب، وارحمنا به يارب العالمين، اللهم لا تَفْتَنَّا بعده، ولا تحرمنا أجره، واغفرلنا وله يارب العالمين، اللهم إن كان محسناً ونحن نظن به ذلك فزد في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه ياأكرم الأكرمين، ولقه الأمن والأمان والنور والبشرى مع الذين أحبهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، إنك أكرم مسؤول.

وجزى الله عنا نبينا محمداً ﷺ خيرالجزاء، وجزاكم الله يا أيها الأحبة خيراً، جزاكم الله عن دينكم، جزاكم الله عن إسلامكم، جزاكم الله عن نبيكم، جزاكم الله عن محبتكم للصالحين، والعلماء العاملين، جزاكم الله عنا وعن شيخنا خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وبعد انتهاء الكلمات أمَّ الجموع الحاضرة في الصلاة على الجنازة ولده الأكبر الشيخ محمد زكريا المسعود مفتي مدينة الباب.

التشييع إلى مرقده الأخير:

وبعد صلاة الجنازة في الجامع الكبير من أهل البلدة والوافدين من حلب والمدن الأخرى وفيهم الكثير الطيب من أهل العلم والصلاح، سارت الجنازة محمولة على الأصابع من الجامع الكبير إلى المقبرة التي في سفح جبل الشيخ عقيل، المشرف على مدينة الباب، مع المشيعين المنتشرين من الجامع إلى لمقبرة، فشبه أحدهم كثرة الناس وانتشارهم (بنفرة عرفات) ووصلت الجنازة إلى المدفن المعد للشيخ بجوار والده الشيخ محمدالمسعود، رحمه الله تعالى، وجوار ثلة من العلماء والصلحاء منهم شقيقه المفتي الشيخ محمد سعيد المسعود، الشيخ محمد بدر، والشيخ حمدان الصالح، والشيخ صادق الغزال والشيخ محمد البكور، وغيرهم من أهل هذه البقعة المباركة، وحضر الصلاة والدفن الشيخ الدكتور محمد صهيب الشامي، والشيخ

إسماعيل أبو النصر، والدكتور عثمان محمد عزيزة، والدكتور محمود العكام، إضافة إلى أولاد الشيخ ومحبيه، وجماهير غفيرة من المشيعين، غفر الله تعالى لهم.

الفصل الثالث عشر

رثاء – تعزية – مواساة

مجالس العزاء في المدينة المنورة:

أقيم مجلس عزاء في المدينة المنورة لتعزية ولده أحمد وصهره الشيخ محروس بن لادن، في منزل الشيخ محروس، حضره عمنا الشيخ عمر ملاحفجي، وأولاده، ومحبو الشيخ.

كما أكرم الله سبحانه الشيخ بمجلس الشيخ محمد بن زكريا البخاري، فقال مولانا الشيخ محمد زكريا البخاري لأخي الشيخ عبد الله: أقمنا الختم الشريف للقرآن الكريم يوم الجمعة، وأهديناه لروح الشيخ.

أقول: إن حب الشيخ لسيدنا رسول الله ﷺ وما يلوذ به من ربوع وديار تحتل منه سويداء القلب، وطالما خاطبه قائلاً:

ياسيد السادات ياخير الورى ... روحي إلى نعليك جاءت تضرع

إني احتميت بظل نعلك سيدي ... من كل صد عن جنابك يمنع

لاتنسني يافخر سادات الورى ... وارحم ضنأي فإنني متوجع

ألقيت حاجاتي ببابك سيدي ... ورميت حملي والمكارم أوسع

صلى عليك الله ياعلم الهدى ... دوماً صلاة فيها جاهك يرفع

والآل والأصحاب أرباب التقى ... والتابعين ومن هداهم يتبع

ماصاح قمري بغصن أراكة ... أو لاح برق في سماء يلمع

لقد شملت أنوار النبوة روحه الشريفة فأقيمت له المتعازي في رحاب طيبة الطيبة مع الصالحين المحبين من أحباب سيدنا رسول الله ﷺ.

مجالس العزاء في مكة المكرمة: هتف لنا العلامة السيد محمد علوي المالكي معزياً وقائلاً لقد أقمنا العزاء مع الطلبة، وقرأنا سورة يس ثلاث مرات على روحه الطاهرة، وذلك في مدرسته رحمه الله تعالى.

وقال: إن العزاء مشترك، ولولا مرض والدته ووجوده بجانبها لقدم إلينا، وهذا من إكرام الله تعالى لشيخنا الذي أحب البلاد لمقدسة، ومعالمها وأهلها وعلماءها وصالحيها، فأكرمه الله تعالى بمجالس أهل الفضل والعلم والصلاح، أن يكونوا أهله، ويقوموا بالتعزية به، ولطالما لهج بذكرهم والثناء عليهم بلسانه وقلمه.

كما وردت الهواتف والبرقيات والفاكسات من الأقطار العربية الأخرى، من الإمارات من أخينا الشيخ الدكتور إبراهيم محمد السلقيني، وهواتف أخرى مع قصائد رثاء من الإمارات والكويت من الإخوة المقيمين والمحبين هناك نذكرها في فصلها الخاص إن شاء الله تعالى.

مجالس العزاء في مدينة الباب لمدة ثلاثة أيام وماقيل فيها:

كانت أيام التعزية الثلاثة، ومابعدها ملتقى لأحباب الشيخ وتلامذته، وأصدقائه ومعارفه، الذين وفدو إلى منزله العامر في مدينة الباب ليبثوا ألم حزنهم على فراقه، وليشاركونا هول المصاب برحيله، وليعبروا عما تكنه صدورهم من حب وشوق ولوعة لمر الفراق.

وكانت ساحات وحرم جامع الشهداء المجاور لمنزله لاتكاد تتسع للمئات بل الآلاف الذين وفدوا معزين طيلة ثلاثة أيام، وفي بيته بعد ذلك.

وكان الإخوة والأحباب كلهم يعبرون بألسنتهم وقلوبهم وحضورهم عن المشاركة الوجدانية والمشاعر القلبية تجاه هذا الأب الشفوق الذي كان لكل واحد منهم معه موقف حب، أو قصة طريفة، أو لقاء إيماني، أو حديث ممتع، أو مجلس مبارك، التقى فيه مع الشيخ رحمه الله تعالى، فذكره فيما بعد كما يذكر الظمآن طيب الري، فإما عاد إلى المنهل ليرتوي منه إن أمكنه الورود إليه، أو ذكر بعض مجالس أنسه إن لم يُقَدَّرْ له اللقاء به مرة ثانية.

وكانت كلمات في العزاء ومقالات، وتأسفات، ولوعات، ودمعات حرى وزفرات، وكلها كانت لنا عزاءً ومواساة ومشاركة في حمل هذا المصاب الأليم، فجزى الله الأحباب جميعاً خيراً، أينما كانوا وحيثما نزلو، عرفناهم أم نسيناهم، ذكرناهم أم جهلناهم فإن الله سبحانه لاشك ذاكرهم ومجازيهم عن حبهم لشيخهم خيراً.

وفيما يلي بعض القطوف من أزهار تعزيتهم التي طوقوا بها أعناقنا، وأوسمة نفخر بها علقوها بثنائهم العاطر على والدنا، على صدورنا وتيجان عز – نرجو الله أن يديمها – ثبتوها بمشاركتهم الوجدانية على رؤوسنا.

فالشكر لهم منا، والمثوبة لهم من الله سبحانه على ما أحسنوا إلينا، ورحم الله آبائهم وأمهاتهم، وأشياخهم وأحبابهم، وجعلنا وإياهم من الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله، ونرجوه أن يجمعنا وأشياخنا وآباءنا مع حضرة حبيبنا وشفيعنا ﷺ في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أولاً – **مقتطفات من الكلمات التي ألقيت في مجلس العزاء :**

وهذه مقتطفات من الكلمات التي ألقيت، والتي عبر فيها السادة المتكلمون عن صدق حبهم، وعن حقيقة مشاعرهم، وأعطوا جوانب مضيئة من حياة الشيخ – وحياته كلها مضيئة والحمد لله نثبتها هنا حسب زمن ورودها في الأيام التي جرت فيها المشاركة في التعزية في

مسجد الشهداء، وفيما بعدها قصائد أرسلها إلينا المحبون فجزاهم الله خيرالجزاء وسنثبتها بعد الكلمات.

١-من كلمة فضيلة العالم العامل والشيخ الفاضل محمد عثمان بلال مفتي حلب رحمه الله تعالى :(رحمه الله، ترك الدنيا قبل أن تتركه، عمر قبره قبل أن يدخله، وأعتقد أنه من الأولياء العارفين، وأسأل الله أن يسكنه ويسكننا الفردوس الأعلى في جنات النعيم، وينعمنا بالنظر إلى وجهه الكريم، وأسأل الله أن ينعمنا بالسير على ماسار عليه).

٢-من كلمة العالم المربي أستاذنا الشيخ محمد أديب حسون حفظه الله وأمد في عمره: (المقام ليس مقام مدح خاص، إنما هو موقف اعتبار، وذكر للآثار الحميدة التي خلفها فقيدنا الغالي رحمه الله وجعله من أوليائه وأحبابه. كنت زميلاً له وكان زميلاً لي في المدرسة، وكنت أحبه وكان يحبني، كنت أراه دائماً يبتسم تلك الإبتسامة الحلوة وكان في شبابه حينما كان في المدرسة عليه مسحة جمال ومسحة خلق تكمله، وكان والده الشيخ محمد المسعود يزورنا في بعض الأوقات، وكان رحمه الله من بيت آل مسعود بيت العلم والكرم).

٣-من كلمة العلامة الفاضل الدكتور محمد صهيب الشامي مدير أوقاف حلب ، حفظه الله ورعاه : (.. ماشعرت أيها السادة، وأنا أنظر إليكم وأتفحص الوجوه، وأعبر عن شعوري، ماشعرت أنني في مأتم لا والله، لاريب أنه يوم عرس لفقيدنا، يوم يلتقي فيه بأحبته، ولست في معرض التزكية، وهو كما يعلم القاصي والداني ممن نشأ وترعرع في طاعة الله، وعاش في ركاب الصالحين، وعلى مائدة العلماء العاملين، وأعرض عن الدنيا وزينتها، وفاء إلى نفسه تربية وتزكية، وإعداداً، يعلم الناس بحاله قبل قاله، وهل من أقدم على ربه يفرح به أم يحزن عليه ؟ والله إنها للحظة فرح لرجل – ولا أزكي على الله أحداً – عرف بعلمه، باستقامته، بجديته، بحبه لأولياء الله وسيره على

طريقهم ونهجهم، بمحافظته على نفسه، بتنشئته لأبنائه، بإعداده لإخوانه.

بكل لحظة من لحظاته؛ كان داعياً مهيئاً من أجل أن يأخذ بأيدي الناس إلى شاطىء الأمان حتى يلقى الله بسلام، إنها لحظة سرور كما قلت اليوم، ولم أعتد أن ألقن ميتاً، وحينما طُلبَ مني شعرت وكأنني أنطق بلا كلفة قلت: أيها الغريب العائد إلى أهلَه، وحقاً إنه غريب في هذا الزمن العصيب يعود إلى أهله، والنبي ﷺ يقول طوبى للغرباء) أفلا نقول طوبى لك ياشيخنا، ياعمنا، ياشيخ محمد علي المسعود ؟!

طوبى لك وقد عدت إلى أهلك، لأنك كنت غريباً في سلوكك في منهجك في طريقتك في أسلوبك لقد مثلت البقية الباقية من هذا السلف الصالح الطيب المبارك.

هم الغرباء فاتبعهم غريباً وسل عنهم خبيراً لا مريباً

فإن وعدوك قالوا اصبر وصابر فما خاب الصبور ولن يخيبا

أما كان هذا قوله لك ياشيخ زكريا بالأمس؟يقول لك: اصبر وصابر؟ هذا حالهم، وهذا قالهم وهذه هي دعوتهم، وإنا لنسأل الله عز وجل أن يجعل في أسرتهم الخير والبركة والنور والهدى، اليوم ودعنا الشيخ محمد علي، وبالأمس ودعنا الشيخ محمد سعيد، وقبل ذلك ودعنا ذلك العملاق الشيخ محمد المسعود، الذي تعزى له وببركته هذه الأسرة الطيبة المباركة.

ولنا إن شاء الله العزاء في هذه الغراس الطيبة، بالشيخ زكريا، بالشيخ محمود، بالشيخ عبد الله بالشيخ عبد الرزاق في أولاد عمومتهم في أبنائهم يحيى وإخوته.

إن المصيبة أيها الإخوة حينما يموت الشيخ محمد علي، ولم يخلف لنا من أسرته، أو من إخوانه من يحمل الراية، لكن حينما يموت الشيخ محمد علي المسعود، وقد خلف لنا أمثال هؤلاء، فما مات الشيخ، لاوالله أقولها بصدق، وأقول لكل عالم، ولكل طالب علم، إن طريق

الخلود يكمن في السير على منهج الجدود، على منهج النبي ﷺ وآله، على محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، هذا الطريق لا يمكن أن ينتقص، إن لم يحمله منهم أحد هيأ الله سبحانه من غيرهم من يحمله، والحمد لله أن أكرمهم وأكرمنا باستمرار رفع هذه الراية، راية الحق، راية الدعوة إلى الله، راية المحبة، راية الإرشاد، راية السلوك إلى الله عزوجل، وهذه نعم كبرى علينا نسأل الله سبحانه أن يعرفنا نعمه بدوامها لابزوالها..).

٤-**من كلمة العالم الفاضل الشيخ إسماعيل (عبد الخالق) أبو النصر حفظه الله وأمد بعمره مع العافية وتمام النفع**: (... من الأحداث الجسام أيها الإخوة، أن نشهد عن قرب غياب منارات مضيئة، رسمت وأوضحت لنا الطريق، إلى الله سبحانه، وواجب المؤمن أن يكون واثقاً من موقفه، وأن يكون واضحاً في مشاعره، لاشك أيها الإخوة أن من أبرز الحوادث الجسام في حياة المؤمن؛ غياب الشخصيات المنيرة، ولاشك أن غياب الشيخ الجليل الشيخ محمد علي المسعود رحمه الله تعالى، وأسكنه الفردوس الأعلى، وأعطاه من كرمه، وجمعه بأحبابه، لاشك أن غياب أمثال هذا الشيخ مؤثر على النفس، وإننا نحن المسلمون اليوم؛ بأشد مانكون حاجة إلى أمثال هذه الشخصيات، خاصة وأن نفوسنا تعيش عملية الصراع الشديد مع الذات، ومع الواقع.

إن غياب المثل أيها الإخوة، من أبرز أسباب التخلخل والضعف في حياة المسلمين، غياب المثل الصالح، وإن أحوج مايحتاجه المسلمون اليوم وجود الشيخ الجليل رحمه الله، كان بأخلاقه وتواضعه، بإيمانه واطمئنانه، نموذجاً رائعاً من تلك النماذج البشرية المؤمنة، التي مرت على التاريخ، والتي تنتمي إلى رجال السلف الصالح، من رجال الرعيل الأول الذين رسموا ووضحوا لنا الطريق إلى الله جلياً واضحاً بعيداً عن وساوس الشيطان، وبعيداً عن خطرات النفس وبعيداً عن اتباع الهوى وبعيداً عن طول الأمل. وفي الحديث المرفوع إلى رسول الله ﷺ: «**أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى**

وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة».[1]

إن الإحساس بالسعادة والسرور الذي كنا نشعره حينما نجتمع بالشيخ محمد علي رحمه الله ليعطينا تجربة عملية، ونموذجاً مبسطاً عن تلك المشاعر الإيمانية الراقية التي كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم ينهلونها ويغرفونها من مجلس رسول الله ﷺ، فيصلون إلى درجة اليقين، وإلى رؤيا العين، ولاغرابة في ذلك، فكما تعلمون جميعاً أن علماء المسلمين كأنبياء بني إسرائيل، والعارفون هم الوارثون.

وليست هذه الكلمات أيها الأخوة كلمات إطراء، أوكلمات مناسبة أو مجاملة، فحقيقة الموت وهيبته فوق كل مجاملة، هذا ماكنا نحسه فعلاً حينما كنا نجلس إلى الشيخ رحمه الله، وحينما كان الشيخ يضمنا إلى صدره، ولطالما عبرت في حياته أني كنت أشعر بالراحة النفسية حينما كان الشيخ الجليل رحمه الله يضمني إلى صدره.

قلت: إننا كنا نشعر بالسعادة والاطمئنان حينما كان الشيخ يضمنا إلى صدره تعبيراً عن الحب والود وعن الولاء.

ولا أنسى موقفاً للشيخ رحمه الله تعالى، ولايزال دائماً في مخيلتي، بل في قلبي بعد وفاة والدي الشيخ عبد الباسط أبي النصر رحمه الله تعالى بفترة وجيزة، إذ أرسل إلي الشيخ محمد علي رحمه الله تعالى مع أحد أحبابه وهو موجود هنا، أرسل إليَّ يتلمس رأيي في سفر له إلى الحج أو العمرة، وطبعاً فإن صفتي بالنسبة إليه أني أمثل أحد أبناء شيخه من رجال الطريقة النقشبندية، وفي الحقيقة؛ بهرني

---

[1] - رواه ابن عدي عن جابر ورمز السيوطي في الجامع الصغير لضعفه بلفظ: (أخوف ماأخاف على أمتي الهوى وطول الأمل). قال المناوي: ورواه الحاكم باللفظ المذكور، وزيادة(أما الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة) ورواه أبو نعيم عن علي.

تواضعه، وأخجلني طلبه، فأعطيت للأخ الكريم الذي أرسله رأيي على استحياء.

هذا موقف للشيخ لا أنساه له، تجاوز فيه معارفه، وعلمه ومكانته واحترام الناس له، وآب إلى فكره ومعتقده إلى حقيقته التي كان عليها، إذ كان متواضعاً، بل في قمة التواضع.

أيها الإخوة الكرام لايسعنا في الحقيقة إلا أن نعتبر الشيخ محمد علي رحمه الله تعالى مثلاً أعلى في المعرفة، رمزاً للصدق والإخلاص، وحجة لله في القرن العشرين.

ولا يسعني إلا أن أقول، وماذا يصنع العبد الضعيف أمام قدرة الله، وأمام قضاء الله وإرادته سبحانه، ولا يسعني وإياكم إلا أن نكون مسلمين راضين.... لقد أدى الشيخ محمد علي رحمه الله الأمانة، ونصح الأمة، وسار مع قافلة الطهر إلى رب كريم، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

وأملنا كبير في أنجال الشيخ جميعاً، حفظهم الله وسدد خطاهم، وألهمهم وإيانا الصبر والإخلاص وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

٥- **كلمة فضيلة الدكتور أحمد بدر الدين حسون مفتي حلب، ابن شيخنا الفاضل الشيخ محمد أديب حسون، حفظه الله** : (إن تكلمنا في هذه اللحظات عن شيخنا الحبيب، فإنما نتكلم عن حقائق عشناها معه ورأيناها فيه، وعاشها كل من عرفه، وليست هي بمدائح إنما هي نصائح لمن أراد أن يحيا عمره طيباً، لأن حياة الصالحين هي منهج لمن بعدهم وصراط لمن يأتي على الهدى.

ولكم سمعت سيدي ووالدي حفظه الله تعالى يقول: يابني المعطوف على الواجب واجب، فإن الله تعالى قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة.

فالتقوى واجبة، والكينونة مع الصادقين واجبة، ومن ليس له جلوس مع الصادقين فقد أنقص نصف الآية الكريمة من عمره.

وأشهد أن كلمة الصادقين تنطبق على شيخنا الراحل سيدنا الشيخ محمد علي المسعود، وأقولها بصدق ياعمي الغالي يوم عرفتك كنت لم أتجاوز السابعة من عمري فقلت: أهذا عمي أخو والدي الشقيق ؟ لأن بسمته الراضية – التي وصفها سيدي الوالد – بأنه كالنسيم ينطبق عليه حديث سيدنا المصطفى ﷺ:«**المؤمن كالنحلة إن أكلت أكلت طيباً وإن وضعت وضعت طيباً وإن وقعت على عود نخر لم تكسره**». ألا ينطبق هذا الوصف (**المؤمن**) عليه تماماً ؟

سلوا كل من عرفه في شبابه وفتوته ورجولته وكماله، إذا جلس في مجلس هل كان له ظل ؟ ألم يكن يحول المجلس بلطفه من مجلس غفلة إلى مجلس ذكر ؟

في آخر زيارة شرفني الله بها له، دخلنا عليه وإذا البسمة مشرقة – وكان مريضاً – وقال أخي الشيخ زكريا – يومها- أن الوالد متعب قليلاً، فجلسنا أكثر من ساعة، والله إن بسمته بسمة لا تشعرك أن فيها ألماً أو شيئاً، وذلك لكي يبقى لطيفاً معك، وسامعاً ومستمعاً إليك.

كانت بدايته صفاء ونقاء، ثم شب (**هكذا**) ولوأراد أن يبقى في حلب لكان له في مساجدها حب كثير وجمع كبير، ولكنه آثر أن يبتعد لأنه كان يميل إلى التعليم والتعلم الذي لا شهوة فيه ولا شهرة، كان يهرب من الشهرة ويبتعد عنها ما استطاع، كان إذا جلس معه بعض طلاب العلم يسكت ويستمع إليهم، وكأنه يتعلم منهم شيئاً جديداً وهو الذي ماترك الكتاب إلى آخر عمره.

كان كثير المطالعة، إن لم يبق عنده أحد في البيت أخذ الكتاب أوجلس في ذكر، لم يكن كثير الكلام، كان صمته أطول بكثير من كلامه، لماذا ؟لأن له شغلاً بالقلب، ومن امتلأ قلبه بالحب قل كلامه.

لذلك مهما قلت عنه فهو أكثر، ولكن أقولها بصدق إن السلف الصالح بدأ يغيب عنَّا أيها السادة، الورع في طعامه، الورع في لباسه، الورع في علاقته مع أولاده، الورع في علاقته مع محبيه، الورع في علاقته بينه وبين الله، هذا مانحتاجه في هذا الزمن.

فلقد سأل سيدنا علي ﷺ عدداً من مشايخ البصرة أو الكوفة، وقد ملأوا المسجد، كان يسألهم سؤالاً فيقول: ياهذا ماملاك الدين ؟ فيقول التقوى، فيقول قم فتعلم، ويأتي إلى الثاني فيسأله ماملاك الدين ؟ فيقول: الزهد، فيقول: قم فتعلم، حتى وصل إلى الحسن البصري.

فقال ياغلام: ماملاك الدين فقال: الورع، قال ماهلاك الدين ؟ قال: الطمع، قال: اجلس فقد علمت الدين.

لقد كنت يا شيخنا تملك هذه الناحية ابتعدت عن الطمع في حياتك، وتمسكت بحبل الورع، وأعتقد أن من بدأ بهذا الطريق، فسيكون بإذن الله طريقه مشرقاً للقاء ربه.

أما أنتم يا أهل الباب فأشعر بأن شيخنا كان أماناً لكم، لقد كنتَ أماناً ياسيدي لهذه البلدة، أماناً حقيقياً، يعرف أهلها ذلك ولو كان صوتك خافتاً وكلامك قليلاً، لكن قلبك كان منيراً، وعملك عند ربك كان كبيراً، لذلك يا أهل الباب على منهجه فسيروا، فإن الأرواح تعرف وتزور وتحس وتشعر.

وأنتم يا أبناء عمي الغالي، الشيخ زكريا، والشيخ محمود، والشيخ عبد الله وياتوأم العلم والدراسة أخي الشيخ عبد الرزاق، ماعرفنا فيكم إلا منهج والدكم، فعلى هذا المنهج فليكن الثبات وعلى هذا الطريق الذي وضعه، ضعوا أقدامكم في بدايته، لقد علمكم بحاله قبل قاله، وهذا هو العلم إي وربي، من يُعَلَّم بحاله قبل قاله؛ فقد كان الشيخ رحمه الله يعلم بحاله قبل قاله ولذلك فإن مدرستكم التي ورثكم إياها كبيرة.

صحيح أنه ماترك لكم دراهم ولادنانير ولكن ترك لكم الأعلى والأغلى، ترك لكم قلوباً تحبه وتحبكم وتحب جدكم وتحب الأسرة التي حدثكم عنها حديث المعرفة سيدي الوالد حفظه الله.

لذلك أرجو الله أن تبقى أعمالكم – أبناءه البررة – في تسام وعلو حتى تأتي الآثار إليه، وتأتي الملائكة فتقول هذه الآثار أبنائك تردك إلى الآخرة.

وأنتم أيها الأحبة يامن عشتم تحت جناحه وأحببتموه، لتبق الآثار في المحبة وفي السير حتى يرضى وهو – أرجو الله – في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

سيدي الوالد الحبيب، أعظم الله أجرك في رفيق صباك، وبارك لنا في عمرك، ومتعك فيما يحب من الخير، وأنتم أبناء عمي الغالي – كما قال سيدي – أهنؤكم، فقد ترك لكم والدكم ذكراً، وترك لكم جدكم ذكراً، فحق لكم أن تقولوا: إننا نفتخر بآباء، سيرتهم سيرة الأطهار الأخيار أهل الجنة، الذين ابتعدوا عن النار بإذن الله.

أهل الباب: أعظم الله أجركم في (بدر الباب) الذي غاب في هذا اليوم، ولكن – أرجو الله – أن تبقى روحه مشرقة في هديه وتعاليمه، وأقول:

هذه آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ ويا نعم الآثار ياشيخنا ويا نعم الآثار عمائم بيضاء فهذه آثارك وآثارهم، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣- **من كلمة فضيلة الأستاذ العالم الشيخ عدنان غشيم حفظه الله، نجل فضيلة العالم المرحوم الشيخ محمد غشيم رحمه الله تعالى:**

(.. كلمة حق أقولها في هذه المناسبة الحزينة، التي افتقدنا فيها الأب الغالي، الرحيم، والناصح الصدوق الشفوق، والأخ الحنون المحب،

الذي قضى في مسيرته العلمية مايزيد على نصف قرن، وهي حياة ليست بالقليلة، فكم أعطى لأمته وكم أعطى لأحبابه وأبنائه.

إذا رأيته – أخي المسلم – رأيت جبلاً في العلم والمعرفة، ورأيت بحراً لاتكدره الدلاء، ولا ساحل له، يغمره الحب الإلهي، وتتجلى فيه صفات الرجل العالم بحق، حاله أصدق من مقاله، وقاله ألطف من حاله، والله لفيه حال تعجز الألسنة عن وصفه.

قلت يوماً لأخي فضيلة الشيخ عبد الله – ولده- حفظه الله تعالى وسائر علماء المسلمين: ياأخي خذ بيدي لأرى والدك قبل أن أموت، لأكحل عيناي برؤيته، لأنني – والله صادق – أحببته قبل أن أراه، وصدق من قال: والأذن تعشق قبل العين أحيانا حتى إذا جاء الوقت المناسب، وأسعفنا القدر الإلهي ، ولقينا فضيلة الشيخ في بيته، ولا أكون مبالغاً – إن شاء الله – إذا قلت لكم **هو واحد من الذين رأيناهم فوق وصفه، هو واحد من أولئك الرجال الذين عاشوا في خشية الله عز وجل**، وفي مراقبة الله الدائمة، حفظ نفسه وحفظ لسانه وحفظ وقته.

ومما أذكره أني كنت بين يديه ذات يوم، وذكرنا أمراً قد لايكون لائقاً ذكره بين يديه رحمه الله، فرأينا الشيخ قد تغير حاله، ولم يرضَ بمثل هذا الحديث بين يديه، والذي نذكره هو حق وصدق، ولكن مارضي أن يصرف وقته في غير مرضاة ربه.

في أمثال هذا الرجل العالم الذي رحل عنا وتركنا، يقول النبي ﷺ - كما جاء في صحيح الإمام مسلم-: «**العلماء أَمَنَةٌ لأمتي فإذا ذهب العلماء أتى أمتي مايوعدون**».

فيه صفات الرجل العالم؛ الباحث عن العلم، ومع السن الذي أدركه، وشيخوخته التي قضاها، كان لايفتأ يبحث ويفتش، ويقلب

الكتب ويطالع ويقرأ ويكتب، ولا أذيع سراً إذا قلت لكم، أنه اشتغل في كتاب تعجز دول بأكملها عن تحقيقه...

عرض هذا الكتاب على أكثر من دولة، لأجل أن تسخر رجالها وعلماءها لتحقيقه وضبطه فأبوا، وإذا بالشيخ قد أتم هذا الكتاب تحقيقاً، هذا الكتاب هو كتاب كنز العمال، طبع ستة عشر مجلداً، وفيه مايزيد على مائة ألف حديث نبوي.

الإخوة أهل العلم يعرفون هذا الكتاب، وقيمته، وقدره، ومدى تعلق طلاب العلم به، وإذا بفضيلة الشيخ يخرج لنا جزءاً من هذا الكتاب ويقلب لنا أوراقه، وإذا به يضبط الألفاظ النبوية في رواياتها، ويشرح غريبها، ويسطر حواشي على صفحات هذه الأحاديث، إن دل هذا على شيء؛ فإنما يدل على قدر هذا الرجل في مرتبة العلم، وعلى تمكنه في العلم...إن جالسته؛ وجدت سروراً في قلبك، رأيته قد حلق بروحك، تأثرت بأدبه وحاله، وإن غبت عنه؛ شعرت بمحبة تشدك إليه، هذا هو حال الصادقين، ولا شك أن الشيخ رحمه الله؛ كان على مرتبة عظيمة في الإخلاص والصدق.

أنا لست ممن يجيد المدحَ، وكَيْلَ الأوصاف والألقاب، ولكن هذه الكلمات خرجت مني رأيت فيها حال الشيخ مطابقاً لها تماماً، والله على ما أقول شهيد.

فيا إخوتي؛ عزاؤنا في رحيل الشيخ عنا الذي ارتبطنا به روحاً وجسداً، وعلماً وعملاً، وأفدنا في توجيهاته الحكيمة، وإرشاداته العلمية النيرة، التي تخترق الأذن وتصل إلى القلب، عزاؤنا فيه أن قد خلف لنا شباباً وأزهاراً، علماء أتقياء، فضلاء يسيرون على الدرب الذي سار فيه الشيخ، ويلتمسون خطاه، ويستنيرون بعلمه وتوجيهاته ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾.... والله مارأينا مثل شيخنا رحمه الله، وقد زرناه مراراً وتكراراً، إلا تطبيقاً للسنة النبوية في حركاته

وسكناته، وليس هذا من الغلو، لأنه إذا كان رجل يصف رجلاً بوصف حق، ينزل عليه فلا يعد غلواً، أما إذا وصف بوصف لايستحقه صاحبه، فهذا هو الغلو؛ فهو يطبق السنة مع نفسه ومع أولاده، ومع زواره، ومع أضيافه ومحبيه، أضف إلى ذلك أنه كان سخياً كريماً جواداً، مادخل عليه زائر إلا وأكرمه، إلا وقدم له الخضار والطعام، وكل ما عنده، وهذا شيء كبير، سار فينا على نهج المصطفى ﷺ الذي كان يعطي عطاء من لايخشى الفقر والفاقة.

ولنذكر جميعاً أن فقدان ورحيل الشيخ قد ترك فراغاً وفراغاً كبيراً، إن لم يكن في العلم؛ ففي الصدق والحال والإخلاص.

وإننا نتوجه إلى الله سبحانه؛ أن يأخذ بيد إخوتنا أبنائه، ليسدوا الفراغ، وليداوموا على ماعودهم عليه الوالد من ملاقاة العلماء، الذين يقصدونهم للزيارة من آفاق الأرض، وأصقاعها البعيدة، وأن يكرموهم، وأن يقدموا لهم ماكان يقدمه الشيخ، وأن يتواضعوا في خدمة إخوانهم، ولاشك أنهم من أهل التواضع، لكن عليهم أن يحافظواعلى هذا الأمر إحياءً لذكرى والدهم الصالح رحمه الله تعالى.

ولا نطيل؛ فإن حال الشيخ وعلمه وقدره أكبر من أن نتكلم ونشرح فيه، ونختم هذه الكلمة بقول الله عز وجل في القرآن الكريم (أولم يرو أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) قال كثير من المفسرين أن نقصان الأرض من أطرافها هو موت العلماء، وموت العالم شمس قد غابت ونجم قد أفل، ولموت قبيلة أيسر عند الله من موت عالم، لأن العالم يدل الناس على الله، فإذا انتقل قلَّ من يملأ مكانه، وقلَّ من يدل الناس على الله سبحانه بعلمه وحاله...)

٧- **من كلمة فضيلة العالم العامل والمربي الفاضل الشيخ بكري حياني حفظه الله ورعاه:** (..إن المرحوم سيدنا الشيخ محمد علي المسعود، نشهد أمام الله سبحانه أنه كان من الذين: ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾

منذ أول شبابه، حين عرفت أخاه الشيخ محمد سعيد المسعود رحمه الله، وعرفت الشيخ محمد علي المسعود، جعلهما الله في جنان النعيم، بجوار سيد المرسلين ﷺ، منذ سن الطفولة كنت أسمع عنه أنه كان مثالياً، في عفته وفي عزة العلم، وكرم الكرماء، وتواضع المتواضعين.

كان محبوباً عند الجميع إلى أن أكرمني الله سبحانه وعرفته، فكان رحمه الله يحسن الظن بي وبغيري، ويدعو الله دائماً لنفسه ولأولاده وللمسلمين، وبقي والحمد لله مستقيماً إلى أن لقي الله سبحانه وقال: ربيَّ الله واستقام على الإيمان والعمل الصالح.

وفي الذرية الصالحة التي تركها نرجو الله سبحانه أن يجعلنا وإياهم خير خلف لمن سلف، وماعرف عنه رحمه الله إلا التقوى ونسيان الذات والإخلاص لله، وعمل البر، وهذا شيء معروف عند الجميع، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا أيضاً على طريق أسيادنا وأسلافنا، على طريقة شيخنا رحمه الله، الشيخ محمد علي المسعود، الذي تبكي عليه الأرض والسماء، لأن المؤمن الصالح والعالم العامل تبكي عليه السماء والأرض، إن أمثال هذا الرجل لمبارك؛ هم في الحقيقة مصابيح الهدى، ينيرون الطريق للصغار والكبار بأخلاقهم وأعمالهم، وعلمهم وعملهم وإخلاصهم، ولقد ربى رحمه الله بقدر مااستطاع ذرية طيبة، ونرجو الله أن تكون دائماً الذرية التي تخلف ذرية طيبة، بعضها من بعض).

٨- من كلمة الأخ الفاضل الشيخ ابراهيم بكري العبيد حفظه الله ورعاه:

(..كنت أتحدث إلى الإخوة ونحن في طريقنا إلى هذا المكان عن حياة فقيدنا رحمه الله تعالى، كان جليسه يلحظ فيه أنه كان رحمه الله كثير الصمت، وإذا بحثنا في سيرة النبي ﷺ وجدنا أن النبي ﷺ كان كثير الصمت كثير التفكر، وهكذا وراث الأنبياء – أيها الإخوة- على قدم

نبيهم وحبيبهم ﷺ، وكنت وأنا - طفل - منذ نعومة أظفاري أعرف شيخنا المفضال، كنت أصحب والدي رحمه الله في زياراته للشيخ في كل مناسبة، كان والدي يحدثني كثيراً عن شيخنا المفضال، وعن كراماته رحمه الله، أذكر لكم واحدة منها على سبيل ذكر مناقب شيخنا وفقيدنا رحمه الله: أصاب والدتي - أمدها الله بالعافية - مرض شديد ونقلت إلى المستشفى، وكان فقيدنا الشيخ محمد علي رحمه الله لايزال في القرية، قبل أن ينتقل إلى الباب، والتقى به والدي في جامع عمر بن الخطاب في صلاة العشاء فدعاه والدي إلى زيارتنا فقال: سأزوركم الليلة في البيت (في الباب)، وكانت ليلة طيبة مباركة، وطلب والدي من الشيخ رحمه الله تعالى أن يبيت عندنا، وليلتها طلب منه أخوه الشيخ محمد سعيد مفتي مدينة الباب رحمه الله ، وألحّ عليه في المبيت عنده، فأبى أن يبيت عند أخيه وقال لوالدي: سأبيت الليلة عنكم، وبات عندنا فعلاً، وفي صبيحة اليوم التالي ودع الشيخ والدي رحمهما الله، وغادر إلى قريته، وذهب والدي إلى المستشفى في حلب لعيادة والدتي المريضة، وهي بحالة مرضية شديدة، فلما دخل عليها رآها متهللة لوجه، مستبشرة فرحة، فقال لها: أرى البشر في وجهك ؟! قالت تعالى أقص عليك الرؤيا، زارني الليلة في المنام شيخ أوصافه كذا وكذا، وصارت تصف له هيئته، بعمامته وجبته، وكأنها معنا في البيت تلك الليلة، التي نام عندنا فيها الشيخ محمد علي رحمه الله، قالت: وقف الشيخ إلى جانبي فمد يده وقرأ لي، واستيقظت وأنا بحمد الله كما تراني الآن بعافية ولا شيء يؤلمني، فقال لها الوالد: أتدرين من كان في زيارتنا البارحة ؟! قالت: لا أدري، فقال لها: إن الشيخ الذي تتحدثين عنه هو الشيخ محمد علي المسعود، وكان البارحة في زيارتنا وهو الذي طلب حين عرف أنك مريضة في المستشفى أن يبيت عندنا، وكان كذلك رحمه الله..

فلا شك أن الشيخ رحمه الله تعالى كان من أهل الكرامات، وإذا لم يكن العلماء أولياء لله فليس لله ولي.

العزاء في أمثال هذه المناسبات مناسبة وفاة عالم فاضل، ولي كبير من أولياء الله تعالى أن نعزي أنفسنا، بأنه يجب أن نسير في ركابهم وعلى نهجهم وهديهم رحمهم الله، ولذلك نحمد الله تعالى أن جعل في ذريته ذرية طيبة مباركة بحمد الله من أهل العلم والتقى والصلاح، ولايوجد واحد في هذه المدينة الطيبة إلا ويعرف آل المسعود، عائلة علم وطيب وتقى وصلاح وولاية، الصغير والكبير إلا ويشهد بذلك، شيخنا المفضال، وقبله جدهم رحمهما الله تعالى الذي لم أكن أعرفه، ولكن سمعت عنه الكثير وعن كراماته، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته).

٩- من كلمة الطبيب الشيخ محمود أبو الهدى الحسيني بن الشيخ محمد كامل بدر بن الشيخ محمد بدر الحسيني حفظه الله : (..الشيخ الفقيد – أيها الإخوة – كان أخاً من أعز إخوة الوالد، وأحب أحبائه إليه، وكان الوالد – الشيخ كامل بدر – لا يشهد لأحد شهادة يمليها لسانه، ويخرجها من قلبه، إلا للنادر من الناس، ولكنه كان حينما يتحدث عن الشيخ الفقيد – وأنا أعي ذلك أيها الإخوة – طفلاً وشاباً، كان يذكره حبيباً تقياً نقياً ذاكراً مخلصاً، مثلاً للصفاء، مثلاً في الأخلاق ومثلاً في العلم، وقد أكرمني الله سبحانه وتعالى منذ مدة ليست ببعيدة بزيارة الشيخ الفقيد الولي رحمه الله تعالى، وكان كما تعرفونه كثير المؤانسة لضيفه، باسماً ضاحكاً، يفيض من خلال أخلاقه وكلماته العذبة؛ أروع المعاني، ويثبت أجمل المباني.

كان يقرأ علينا أبياتاً من الشعر حفظتها وكتبتها حينما أمرني سيدي الشيخ زكريا، وقال لي لابد أن تكتب، وأنا الأخ الأصغر في الأسرة، التي جدها أخ لجدي الشيخ محمد بدر، إذ نشآ معاً في العلم

والولاية، والذكر والصفاء، فامتثلت؛ وكتبت هذه الأبيات، وكأني رأيت فيها حال الشيخ، ولكن بمعنى فوق المعنى الذي يتوارد إلى الأذهان:

أطيب الطيبات قتل الأعادي واصطياد على متون الجياد

ورسول يأتي بوعد حبيب وحبيب يأتي بلا ميعاد

سمعت هذه الأبيات من فم الشيخ رحمه الله، وتمثلت فيها -في هذه اللحظات- شيخنا رحمه الله، وقد لقي الله سبحانه في برزخه الكريم، فلم يبق بعد انتهاء الكلفة في التكليف، لم يبق من الأعادي أثر، ماعاد يلتفت إلىالأعادي، هاهو قد تجاوز الأعادي لأنه في حضرة الحبيب، وهاهو لا يختال على متون الجياد وحسب، وكأنني بروحه – وأقول هذا – ماأستشعره وأستشفه، ولا أتألى على الله. لكأني بالشيخ؛ وقد حملت روحه الملائكة إلى أبواب السماء من أجل أن تستأذن لدخوله، وهو يرتقي وتحمله الملائكة إلى لقاء الله سبحانه وتعالى في السماء السابعة، كما ورد في الحديث عن الحبيب سيدنا رسول الله ﷺ(**ورسول يأتي بوعد حبيب**..).

وكم كان الشيخ رحمه الله يَعدُ نفسه بلقاء الحبيب.. وكلما جالسنا الشيخ عزفت نفوسنا عن الدنيا، وأقبلت إلى الآخرة، فهو دائماً على التذكار يسأل الله سبحانه حسن الختام، وكأنه في حاله وكلماته يذكر بلقاء الحبيب، فهو دائماً على ذلك الحال، الذي رأيناه ينتظر وعد الحبيب، ويرى أن كل مرض يأتي إليه، هو رسول من حبيبه، وهاهو الآن في ذلك المعنى الرابع (وحبيب يأتي بلا ميعاد)، حيث أتى الحبيب من غير ميعاد.

قال بلال ﷺ وهو يلفظ أنفاسه: اليوم ألقى الأحبة محمداً وصحبه، هو في أمان الله، هو في ضيافة الله، والله سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين،

كيف لايكرم رجلاً كان في كل عمره تجسيداً للصفاء، تجسيداً للعلم والأخلاق، سجايا الشيخ أيها الإخوة؛ لا أستطيع، ولا يستطيع أحد أن يعبر عنها، ولكني أرى مفردات أربعة في حياة شيخي رحمه الله:

١- **كان الشيخ فقيهاً** - وهذه المفردة الأولى - وهي مفردة ربما يظن الإنسان أنها مفردة يسيرة، والنبي ﷺ يقول -كما في سنن الترمذي وابن ماجة -: (**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**)، ويقول الحسن البصري رضي الله عنه حينما يسأله فرقد السنجي عن أمر فأجابه الإمام الحسن، فقال فرقد: إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن: ثكلتك أمك، (فريقد) وهل رأيت فقيهاً بعينك، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، فقد جمع الشيخ رحمه الله العلم مع عزوف قلبه عن أن يتعلق بالأمور الدنية، فكانت همته متعلقة بالله سبحانه، خادماً لرسول الله ﷺ ولعلمه، هذه المفردة الأولى في حياة الشيخ رحمه الله، لقد كان فقيهاً

٢- **المفردة الثانية**: التي أذكرها وأستيقن منها، **أنه كان ولياً**، ومفردة الولي أيها الإخوة؛ عبر عنها ربنا تبارك وتعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

وكان الشيخ رحمه الله مثلاً لمعاني الإيمان، لإشراق قلبه المتعلق بالغيب، وكان مثالاً في التقوى، وفي صحيح مسلم عنه ﷺ: «**إن الله يحب التقي الغني الخفي**».

التقي الغني عن الخلق بإقبال همته على الله، وكم كان الشيخ يؤثر العزلة، ولايرغب في الظهور، ولايرغب في الشهرة، ولكن الله سبحانه وتعالى يوفق من أراد به الخير بين يديه من أجل أن يستفاد من أحواله، وأن يغرف من نبع قلبه، الذي يفيض بمعاني سيدنا رسول الله ﷺ إن الله يحب التقي الغني الذي استغنى عن الخلق بتوجه قلبه إلى الله.

٣- **وأما المفردة الثالثة**: أيها الأحبة فقد كان الشيخ رحمه الله ذاكراً وكان له من الأوراد التي يأنس بها، ويكون المولى له جليساً فيها، وكان يعطي من همة التوجه إلى إخوانه، وكان يحث الناس على ذلك، فهو وإن غيب شمسه عنا، لكنه بهذا الوصف وبشهادة رسول الله ﷺ هو حي، فقد جاء في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**». كيف يموت من كان الحي في قلبه، ورحم الله المحب يوم أن قال:

جسد تمكن حب أحمد فيه تالله إن الأرض لاتبليه

٤- **أما المفردة الرابعة**: في حياة الشيخ رحمه الله، وهذا أيها الإخوة الأحبة إنما هو قَطْرٌ من فيض، لا أستطيع ولا يستطيع أحد أن يحصيه، إنما كان مظهر التواضع مظهر الشيخ، وكان الشيخ في التواضع مثالاً، وكان الشيخ يُحَجُّ إلى لقائه، وتشد الرحال إلى لقائه، من أجل أن يتعرف الزائر على أخلاقه.

كان متواضعاً، وكان مثالاً في الأخلاق، وقد جاء الحبيب المصطفى ﷺ كما في صحيح مسلم: «**ماتواضع أحد لله إلا رفعه الله**»، وهذا الذي نشهده في هذا الموسم أيها الإخوة الأحبة لهو مصداق لحديث المصطفى ﷺ إذا ارتجت الأرض لفقد الشيخ رحمه الله، ورحل العلماء من كل صوب من أجل أن يشهدوا ذلك الموسم، لقد قال الإمام أحمد بن حنبل الإمام الجليل رضي الله عنه: فإن بيننا وبين أهل البدع الجنائز.

أيها الإخوة: رفع الله اسم الشيخ وسيبقى مرتفعاً، وسيبقى ذكر الشيخ من خلالكم ومن خلال قلوبكم، من خلال ماخلفه الشيخ من الأولاد الكرام، الذين يحملون معاني والدهم وجدهم، وسيكونون إن شاء الله ولا تخيب الفراسة، سيكونون استمراراً لحياة الشيخ رحمه الله آنسه الله، زاده الله رفعة وبهاءً وهناه بجوار الحبيب المصطفى ﷺ، وأسأل

الله أن يجمعنا به في حضرة رسول الله ﷺ مع أحبابه وأصفيائه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

٩-من كلمة الدكتور الشيخ محمود عكام، خطيب جامع التوحيد في حلب سدد الله خطاه: (.. أيها الإخوة: إن فقيدنا ليقدم للناس الذين يحبونه والذين يقفون أمامه من غير معرفة به، أنموذج الإنسان المسلم، المتكامل في شخصيته، فهو من حيث العقل يوجهه إلى معرفة جادة صحيحة ترضي الله عز وجل، وكأني به يريد أن يقف تحت قنطرة قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.وفيما يخص قلبه كأني به يقف تحت قنطرة قوله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا، آمنوا...**﴾ فهو في دوام مراقبة لربه، وفي دوام محاولة جادة من أجل أن يرى قلبه يتقدم يوماً بعد يوم.ومن حيث جوارحه فهو الذي عهدته وهو الذي عهدناه، وأنتم أعرف به مني يوجهها في طاعة الله عز وجل.ومن حيث جسده وجسمه فإنه يعبر عن عقل عارف بالله عز وجل، وعن قلب مؤمن ومحب لله عز وجل، وعن جوارح تطيع الله عز وجل.

فيا إخوتي إذا كنا قد عرفنا هذا الشيخ العظيم الجليل رحمه الله تعالى؛ فما أحرانا ونحن نذكره بعد وفاته أن نقتبس من هذه السيرة الطيبة المنيرة لأولادنا، لبناتنا لأبنائنا لشعبنا لأمتنا.

إن أمة ترعى رجالها، وإن أمة تذكر رجالها بعد أن يرحلوا عن هذه الحياة إنها أمة وفية.

لقد التقيت الشيخ أكثر من مرة، وما أتذكر أيها الإخوة كم مرة التقيت الشيخ، لكن يقيناً التقيته أكثر من خمس مرات، وفي كل مرة، كنت ألتقيه أرى فيه الرجل كما قلت لكم، أرى فيه العقل الذي يتوجه نحو المعرفة، وأظن أن ابنه الشيخ عبد الله كان مرة معنا ونحن جالسون أمام هذا الشيخ الفاضل فتحدث أو ذكر من كتاب إعلاء السنن، ومدح هذا الكتاب، وهذا الكتاب أيها الإخوة يحوي أدلة

المذهب الحنفي، مدح هذا الكتاب مدحاً جليلاً، فقلت في نفسي أي رجل هذا، تجاوز آنذاك – السبعين - أو الخامسة والسبعين، يحاول أن يبحث عن كتاب صدر، ويقول هنالك طبعة صدرت، وهي طبعة باكستانية –كما أذكر- طبعة باكستانية جميلة، وراح الشيخ يرينا هذه الطبعة.

إن الأمة أيها الإخوة بحاجة إلى أن يكون هنالك، وأن يكون بحينها رجال من أجل الإتساء، أو من أجل الإقتداء، أيها الإخوة أعني التأسي، لأن اللغة تقول لنا: الإتساء ولا نقل التأسي، لأننا بحاجة إلى الإتساء برجال كهؤلاء.

لا أريد أيها الإخوة أن أكثر من القول ولكنني أتوجه إلى شبابنا من أجل معرفة رجالهم، ومن لم ينتم إلى رجال فلن يكون رجلاً.

أتوجه إلى العلي القدير أن يرحم فقيدنا الغالي، وأن يجعله ساكن الفردوس الأعلى، وأن يجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وأتوجه إلى أولاده الفضلاء؛ إلى الشيخ زكريا، وإلى الشيخ محمود، وإلى الشيخ عبد الرزاق، وإلى الشيخ عبد الله، لأقول لهم رحم الله أباكم، ورحم الله عمكم، ورحم الله جدكم، وطوبى لكم إذا انتسبتم لعائلة طيبة مؤمنة، فجزاكم الله خيراً وجزى والدكم وعمكم خيراً، وجزى الله جدكم عنكم وعنا خيراً، وأحسن الله إلى الجميع وبورك سعيكم).

١١- كلمة الأستاذ العالم الشيخ حسن عبد الحميد حفظه الله تعالى ورعاه:

(إلى فروع الشجرة المباركة من آل المسعود، إلى أحبابنا أبناء الشيخ محمد علي المسعود، وأحفاده وأصهاره وأقاربه، سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

كنت سأوجه هذه الكلمات الأخوية في يوم التعزية أمام الحشود، ولكن خنقتني العبرة، وهزني جلال الموقف، الآن وقد انتهت أيام التعزية بالفقيد العظيم، أجد قلمي يريد أن يعبر عما عجز عنه اللسان. ولاتظنوا أني أذكر بتقصير، أو أنبه على خطأ؛ كلا...؛ إن كلماتي هي من منطلق قول المولى للمعصوم ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وأنتم تعلمون ماذا يعني هذا النداء للمعصوم في علم البلاغة.

أحبابنا الأفاضل: لقد غادر شيخنا الحياة وترك فراغاً كبيراً في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، حقاً إن نجماً هوى.

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

والمأمول أن يشمر أبناؤه من جديد عن سواعد العمل، ويضاعفوا الجهود، ويتنافسوا في الخير، ويتقدموا الصفوف ويحملوا اللواء.

لقد رأيتم الآلاف تسعى إلى مسجد الشهداء لتظفر برؤياكم وتقديم العزاء لكم، لقد ترك الفقيد في كل قلب لوعة وفي كل عين دمعة، وفي كل بيت مناحة، ردُّوا أحبابنا إلى هذه الجماهير المؤمنة، شيباً وشباناً التي زارتكم، ردُّوا لها يد الجميل تعليماً ونصحاً وإرشاداً، كونوا مع الشعب في آلامه وآماله، شاركوا الناس أفراحهم، وقاسموهم آلامهم، كونوا اليد الحانية على الفقراء والبائسين، كونوا سباقين في ميادين الخير،

إن آلاف الشباب التي حملت جثمان الفقيد على أكفها لا تعرف صورته، ولكن سمعت بعلمه وقاله وحاله، وعرفت أنه من أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون.

خالطوا هؤلاء الشباب، أصغوا إلى آمالهم، تعرفوا إلى مشاكلهم، خذوا بأيديهم إلى نور الإسلام، أغشوا مجالسهم أحضروا أعراسهم، شاركوهم مصائبهم إذا أصيبوا، زوجوا فقرائهم، قدموا المعروف لهم تواضعوا لهم، ابدؤوهم بالسلام هنئوهم إن نجحوا، خذوا بأيديهم إن عثروا، صفقوا لهم إن سبقوا.

لا تنتظروا يا إخوتي أن يأتيكم الناس ليتعلموا، بل أغشوا أنتم مجالسهم ومنتدياتهم، أمشوا في أسواقهم، زوروهم في أمكنة تجمعهم، كان ابن عمر ﷺ يذرع سوق المدينة ذهاباً وإياباً، لا ليشتري حاجة، وإنما ليقول لأهل السوق السلام عليكم ورحمة الله.

كان والدكم الشيخ رحمه الله رحمة واسعة، ينتقل على رجليه وعلى الدابة من قرية إلى قرية، داعياً إلى الله، وأنتم اليوم تملكون سيارات وأدوات الإنتقال ميسرة، لماذا لا يكون هناك دروس في بزاعة وقباسين، السكرية... أنتم والله منارات، فلاتحصروها في مدينة الباب، كونوا دعاة في الريف، إلى حدود تركيا، وقد وهبكم الله علماً وجعل لكم في القلوب حباً، فاستفيدوا من ذلك وحركوا الهمم، وكل من سار على الدرب وصل.

لماذا لا تمدوا الطريقة النقشبندية بدم جديد فتجذبوا إليها الشباب الناشيء في طاعة ربه، لم لا يكون لهذه الطريقة طريقة العلماء، شباب يحملونها بقوة، لم لا يكون لهذه الطريقة أتباع وأوراد في قرى الباب كلها، ألا تذكرون رجلات الشيخ أبي النصر رحمه الله تعالى، في الريف سراجاً منيراً ينير قلوب السالكين.

تستطيعون أن تجمعوا طلاب العلم على اختلاف مشاربهم، على مائدة واحدة، وفي بيت الشيخ بالذات، وعلى مقربة من مكتبه، وفي أجواء روحانيته، إجمعوهم بدعوات مكتوبة ومسجلة في يوم عيد الفطر، ويوم الأضحى مثلاً، وليكون على يدكم وفي بيت الشيخ الجميع اجتماع أصحاب العمائم جميعاً وأصحاب اللحى طراً.

وأما أخي الشيخ زكريا فهو عميد هذه الأسرة المباركة، وخليفة والده إن شاء الله، فليعلم أن أعباء عظاماً تنتظره، وأعمالاً بطولية تستحثه، وسهراً متواصلاً سيستقبله، أنا أعلم أن منصبه حساس، ولكن يا شيخ زكريا اصبر وصابر ورابط، لا تأخذك في الحق لومة لائم، لا تجعل أحداً يقول لك: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾.

في يدك أزمَّة المساجد والأوقاف، فأرض الله ولو سخط الناس، واجعل بيوت الله منارات هدى، زرها يومياً، صل الظهر في مكان والعصر في مكان آخر، والصبح كذلك، أعانك الله، وأنا طوع بنانك في كل مايخدم هذا الدين، كجندي مجهول يعيش في الظل بعيداً عن الأضواء.

وإلى أخي عبد الله: لقد آتاك الله علماً واسعاً، ولساناً فصيحاً، وشباباً غضاً، فلا تحصر نفسك، في حلب إن البلد التي نشأت فيها، وتنفست هواءها فقيرة إلى مثلك، إجعل لنفسك في كل أسبوع درساً في مدينة الباب، وعظ هنا، وزيارة هناك.

ياآل مسعود: سأل عبد الله بن أحمد بن حنبل أباه: قال يا أبت أراك تذكر الشافعي كثيراً، وتعظمه وتدعو له طويلاً ؟ قال يابني لقد كان الشافعي كالشمس للحياة والعافية للبدن، ونحن نقول صادقين: إن شيخنا محمد علي المسعود كان كالشمس لسورية وكالعافية لأهل الباب وغيرهم، أما وقد رحل إلى جوار رب كريم بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة بإخلاص وتفان، فسدوا يا أبناءه وأصهاره وأحفاده وأقاربه هذا الفراغ الهائل الذي تركه، والله يرعاكم جميعاً ذكوراً وإناثاً، اللهم ارحم عبدك الصوام القوام التواب الأواب المخبت المتبتل الزاهد الورع الذي عاش لك داعياً إليك، احشره يا رب مع حبيبه محمد ﷺ وتحت لوائه اللهم آمين.

أرجو أن توصل رسالة أخينا أحمد إليه مع الشكر.

المحب : حسن عبد الحميد أبو جمعة



ثانياً : القصائد المرسلة من المحبين :

وأولى هذه القصائد ماأرسله الأخ الشيخ محمد بن الحاج علي الناصر من دابق وقد أرسلها لنا بطريق الفاكس من عجمان في دولة الأمارات حيث يقيم هناك جزاه الله خيراً وهي ما يلي:بسم الله الرحمن الرحيم قصيدة رثاء سيدي ومولاي الشيخ محمد علي المسعود، طيب الله ثراه،وأسكنه فسيح جناته، وحشرنا وإياه تحت لواء سيد المرسلين :

ﷺ سيد الروح

مالكَ الملكِ، عزتي في ... وخضوعي إليك رمز وجودي
ووقوفي بكل بابٍ هوانٌ ... أتردى بويله في العبيد
غير باب به إليك وصلنا ... فانْتَشَيْنا بلذة التوحيد
ذاك باب له نذرت حياتي ... مذ تنسمت حبه في وريدي
ذاك باب به تبيَّنْتُ ذاتي ... فتحررت من إسار القيود
وقيامي وذلتي وانكساري ... فيه أشهى من الصبا والبرود

❋ ❋ ❋

بابُ عِزٍّ به الإله تجلّى ... فتسامى على الذرى والبنود
باب شيخي وسيدي ومرادي ... وملاذي وجنتي وخلودي
قمت فيه وقلت يانفس هذا ... بابُ عزّي فإن صدقت فزيدي
كل عزٍّ سواه وهمٌ فقومي ... فيه حقاً، لتنعمي بالمزيد
كل قولٍ سواه لغوٌ فصومي ... عن سواه، وإن لغوت فعودي
كل حزن يفجِّرُ الدمعَ وِزْرٌ ... غيرُ دمعٍ جرى بقلب المريد

يا مربي النفوس عفواً، فإني ... لست أهلاً، لما ادعاه قصيدي
أثقلَتْني عن الوفاء ذنوبٌ ... مهلكاتٌ، ضللت فيها عهودي
ورَمَتْ بي إلى جحيمِ ضياعٍ ... صَبَواتٌ لها نَسبْتُ صدودي
واعترتني مهابةٌ منكَ حتى ... خِلْتُ أني أجرُّ ثقلَ قيودي
سيّدَ الروح ياكريم السجايا ... جئتُ أشكو إلى ثراك جحودي

❋ ❋ ❋

والمنايا . . . وهل تُرَدُّ المنايا ... أسلَمتْني لبابك الموصود
فجعتني بوالدين : فشيخٌ ... في حبور، وظلَّ عيش رغيد
وشجِيٌّ إليه يهفو ويبكي ... حرقة الوجد فوق تلك اللحود

❋ ❋ ❋

كيف أصغي لدمعه وهو يروي ... قصة العمر عبر تلك العقود
كيف ألقى حنينه وهو يسعى ... باشتياق إلى ثراك الحميد
يَتمنَّى – ولستُ أزعم هذا- ... لويفديكَ سيدي بالوجود
ويعيش الحياة بعدك سُهداً ... هو فيه مُوحَّدُ التسهيد
ما جوابي ؟ وقد دعاني غيوراً ... لُذْ بباب الإله قبل الوعيد
لذ بشيخٍ يُعَدُّ حبلَ نجاة ... لعصاة جفتهم كلّ بِيد
وارْجُ شيخاً، محمديَّ ... تَجْتَنِ الأمنَ في الجوار السعيد

❋ ❋ ❋

قد وردنا فراته غير أنا ... ما ارتوينا، وَيالَصَفْو الورود
قد عرفنا وفي الحقيقة أنا ... قد زعمنا، فيا لجَهْلِ الرشيد
كم لجأنا إليه حين دَهَتْنا ... حادثاتٌ بليلِ دهر حرود

فأنخنـــا ركابنـــا وهتفنـــا ... أيهـا الـشيخ : يـا لَغَـوْثِ الطريـد
مُدَّ كفَّ النـوالِ ماكنـتَ يومـاً ... بـــضنينٍ يخـــاف رِفْـــدَ الوفـــود
مـن تُـراه سـواك يـسعى إلينـا ... بنـــداه، بجـــوده المعهـــود
مـــن تـــراه يعمُّنـــا بـــسناه ... بعـد شـيخي (العلـيِّ والمـسعود)

❋ ❋ ❋

يـا وريـث الـنبيِّ قـولاً وفعـلاً ... وســلوكاً تحــار فيــه شــهودي
ياوريـث الـنبيِّ حقـاً وصـدقاً ... لا ابتداعاً، وما ضـللتُ حـدودي
ياوريـث الـنبي أنـت المفـدَّى ... بأبينـــا، وأمنـــا والوليـــد
أنت نـور سـعت إليـه قلـوبٌ ... في ديـــاجير ليلـــها المجهـــود
أنـــت روح سَـــرَتْ سُـــحَيراً ... صحوةُ الـروح في العـصِيِّ العنيـد
أنتَ عين السلوك مذ كنت فينا ... طاب فينا النـشيدُ، عـذْبُ النـشيد

❋ ❋ ❋

سيد الـروح، والبكـاء ابتـهاج ... إن تلظـــى بـــه فـــؤاد العميـــد
سيد الروح، لا عدمناك شيخاً ... يطلـق الـروح مـن نطـاق الجلـود
سيد الروح، كيف تَنْأى وفينا ... نـــازلاتٌ تُـــشِيبُ رأس الوليـــد
أيُّ ثُكْـلٍ مقـدَّرٍ نحـن فيـه ... بعـدك اليـوم سـيدي في شـرود
كل نفس لغيثِ هَدْيك ظَمْـأى ... أسـكنتها الأقـدار خلـفَ الـسدود
كل أرض وطئتَها اليـومَ ثَكْلـى ... تـذرف الـدمع فـوق كـل صـعيد
تـــتمنى لـــو أنهـــا لـــك أمٌّ ... لتواريـــك ســـيدي بـــالورود

❋ ❋ ❋

يـا قريبـاً ومـا إليـه سـبيل ... لـــيس منـــا، وإن نـــأى ببعيـــد

قـد دعـاه الإلـه حبـاً فلبَّـى ... داعـيَ الله للقـاء السـعيد
حيث طه يزف للصحب بشرى ... طلعـة البـدر في سمـاء الخلـود

❁ ❁ ❁

طيـب الله في ثـرى (البـاب) ... يبعـث النـور في ظـلام اللحـود
مـا تـوارى، فـنحن مَـنْ قـد ... خلـفَ أسـتارِ غفلـةٍ ورقـود
كـان فينـا ولم يـزل وسـيبقى ... ينشرُ الهـدْيَ في الربـا والنجـود
في الـدعاة الأبـاة، في وجـد ... في محاريـبِ رُكَّـعٍ وسـجود
في رجـال بهـم تـنير قلـوب ... وتلبِّـي نـداءهم في الحـشود
قـد تـولّى بنـاءهم فتـساموا ... مثلَ زهر النجـوم فـوق الوجـود
واصطفاهم وهـو لـذلك أهـل ... في جـلالٍ، وفي جمـالٍ، وجُـودِ
أتراهم ؟ أجـل . . فـسرٌّ أبـيهم ... ويـك فـيهم إلى نـداء الخلـود

❁ ❁ ❁

عجمان ٢٤رجب ١٤١٩هـ الموافق ١٣/١١/١٩٩٨م محمـد علـي الناصر.

كما تفضل الشيخ إسماعيل بن عمر منصور مـن دابـق (مقـيم في الكويـت) بهذه القصيدة :

(إلى جنة الله أبا زكريا)

في القلب نَصْلٌ قاطعٌ مضَّاءَ ... بيد المنون تُمَزِّقُ الأحشاء

الصمت إن جلّ المقامُ ... والدمعُ في يوم الوداع شفاء

صَوْتُ النَّعِيِّ أتى يردِّد ... مات الذي للقاصدين رجاء

أمحمد المسعود مالك ... والناس للماء الزلال ظماء

أمحمد المسعود مالكً ... مامَلّ من شرب السنا الجلساء

هلا انتظرت لكي يُرَوِّيَ ... ويَعُبَّ حوضك واردٌ ودِلاء

لبيَّتَ حكم الله دون تردد ... ومضيت تزهو حين حُمَّ قضاء

وصعدت نحو الله ترجو ... طوبى لنفسك إذ رعتك سماء

نبتَتْ على صحراءِ عمري ... من فرعها تتضوَّعُ الأشذاء

حتى إذا اكْتَملَتْ وقَرَّ نموُّها ... عصفت بها الأنواء والأرزاء

فتساقطت أوراقها وثمارها ... فإذا الغصون جميعها جرداء

أرنو إليها والشتاء يلفها ... لم تبق نضرة وبهاء

أين الربيع لاربيع بعمرنا ... فالموت آت والحياة

ماذا أقول وقد حبستُ ... ولجمتُ حَرفي حين عز نداء

لم تُبْقِ لي أيدي المنيةِ ... ماذا ستبقي الطعنة النجلاء

فالعين من هول المصاب ... والقلب من فرط الأسى أشلاء

والخطب أعظم ان يصاغ ... ماذا تقول قصيدة بلهاء

حاولـــت أن أرثـــي ولكـــن ... عند الحديث اللفظ والإطْـراء
عِيٌّ، أيرقى قِمَـةً طَمَّاحَـةً ؟ ... مـــا أنـــتَ إلا القِمَّـــةُ الـــشماء
ماللقصائدِ كُنَّ قبـلُ شَـواديا ... فـــإذا بفقـــدِك كلُّهـــا خرســـاء
هـــذي حـــروفي إن كتمـــتُ ... وإذا أبـــوحُ فبَوْحُهـــا إبـــراء
أحيَيْـتَ يـومَ رحلْـتَ مُـرَّ ... فـــإذا حـــروفي كلـــهن دمـــاء
وبكـــاك قلـــبي قبـــل دمـــع ... ياليت يجـدي الثـاكلين بكـاء
فإذا المنية قد تفـدَّحَ خطبُهـا ... مـــن هولهـــا يتلعـــثم الخطبـــاء
ومـــدادُ حـــرفي إن كتبـــتُ ... تلك الـشمائل واليـد البيـضاء
وصـــفاتُك الغُـــرُّ الكريمـــةُ ... نحـــو الهدايـــة ناصـــعٌ وضَّـــاء
قد كنـتَ في بحـر الـشريعةِ ... في الدين يسعى نحوك العلماء
جاهـدت في نـشر الفـضيلة ... فانشق من جوف الدجى لألاء
وانجاب عن وجـه الحقيقـة ... فـإذا بـدَيجورِ الظـلام مُـضاء
فتنـوَّرتْ أفكارنـا وعقولنـا ... وقلوبُنـا وانزاحـت الظلمـاء
وبنيـتَ مجـداً في الحيـاةِ ... أركان مجدك شـرعة سمحـاء
نعـم البنـاء، وقـد أشـدتِ ... للعلـم، نعـم الـصانعُ البَنَّـاء
ما مرةً جئناك نلتمس الهدى ... إلا وأنـــتَ تَبَـــسُّمٌ وضـــياء
مـا زار بيتـك قاصـد يرجـو ... إلا وأنـت الواهـب المعطـاء
لم تخـشَ يومـاً أن تعـيش ... فالله يعطي العبـد حـين يـشاء
مـا مثـلُ روحـك عانقتـها ... ما مثل جسمك ضمت الغبراء
تبكي عليك الدار إذ فارقتها ... وحمـائمٌ، والأَيْكـةُ الخـضراء
ومناهـــل العلـــم الـــشريف ... يـوم الفـراق الحـزن والإعيـاء

وتبـــث في يـــوم الرحيـــلِ ... وتنـوح ماناحـت بـه الورقـاء
ظمـأى إليـك فأنـت فيهـا ... عذبُ الورود وأنت فيها الماء
نَاْحَتْ عليك بحسرةٍ وتـألمٍ ... وكأنمـا ضـاقت بهـا الأرجـاء
أشـعلت ياشـيخ المـشايخ ... في القلب تذكو، مالها إطفـاء
عزاؤنا تلك الغراس غرستها ... فنمت وطابت حين طاب غذاء
كأنها الأزهار تنـشر عطرهـا ... وكأنمـا هـي غوطـة فيحـاء
فاهنأ أيا شيخ الشيوخ بجنـة ... في دوحها الأطيـاب والأفيـاء
لمـا رحَلْـتَ سـكنْتَ وحْـيَ ... وعلى الخيال سِماتُك الغـرَّاء
لو تُرجع الكلمات ميتاً فائتـاً ... لمكثـت أرثـي والرثـاء عـزاء
عهـداً سـأبقىطول عمـري ... وفمـي علـى مـر الزمـان ثنـاء
فعليك من عنـد الإلـه تحيـة ... وإليك من قلب المحب دعـاء



وزارنا معزياً الأخ الشيخ مصطفى شاكر مـصطفى (مفـتي اعـزاز) وبهـذه القصيدة :

(إلى أين غادرت الأحبة)

إلى أين غادرتَ الأحبَّة مسرعاً ... أيـا شـيخ روحـي كـم رجونـا
مجيب دعاء المبتلـى لبقـائكم ... أبيـت مـن الأقـدار إلا تجرعـا
بنـوك؛ أيـا شـيخ الـضمائر، ... كمن في نوى الجرعاء، يـسكبِ
إذا دخلـوا الخـدر الكـريم ... هجوعك أو لما تهاونت مهجعـا
فوالله مانلت الـذي أنـت نلتـه ... من الله إلا إذ تجافيـت مـضجعا
خيالـك يرضـيهم إذا غـاب ... عرفناك للأحبـاب عـدنا ومفزعـا

تناديك زرقاء المدينة في قبا ... لتشرب من ماء الحياة تضلعا
ويدعوك محراب النبي لكي ... بداخله من يبتغي فيه مركعا
وروضته مشتاقة أن تزورها ... صلاة وقرآنا وذكراً ومرتعا
ومرقد من صلى عليه إلهه ... يناجي مناجاة الكليم تطوعا
لك الركن والمسعى وزمزم ... وميزاب رحمى الناس روحاً تولعا
وفي كل عام إن بحج وعمرة ... غيابك يضنيهم إذا لم تكن معا
وفود تؤم البيت من كل جانب ... سهولاً ووديانا سواداً وأجرعا
فأبكيت من بعد البنين معالماً ... (ببارح) من بعد (الدوابق) أجمعا
وفي (الباب) والشهباء من بعد ... وفي اليم أيام البواخر (ينبعا)
وأبكيت من ربيتهم بلطافة ... وجهد لوجه الله حيناً تبرعا
كمن قد يربي في رحاب ... ومعهد شيخي كان للدين مرجعا
فلما تركت الحب فانظر ... له القلب بالأحشاء حزنا تصدعا
ونم في فراديس الجنان مكرماً ... ونرجو لآل الحزن صبراً منوعاً

❋ ❋ ❋

من نظم مصطفى حسن المصطفى (شاكر) رثاءً في شيخه الفقيد المرحوم محمد علي المسعود في العشرين من رجب سنة ألف وأربعمائة وتسعة عشر للهجرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



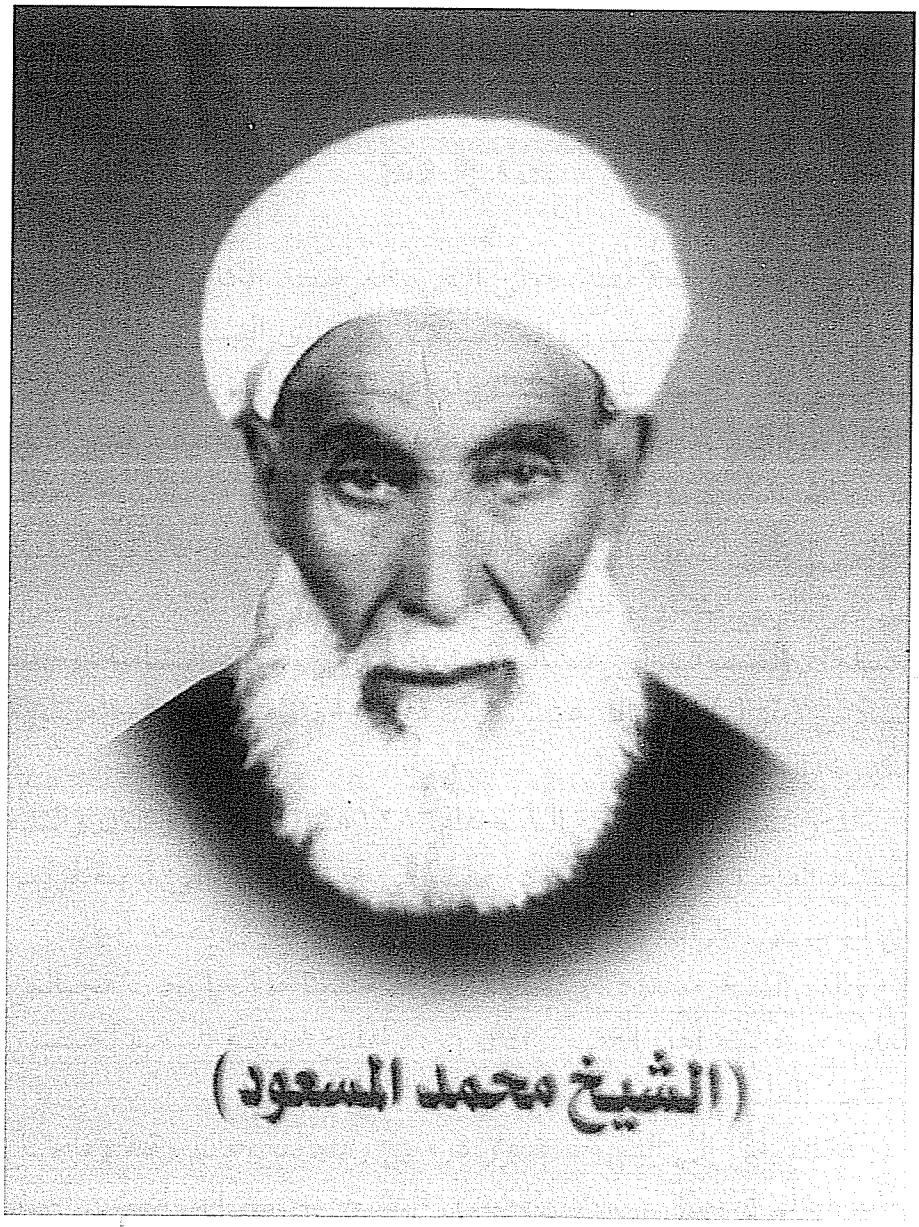
الباب الثاني

صور من حياة

العالم التقي والمرشد الكامل الجد

الشيخ محمد المسعود

رحمه الله وطيب ثراه



(الشيخ محمد السعود)

تمهيـــد

يشمل مولده، ووالده، ونشأته في الحجر الصالح

١- مولده ومنشؤه:

هـو العـالم العلامـة، الولي التقي، المرشـد الكامل، والـصوفي الفاضـل، والعَلَم المشهور، المتمـسك بالهـدي النبـوي والـسمت المحمدي من أجمع على فضله ونُبله عارفوه المعاصرون من العلماء، وأقرانه من الصلحاء، وأحبابه من الفضلاء، وكافة من عرفـه مـن أهـل بلده والغرباء، سليل الكرم والجود والفضل والمعروف، الشيخ محمد المكَنَّى (**بأبي السعود**)**بن الشيخ مسعود** بن محمد السرحان بن أحمـد أبي غرة البابي منشأًوموطناً، الغزالي عشيرة وأرومةً، النقشبندي مـشرباً ومسلكاً، المنسوب إلى عـشائر الحديـديين في الـبلاد الـشامية، وجده السادس (غزال) هو والد عشيرة (البوغزال) أحد فـروع هـذه العـشيرة الكبيرة (الحديديين).

ولد رحمه الله في مدينة الباب عام١٢٨٦هـ/١٨٦٩م وكـان والـده الصالح الفاضل (الشيخ مسعود) مقيماً في هذه المنطقة في قريـة قريبـة من الباب في أطراف بزاعة، ولا تبعد عن الباب سوى بضعة أميال.

٢- والده الشيخ مسعود: وكان هذا الوالد متديناً صالحاً يحب مجـالس العلم، ومجالسة أهل الفضل وكان يتردد علـى مدينـة البـاب لحـضور مجالس العلم ومصاحبة الفضلاء والصالحين فيها.

فكان يأتي إلى الباب لحضور دروس ومجالس عالم وقته وفاضـل زمانه العالم الفاضل والـولي الكامـل الـشيخ محمـد الطرابيـشي أحـد تلامذة علامة زمانه ومرشد أوانه الفاضل الكبير والولي الـشهير الـشيخ

أحمد الترمانيني الكبير، وكان الشيخ الترمانيني أرسل تلميذه الشيخ الطرابيشي الى مدينة الباب لمّا طَلَب أهلُها عالماً فاضلاً يقوم بتدريسهم وتربيتهم وتعليمهم فأقام الشيخ الطرابيشي في مدينة الباب ونشر العلم والفضيلة فيها الى أن توفي فيها بعام١٣٠٢هجرية رحمه الله تعالى[1]

٣- صلته بالشيخ الطرابيشي : وكان والده الشيخ مسعود رحمه الله من المواظبين على مجالس الشيخ الطرابيشي رحمه الله ودروسه فلما رأى إخوانُه وأحبابه من أهل الباب تردده إليها أشاروا عليه بسكنى الباب، فلاقت هذه الفكرة قبولاً لديه فارتحل إلى الباب وقطنها، ولما يبلغ عمرُ ولده محمد السنة السادسة وكان هذا عام١٢٩٢هـ/١٨٧٥م تقريباً.

٤- انتقاله للباب : سمعت والدي رحمه الله ـ وكتبته عنه ـ أنه كان من إخوان الشيخ مسعود الذين يحضرون دروس الشيخ الطرابيشي معه؛ صديقان حميمان؛ هما الشيخ علي القاسم والشيخ علي الطالب وكانا من خواص الشيخ الطرابيشي رحمهم الله جميعاً، وكانا من أفاضل طلاب العلم؛ فأشارا على الشيخ مسعود بسكنى الباب فسكنها.

٥- حبه للعبادة وولعه بالصلاة :

قال والدي:كان الشيخ مسعود من المتولعين بالصلاة، محباً لها، لا يفتر عنها، حتى أن صلاته كانت مشهورة لدى الناس بطولها وحسن ركوعها وسجودها، حتى كان يضرب به المثل ويقال ((صلاة الشيخ مسعود)) ومن فرط محبته للصلاة كان يطلب من ولده الشيخ محمد بعد عودته من الأزهر أن يصلي به إماماً، فكان الشيخ محمد يصلي الصلاة المسنونة دون إطالة، فما كانت تُعْجِبْ والده، فيشتكي لصديقه الحميم الحاج عمر اليسو الشهابي قائلاً إن ابني محمداً لا يصلي بي صلاة مشبعة (في قيام الليل والنوافل)رغم أنه قرأ في الركعتين سورتي

---

[1] راجع ترجمة الشيخ الترمانيني والشيخ الطرابيشي في أعلام النبلاء للطباخ ج٧ وكتابنا تاريخ الباب ج ٣.

الكهف وطه، إذ أن الشيخ مسعود كان يحب الإطالة في القراءة، يقول سيدي الوالد موضحاً لفعل الجد بأنه كان يصلي الصلاة المسنونة الّتي تناسب كافة الناس وكان والده يريد الصلاة المطوَّلة، وهذا يكون في(النوافل ومع غير جماعة الناس).

٦- تعليم ابنه القرآن :

ولشدة ولع الشيخ مسعود بالعلم ومحبته له، وضع ابنه(محمداً) في الكُتَّاب لتعلم القرآن في سنه(وكان عمره ست سنوات) تلك وقد كان الولد محمد صغير الجسم ناحله، فقال الشيخ الطرابيشي رحمه الله لوالده:إنه صُغَيَّر (بالتصغير)يا شيخ مسعود فأجَّلَه والده عاماً، تلبية لوصية الشيخ الطرابيشي رحمه الله.

ثم إنه لحبه للعلم والقرآن فقد جلس في العام القادم مع ابنه الصغير (محمد) في الكُتَّاب لقراءة القرآن وتعلمه، فتعلما القرآن وختماه سوية (الولد والوالد).

٧- ملازمة الشيخ مسعود للشيخ مصطفى أبي زلام :

وبعد وفاة الشيخ الطرابيشي رحمه الله قدم إلى الباب من حلب العلامة الكبير الشيخ عبد القادر لبنية الحلبي فأقام في الباب سنتين ثم ارتحل إلى منبج ثم خلفه العالم الفاضل الشيخ مصطفى أبو زلام من حلب وقطن الباب ونشر العلم فيها فلازمه الشيخ مسعود وحضر دروسه وكان الشيخ مصطفى كريماً سخياً وكان لا يجد أحياناً ما يَقْري به ضيوفه وتلامذته فكان الشيخ مسعود يتعهده بالإكرام والإنفاق على ضيوفه وتلامذته ومحبيه.

ويحكي المسنون من أهل الباب القِصَصَ العجيبة عن كرم الشيخ مسعود وعنايته بأهل العلم وطلابه.

٨- كرم الشيخ مسعود، وسيرته في التعامل التجاري :

●حدثنا والدي مراراً أن الشيخ مصطفى أبو زلام جاءه ضيوف، وشَعَرَ الشيخ مسعود بعدم وجود شيء لدى الشيخ مصطفى يطعم به أضيافه

فجاء مسرعاً إلى زوجته ليقول لها إن الشيخ مصطفى عنده ضيوف وما عنده برغل (والبرغل هو المادة الرئيسية للطعام آنذاك) فحمل الشيخ مسعود البرغل الموجود في البيت وهمَّ بالخروج فنادته زوجته أم محمد قائلة: بماذا يُؤْدِم الشيخ مصطفى البرغل؟ هل يؤدمه بالماء ؟! تعال وخذ معك هذا السمن وحمَّلته كل السمن الموجود في البيت، وذلك بعد حوار جرى بينهما هل يأخذ كل السمن الموجود في البيت أم بعضه، ويبقي بعضه الآخر لأضيافه؟! فأشارت الزوجة بأخذ الكل قائلة (الله يُخْلفُ علينا غيره) ولم يمض النهار حتى جاءه بعير محمل بالسمن والبرغل.

قال سيدي الوالد (ويحفظ المسنون من أهل الباب القصص الكثيرة من أمثال هذه).

قلت: وقد حكى لي الشيخ ناصر أبو زلام ابن العلامة الشيخ مصطفى أبو زلام – وقد أدرك الشيخَ مسعوداً - أنه كان يأتي إلى مدرسة الشيخ مصطفى أبو زلام (الحسبية) ويحضر مجلس العلم والدرس فيها، ثم يستأذن الشيخ في أن يأخذ التلاميذ إلى بيته ليطعمهم وكانت سنوات الحرب العالمية الأولى قد ألقت بشدتها وجهدها على الناس، فكان يقدم لهم الطعام والخبز رغم ندرته وقلَّته، ثم يقول لهم مازحاً: يا أولاد لا تسرقوا الخبز، ثم يخرج من البيت، يقول الشيخ ناصر كان يذكرهم بهذا كي يملؤوا جيوبهم من خبز الكعك ويأخذوه إلى أهليهم؛ قال الشيخ ناصر: كنا نملأ جيوبنا وثيابنا من الخبز بعد انتهائنا من الطعام ونعود به إلى أهلينا وهم أحوج ما يكونون إلى كسرة خبز . أهـ.

•وحدَّث والدي أن جده الشيخ مسعود كان مع عبادته وكرمه العجيب الذي لا يزال المعمرون من أهل البلدة يتحدثون عنه، كان من أهل الفطنة والتعقل والتبصر بالأمور، إذ أنه كان يكتسب من استئجار (ضمان) كروم العنب والفستق والتين وسواها.. فكان يقدم لأهله

وأضيافه منها ثم يبيع في السوق ما زاد عن حاجتهم، وحاجة أضيافه، قال: وما كان جدي يحب شراء العقارات (الكروم) لما لها من تبعات ونفقات قد تشغله عما هو فيه، بل كان يجد في ضمان (الثمرة) مقصوده، فيأكل منها ويطعم الناس ويتخلص من نفقاتها وتبعاتها.

وكان ما ينزله الى السوق من ثمرات الكروم معروفاً للناس فيطلبونه ويتسابقون عليه، لأنه ما كان يفعل مثل ما يفعله الناس (من ترويس الصناديق وهو وضع الجيد في الأعلى والرديء في الأسفل) بل يضع الأجود في الأسفل بعكس الناس.

●ومع شهرته بالكرم وقِرى الضيف فقد أُثر عنه واستفاض لدى الناس الذين عاصروه ومَن بعدَهم ونُقِل إلينا منهم أنه كان لا يأكل وحده، وحدثنا سيدي الوالد بأن مشربه كان التجرد للعبادة أكثر من اشتغاله بالدنيا لكنه كان لا يترك الأخذ بالأسباب، والإشتغالَ ببعض الأمور الدنيوية البسيطة كما أسلفنا، ثم سار الجد (الشيخ محمد) عَلى هذه السيرة ولكنه اشترى بعض العقارات والكروم بدلاً من ضمانها، وكانت كروم الشيخ مسعود بما فيها من عنب وتين شبْهَ مباحة للناس، فكانوا إذا اشتهوا العنب أو التين وليس لديهم قيمتهاَ يقولون لنذهب الى كرم الشيخ مسعود، ونأكل العنب والتين ويفعلون.

●قال أخي الشيخ عبد الله المسعود: حدثنا شيخنا العلامة الشيخ عبد الوهاب سكر رحمه الله وقد أدرك الشيخ مسعود أن الشيخ مسعود كان يضع زنابيل العنب وغيره على قارعة الطريق بجواركرومه ليأكل منه المارة ويأخذون منه حاجتهم، لعلهم يستحون من الدخول الىكرمه، وهذا يذكرنا بفعل عروة بن الزبير ﷺ؛ فقدكان يهدم شيئاً من حائط البستان إبَّان الموسم من أجل أن يدخل منه المارة إلى البستان.

٩- أولاد الشيخ مسعود: كان أكبرهم الشيخ (محمد) ثم وُلد له ولد أسماه (نعسان) فذهب نعسان إلى الحرب العالمية الأولى (سفر برلك) ولم يعد منها وأغلب الظن أنه استُشهد في الحرب ولم يتزوج.

ثم وُلد له (محمد علي) الذي عمَّر حتى مات عـام ١٩٥٤ وتـزوج ولم يُعقب، ووُلدت لـه (فطوم) تزوجها ابن عمها شواخ الجاسم ولم تُعقب و(فاطمة) تزوجها رجل كردي اسمه محمد المعمـو ولم تُعقـب ذكوراً. فهؤلاء أولاد الشيخ مسعود إخوة الشيخ محمد ذكوراً وإناثاً...

وكانت الذرية والنسل مـن الـشيخ محمـد رحمـه الله وأجـزل مثوبتـه حيث وُلد له ولدان همـا الـشيخ محمـد سـعيد والـشيخ محمـد علـي وعائشة.

الفصل الأول

نشأته العلمية

١٠- بدء تحصيل (الشيخ محمد المسعود) العلمي في الباب : بعد ختم الفتى (الشيخ محمد بن الشيخ مسعود) للقرآن الكريم وإتقانه، صار يحضر دروسَ الشيخ مصطفى أبو زلام مع والده في المدرسة الحسبية التي كانت من المدراس الدارسة في البلدة وأعاد الشيخ مصطفى إعمارها وتولى التدريس فيها وجعلها مقراً له، وكان الشيخ مسعود يحضر مجالس الشيخ مصطفى مع ابنه الفتى المحب للعلم البارِّ بوالديه (محمد أبو السعود) وكان يحضر معه أيضاً رفيقاه في الطلب الشيخ محمد البكور (أبو الفتوح) والشيخ أحمد الباقي (أبو البقاء) اللذان كانا فيما بعد رفيقيه في الرحلة إلى مصر للدراسة في أزهرها الشريف، ويحضر غيرهم من المحبين للعلم من الطلبة والعامة حيث قرؤوا على الشيخ مصطفى الفقه والعربية والتفسير وأمهات العلوم التي كانت تُدرس آنذاك كما كان يحضر معهم الشيخ سعيد الغانم.

ولا يخفى أن الفتى محمد كان يلازم مع والده الشيخ مسعود دروسِ الشيخ الطرابيشي فإنه لشدة محبة الوالد له كان يحضر معه ابنه محمداً وهو صغير لم يناهز الحلم مجالس الشيخ الطرابيشي... وكان الجد الشيخ محمد رحمه الله يدعو له ولوالده بعد صلواته وكلما دعا لوالديه..

١١- السفر مع رفيقيه أبو الفتوح وأبو البقاء للأزهر بمصر :

وبعد أن بلغ الشيخ محمد مبلغ الرجال عزم مع رفيقيه (أبي الفتوح وأبي البقاء) على إكمال التحصيل ومتابعة العلم فتوجه الثلاثة الى مصر لإكمال علومهم في الأزهر المعمور وسافروا على بركة الله - ولم يكن الجد قد تزوج بعد – ولما وصلوا هناك التحقوا بالأزهر وسجَّلوا فيه يوم ١٤ / جمادى الأولى / سنة١٣١٥هـ وبقي الجد الشيخ محمد في الأزهر ثلاث سنوات، ينهل من علومه، ويتلقى عن مشايخه الذين يدرسون فيه وعن غيرهم من أهل العلم والطريق وعاد إلى وطنه بعد أن حصل على شهادة (العالمية) في الأزهر الشريف وذلك في شهر ربيع الأول /١٣١٨هـ. الموافق لعام ١٩٠٠م

١٢- مشايخه في العلم في مصر والأزهر الشريف : وكان من أبرز مشايخه في مصر الشيخ سليم البشري رحمه الله شيخ الأزهر آنذاك، والشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي مصر، وغيرهما من علماء المذاهب الأربعة كما في تواقيعهم المدونة على إجازته منهم.

ومُنح الإجازة العالمية ووقع عليها مشايخه وها هي بنصها:

﴿الحمد لله العلي العظيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنزَل عليه (وإنك لعلى خلق عظيم) وعلى آله نور الهدى وأصحابه الذين من بهم اقتدى اهتدى ...

أما بعد: فلما كان العلم خير منهل يورد، وأفضل مسلك يقصد، وبه سعادة الدارين، ونوال الراحتين، وكان الجامع الأزهر هو الطالع الأنور لاقتباس العلم والفضل والحكمة والعقل حيث هو مطمح أنظار العباد، وبه عيون أئمة الرشاد، حوى من كل شيء أحسنه، ومن كل فن أنضره وأتقنه، فأتى بلباب اللباب، وبالعجب العجاب لهذا كان لحضرة ولدنا الأديب، وقرة أعيننا النجيب، **الشيخ محمد أبو السعود نجل الفاضل المكرم الشيخ مسعود نجل السيد محمد أبي غرة الحديدي عشيرةً من أهالي الباب التابعة لولاية حلب الشهباء**، أوفر الحظ في اقتطاف أثمار العلم منه حيث وفد إليه في اليوم الرابع عشر من جمادى الأولى١٣١٥ هـ ثلاثماية وخمسة عشر بعد الألف، وهو ما زال ولن يزال عنوان الجد والطلب ليس له سوى التحصيل أرب وبناءً على طلبه الإذن منا شهادة تُنبؤ عن جده واستقامة أحواله لذلك أجبناه لملازمته لنا ومعرفته بما عندنا من الإفادة وعلى الله التكلان وهو حسبنا ونعم المستعان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تحريراً في ١٥/ صفر الخير/١٣١٨ هـ

وقد ذُيلت شهادته بتواقيع وأختام شيوخه الأزهريين هؤلاء وهم كما كتبوا بخطهم:

١- الشيخ محمد بخيت المطيعي، مفتي الديار المصرية [1]
٢- الشيخ عبد الغني محمود المالكي الأزهري عفي عنه.
٣- الشيخ علي الشافعي بالأزهر .
٤- الشيخ يحيى الخليلي الشافعي بالأزهر عفي عنه.
٥- الشيخ محمد محمد الحلبي الشافعي الأزهري عفي عنه.
٦- الشيخ حسن رجب السقا الشافعي، خطيب الأزهر عفي عنه.
٧- الشيخ محمد حسن الشافعي بالأزهر.
٨- علي الأبريري الشافعي بالأزهر.
٩- الشيخ محمد علي الخلف الحسيني.
١٠- الشيخ سعيد بن علي الموجي بالأزهر.
١١- الشيخ أحمد البسيوني الحنبلي الأزهري عفي عنه.
١٢- الشيخ علي الخولي الحناطي بالأزهر.
١٣- الشيخ محمد علي الفيومي المالكي.
١٤- الشيخ علي حسين البولاقي.
١٥- الشيخ عبد الرحمن البحراوي الحنفي.
١٦- الشيخ محب الدين محمد الدالي الشافعي.
١٧- الشيخ سليمان النجار السند تهوري المالكي عفي عنه.
١٨- الشيخ محمد يوسف الجرداني.
١٩- الشيخ محمد الخراشي العدوي المالكي بالأزهر.

وقد ذيلها بخطه وتوقيعه وخاتمه الشيخ سليم البشري بقوله: حضرات المشايخ التسعة عشر الموقعين على هذه الشهادة هم من

---

[1] - وكتب عليها بخطه : حضرة الشيخ المذكور حضر عندنا من الفقه شرْحَ العيني، شرح الدرر، ومشتغلٌ بشرح الدرر الآن ومن التوحيد شرحَ الخريدة بحاشيتنا عليه، وشرح العقائد العضدية، ومشتغل بحضور شرح الجلالين والشمائل وقد أجزناه بما تلقاه عنا بشرط تقوى الله تعالى (محمد بخيت) .

علمـــاء الجـــامع الأزهـــر الـــشريف٢٥/صـــفر/١٣١٨ هـــ
التوقيع :الفقير سليم البشري خادم العلم والفقراء بالأزهر

ومن مشايخه الذين لم يرد ذكرهم أعلاه كما حدثنا عنهم هو الشيخ عبد القادر القصاب الدير عطاني[1] (من دير عطية من سورية) وقد كان يحفظ أشعاره ومواعظه وكان يحفِّظُنا – لما كنا في حجره وتربيته – أشعار شيخه القصاب ومنها قصيدته الطويلة في ذم النفس الأمارة بالسوء، والتزام الأدب ومطلعها:

لمَ لا أنوح وأندبُ وجميع جسمي مذنبُ
ظني بغيري سيءٌ وبسوء نفسي طيبُ
نفسي لشدة خبثها غير الخطا لا تخطبُ

وكان رحمه الله ونوَّر ضريحه يثني عليه خيراً كثيراً وكانت قصيدته تلك مكتوبة في دفتر للجد رحمه الله. وكان كل إخوتي الذين تربوا عنده يحفظونها، بالإضافة إلى متون العلم كالحديث والفقه والنحو.

١٣- ومن مشايخه أيضاً في مصر :الشيخ العارف بالله والمربي الكبير والمرشد الكامل الشيخ محمد أمين الكردي الأربلي النقشبندي صاحب كتاب تنوير القلوب والمؤلفات الأخرى النافعة، وقد لزم مجالسه ودروسه وحلقات الذكر والختم النقشبندي لديه ثم أرسل له إجازة بالإرشاد العام ونصيحة الإخوان، كما سيأتي معنا.

---

[1] – الشيخ عبد القادر القصاب، هو من علماء الشام الأعلام، ولد في دير عطية (ريف دمشق) بعام ١٢٦٤هـ ١٨٥٤م وتلقى تعليمه الأول، ثم ذهب إلى الأزهر وبقي ينهل من علومه سبعاً وعشرين عاماً، ثم عاد إلى دمشق، وسكن في بلدة دير عطية، وأسس مدرسة علمية شرعية، توفي عام ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م .

ملاحظة واستدراك : أقول يغلب على ظني أن سيدي الجد لم يلتق الشيخ القصاب في الأزهر لأن الشيخ القصاب عاد إلى سورية عام ١٣١٤ هـ ودخل جدي الأزهر عام ١٣١٥، ولكن لأثر الشيخ القصاب في الأزهر وتلامذته والذين أثنوا عليه حفظ جدي قصيدته، ولعله التقاه لما عاد إلى سورية (انظر ترجمة الشيخ القصاب في كتاب ولده الشيخ محمد وفا (الشيخ عبدالقادر القصاب وحياته وآثاره . ط دمشق ١٩٧٣ م).

١٤- رغبته في العودة ثانيةً إلى الأزهر، للإستزادة من العلم والمعرفة :

ويحسن بنا أن نعود قليلاً لنتابع حياة الشيخ بعد عودته من الأزهر الشريف في مصر يحمل شهادته العالمية مع رفيقيه أبي الفتوح وأبي البقاء.

عاد الشيخ محمد المسعود الى بلده ووطنه ونفسُهُ طُلَعة الى تكميل التحصيل، وزيادة التأهيل في العلم الشريف بالعودة الى مصر وأزهرها، وصعُب عليه فراق الأزهر المعمور، وقد أحب منه أساتذة أفاضل، لهم في القلوب منازل، وزملاءً كراماً قضى معهم من العمر أعواماً، والحنين الى شيخه الشيخ محمد أمين يفوق ذلك أيضاً، فقرر بعد أن يبقى لدى الأهل ردحاً (مدةً) من الزمن أن يعود ثانية الى مصر لإكمال التعليم العالي وزيادة التحصيل، وشفاء الغليل: بلقاء الأشياخ ومصاحبة الرفاق، وبعد أن عزم على ذلك وقرره في نفسه، استأذن فيه والده، فلم يَلْقَ لدى الوالد القبول التام، فقد أراد له والده الشيخ مسعود البقاء بجانبه وأراد الولد المضي قي عزمه، ومن فرط حب الوالد للولد لم يمنعه من السفر وإن كان لم يصرح له بالمنع، فتوجه الشيخ محمد من الباب الى حلب لينطلق منها الى مصر، ولم تكن الآليات قد شاع أمرها وكانت الأسفار على الدواب، وفي الطريق وقبيل حلب، وكان هذا بعام ١٣١٩هـ الموافق ١٩٠١م، خرج قطّاع الطريق على القافلة التي كانوا فيها، ونهبوا المسافرين وأخذوا ما معه ومع رفاقه من مال ومتاع، فعاد الشيخ إلى الباب ثانية، وقد تبدل الرأي وضعف العزم عن السفر الى مصر، وكتب إلى زملائه في الأزهر يخبرهم بما جرى، فكتب له زملاؤه الشيخ رضوان حسين، والشيخ حمدان عساف عابد الحياوي، والشيخ عبد الجليل الإبرير رسائل يواسونه فيها، ومما جاء في رسالة الشيخ رضوان حسين: أبدي لجناب سيادتكم أنه وصلنا عزيز كتابكم فتلقيناه والإخوان بغاية الإنشراح وفهمنا ما فيه من كونكم في غاية الصحة فحمدنا الباري، ومن كونكم

عزمتم على التوجه تلقاءنا فحصل لكم ما حصل، فصعب لدينا، ودعونا بأن الله يعوضكم ما فاتكم، ولكن يا حضرة الأخ أنت خبير بأن هذا هو الأصلح لكونه واقعاً من الله. ألم يكفكم ما حزتموه من العلوم والمعارف ؟!.

فأنت إذا علَّمت لك واحداً من العوام دينه أفضل لك من رجوعك، كما لا يخفى عليكم من أن مثل ذلك هو ثمرة ولب العلم، وإن كان فراق الأزهر يصعب، لكن الإنسان إذا وجد النتيجة واضحة، لا يحتاج إلى المقدمات، وإذا وجد الثمرة فلأي شيء يغرس، فلدى حضرتكم على الأقل واحد أو اثنان يتمنون أن يعرفوا ديانتهم فلأي شيء تحتاج إلى الأزهر؟ إنما هو لمثل هذا. وإذا كان الغرض؛ أنَّي بالأزهر، أو المراتب العالية، فهذا شيء لا تناله بالعلوم، بل تعرف مبادئ هذه المقاصد وحاشاك أن يقال لك مثل هذا. ا.هـ

فكانت رسائل إخوانه وزملائه له بالأزهر تسلية ومواساة عما حدث معه وعن ألمه لفراق الأزهر، وتذكيراً له برسالة العلم التي تعلمه من أجلها. (وسنذكر نص رسائل زملائه المصريين في فصل الرسائل)

١٥- زواجه وأولاده :

أقام الشيخ في الباب لتعليم العلم والدعوة الى الله سبحانه، واتخذ بعض الأسباب الدنيوية في تحصيل الرزق، ثم تأهل من نفس البلدة، من السيدة (أمينة بنت عبد الله الزريق) رحمها الله والتي أصولها من بلدة تاذف. فأنجبت له ولدان وبنتاً أما الولدان فهما: الشيخ محمد سعيد الذي تولى إفتاء الباب فيما بعد وتوفي بعام ١٣٩٩هـ /١٩٧٧م والشيخ محمد علي وتوفي رحمه الله بعد إعداد هذه الترجمة في ١٥/رجب/١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١١/٥م.

وقد كان يجمع بين طلب العلم وتحصيل المال الحلال، حتى أنه كان في طريق ذهابه للأزهر يعمل إذا أعوزته النفقة حتى وصل إلى القاهرة ثم عاد منها.

الفصل الثاني

حبه للعلم ونشره له

١٦ - كان رحمه الله من شدة حبه للعلم كثيراً ما يردد هذه الأبيات :

وَالَهْفَ نفسي على شيئين لوجمعا لكنت إذن من أسعد البشر
كفاف عيشٍ يقيني ذل مسألة وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

ولقد حقق الله سبحانه بمنه وكرمه له تلك الأمنية واستجاب له تلك الرغبة، فكان في خدمة العلم حتى انقضى عمره.

وذكر لنا مرة أنه كان مع رفاقه الأزهريين في سهرة لترويح النفس يتذاكرون الشعر فيما يعرف بـ(مذاكرة الأنفاس)وهي أن يذكر أحدهم بيتاً من الشعر، وعلى الثاني أن يأتي ببيت يبدأ بالحرف الذي انتهى رويُّه، قال ووصل الدور إليَّ على رويِّ الراء، فلم أجد في حفظي بيتاً مبدوءاً بحرف الراء، والسهرة طالت فقلت على البديهة:

رُمِ العلمَ وكن محباً ۞ إن في العلم أنساً وقرباً

وهذا يدلك على أن العلم كان هاجسه طالباً متعلماً، وشيخاً معلماً. وفي بلده (الباب) صار نشر العلم بين الخاصة والعامة ديدنه وشغله، فمع الدروس التي كان يقرؤها للطلبة، هناك دروس للعامة في المساجد.

١٧- الحالة العلمية في الباب ونهضتها العلمية على أيدي شيوخها الأجلاء :

فيما أدركناه وحكاه لنا آباؤنا وعلماؤنا، بدأت النهضة العلمية في أواخر القرن الثالث عشر الهجري في مدينة الباب بقدوم الشيخ محمد الطرابيشي إليها ثم بعد وفاته ١٣٠٢هـ تابعها الشيخ العلامة عبد القادر اللبنية الذي غادر الباب إلى منبج بعد سنتين من مقامه فيها ناشراً للعلم بعد الشيخ الطرابيشي، ثم تابع المسيرة العلمية الشيخ مصطفى أبو زلام في المدرسة (الحسبية) واتخذها مقراً لنشاطه العلمي، كما أحيا الشيخ محمد المسعود المدرسة (المعبدية) ثاني المدارس العلمية في الباب، ولم تكن لهذه المدارس أنظمة رسمية أو مناهج دراسية معينة، وإنما كانت تنشط وتزدهر بنشاط أساتذتها ومدرسيها وكانت هذه المدارس ثلاثة؛ الأولى **المدرسة الحسبية** التي أعاد عمارتها الشيخ مصطفى أبو زلام واتخذها مقراً لنشاطه العلمي والديني والثانية **المدرسة المعبدية** التي لم يكن لها مدرس، والثالثة **المدرسة الشهابية** التي اتخذها كزاوية ومجلس ذكر الشيخ علي الحمدان الشهابي فيما بعد.

فاتخذ الشيخ محمد المسعود المدرسة (المعبدية) مركزاً لدروسه لطلبة العلم المواظبين على التحصيل والذين يريدون متابعته والمزيد منه.ودرس فيها الفقه والنحو والتفسير والأصول،وكان من أبرز تلامذته فيها الشيخ عبد الله حماد من تادف وطبقته، والشيخ عبد الوهاب سكر والشيخ صادق غزال والشيخ سعيد الدرويش من الباب وطبقتهم،ثم تلاهم الشيخ بكري الرجب والشيخ محمد سعيد المسعود وطبقته،ثم تلاهم الشيخ حسن جسومة والشيخ عبد الله الزعيتر والشيخ محمد علي المسعود وطبقتهم،وخلائق آخرون من الباب وممن حولها، منهم من تابع العلم ومنهم من لم يتابع...

كما كان لـه درس خـاص لطلبـة العلـم في جـامع الفوارسـي بـين المغرب والعشاء، أما الدرس العام فكان في الجامع الصغير ومما يُذكر أنه كان يقرأ فيه (مراقي الفلاح) في الفقه الحنفي، ومـع تعليمـه للعامـة والخاصة كان يلازم دروس الشيخ مصطفى أبو زلام هو وأقرانه الـذين كانوا معه في الأزهر وغيرهم...

بل كان يحضر دروس من دونـه في الـسن أيـضاً مـن أهـل العلـم والفضل كالشيخ محمد بدر ويحرص أن يحضر أولاده وأحفـاده أيـضاً هذه المجالس والدروس حباً في العلم وشغفاً به، وتشجيعاً للغير حتى يتابعوا مجالس العلم ولو من تلامذتهم، ولم تمـض مـدة حـتى صـار مرجعـاً للنـاس يـستفتونه في أمـور دينـهم، ويرجعـون إليـه في حـل معضلاتهم، ويحكمونه فيما شجر بينهم، كما كان بيته مثـل بيـت أبيـه مأوىً للضيوف والزائرين الذين ما كانوا ينقطعون عنه وما كان يمل ولا يكل من إكرامهم وقِرَاهم وما كان أحد يدخل بيته ويخرج دون قِرىً أو ضيافة....

وكان غالب الناس بل معظـم مـن يقـصده لحـل الخـصومات بينـهم، والإحتكام إلى الشرع في حل مـشكلاتهم يخرجـون مـصطلحين راضـين مسرورين وكأنهم إخوة متحابون وبخاصة بعد أن يأكلوا طعامه الذي يقدمه لهم قبل البدء بكلامهم، واستمر في العلم والتعليم معلماً شـغوفاً بـالعلم، ومتعلماً على يد من هم أعلى منه سناً وعلماً..

ولم ينقطع حضه للناس على طلب العلـم، وأثمـر هـذا الترغيـب في العلم والحض عليه أن تخرَّج على يديه مـن ذكرنـاهم آنفـاً مـن أجلَّـة علماء الباب وتـادف، ومن حولها، ومنـهم ولـداه العالمـان الفاضـلان الشيخ محمد سعيد والشيخ محمد علي، وكان يقول: (لو كـان عنـدي مائة ولد لأرسلتهم لطلب العلم).

ومن نتائج هذا الترغيب في العلم والحض عليه، عدم انقطاع سلسلة طلاب العلم في هذه البلدة المباركة منذ ذلك الوقْت وحتى الآن ونرجو الله سبحانه أن يديمها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ورأينا وسوف نرى من خلال سيرة ولديه كيف أثمرت المسيرة العلمية في نهضة علوم الدين وأخلاقه وثمراته في هذه البلدة الطيبة.

الفصل الثالث

التربية الإيمانية، وأثرها في حياته

١٨- مصادر التربية الروحية (شيوخه) :

كان جُلُّ العلماء في نهاية القرن الثالث عشر الهجري وبداية الرابع عشر في البلاد الشامية وغيرها من العلماء العاملين، والربانيين العارفين اللذين يقرنون العلم بالعمل، ولا يفترون عن الذكر، وتزكية وتربية من يُعَلِّمون...

وقد كان حظ الجد (الشيخ محمد) من هذا عالياً، ونصيبه وافراً، فقد أكرم الله سبحانه بلدة (الباب) بربانيٍ عارف من تلامذة الرباني الكبير والعارف الشهير الشيخ أحمد الترمانيني ألا وهو الشيخ محمد الطرابيشي.

أ- مع الشيخ الطرابيشي :

فقد نشأ الجد – كما أسلفنا- وتفتحت عيونه بصحبة والده على طلعة ذلك العالم العامل، والرباني الكامل...وإن كان آنذاك فتى ناهز البلوغ أو قاربه فقد أخذ بحظه من أنظاره وتوجهاته في ظل والده الكريم الشيخ مسعود الغزالي، ولما توفي الشيخ الطرابيشي بعام ١٣٠٢هـ كان عمر الشيخ يقارب ال/١٦/عاماً.

ب- مع الشيخ عبد القادر اللبنية :

ولما حل العارف بالله الشيخ عبد القادر اللبنية في ربوع بلدة الباب عالماً ومعلماً ومرشداً لأهلها خلفاً للشيخ الطرابيشي فقد كان حظ الجد منه وافراً إذ لازمه سيدي الجد وتلقى عنه العلم والعمل، كما أخذ عنه الطريق النقشبندي حيث كان الشيخ اللبنية مرشداً في هذا

الطريق، وأحب سيدي الجد شيخه وتأثر به خلقاً وسلوكاً وعلماً وعملاً وظل في صحبته وتحت أنظاره حتى انتقل الشيخ اللبنية إلى منبج معلماً ومرشداً ومفتياً وظل الشيخ اللبنية في منبج حتى توفي فيها بعام ١٣٤٠هـ ١٩٢١م.

وللشيخ عبد القادر اللبنية قصيدة في مدح النبي ﷺ مطلعها:

صلِّ يا رب على هذا الرسول مع سلام فيه أنواع القبول
حار فكري لست أدري ما أقول في امتداحي لكمالات الرسول

ولا يزال المنشدون يرددونها وتلقى القبول، لما لصاحبها من الفضل في العلم والولاية.[1]

ج- مع الشيخ محمد أمين الكردي في مصر:

ولما توجه الجد (الشيخ محمد) تلقاء مصر لينهل من علوم أشياخها ومربيها توجَّه قلبه إلى العارف الكبير والمرشد الشهير في الطريقة النقشبندية مولانا الشيخ محمد أمين الكردي الأربيلي التي كانت شمس إرشاده قد عمَّت مصر القاهرة وما جاورها من المدن فلازمه الجد (الشيخ محمد) وحضر مجالسه ودروسه العلمية، وشهد فتوحاته الربانية، وأعطاه حقه من التأدب بين يديه والإحترام والتبجيل فغدا هذا التلميذ (الحلبي البابي) للشيخ أمين قرة عين فخصه الشيخ بتوجهاته وملاحظاته طيلة بقائه في مصر ولما رآه أهلاً لأن يكون خليفة للشيخ في بلاد حلب وأن يكون باباً للخير والذكر في (الباب) أجازه بالإرشاد العام، وتلقين الذكر للخاص والعام، وكتب له إجازة بذلك، ويقول سيدي الوالد وقد رأيت هذه الإجازة التي يقول فيها الشيخ أمين مخاطباً الجد (وقد أجزتك بنصيحة الإخوان).

ولما ورد بلده وقد حظي من العلوم والمعارف بالحظ الوافر، ومن السلوك والتزكية بالنصيب الباهر، شرع في أداء حق العلم والعمل

---

[1] – قال أخي الشيخ عبد الله: حدثني الشيخ كامل بدر رحمه الله أن الشيخ عبد القادر لبنية كان جبلاً في العلم يضاهي ابن عابدين، وإقامته في الريف هي التي لم تجعل له شهرة كبيرة.

وذلك بالتعليم والتزكية وتلقين الذكر للإخوان وصار مرشداً مربياً ومرجعاً للناس في أمور دينهم مع وجود شيخه الشيخ مصطفى أبو زلام وزميليه أبي الفتوح وأبي البقاء.

د- مع مرشد العصر الشيخ أبي النصر :

وكان من عادة المرشد الكبير والمربي الشهير الشيخ محمد أبي النصر بن الشيخ سليم الخلف الجندي الحمصي النقشبندي مرشد البلاد الحلبية والحموية والجزيرة وما حولها في الطريق النقشبندي الخالدي، كان من عادته زيارة هذه البلاد والدعوة إلى الله وإرشاد الناس لدينهم وتلقينهم الذكر وكان يتفقد الإخوان في منبج والباب وتادف فالتقاه الجد (الشيخ محمد) وعرف فضله وإرشاده أول ما قدم الباب (بعد وفاة والده الشيخ سليم الذي توفي بعام ١٣٢٨هـ ١٩١٠م).

قال سيدي الوالد: ومن آداب الطريق كما ذكر سيدي الشعراني أنه (إذا كان الغير متصدياً للإرشاد وهو أهل له فعلى أحد المرشدَين أن ينضوي تحت علَمِ الآخر) وتطبيقاً لهذه القاعدة بادر الشيخ محمد المسعود لمبايعة الشيخ أبي النصر وأخذ العهد عليه بالذكر وصار من خُلَّصِ أتباعه ومحبيه ومريديه وصار الشيخ أبو النصر ينزل لديه في زياراته الإرشادية لمدينة الباب وما حولها بعد أن كان ينزل في منزل الحاج محمد سليمان قباط الشهابي رحمه الله وكان هذا من أول لقاء التقاه الشيخ محمد المسعود بالشيخ أبي النصر رحمهما الله وقدَّس روحهما بالرحمة والرضوان ..

وبقي الشيخ محمد محباً لشيخه أبي النصر متأدباً بين يديه عارفاً فضله، قائماً بالدعوة إلى الله، وتلقين الذكر للإخوان نيابة عن شيخه أبي النص، مقيماً مجالس الذكر والختم الشريف حريصاً كل الحرص على مشاورة شيخه في أمور الدين والدنيا.

وفي حال عودة الشيخ إلى حمص كانت رسائله إليه تترى يشاوره ويستأذنه في جليل الأمور وصغيرها ويجيبه الشيخ على رسائله، وسنفرد فصلاً خاصاً لرسائله إلى شيخه أبي النصر وأولاده وغيرهم ونماذج من كتاباته للوثائق والمعاملات التي كان يقوم بها.

هـ - مع الصالحين عموماً :

ومع حبه وتبجيله وأدبه العظيم مع أشياخه وأساتذته، كان محباً لكل الصالحين من علماء عاملين، ومن عامة الناس، فقد كان يزورهم ويزورونه، ولم يكن يَفدُ أحد من الصالحين أو العلماء إلى البلدة إلا ويَمَّمَ شَطْر بيته، فدخلَه وأكل من طعامه، ونال من الخير على حسب نيته، وقد حدثنا سيدي الوالد أن أكابر علماء دمشق في وقتهم كالشيخ محمود السيد مفتي دوما والعارف بالله الشيخ محمد الهاشمي وصحبهم زاروه ودخلوا بيته وأكلوا طعامه، وأوفد معهم الجد سيدي الوالد لزيارة سيدنا عقيل المنبجي العمري في منبج، وقد أجاز الشيخ الهاشمي لسيدي الوالد في حينها بالطريقة الشاذلية والعمل بأذكارها.

كما زار سيدي الجد بعام ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م مع سيدي العم والوالد الشيخ أحمد الحارون، وصار بوجوده مجلس عظيم نتحدث عنه فيما بعد.

وبالجملة فقد كان حب الصالحين وذكرهم وقراءة كتبهم والانتفاع بمواعظهم هاجسه وديدنه، كما كان بيته موئلاً لهم، ومحجاً ومقصداً.

الفصل الرابع

عبادته وتقواه

١٩- أما عبادته: فحدث عنها ولا حرج، فقد كان رحمه الله وأجزل مثوبته عابداً تقياً وحامداً شاكراً، وورعاً ذاكراً، لا يفتر ولا ينى عن الصلاة ليلاً أو نهاراً، وكذلك صيام النفل والذكر والصلاة على النبي ﷺ وتلاوة القرآن الكريم.

أ- أما الصلاة: فإن قلت أنها كانت همه وشغله، ولا هم له سواها فقد صدقت، فكان لا يدخل مكاناً (بيتاً أو بستاناً) أو دار ضيافة الا وصلى ركعتين قبل أن يجلس وكذلك كان يفعل قبل الخروج من أي محل دخله.

وما استيقظ أحد في داره ليلاً إلا وسمع تلاوته في الصلاة التي تؤنس اليقظان، ولا تزعج النائم، يصلي ويبكي خاشعاً تبلل دموعه لحيته.

كان هذا دأبه في الليل صيفاً وشتاءً وكان يحافظ على الوضوء سائر أوقاته رغم ما يلاقيه من برد الشتاء القارس. وتشهد أشجار بستانه الذي كان ملاصقاً للبلدة أنه ما من شجرة إلا وصلى وراءها ما لا يعلم إلا الله قدره، ويشهد لذلك الفلاحون الذين كانوا يحرثون هذا البستان، وكذلك العمال الذين كانوا يعملون فيه من تقليم وقطاف وغير ذلك.

وكان يقضي ما بين المغرب والعشاء في الجامع الصغير بالصلاة إذ انه ما يسلِّم عن يساره إلا ويشرع في ركعتين أخريين، هكذا مصلياً في

هذا الوقت متنفلاً حتى العشاء، ومن طريف ما يذكر في أمر صلاته حادثتان فريدتان.

الأولى: أنه كان مدعواً لطعام العشاء عند الحاج مصطفى البيراوي بمناسبة زواج ابنه عبد السلام وتأخر عليهم فأرسلوا إليه الأخ عبد السلام بيراوي (صهره على ابنة ابنه الشيخ محمد سعيد) وكان الشيخ رحمه الله في الجامع الصغير إماماً وقالوا للرسول: اذهب إليه فستراه يصلي فإذا سلَّم عن يمينه فلا تنتظره حتى يسلِّم عن شماله، فإنه سيواصل صلاته، ولكن قبل أن يسلِّم عن شماله قل له؛ إن الجماعة ينتظرونك للعشاء ففعل الرسول ما أوصوه به، فحضر الشيخ معه حالاً إذ أن صلاته اليومية هذه كانت تنسيه ما سواها...

والثانية: أن أحد الضيوف الذين كانوا ينزلون في بيت الشيخ للمبيت والطعام – حيث أن بيته كان نزلاً لمن كان يعرفه ومن لا يعرفه من الغرباء عن البلدة – ذهب إلى الجامع الصغير وصلى معه المغرب ثم صلى الضيف السنة البعدية وانتظر الشيخ حتى ينهي صلاته ليذهب معه إلى البيت، ولم يَدْرِ هذا الضيف أن الشيخ محمد يبقى في مصلاه يصلي حتى العشاء، ولم يكن الشيخ يعلم بوجوده، لأنه لا يلتفت من صلاته إلا للسلام؛ فناداه الضيف بعد أن طال عليه الأمد وكان هذا الضيف من (مارع) قائلاً ومداعباً: شيخي، قوم عَشّيني ثم أكمل صلاتك، فالتفت إليه الشيخ ضاحكاً مسروراً وقال له: يُعْمُر دينك يا مارعي، سرِّيت عمك، ثم ذهب معه إلى البيت.

وذات مساء وبينما كان يصلي في الجامع الصغير بين المغرب والعشاء في فناء المسجد (ساحته) وإذا بالمطر ينهمر وينسكب عليه كأفواه القرب، فلم يترك الشيخ صلاته، وظل قائماً يصلي حتى انتهى من صلاته.

ومع ما ذكرنا هذا الكرم الواسع وحب الضيوف وإطعامهم وإيوائهم كان يأمرهم بالصلاة، فمن كان لا يصلي لا يُبيتُهُ في بيته كائناً من كان بل يخرجه ويقول له بعد إطعامه؛ إذهب ونم حيث شئت.

ب- مناجاته: سل الليالي الطويلة والقصيرة عن مناجاته وذكره، وخشوعه وبكائه واقفاً بين يدي الله مصلياً، أو ذاكراً داعياً يردد مبتهلاً خاضعاً؛ فإنها تخبرك أنه كان يقف في الليل يردد:

إلهي لست للفردوس أهلاً ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لي توبة واغفر ذنوبي فإنك غافر الذنب العظيم

ويبكي بحرقة ولوعة كثكلى فقدت وحيدها ثم يقول ويكرر:

لن أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي أو تقبلوني على عيبي ونقصاني
فإن رضيتم فيا عِزّي ويا شرفي وإن أبيتم فمن أرجو لعصياني

ج- أوراده وأذكاره:

وأما أوراده وأذكاره وتلاوته للقرآن وصلاته على النبي ﷺ فما رأينا منذ أن تفتحت عيوننا ونحن في كنفه وبيته؛ ذاكراً خاشعاً ومتبتلاً متواضعاً مثله، فقد كان الذكر رطوبة لسانه الذي لا يجف، وكانت الصلاة على النبي ﷺ غذاءه اليومي الذي لا غنى له عنه، وما كنت ترى له حالة أو هيئة أو مدخلاً أو مخرجاً أو مناولة أو أخذاً إلا وله فيه ذكر مأثور عن النبي ﷺ، وكأنَّ (أذكار النووي) و(عمل اليوم والليلة) لإبن السني، والأذكار الأخرى المأخوذة عن الصالحين مندرجة في قلبه ولسانه.

أضف إلى ذلك أذكار النقشبندية التي تلقاها عن شيوخه سواء منها الخفية (الذكر الخفي) واللطائف، أو الجهرية، كالختم الشريف، ومجالس الصلاة على النبي ﷺ، فكان يقيم الختم في المسجد يومياً مع الإخوان، وفي بيته مع نسائه وأولاده وأحفاده.

أما (دلائل الخيرات) وهي أقدم كتب أوراد الصلاة على النبي ﷺ فكانت لا تفارقه سفراً أو حضراً، فحيث ما وجد فرصة أخرج كتاب الدلائل وقرأ فيها حزبه (ورده) اليومي من الصلاة على النبي ﷺ،

ولما ألّف صديقه ورفيقه الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله تعالى جمعية (**عشاق الحبيب المصطفى ﷺ**)، أرسل إلى أخيه الشيخ محمد المسعود ليجعله نائباً عنه في هذه الجمعية، التي جعل رسم الإشتراك فيها (**ألف صلاة على النبي ﷺ**) في اليوم بأي صيغة كانت.

د - صيام النفل:

ولم يكن الصيام بأقل حظاً في حياة الشيخ من الصلاة والذكر، فإن صيام الاثنين والخميس لم يتركهما أبداً مع باقي الأيام الفاضلة المندوب إليها، وكذلك كان يخلّق عياله وأولاده عليها ويرغبهم في صيام التطوع، ليكون لهم خلقاً، ويحثهم عليه ويحث كل إخوانه وأحبابه كما في الصلاة والذكر.

الفصل الخامس

أخلاقه وشمائله

٢٠- سيرته ومناقبه العامة :

كان شديد التمسك بالسنة حريصاً على التخلق بها جاداً في تتبع سيرة النبي ﷺ والإقتداء به، حتى إنك ما تقرأ في شمائل المصطفى ﷺ خصلة من خصاله إلا وجدت لها عنده اتباعاً وبها اقتداء.

وقد جرت مرة مذاكرة بيني وبين سيدي الوالد رحمه الله حول بعض العلماء الأعلام المعاصرين ومن يرجح على الآخرين في التمسك بالسنة مع كمال التطبيق لها والتخلق بالأخلاق المحمدية الشريفة في بيته ونفسه وإخوانه وأهله وأولاده فذكر الوالد ثلاثة من أفذاذ العلماء المعاصرين للشيخ ثم قال لي سيدي الوالد: (يرجح عندي جدك عليهما) مع شدة حب واحترام سيدي الوالد للعالمين الآخرين وتولعه بهما، وكمال ذينك العالمين الفاضلين. ولِمَ لا فلقد كان الشيخ محمد المسعود رحمه الله بحق راجحاً من حيث السلوك والخلق المحمدي والوقوف عند حدود الله والتزام الشرع ولو على نفسه وخاصة أولاده، لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يني ولا يفتر عن تخليق وتهذيب من يعول ومن يسأله الله عنهم، على الخلق النبوي والنهج المحمدي الشريف.

وكان من عادته رحمه الله التيسير على الإخوان وعدم أمرهم بما يَشُقُّ عليهم، فلذلك إن رأوا أمراً وفيه يُسْرٌ عليهم وَافَقَهُم، وخاصة إذا كان مباحاً وليس فيه حَجْرٌ على أحد في دينه أو دنياه تأسياً بالحبيب

المصطفى ﷺ، فإنه «**ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً**».[1]

وكان على مذهب السلف في سيره وعمله لا يهوى المحدثات من الأمور ولا تستخفه ولا تستهويه، مع حزم في لين وقوة في دين وشفقة في تأديب، لأولاده ومن يعولهم لا نظير لها، فعندما تراه مؤدباً لولد أو ناهياً عن منكرٍ أو زاجراً عن معصية فكأنك لا تعرفه ولا يعرفك، وإذا رأيته مداعباً لطفل أو مؤانساً لعياله في ليالي السمر – وكثيراً ما رأينا ذلك منه – فكأنك تجالس أرق الناس وألينهم وألطفهم مقتدياً برسول الله ﷺ الذي روي عنه (أنه كان أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة...الحديث: « **وماأنتقم لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله، فإذا انتُهِكَت حرمة الله، كان أشد الناس غضباً لله**».[2]

حدث مرة أن جاء أحد أحفاده الذين كانوا يعيشون لديه في حياة والدهم من المدرسة ولما قدمت له جدته الطعام الموجود رفض الطفل أن يأكله فأدبه جده وعرك أذنه وأمره بالأكل منه فأكل منه على كره ومضض وعاد الطفل إلى مدرسته وفي المساء لم يستطع ذلك الشيخ الرقيق العطوف الحازم إلا أن يُحضِر لحفيده طبقاً من (اللحم الكباب) أوصى له به، فما ترك رحمه الله حزمه في تأديبه على احترام

---

[1] – هذا جزء من حديث رواه الإمام مالك عن عائشة بلفظ (**ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه**)، وكذا رواه الإمام أحمد بلفظ: (**ولاخير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما، حتى يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس عن الإثم** ..) ذكره ابن كثير في كتابه شمائل الرسول ودلائل نبوته ص٦٠ ط البابي الحلبي ١٩٨٧م.

[2] – حديث : (..**كان ألين الناس عريكة**) رواه أبو عبد القاسم بن سلام من حديث سيدنا علي ﷺ كان إذا وصف رسول الله ﷺ قال: (..**وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أرَ قبله ولابعده مثله**)كما في الشمائل لابن كثير ص ٤٤ . والترمذي كتاب المناقب ح/٣٧٨٨/ .

نعمة الطعام الموجود، ولا هان على رحمته وشفقته به إلا أن يطعم الطفل ما يحب، وكثيراً ما كان يقول: سواءٌ عندي من حيث الأجر ومثوبة الله سبحانه وتعالى، أن أضرب طفلاً من أجل أدب إسلامي، أو أسُرَّه بقطعة حلوى.

٢١- برُّه العجيب لوالديه وأصدقائهما :

أما بِرُّهُ لوالديه فقد كان أمراً عجيباً، فقد كان بَراً بهما حَيَّيْنِ وميتين، بل ازداد بره لهما بعد وفاتهما فكان كما ورد في الحديث الذي رواه أبو داوود وابن ماجة وابن حبان.«**أن رجلاً من بني سلمة قال : يارسول الله هل بقي من بر أبويَّ شيءٌ أبرهما به بعد موتهما؟ فقال عليه الصلاة والسلام : نعم؛ الصلاة عليهما والإستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**». كما في الأدب المفرد للبخاري والترغيب والترهيب ورياض الصالحين.

فكان رحمه الله وطيَّب ثراه يزورهما بعد وفاتهما يومياً إذ كان يوقظ أهله لصلاة الفجر ويذهب إلى المقبرة لزيارتهما، ثم يصلي الفجر في المسجد، ثم يحضر ختم السادة النقشبندية بعد طلوع الشمس في الجامع الصغير، وفي طريق عودته ربما كان يزورهما أيضاً، وما مرَّ يوماً من الطريق المؤدي إلى مقبرتهما (الواقعة شرقي البلدة) إلا وقف وقرأ لهما فاتحة الكتاب ودعا لهما ثم تابع سيره ولو كان المرور في اليوم الواحد عدة مرات فعل ذلك عدة مرات أيضاً، ولما كنت صغيراً أرافقه للمسجد وأرى ذلك أعجب منه ثم لما اطلعت على الحديث الذي ذكرته آنفاً عرفت السر، ولقد سمعت من عمي الشيخ محمد سعيد وسمعها غيري منه أنه كان يقول له: إن والديّ في قبرهما أحبّ إليّ من أولادي، مع حبه الكثير لأولاده جميعاً.

وكان متخلقاً ببر أصدقائهما ومعارفهما وكان بره أيضاً لزوجة أبيه (طيبة الكحاط) التي تزوجها أبوه بعد وفاة أمه فبقي يزورها ويبرها

حتى وفاتها وكان يبر أهلها وأقرباءها بعد وفاتها إكراماً لأبيه رحمة الله عليه.

وكذلك كان يفعل مع أصدقاء والده وأحبابه عملاً بقول المصطفى ﷺ: «أكرم ود أبيك».[1] وكان يولي المودة والنصح لصديق والده (الحاج عمر اليسو الشهابي ثم أولاده من بعده الحاج رحمو وأولاده) ونرجو أن يكرمنا الله بدوام برهم ومودتهم.

٢٢- إنفاقه وكرمه :

لقد كان الكرم طبعاً له وخلقاً وُلد معه، وورثه عن أبيه التقي الكريم السخي (الشيخ مسعود) رحمه الله وجزاه خير الجزاء، كان للشيخ محمد كأبيه مائدته لا ترفع طيلة اليوم، إذ لا يمكن لضيف يدخل بيته ويخرج دون قرى أو طعام، وإذا استبطأَ الضيفانَ أو الزُّوَّارَ؛ خرج إلى الشارع لينادي أول قادم قائلاً له؛ عاون عمك على (الطحنة)؛ فيظن هذا أن الشيخ محمد المسعود لديه كيس قمح يود حمله إلى الطاحون ليجعله دقيقاً للخبز، (**حيث كان الناس بذلك الزمان يطحنون القمح في المطاحن ثم يخبزونه في البيوت**) فيسرع ملبياً للشيخ فيجد المائدة والطعام، ولكن أين الطحنة؟ (أي كيس القمح الذي سيؤخذ إلى الطاحون ؟) وقد فسَّر سيدي الوالد ذلك بان المعاونة على الطحنة هي على أكل خبز هذا الطحين، فكانت هذه العبارة تورية من الشيخ وباباً من أبواب الكرم يحتج به ليطعم الناس وخاصة أن زمانه كان زمان فقر وحاجة وفاقة عظيمة أصابت الناس إبَّانَ الحرب العالمية الأولى وما أعقبها، والحرب الثانية وذيولها، وإن كثيراً من الناس كانوا يقصدون طعامه للإستشفاء من المرض، وهذا

---

[1]- ورد هذا الحديث بلفظ (**احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفىء الله نورك**) كما في الأدب المفرد للبخاري وفيه أيضاً (**إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه**) وقال الشارح أخرجه مسلم وأحمد، والثاني أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي .ولمسلم كما في رياض الصالحين: (**إن أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه**) وفي رواية (**إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي**).

شيء لا يكاد يحصر، وكان يشجع ضيفانه على الطعام قائلاً: كلوا حتى تسروا عمكم. من أكل من طعام أخيه ليسره لم يضره.

وقد وظَّف خلق الكرم الذي ورثه عن آبائه في وجهه الشرعي، فلم يكن يطعم للفخر كعادة العرب في جاهليتهم القديمة، وجاهليتهم الحديثة، بل كان كرمه وإطعامه اتباعاً للسنة الشريفة واستجابة لوصية النبي الكريم ﷺ حيث أمر به في أول خطبة خطبها بعد هجرته الشريفة إلى المدينة المنورة حيث قال: «**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام وصلُّوا والناس نيام تدخلوا جنة ربكم بسلام**». رواه الترمذي وحسنه.

وقد كان الشيخ رحمه الله متحققاً بهذا الخلق وتلكم الوصايا النبوية الشريفة كلها. وكان أرحامه وجيرانه أكثر الناس حظاً بمعروفه وكرمه وإنفاقه، فإذا كانت عنده وليمة استدعى جيرانه وأرحامه للطَّبْخِ والخَبزِ، وكانوا لا يطبخون ولا يخبزون في بيوتهم ذلك اليوم لما ينالهم من معروف الشيخ وما يُحَمِّلُهم إياه من الطعام والخبز، فلكل جارة وافدة وقريبة ما يكفيها وعائلتها. وكان يُحَمِّل الوافدين من طعامه وخبزه وخاصة الفقراء منهم، وهذا شيء كثير مستفيض.

الصدقة الخفية: وكان له شأن عجيب مع باعة الخضار في السوق، إذ كان يمر على سوق الخضار بعد صلاة العصر فيشتري ما بقي لدى الباعة، وبخاصة الفقراء منهم، وقد يكون بعض الخضار تالفاً أو ذابلاً، فَيُصْلِحُ أهلُه للطبخ ما نفع منه، أو يجعلونه للمخللات، ويطعم الدواب التالف منه، وكانت في بيت الشيخ غرفتان للمخللات، واحدة للمخلل الوقتي (الموسمي)، والأخرى لما يحفظ للشتاء، حيث أن الفقراء والجيران كانوا يتواردون إلى بيت الشيخ تلك الأيام بالعشرات ليأخذوا المخلل الذي يجعلونه إداماً لخبزهم حيث لا إدام غيره آنذاك، ومما يُذكَر؛ **تفقده لجيرانه وأصدقائه وأهل الحاجة، وبخاصة البيوتات المستورة، ليزودها بالمؤونة وبما تستعين به على الحياة**

وصعوباتها، وقد كانت أيام الحرب العالمية الثانية عضَّت الناس بضيقها، وألقت بثقلها على البلاد، حتى فُقِدَ كثير من المؤونات والطعام والحبوب.

حادثتان مهمتان: الأولى: حدثني بها الأستاذ الفاضل الشيخ يحيى ابن توفيق النعساني، ومن قبل أخوه السيد الحاج محمد رحمهما الله وبعدهما أخوهما الأستاذ عبد القادر (أبو نزار) حفظه الله، أن والدهم طلب يوماً من أخيهم عبد القادر الذهاب إلى تادف لشراء الحنطة من أجل الطحين، فلم يجد فيها قمحاً، وظل والدهم محتاراً من أين يقدم لأولاده الطعام، ولم يمض سوى جزء بسيط على غياب شمس ذلك اليوم حتى سمعوا صوتاً وراء باب الدار، ولما أرادوا أن يعرفوا من الطارق ؟ وجدوا كيساً فيه قمح خلف باب الدار فأخبروا والدهم فقال لهم: أدركوه واعرفوا من أحضره، قال أبو نزار: فخرجت لأنظر من هو ـ كما أمرني والدي ـ فإذا بجدك الشيخ محمد قرب جامع الفوارسي قريباً من دارنا فقلت: يا شيخي أنت أرسلت القمح جزاك الله خيراً ؟ فقال: ومن أدراك يا ولدي ؟ فعدت وأخبرت والدي بما رأيت ، فدعا له وترحَّم على والديه، قال الأستاذ عبد القادر: رحم الله جدك كم له من أياد وفضل على هذه البلدة، وكم كان كثير التراحم، بَرَّ المواصلة يعرف قدر الكبير والصغير.

الثانية: وحدثني بها أحد جيرانه مراراً، وهو المرحوم الحاج مصطفى بن بكري السواس كما حدَّث بذلك إخوتي قال: تزوجت وسكنت بحي بجوار الشيخ ومضى عليَّ أيام بعدما تركت منزل أهلي، ولم يبق لديَّ ما انفق على نفسي وزوجتي بل ولا ما أفطر عليه في أيام رمضان؛ ولا يوجد عمل، فهممت بأمر سوء من شدة حاجتي، قال: هممت بأن أشنق نفسي لأموت وأرتاح من هم المعيشة، وفي الليلة التي عزمت فيها على التنفيذ لم أخبر أحداً حتى زوجتي، وإذا بالشيخ يطرق عليَّ الباب عند السحر حاملاً معه شيئاً من الطعام، فجلس معي يلاطفني ثم وعظني، وذكرني بجزاء المتحر، وأرشدني إلى

الصبر والتوكل على الله، وأن الله سيفتح عليّ ويرزقني، حتى زال ما كان في خاطري وعزمي، وبعدها أرسل لي من الطعام ما يكفيني وزوجتي أياماً، وكان يتفقدني حتى يسر الله عليَّ أسباب الرزق، وأنا والحمد لله أعيش هذا العمر بفضله وعنايته وهو بصحائف حسناته وقد رزقني الله سبحانه حتى أصبح عندي سبع دور.

الفصل السادس

فقه الحياة – رجل دين ودنيا

وفي هذا الفصل نتحدث عن مسلكه المعيشي، وكيف كان يتعامل في البيع والشراء ونرى نموذجاً لأخلاق السلف الصالح في المعاملات التجارية، كما نرى عجائب في تعامله بالنسبة لهذا الزمن، إذ المعروف حالياً أن قيمة البضاعة لمن يشتريها نسيئة (إلى أجل) أكثر من قيمتها نقداً (حالاً) ولكننا سوف نرى ان هذه القاعدة (بعكس ذلك) لدى جدنا الشيخ محمد المسعود.

٢٣- مسلكه المعيشي :

كان رحمه الله يأكل من كسب يده، حيث كان يعمل في التجارة، وفي الزراعة أيضاً، فيشارك بعض أصحاب المزارع على سقاية الحور والأخشاب، كما كان يشارك أيضاً على كروم العنب والزيتون (لدى أقربائه على نهر الساجور) وعندما عاد من مصر بعد حصوله على شهادة الأزهر عمل بيده مدة،

وقد سمعنا منه مراراً أنه عمل مع الحصادين، وكان يسبق الجميع، إذاً كان العلم عنده للتطبيق مع الإتقان، عملاً بقول المصطفى ﷺ: «**إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**». [1]

ثم عمل بتجارة الزبيب والجوز والدبس والسمن وغيرها مما يحتاجه الناس، فكان يجلبها من أنحاء عنتاب ومرعش إلى بلده، عندما كانت

---

[1] – رواه عن عائشة كما في الجامع الصغير، كما روي أيضاً بلفظ«**إن لله يحب من العامل إذا عمل أن يحُسِنَ**». ورمز السيوطي لضعفه .

البلاد واحدة تحت ظل الدولة العثمانية قبل انهيارها، ولم تكن تجارته تلهيه عن عبادته وذكره وصلاته ونوافله.

حادثة مهمة : ومن طريف ما يذكر في تجارته، أنه كان مرةً قادماً بتجارة من بلاد عنتاب وفيها من المؤن وقْرُ (حِمْل) عدة أباعر (جمال) وكان معه معيناً له أخو زوجته لأمها (حاج محمد الكاظم) رحمه الله تعالى، وكان هذا عند أول إحداث الحدود بين سورية وتركية بعد عام١٩٢٢فأوقفهم رجال الحدود للتفتيش، وأرادوا مصادرة تجارته، فما كان منه إلاأن توجه للقبلة وشرع في الصلاة عملاً بسنة النبي ﷺ حيث:«**كان إذاحزبه أمر فزع إلى الصلاة**».[٢]

صار يصلي ويطيل صلاته وصار رفيقه الحاج محمد يتململ ويتمتم بكلمات الغضب والتأفف ويقول: ضاعتنا ستُصادر وأنت تصلي !! هل هذا وقت صلاتك ؟ ولم يمض طويل وقت على هذه الحال وإذابرجل يأتي مسرعاً إلى رجال الحدود ليقول لهم: ماذا تفعلون بأموال الشيخ ألا تعرفون أن هذا المال للرجل المكرم المضياف الشيخ محمد المسعود؟ إن أمواله هذه التي تصادرون إنما هي لإطعام الضيوف والفقراء والمعوزين، فأفرجوا عنها في الحال، وسمحوا له بها دون مساس، وما ذلك كما قال إلا ببركة الصلاة.

وكانت له علاقات زراعية ومساقاة ومشاركة على بعض الأراضي والمواشي في قرى الساجور وبعض قرى الباب ولم تكن هذه العلاقات في ظاهرها للتجارة بل لإكرام أقربائه وخؤولته الذين كانوا يعملون فيها ويأكلون معظمها ولم يكن يريد أحداً من أولاده أن يطلع عليها ولو أكلوها كلها .

---

[٢] – رواه أبو داود والإمام أحمد في مسنده عن حذيفة بلفظ:«**كان إذا حزبه أمر صلى**». كما في الجامع الصغير.

٢٤- من أخلاقه النادرة في المعاملات التجارية: (البيع نسيئة أرخص منه نقداً).

واستقر آخر عمره على تجارة (الأخشاب والحور) الذي كان مستعملاً في سقف البيوت آنذاك وكان له شأن غريب مع المشترين، فإذا علم أن المشتري صاحب حاجة زاده من أعدادها مجاناً دون طلب منه، فمن جاء ليشتري عشرين عموداً مثلاً يسأله كم ذَرْعُ (طول) بيتك فإذا عرف الشيخ أن عشرين لا تكفي زاده خمسةً مجاناً؛ حتى يكمل سقف بيته. ومن جاء يشتري بالنسيئة باعه بأرخص من الذي يشتري نقداً، وإذا سئل عن ذلك قال لو أنه استطاع أن يشتري نقداً لما اشترى نسيئة فهذا يجب أن يُعان.

وقد حدثني الأخ الحاج محمود البوشي مراراً، أنه كان ينقل بسيارته الأخشاب للجد من قرى الساجور إلى مدينة الباب، وأنه جاء أحد الفقراء ليشتري خشباً لسقف بيته فباعه نسيئة (بالدين) أرخص من النقدي.

(وقد حكى لي بعض من حدثت معهم هذه العملية أكثر من حكاية حول البيع نسيئة أرخص منه نقداً) ومن طريف ما يذكر ماحدثني به أحد الجبليين (سكان جبل عقيل في الباب) قال: أنه جاء ليشتري خشباً من مخزن الشيخ فاختار عدداً منها وعزلها ووضعها خارج المخزن، وذهب لكي يحضر واسطة لحملها، ثم عاد فقال في نفسه: هل يبدل الشيخ الأعمدة بأصغر منها وأقل ثمناً أم يتركها لنا ؟ وحدَّثته نفسه ووسواسه بهذا الأمر السوء وهوغير آمن من إنقاصها أو تبديلها، فلما حملها عدّها ليتيقن من أَعْدادها فوجدها كما اختارها بنفسه وزيادة بعض الأعمدة. فقال له: يا شَيخي إنها زيادة عما اشتريت، فقال له يا بُني أعلم أن ما اشتريت لا يكفي لسقف بيتك فزدتها لك مجاناً حتى يصلح أمرك، فانكب على يد الشيخ يقبلها ويطلب السماح من سوء ظنه، وهذا من نوادر أخلاق السلف الصالح رحمهم الله ونفعنا بهم.

فطنته وذكاؤه :

ومع هذا الكرم والتواضع وطيب الخلق لم يكن الشيْخ خَبَّاً ولا الخَب يخدعه، فقد كان عائداً في بعض أسفاره من تركية وأدركه المبيت في إحدى القرى التي يتكلم أهلها (اللغة التركية) فنزل ضيفاً عند أحدهم أوفي مضافة -كما حدثنا- وكانت أمور الأمن في تلك الأيام غير مستقيمة - وأظنها في نهاية الحكم العثماني - فقال له أحد الحاضرين: أتعرف التركية فأجاب الشيخ بالنفي، فحدَّث هذا من معه - بعدما علموا أنَّ الشيخ سيغادر قريتهم مع طلوع الفجر - وقالوا لبعضهم -بلغتهم التركية - إذا خرج الشيخ باكراًفسنقطع له الطريق في المكان الفلاني، ونقتله ونأخذ فرسه وما عليها من متاع، فلما سمع الشيخ كلامهم وفهمه، بيَّت في سره غير الذي عرفوه، وقبل طلوع الفجر أيقظ هؤلاء المتآمرون الشيخ، وقالوا له: صار الصبح، فقم إن أردت السفر، فاعتذر بأنَّه نعسان ومتعب، وهم يوقظونه كل فترة، وهو يتلكأ حتى إذا أسفر الصبح قام فصلى - على غير عادته في التبكير لصلاة الصبح - ثم جلس يذكر الله حتى كادت تطلع الشمس، وامتلأت الدروب بالسائرين عليها، فقام الشيخ وسافر بين ظهرانيهم بعد أن فوَّت عليهم فرصة إجرامهم.....

الفصل السابع

أخلاقه وشمائله

٢٥- بعض أخلاقه وشمائله في سيرته اليومية، وتربيته الإسلامية:

• كان يجلس في البيت بعد الفطور ليتلوَ القرآن الكريم أو يقرأ ورده من دلائل الخيرات التي ما كانت تفارقه سفراً ولا حضراً، وإذا خرج إلى بعض شأنه في كرومه، أومحل بيع الأخشاب -كما أسلفنا -كانت معه، وكلما وجد فرصة للصلاة صلى، أو قراءة الدلائل قرأ فيها. وكان غالب أوقاته في بيته، إما مطالعاً في كتب العلم باحثاً عن مسألة، أو مفتشاً عن حل مشكلة، يجلس على فراشه مستقبل القبلة، واضعاً بجانبه بعض الكتب التي يستعملها يومياً، أمامه المحبرة والأقلام والأوراق، فإذا طرق الباب طارق، وأراد الدخول عليه، لإستفتاء أو سؤال، أو طلب شراء حاجة (وكان مخزن الأخشاب في دار له مستقلة عن منزله) قدم إليه الطعام أولاً مما يتيسر في البيت، ثم قضى حاجته.

• **وكان مورد رزقه _كما أسلفنا _ مما يشارك عليه من مزارعات،** أومساقاة أشجار أومشاركة في بعض المواشي والزروع، في قرية البويهج أولاً، ثم عند أقربائه في منطقة الساجور آخراً، بالإضافة إلى بيع الأخشاب التي يجلبها من مشاركاته في قرى الساجور أو يشتريها من هناك (وقدمنا كيف كان بيعه، بالنسيئة وبالنقد).

ثم أوكلت إليه بعد عام _ ١٩٥٠ _ إمامة الجامع الصغير في الباب من قبل الأوقاف، براتب بسيط (شأن رواتب الأوقاف آنذاك) لايكفي مصروفاً لضيوفه الكثيرين، ومن الملاحظ أن هذا الإكرام للضيوف

والإنفاق الذي ينفقه للمحتاجين والسائلين لا يمكن أن تغطيه موارد ماله لولا البركة الظاهرة من الله سبحانه عليه..

❁ **وكان يشتري متاعه بنفسه ويحمله بنفسه وكان له منديل واسع يلفه حول شالته** فيفرده ويضع فيه المتاع وكان يوصي أهله أن يكثروا الطعام عند الطبخ، لكي يتعهد الجيران ومن يطرق الباب ليلاً من أجل الحصول على الطعام وهم كثير، ولأجل الضيوف أيضاً، وكان يَقيل (ينام) في النهار وبخاصة في الصيف ليستعين على قيام الليل، وينام بعد العشاء ولا يسهر صيفاً، وقد يسهر في الشتاء مع أهل بيته يقرأ لهم في كتاب أو في دلائل الخيرات أو يحدثهم دون كتاب. وما كانت الكهرباء أيامها متوفرة، فكان السهر على ضوء السراج (الكاز) حتى إذا أُحدثت شركة كهرباء الباب بعام ١٩٤٨م، أدخل الكهرباء إلى بيته بذات العام أو الذي يليه، لأنها نعمة من نعم الله علينا نستعين بها على حياتنا كما كان يقول. وفرحنا نحن الأولاد كثيراً بإدخال الكهرباء، وصرنا نذاكر دروسنا على ضوئها. وكنا (أحفاده) قبل ذهابنا إلى المدرسة نسمعه حصتنا اليومية من الآجرومية (كتاب مختصر في مبادئ النحو) وحديثاً من الأربعين النووية، فإذا شكونا إلى الجدة كثرة الوظائف والواجبات المدرسية كي نتخلص من إسماعه ما يريد أصر على ذلك، فكنا نعلم أنه لا مناص منه وكان يكتب إلى والدنا إذا عدنا إلى أهلنا في عطلة الصيف، ألاَّ يترك تحفيظنا هذه المتون (المتون: كتب مختصرة لأمهات العلوم، كالنحو والفقه والحديث وغيرها) جزاه الله عنا خير الجزاء، وكان يوصينا عند مذاكرة دروسنا أن لا نملأ معدتنا كثيراً من الطعام ويقول لنا: (البِطْنَة تذهب الفِطْنَة) وإذا أرادت الجدة رحمها الله وأجزل مثوبتها أن نزداد من الطعام يقول لها (أنا لا أربي خرافاً أو عجولاً أنا أربي أوادمَ..البِطْنَة تذهب الفِطْنَة) كما ربانا أن نأكل من الطعام ما حضر ولا نرد طعاماً بحجة أنَّا لا نَشتهيه، كما يفعل

أبناء هذا الجيل، بل نتعود على أكل الموجود وهذا أدب وتدبير مهم لأن الإنسان لا يدري كيف تكون أمور معيشته وَفْرةً أو قِلّةً..

وكنت إذا استأذنته في أن أذاكر مع رفاقي في المدرسة في بيوتهم أو يذاكرون معي، فإذا وثقَ من الزميل وعرف أنه ابن مَنْ سمح لي، وإلا اعتذر، وإذا أردنا الخروج إلى بستان، أو نزهة خارج بيوت البلد، كان كذلك يستفهم منا عمن نخرج معه وأين ؟ فإذا خرجنا أنا أو أحد من إخوتي إلى المكان الذي أعلمناه به، فإنه يتفقدنا ويأتي بنفسه ليرى من معنا وأين نحن وماذا نعمل !!

❑ وكان كل ليلة جمعة يقيم المولد الشريف في بيته فيحضر الإخوة المنشدون والمحبون ويقرأون قصة المولد النبوي الشريف من الموالد التي كان يَنْظِمُها ويُهديها له أخوه المحب الشيخ عيسى البيانوني أو ما ييسر الله لهم، ثم يقدم لهم الطعام والحلوى بنهاية المجلس، وكان هذا دأبه منذ التقائه بشيخه سيدي الشيخ محمد أبو النصر، وظل كذلك زمناً طويلاً وفي آخر أيامه لما ضعف جسمه ولم يستطع القيام بهذا الأمر، كان يجمع عياله ومن في بيته، فيقرأ أحد الأولاد أو الأحفاد المولد الشريف من أحد الموالد الموجودة للشيخ عيسى البيانوني أو غيره، وكان الشيخ عيسى رحمه الله كلما ألَّف مولداً أهداه إياه، ولما كنت في رعايته كنت أقرأ المولد كل ليلة جمعة لأهل البيت.

❑ وكان يتابع أمور زراعته بنفسه ويشرف على القائمين عليها، وكان له بجانب بساتينه بئر ماء عليه مروحة هوائية لإستخراج الماء وجمعه في البركة (الحوض) حيث تُسقى منها الكروم، وكان يقوم عليها أخوه المرحوم (محمد علي) (وقد أصبحت هذه البساتين الآن دوراً عامرة وشوارع)، وكان يستأجر من يقوم بفلاحتها وتقويمها وإصلاح أمرها.

❑ **حدثنا الأخ الحاج محمد علي زعيتر** (أبو بشير) قال: كنت شاباً لا يتجاوز عمري السادسة عشرة، وذات يومٍ طُرِق باب دارنا في الصباح الباكر، فقلت: مَنْ ؟ قال:محمد المسعود، فخرجت لأفتح الباب، وإذا بالشيخ رحمه الله فسألني عن أبي، فحضر، وأدخل الشيخ إلى الدار، وقدمنا له ماتيسر من ضيافة، فطلب من أبي أن يقوم بفلاحة كرمه، فأرسلني والدي في صباح اليوم التالي مع الفدان (المحراث) وهو دابتان ومحراث يدوي، إلى كرم الشيخ، فوجدته بانتظاري، فلما وصلت اليه دون أن أُسلِّم قال لي: ألقِ السلام على جدك، فقلت: السلام عليكم، فأجاب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وشرعت في إعداد (الفدَّان) للحراثة، وكلما أردت أن أربط حبلاً، أو أصل وصلاً يقول لي: سمِّ الله، فأسمي، وتكرر ذلك، فصرت أتضايق في نفسي، وأقول (كل شيء يحتاج إلى بسم الله ؟ مرة واحدة تكفي) فلما انتهيت من إعداد عدة الفلاحة وتوجهت في أول خطوط الفلاحة، أخرج من جيبه منديلاً كبيراً ثم بسطه، وصار يصلي عليه وراء شجرة من الأشجار، فلما وصلت اليه في العودة، وكان قد سلَّم من صلاته، قال لي: سلِّم على جدك، فسلمت، وهكذا كلما ذهبت وعدت يقول لي: سلِّم على جدك، فأقول في نفسي:كلُّ مرة أسلم ؟! ثم بعد أن صلى ماشاء الله له أخرج من صدره كتاباً وصار يقرأ فيه ويبكي، ودموعه تبلل لحيته فعجبت أنا، رجلٌ كبيرٌ يبكي ؟! ومن الذي أساء اليه ! (وعلمت فيما بعد أن هذه دموع الخشية والخشوع، وكان الكتاب دلائل الخيرات) ولما تعالى النهار ذهب إلى البيت وعاد يحمل معه سفرة كبيرة وطستاً من الطعام وفيها عدة ملاعق وبسطها في الأرض، فقلت في نفسي: لماذا كل هذا الطعام؟ وأنا واحد وهو معي! وإذا به ينادي من حولنا من الفلاحين، وعمال التقليم، وعزق الأشجار، فاجتمع لديه عدة رجال ودعاهم إلى الطعام فأكلنا جميعاً وحمدنا الله تعالى، وفي حينها حضر أخ لك أصغر منك وأظنه (عبد

الله) وتناول معنا الطعام، فقال لي: إذا نسي أحدنا أن يسمي الله في أول الطعام فإنه يقول إذا تذكر (بسم الله أوله وآخره) فقلت في نفسي، حتى صغارهم شيوخ !

يقول الأخ أبو بشير وأدركت فيما بعد سر التربية النبوية وسر التخلق بالأخلاق الشرعية من صنيع جدك رحمه الله وأجزل مثوبته.

❑ ومما يذكر من أخلاقه ومناقبه رحمه الله تعالى ونوَّر ضريحه، أنه أَعَدَّ بعض الأمتعة؛ مما يلزم الناس ويحتاجونه في حياتهم اليومية، ووضعها في بيته لإعارتها عند الحاجة إليها، وأذكر من هذه الأمتعة: (غربال)، ويلزم الجيران لتنقية القمح والبرغل وسواه، (ودسْتٌ) لطبخ الولائم، أوسَلْق البرغل و(هاون)، و(رحىً) لطحن العَدس والبرغل وغيره، و(فأس) و(قاشوشة) وهي عبارة عن دائرة من الحديد بأسفلها كلاليب من الحديد تُربط بحبل لإستخراج الدلو الذي يقع في البئر.

❑ وكما كان لديه معدات النوم في غرفة الضيوف من الفرش واللحف، بحيث مهما كثر الضيوف يجدون ما يلزمهم صيفاً وشتاء، وكانت هناك في داره مصطبة لنوم الضيوف صيفاً حين يشتد الحر.

٢٦- بعض أخلاقه وسيرته مع أولاده وضيوفه :

❑ وقد كان يقدم الطعام لجميع من حضر من الضيوف، وتقول عمتي أم طه حفظها الله: قد يكثر الضيوف في رمضان، فكنا أنا ووالدتي (الجدة أم سعيد) نطبخ (دستاً من الطعام للفطور) ودستاً آخر للسحور. وقالت العمة حفظها الله: ويوم يكون عندنا دعوة ضيوف لطعام، فإن الجيران لا يطبخون لأننا نرسل اليهم ليعاونوننا في إعداد الطعام، وكان جدك يوزع عليهم منه ما يكفيهم.

❑ ولما قلَّت الأرزاق أيام الحرب العالمية الأولى، وصار قحط وجفاف، كان يرسل نساء الجيران أيام الربيع لقطف الحشائش البرية، مما يستعمل في الطبخ ويسمى (الحويش) ويطبخونه مع البرغل

ويوزعونه على الجيران وأصحاب الحاجة الذين يأتون إلى بيت الشيخ من أجل ذلك.

❑ وكان أحباب الشيخ الذين يحضرون المولد ليلة الجمعة في منزله لا يتفرقون إلا بعد تناول الطعام، وكان بين الحاج خلّوف الصباغ وبين الشيخ أديب العباس رحمهما الله إخاء ومحبة، فمرض الشيخ أديب فنذر الحاج خلّوف إن شفى الله أخاه الشيخ أديب أن يعمل له مولداً لدى الشيخ محمد المسعود، فشفاه الله تعالى، ووفى الشيخ خلّوف بنذره، فعمل له الشيخ رحمه الله تعالى وقدّس روحه المولد والعَشاء الذي يكون عادة معه.

❑ وكان من أخلاقه رحمه الله تعالى، أنه يحب طهي الطعام جيداً، وخاصة البرغل، فإذا وجد أن أهل البيت قصروا في إنضاجه سكب عليه الماء وأمرهم بإعادة طبخه حتى يتم نضجه.

❑ ومما يُذكر في تأديبه وتربيته للأولاد، أنه كان لا يعاقب الولد للمرة الأولى، بل يجمع له الذنوب ثم يؤدبه فيقول له:هذا عن ذلك الذنب، وهذا عن آخر وهكذا.

الرفق بالحيوان :

❑ ومن أغرب ما كان يفعله، بل مما يدل على كمال شفقته ورحمته حتى بالحيوانات، أنه كان يعتني بإطعام القطط التي كانت كثيراً ما تأوي إلى بيته، وكان يخصص لها الصحون لطعامها، ويضع لها الطعام بنفسه، بل ويقدم إطعام القطط على وجبات طعام العائلة، فلايأكلون حتى تأكل القطط، ويذكرهم بالأثر :«**من أكل وذو عينيين تنظران إليه ابتلي بداءٍ لا دواء له**»[1].

❑ ومما روته حفيدته السيدة (خديجة المسعود بنت الشيخ محمد سعيد) أنها رأت جدها الشيخ محمد، لما ولدت إحدى الهريرات في دار الجد رأت جدها جاء بصحن نحاس وفتّ فيه خبزاً فتاً صغيراً جداً

---

[1] – ذكره في المستطرف في كل فن مستظرف ولم يذكر تخريجه .

ثم جاء بعكة السمن، فعصر من السمن على الخبز وخلط السمن بالخبز اللين، وقدمه لتلك الهرة (النفساء) المسكينة. ولاشك أنه كان يتمثل برفقه بالحيوان بالمثل الأعلى سيدنا رسول الله ﷺ الذي كان يصغي الإناء للهرة لتشرب منه.

❑ وكان رحمه الله تعالى لا يدع الصلاة في كل منزل أو مكان دخله ولو برية، فأول ما يدخل منزلاً ولو لغيره يصلي فيه ركعتين...وهكذا كان شأنَ رسول الله ﷺ: «**كان إذا نزل منزلاً في سفر أو دخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين**». رواه الطبراني عن فضالة بن عبيد كما في الجامع الصغير للسيوطي.

❑ وكان لا يبقى بلا طهور حتى في مرضه، وقد أصابه مرة مرض فلم يترك المحافظة على الوضوء رغم شدة البرد والمطر مقتدياً برسول الله ﷺ وبالحديث المروي عن سيدنا علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: «**من أسبغ الوضوء في البرد الشديد كان له من الأجر كِفلان**». رواه الطبراني في الأوسط ورمز المنذري لضعفه.[1]

هذه بعض أخلاقه وشمائله – رحمه الله – وإن لدى معارفه وأصحابه، ومن خالطه، ودخل بيته، لدى كلٍ منهم قصة وحكاية عن أخلاق هذا العالم العامل، والرباني الكامل، يحكيها لمعارفه وجلسائه، كلما ذُكر أو ذُكرت بعض أخلاقه مترحماً متأسفاً على تلك الشمائل، وهاتيك الفضائل، ولطالما سمعت أنا وسمع إخوتي وأقربائي من الناس الذين عاصروا هذا العلم الشامخ هذه القِصص، فضلاً عما

---

[1] – عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لبلال: يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، إني سمعت دُف نعليك في الجنة قال: «**ماعملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا وصليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي**». رواه البخاري ومسلم (دف النعل: صوت المشي) ورواية ابن خزيمة مرفوعاً: «**يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ؟ إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي. فقال بلال : يارسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، ولا أصابني حدث قط إلا توضأت عنده**». فقال رسول الله ﷺ (لهذا) والحديثان في الترغيب للمنذري .

رأيناه نحن وعاصرناه وعشنا معه فيها، وأصبح جزءاً من حياتنا وتاريخنا.

ولا غرو ولا غرابة، فلقد كان رحمه الله أُمَّةً في رجل، ومجموعُ فضائل وكمالات، تُذكر كلما ذُكر، ويتأسى بها كل من أراد الأسوة الحسنة والمَثَل الكامل....

وخلاصة القول: فإن حياته – رحمه الله – وأخلاقه، وسيرته كانت نموذجاً عملياً، بل ومثالاً أعلى للتربية الشفوقة الحازمة، وتطبيقاً فعلياً للآداب الإسلامية، والتوجيهات النبوية.

فلقد كنا نرى دقته في التمسك بهذه الآداب، وانصباغه بتلك الأخلاق المحمدية:

في نفسه: عبادة ومعاملة، وذكراً وسلوكاً، وأخذاً وعطاءً.

وفي أولاده: تربية وتخليقاً، وعطفاً وحباً، وحزماً وتعليماً في سائر ما يلزم الأولاد من أمور التربية والتهذيب (**من آداب الطعام والنوم واليقظة، والصوم والصلاة والدخول والخروج، ومعاشرة الأقران، والآباء والأمهات وسواها، كما رأينا حرصه الشديد على تعليمهم وتربيتهم وتحفيظهم مبادئ العلوم الإسلامية**).

وفي جيرانه: بالإحسان اليهم، وتفقد أمور دينهم ودنياهم.

وفي والديه: ببرهما حيَّان وميِّتان، كما تقضي آداب الشرع الشريف.

وفي ضيوفه: مكرماً محسناً، ومعلماً مربياً، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر...

وفي أقربائه: ناصحاً شفوقاً، مواصلاً بالزيارات والإحسان، والإكرام والصلة...

وفي أهل السوق والباعة الفقراء: مقدماً نفعهم ونصحهم والإحسان اليهم على منفعته الخاصة.

وفي من يتعامل معه : بالمعاملات التجارية، ناصحاً في البيع غير غاشٍ لأحد من خلق الله، عطوفاً على الضعفاء منهم أكثر من عطفهم وشفقتهم على أنفسهم .

وحتى الحيوانات : كان لها نصيبها من الشفقة والعطف والإحسان.

الفصل الثامن

هيأته وسمته ونموذج من سيرته في حياته اليومية

٢٧-كما أسلفنا في (سيرته ومناقبه العامة) بأنه كان شديد التمسك بالسنة النبوية حريصاً على التخلق بها، جاداً في تتبع سيرة النبي ﷺ والإقتداء به، فإنه كان أمة في رجل، حازماً عندما يتطلب الأمر الحزم، ليناً عندما يتطلب الحال اللين، لا يتهاون في أمر التربية لمن يسأله الله عنه أو هو تحت ولايته، يتابع بنفسه شؤونه كلها، ويقوم بها خير قيام، ذو عزيمة قوية، ونفس متواضعة، تعلوه الهيبة والوقار، يهابه من رآه من بعيد مقبلاً، وتطمئن نفسه اليه إذا لقيه عن قريب مسلماً، يسبق بالسلام كل من رآه، وكان الأطفال يتسابقون للسلام عليه، وتقبيل يديه كلما مر في طريق، وماكانت تخلو يداه من حلوى يوزعها عليهم، وكان يسلم عليهم كما يسلم على الكبار، ويلاطفهم كما يلاطف الكبار. فكانوا بعد مرور عشرات السنين على وفاته يترحمون عليه ويذكرون حلواه وسبقه لهم بالسلام، وحدثني الكثير منهم أنهم كانوا يجتهدون ليسبقوه بالسلام فلا يفلحون.

كان سمته رحمه الله سمت العلماء، يرتدي الجبة ويعتم بالعمامة البيضاء، وكان أحياناً يضع فوقها المنديل الواسع لتقيه حر الشمس، وفي الشتاء يلف رقبته بلفحة صوف، لحيته بيضاء كثة تملأ وجهه، وجهه أبيض يميل الى السمرة، يمشي في الطريق وبصره بين يديه، لا يلتفت في سيره، وإذا سلَّم عليه أحد ووقف معه، ظل واقفاً حتى يمشي المسلم عليه، ومن المعلوم أن هذا من أخلاق النبوة.

ولقد كانت حياته اليومية :

تبدأ منذ الصباح الباكر مستيقظاً قبل الفجر يتهجد ما شاء الله له، ثم يوقظ زوجاته، ومن في داره لصلاة الصبح، ثم يذهب الى المسجد ليصلي الفجر إماماً ثم يعود، ويتأكد من صلاتهم وخاصة الأولاد أو الضيوف، ويملأ أباريق الماء لهم بيده من بئر الدار ويقدمها لهم بنفسه.

وبعد قراءة (الختم الشريف النقشبندي) في المسجد للإخوان بعد صلاة الصبح، يقرأ ختماً آخر في بيته، يحضره زوجاته وأحفاده وأولاده الحاضرون.

وبعد طلوع الشمس ودخول وقت الضحى، يصلي الضحى ما شاء الله له، ثماني ركعات أو أكثر، فإذا حان وقت الفطور جمع كل من في البيت على الطعام، وإذاكان هناك ضيوف في (المضافة) بدأهم بالطعام وأكل معهم لقيمات وآنسهم، ثم يجلس مع عياله الذين ينتظرونه، فلا يبدأون بالطعام حتى يبدأ هو، فإذا بدأ مسمياً الله سبحانه جالساً على السنة تابعوا معه، يمضغ الطعام جيداً، ويأكل مما يليه غاضاً بصره، ينظر أمامه ويأكل ما قُدِّم اليه ولا يعيب طعاماً، ويلاحظ الأولاد كيف يأكلون، فيلفت نظرهم الى آداب الطعام والتمسك بها، ثم إذا شبع لعق الإناء إذا فرغ، والملعقة أيضاً، ومسح أطرافه إن كان فيه طعام، وجمع المتفرق منه الى بعضه، ولا يقوم عن المائدة حتى تُرفَع، فيقوم ليغسل يديه وينظف فمه وأسنانه، بعد أن يدعو بدعاء المائدة، ويُعَلِّم من حوله (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين) ويكرر الحمد قائلاً: يارب لك الحمد لك الحمد لك الحمد... ويتناول ما يسقط من فتات الطعام على المائدة، بعد لعق الإناء والأصابع،

ويكرر حديث المصطفى ﷺ: «**إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة**».[1]

وكان من شأنه مع الداخلين عليه أن يأمرهم بالسلام إذا دخلوا، وإذا خرجوا، ومن دخل من الأولاد أو الأحفاد أو أي إنسان ونسي السلام، بادره قائلاً: ألقِ السلام، وكثيراً ما كان يرجعنا الى خارج البيت لندخل من جديد قائلين: السلام عليكم، فيرد التحية بأحسن منها، ثم نقبل يده، فإذا نسي أحدنا تقبيل يده، قال له: قبِّل يد جدك، وهذا بالطبع لنا أولاده وأحفاده خاصة، حتى لا ننسى احترام والدينا وتقبيل أيديهم. وإذا نسي أحد، ومدَّ يده اليسرى بدل اليمنى في أخذ أو عطاء امتنع عن أخذه او إعطائه، وقال له: مدَّ يدك اليمنى، ولو كان هذا طفلاً صغيراً أو لا يعقل، حتى أن أحد المعتوهين مدَّ يده اليسرى ليتناول من الشيخ، فقال له: مدَّ يدك اليمنى، فقيل له إن هذا لا يعقل، فقال: لكني أنا أعقل.

---

[1] - أخرج مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاماً، لعق أصابعه الثلاث، قال: «**إنكم لاتدرون في أي طعامكم البركة، وقال إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط منها الأذى، وليأكلها ولايدعها للشيطان، وأمرنا أن نسلت القصعة، قال: فإنكم لاتدرون في أي طعامكم البركة**». الحديث رقم /٢٠٣٤/ باب استحباب لعق الأصابع والقصعة.

الفصل التاسع

رسائله وتحريراته

٢٨- لقد ترك – رحمه الله وطيب ثراه- **تحريرات كثيرة**، فما كان يكسل ولا يفتر عن الكتابة، لفائدة يقرأها، أو رسالة يحررها، أو معاملة يوثقها، أو دَيْنٍ الى أجلٍ مسمّىً يكتبه... وما كان أحد – وقتها- أنشط منه للكتابة عما ألْمحنا اليه في زمن لم تكن الكتابة فيه بهذه السهولة واليسر الذي نراه اليوم بوجود الأقلام المختلفة التي تيسر الكتابة للمقيم والمسافر والجالس والسائر فقد كان الأمر – آنذاك – يتطلب محبرة، وريشة ومسكة لها، وأشياء أخرى من رمل التنشيف بدلاً من الورق النشاف – الذي استغني عنه أخيراً بأقلام الحبر الجافة والسائلة – وقد كانت لديه محبرة حجرية قديمة لها وعاءان أحدهما للحبر والآخر للرمل، ومسند لوضع القلم (**الذي هو ريشة معدنية في رأس مسكة خشبية كأقلام الخطاطين**).

كان – رحمه الله – يكتب الرسائل لشيخه وأولاده، وأحبابه وأصدقائه، ويكتب الوثائق وصكوك المعاملات له ولجيرانه، كما كان يحرر الفتاوى للمستفتين، وما له وما عليه من تعامل يومي وديون ونفقات، يدون ذلك في مفكرته ودفاتره، ويذكر في حال الوفاء للمدينين، وفي حال المسامحة لمن يبقى عليه شيء يسامحه فيه، يذكر كل ذلك حتى لا يُتعب من بعده.

وفي ما يلي نقدم نماذج من رسائله لشيخه ابي النصر، ولأولاده، وبعض الصكوك التي حررها في المعاملات له أو لجيرانه، ونرى فيها نماذج معاملات العصر الذي كان فيه، وكيف على المسلم

أن يستجيب لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ الآية (٢٨٢) سورة البقرة.

٢٩- رسائله لشيخه أبي النصر النقشبندي رحمه الله :

وتعد رسائله لشيخه نموذجاً من الأدب الرفيع الذي يظهر فيه بالغ الحب والإحترام والتقدير لشيخه الكبير المربي الشيخ محمد أبو النصر قُدِس سره، ومشاورته له في صغائر الأمور وكبارها، وقد تفضل سيدي الشيخ عبد الباسط بن الشيخ محمد أبي النصر رحمه الله وقدس سره وأعطاني جملة من رسائل الجد التي أرسلها لوالده سيدي أبي النصر تبلغ /٢٠/ رسالة وهذه الرسائل تعطينا صورة واضحة عن حياته، وحياة من يذكر في رسائله، كما تعطينا لمحة واضحة عن بعض أحداث ذلك العصر، أذكر بعضها هنا:

١- ومنها رسالة مؤرخة ١٦/ذي القعدة /١٣٤٣هـ الموافق١٩٢٤م وها هي بنصها، وفيها نموذجٌ من أدبِ سيدي الجد الرائع العظيم مع شيخه المربي الكبير، وعظيمِ اعتقاده بشيخه، كما تُصور مدى نشاط أحباب الشيخ في الطريق في مدن الباب وبزاعة وتادف وما حولها:

مبسملاً محمدلاً مصلياً ومسلماً، راجياً ومتأملاً دوام النوال في الدارين... سيدي وأستاذي، وقرة عيني وملاذي، من عداي وحسادي، ويوم أُسألُ في معادي ... مربي المريدين، ومرشد السالكين، غرة الدهر، وسراج هذا العصر، سيدي ومولاي السيد محمد أبي النصر لا تزال محفوفاً بعناية سيد أهل الفخر، آمين يا معين.

أما بعد، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سيدي نسل الأماجد الكرام، والسادة الفخام، إني عُبَيدٌ متطفل على الأعتاب، راج القبول مع الثواب، بحبي لحبيبكم وحبيبي عريض الجناب، - سيدنا محمد ﷺ - غير أني وإن لم أكن اهلاً فسعادتكم أهل للمتطفلين، وملجأ للقاصدين، وإني واضع أثقالي وأحمالي على بابكم، ملتجأً بكليتي الى رحابكم، أرجو القبول مع تقصيري وقصوري، فلا زلتم منهلا

للواردين، وملجأً للقاصدين بجاه سيد الأولين والآخرين، عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، آمين يامعين والحمد لله رب العالمين.

ثم أني بين المغرب والعشاء أطالع مع بعض الإخوان (الأزهرية) وبعد العشاء حديثاً أو اكثر من (الجامع الصغير) ونلحق الختم المبارك، وصباحاً بعده (أي بعد الختم الشريف) نطالع (مراقي الفلاح) في الفقه على مذهب سيدنا أبي حنيفة ﷺ، وبعد العصر الدرس العام، فلا زالت انظاركم علينا، ولا زلنا سعداء ببركات حبكم وحب أحبابكم، أدامه الباري علينا وعلى احبابنا وإخواننا جميعاً بجاه الشفيع صلى الله عليه وسلم، خصوصاً جناب أخينا الشيخ محمد أفندي نجل الحاج سليم أفندي مدير الختم، والحاج محمد أبو سليمان (قباط الشهابي) والشيخ مصطفى (غزال) أبو طاهر، والشيخ رشيد التادفي والشيخ جميل البزاعي وجميع إخوانهم من الباب وأهل تادف وأهل بزاعة، وكل محب وكل مشتاق تفصيلاً وإجمالاً، والله الهادي الى سبيل الرشاد. والسلام على مسك الختام وآله وصحبه الكرام، ومن نحا نحوهم الى يوم الزحام آمين يا معين والحمد لله رب العالمين.

وتوقيعه: مقبل الأعتاب، خويدم نعالكم يرجو القبول مع نداكم والجود.

محمد الشيخ مسعود عفي عنه

٢- ومنها رسالة مؤرخة ٦/ذي الحجة/١٣٥٦هـ ١٩٣٧م يهنؤه فيها بالعيد ويبين فيها ما يقرأ من الدرس للإخوان، وتحيات الإخوان له، وإن (محمد علي) له رغبة في بنت الشيخ (عبد الرحمن الحوت) وجاء فيها:... سيدي؛ الداعي، أقرأ درساً عاماً بعد صلاة العصر في جامع السوق، وبعد العشاء أيضاً ليلتين لا غير في حرم المدرسة المعبدية درساً عاماً ليلة السبت وليلة الأحد، وعدا الدرسين أقرأ للإخوان

(الإحياء الشريف)، (وتنوير القلوب) فأرجو دوام ملاحظتي بتوجيهاتكم الخيرية، لعل الباري يديم علينا النعم بذلك وأرجو غض النظر عن إلحاحي بذلك،

وعدم النظر الى تقصيري وقصوري أنا وأحبابي، ولكم الفضل سيدي الأكرم، ولا زلتم منهلاً للخير في الدارين، آمين يا معين والحمد لله رب العالمين.

٣- ومنها رسالة مؤرخة /١٣٤٦هـ / يخبر الشيخ عن وصول رسالته التي تنبىء عن وصول الشيخ سالماً إلى حمص، ويهدي تحيات الإخوان وخصوصاً ﴿شيخنا الشيخ مصطفى أفندي (أبو زلام) والشيخ عبد القادر الطرابيشي، وأبو عبدو الزالق، والشيخ محمد أفندي بن سليم فخر الدين مدير الختم، وأبو طاهر والحاج محمد أبو سليمان (قباط الشهابي) والشيخ سعيد الحاج محمود السعيد (درويش) والحمد لله الآن صار يحث الناس على الطريق بحسب توجهاتكم، والشيخ صادق (الغزال) ومحمد أديب (العباس) و (الحاج حسني العبد الله) والشيخ مرعي وعبد الله السلال، وخدامكم محمد سعيد ومحمد علي المسعود أسعدهم الرب المعبود يقبلون الأيادي والأقدام ويرجون دوام ملاحظتكم وأن تكون أنظاركم عليهم بسعادة الدارين...﴾.

توقيعه: مقبل الأيادي والأعتاب خويدمكم المقر بالعجز والتقصير.

محمد الشيخ مسعود عفي عنه.

٣٠- رسائل الشيخ أبي النصر له :

وقد كان سيدي الشيخ محمد أبو النصر قدس روحه يجيبه على كل رسائله، وقد وجدنا بعضاً من هذه الرسائل والحمد لله نذكرها هنا لفائدتها وبركتها، ولما فيها من توجيهات عظيمة في السلوك الإجتماعي والأخلاق الإسلامية، والإجابة على استفسارات الجد الشيخ رحمه الله وأجزل مثوبته...

١ - منها رسالة مؤرخة ٩/جمادى الأولى/١٣٤٠هـ ١٩٢١م وهذا نصها: مبسملاً محمدلاً مصلياً ومسلماً.

جناب الأخ المحترم الشيخ محمد المسعود أدام الباري توفيقه، وجعل الإحسان رفيقه آمين.

بعد السلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته، لم تساعدنا الأقدار بالزيارة بسبب الشتاء فالمرجو قبول المعذرة، وحيث إن طريقتنا يعتبر فيها القرب المعنوي القلبي، فتباعد الأجسام غير مضر، **وضميركم الطاهر أعرف بمكانتكم في قلوبنا.**

بَلِّغُوا سلامنا الى أنجالكم، وأهليكم وكافة من يلوذ بكم، ثم إلى إخوتنا المحترمين، الشيخ محمد أفندي أمين الصندوق، والشيخ أبو الفتوح، والشيخ محمد علي الزين، والشيخ بدر أفندي، وأحمد أفندي الطرابلسي الحسني، وإلى الأخ أبو سليمان، وأبو طاهر، وإلى كافة المحبين كل على حسب اشتغاله بالذكر مع طلب الدعاء من الجميع.

كما من طرفنا أخوكم عيسى البيانوني، والشيخ عثمان، وكافة إخواننا الحلبية يهدونكم السلام، وكذلك رفقاؤنا أبو عبد الله الناشد وولدنا عبد الرحيم يقبل يديكم راجين الدعوات، وفي الختام لكم منا أكمل السلام. أخي

٩/جمادى الأولى/١٣٤٠هـ

الفقير إليه تعالى محمد أبو النصر الخلف

حاشية: مضيفنا في السفيرة أخونا الحاج أحمد العلي صاحَبَنا إلى حلب أيضاً، يسلِّم عليكم كثيراً.

٢- ومنها رسالة مؤرخة ٢٢/رجب/١٣٤٥هـ ١٩٢٦م **(يتضح فيها منهج الشيخ أبي النصر رحمه الله الدعوي وفقهه لطريق التصوف)**: باسمه سبحانه، وله الحمد جلَّ شأنه.

لجناب حضرة الأخ المحترم الحاج محمد المسعود أسعده مولاه برضاه آمين بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. سيدي تلقينا كتابكم المشعِر بدوام سلامتكم وسلامة عائلتكم مع الأحباب، فشكراً له تعالى على هذه النعمة التي نرجو الحق دوامها، وسررنا بوفاء ديونكم التي كانت فلله الحمد والمنة على دوام نواله ووافر كرمه، وفهمت ما حواه وتضمنه من عزمكم على زيارتنا برَفَق عيالكم، وعزمكم على زواج المحروس محمد سعيد الذي أرجو له كمال التوفيق وتسهيل كل ما تحبون وتشتهون من أمر المهر وخلافه وتيسير كل عسير، لأن هذه القضية مما يوجب مسراتنا، خصوصاً لما اتصفت فيه الزوجة من الخصال الحميدة كما ذكرتم.

أما تشريفكم لربوعنا فيعلم الله أنه لا يسرنا شيء مثل رؤية الأحباب، **خصوصاً منهم المخلصين أمثال جنابكم**، حتى يوم حضور أبي طاهر ورفقاه حصل لنا تمام الأنس والمسرة، وفي غالب الأوقات كنا بذكركم، فقط يهمنا خسارتكم، ويعز علينا زحمتكم، وعلى ما في القلوب المعول، واجتماع القلوب دائم إن شاء الله.

وأما عزمكم مع العيال على الحجاز إذا تيسر لكم بدل، فأي قربة أحب من هذه سيما إذا قُرِنت بزيارة الحبيب الأعظم ﷺ. لكن بما أنكم ولله الحمد قضيتم فريضتكم، وبنيتكم المباشرة بزواج المحروس فعسى أن يكون لكم بملاحظة اعمالكم في هذه البرهة من الأجر والثواب ما يعادل ذلك إن شاء الله، **لما في الزواج من النتائج الميمونة، والفوائد المحمودة والأعمال بالنيات**، اللهم إلا إذا حصل

باليد من البدل ما به تؤمنون راحتكم وتصونون كرامتكم في الأسفار ويساعدكم على مصروف عيالكم التي تذهب معكم، وبكلٍ فالله سبحانه وتعالى يلهمكم ما فيه خير الدارين بمنه وكرمه ويختار لكم ما فيه رضاه، ومسرتنا بما يسركم.

فهمنا ما يصدر من الشيخ (...) من الإعتراض، فالله سبحانه وتعالى يهدينا وإياه سواء السبيل، ولا يخفى حضرتكم أن الإعتراضات ما خلا منها وقت من الأوقات على السادة الصوفية، ولله في ذلك شؤون ولهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ولنا بهم تسلية وموعظة.

نعم نحن الذين علينا الثبات على كل ما لا يخالف الكتاب والسنة من أعمال طريقتنا العلية التي امتازت ولله الحمد على غيرها من الطرق بموافقة جميع ما اشتملت عليه للكتاب والسنة، ومن أحدث فيها ما ينكره الشرع فهو مردود عليه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ونخشى ان يكون لا سمح الله قد حصل بطرفكم شيءٌ من التفريط الذي بسببه ينفتح باب الإعتراض غالباً، فرجائي منكم ملاحظة ذلك، وعلينا وإياكم بتقوى الله في السر والعلن وعدم الركون لشُبَه المعترضين وحججهم القاصرة التي أقل ما فيها لو تأمل ذلك المسكين بحقيقة كلامه لرآه موجهاً لصاحب الشرع المطهر.

ألم يعلم أنه ﷺ استخدم أنساً، فلو كان كما يقول كل من اجتمع بأمرد يؤول أمره إلى كذا، إذا كانت فيه الشهوة ومعلوم أنه ﷺ استخدم أنساً واجتمع به وفيه ﷺ شهوة كما ذُكِر، فما تكون النتيجة ؟.

وهذا شيء يطول شرحه، فنسأله تعالى الثبات في أقوالنا وأفعالنا، وحفظنا من عثرات اللسان. على أننا لا نسيء الظن بمن نحن بصدده، ونتمنى له التوفيق والرجوع لأقوم الطريق، وأن لا يكون عرضة لغيرة الحق تعالى على أحبابه، كما جرت عادته سبحانه وأرغب أن لا يرد

عليه أحد، ولا يعارضه، واتركوا أمره الى الله، فالله يكفيكم أذاه وحده.

سلامي للجميع خصوصاً لأستاذنا الشيخ مصطفى أفندي (أبو زلام) وللإخوان الأفاضل الشيخ محمد أفندي (فخر الدين) والشيخ محمد علي أفندي (الزين) والشيخ بدر، والإمام في المسجد الكبير - محمد البكور أبو الفتوح-، وأبو طاهر، وأبو سليمان، ومصطفى حسكير. وعيالكم وأنجالكم فرداً فرداً،

ومن طرفنا محبكم عبد الجليل مراد يهديكم أزكى تحياته ولمن ذُكر أولاً، وكذلك أولادنا وأحبابنا كلهم يسلمون عليكم وأدام المولى بقائكم آمين .

٢٢/رجب/١٣٤٥ هـ كاتبه: **محمد أبو النصر خلف**

٣١- رسائل إخوانه الأزهريين له :

أ- قدمنا في الفقرة /١٤/ العودة من مصر، نص رسالة زميله في الأزهر الشيخ رضوان حسين وها هي بعض رسائل زملائه الآخرين..

ب- الشيخ حمدان عساف عابد الحياوي مؤرخة ١/رجب/١٣١٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

جناب حضرة أخينا المحترم المكرم الشيخ محمد أبو السعود حفظه الرب المعبود آمين. أما بعد:

أُخْبِرُ حضرة سيادتكم أنه يوم تاريخ هذا الجواب (١رجب) وصلنا عزيز كتابكم، وكان شرحكم المفيد عن صحة سلامتكم، فحمدنا الله سبحانه وتعالى على ذلك، ونرجو من الله أن يديمها لكم حتى يبلغ المقصود آمين وبعدُ منا السلام على عزيز روحكم وعلى والدكم الشيخ مسعود، وعلى والدتكم، وعلى إخوانكم وعلى جميع أقاربكم جميعاً جزيل السلام.

ثم يا حضرة أخينا تخبرونا أن نفيدكم عن حضرة الشيخ الفاضل الشيخ كامل والشيخ صالح والشيخ سليم (وهم على ما يبدو زملاؤه في الأزهر الشريف) فأخبركم أن الشيخ كمال القاوقجي الآن موجود عندنا، وكذلك الشيخ صالح اللفتاوي وأما الشيخ سليم العبيس فليس موجوداً عندنا الآن. ثم إنكم تخبرونا عن ثمن مختصر الجامع الصغير، فثمنه عملة مصرية، صاغ عـ ٨، وأما الكتابان اللذان قلت لي عنهما على المحطة، نسيت أساميهما، وأما البوسطة (البريد) فأجرتها على ذلك أنها عملة مصرية صاغ عـ ١٠ تقريباً وهذا ما يلزم عرفناكم ودمتم.

٣٢- رسائله الأخرى لأولاده وغيرهم :

وهذه الرسائل كثيرة ولكن نظراً لطول الفترة وتفرق هذه الرسائل فقد أثبتنا ما استطعنا الحصول عليه.

أ - رسائله لسيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود :

وقد كان دائم المراسلة لسيدي الوالد حيث أنه قضى معظم حياته بعيداً- جسماً عنه- وقريب الروح منه، بحكم طلبه للعلم في المدرسة الخسروية بحلب ثم انتقاله الى قرية دابق لنشر الدعوة والعلم هناك ثم بعد ذلك في قرية تركمان بارح لنفس الغرض. وكان سيدي الجد يراسله وكانت غالب مراسلاته توصية بأولاده، أو طلب بعض الحاجات التي تتوفر لدى الوالد وتلزم لبيت الجد المضياف، الذي لا يخلو يوماً واحداً من ضيوف: رجال ونساء وأولاد، حيث كان بيته مأوى ونزلاً لمن يعرفه ومن لا يعرفه، من الأقرباء (العمومة والخؤولة) ومن الغرباء (الذين يؤون إلى منزل الشيخ) عندما يفدون الى المدينة لقضاء حوائجهم، ولم تكن آنذاك وسائل المواصلات متوفرة – كما هي اليوم – فكانوا يبيتون في منزل الشيخ ويطعمون، ثم يعودون الى قراهم، وقد تطول اقامة بعضهم أياماً، رجالاً ونساء.

ومن هذه الرسائل:

١- رسالة مؤرخة ٨/رجب /١٣٥٩هـ ١٩٤٠م وهذا نصها:

باسمه سبحانه نرجو إحسانه

ولدي وقرة عيني محمد علي المسعود أسعده وأحبابه الملك المعبود آمين يا معين.

أما بعد فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عليك بتقوى الباري سراً وعلناً تنال سعادة الدارين، وفقنا الباري جميعاً لما يحبه ويرضاه بجاه نبيه الأمين وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

جميع العائلة ووالدتيك (أمه وخالته زوجة أبيه) وشقيقتك وشقيقك وأولاده والجيران والأقارب والأحباب، الجميع بالخير التام، يدعون لك بكل خير، ويقبلون وجنات (محمد زكريا) ووالدك يدعو لك وللعيال وللمحبين بخير الدارين والسعادة الدائمة في الدارين والسلام على مسك الختام وآله وصحبه الكرام ومن تبعهم بخير وإحسان الى يوم الدين، آمين يا معين، والحمد لله رب العالمين.

٨/رجب الخير /١٣٥٩ التوقيع: المحب والدكم يدعو لكم وللمحبين بخير الدارين.

٢- رسالة مؤرخة ٩/صفر/١٣٧١هـ وهذا بعض ما جاء فيها:

باسمه سبحانه نرجو إحسانه

ولدي وقرة عيني ومهجة كبدي محمد علي المسعود ما زال محفوفاً بعناية الملك المعبود آمين يا معين بجاه طه الأمين وصحبه الطيبين ومن نحا نحوهم الى يوم الدين.

أما بعد فالسلام عليكم وعلى جميع أحبابكم ومن يلوذ بكم، نرجوكم ونرجوهم الدعاء بخير الدارين كما أنَّا كذلك ندعو لهم بذلك، ومنا السلام على جميع من يسأل عنا خصوصاً جناب أولاد أخينا المحترمين الشيخ علي[1]، والشيخ يوسف[2] ومن يلوذ بهم، لا زال الجميع محفوفين بعناية المولى الكريم، وعناية أحبابه المقربين، ثم يا ولدي وصلنا ولدنا (أحمد) بالخير هو وشقيقه (محمد زكريا) بخير تام يقبلون وجنات إخوتهم وأيدي والديهم، ويسلمون هم وجدهم على جميع من يسأل عنهم، وندعو جميعنا وأحبابنا وعمهم الشيخ حامد الحفني وعمهم محمد سعيد المسعود، وجميع عوائلهم بخير الدارين للجميع، ونسأل المولى الكريم أن يمن علينا جميعاً بسعادة الدارين ويحشرنا تحت لواء سيد المرسلين آمين يا معين بجاه الأمين صلى الله عليه وسلم. ٩/صفر الخير/١٣٧١هـ المحب والدكم يدعو لكم ولأحبابكم بخير الدارين. خاتم: محمد الشيخ مسعود.

٣- رسالة مؤرخة ربيع الثاني ١٣٧١ يطلب من الوالد فيها المجيء اليه للتشاور في بعض الشؤون جاء فيها:

ولدي وقرة عيني محمد علي المسعود لا زال محفوفاً بعناية الملك المعبود، وأحبابه ومن يلوذ به من الأرحام بجاه سيد الأنام وآله ومن نحا نحوهم الى يوم الزحام...

أما بعد: فالسلام الأتم ورضوان الباري الأعم نخص به جميع الأحباب من أهل دابق وأرشاف وباقي القرى من بارح وصوران ومارع وأعزاز وقراها، خصوصاً الشيخ يوسف والشيخ علي ومن يلوذ بهم من الأقارب والأحباب...

---

[1] - الشيخ علي الناصر النعيمي من دابق رحمه الله من أخص أحباب سيدي الوالد (توفي نهاية ربيع أول ١٤٢٣ حزيران ٢٠٠٢ بعد كتابة هذه الترجمة).

[2] - الشيخ يوسف المنصور النعيمي من دابق رحمه الله توجه للعلم وطلبه عند سيدي الوالد وغيره ثم صار مختاراً للقرية، توفي بعام ١٩٧٦م رحمه الله تعالى وكان من أعظم الناصحين والمحبين للوالد وأولاده .

٤- **رسالة بدون تاريخ وفيها**: ثم يا ولدي المرجو إلفات النظر إلى الأولاد بأن تؤدبهم ممتثلاً قول المصطفى صلى الله عليه وسلم وآله في الحديث الشريف (لأن يؤدب أحدكم ولده له خير له من أن يتصدق بصاع)[1] صدق ﷺ، ولا يجوز إهمالهم وترك حقوقهم ثم يختمها بالسلام على جميع الأحباب فرداً فرداً، وعليكم البلاغ وطلب الدعاء لك ولأولادك، ولوالديك بان يشفينا الكريم، ويعيننا على طاعته ومحبة حبيبه سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم آمين يا معين.

والدكم الشفوق يدعو لكم ولأحبابكم ومن يلوذ بكم بخير الدارين ويرجو الدعاء منهم كذلك.

وبذيلها حواشي: الأولى: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[2]، صدق الأمين عليه وعلى آله أفضل وأزكى التحايا العاطرات والحمد لله على نعمائه الدائمة.

الثانية: **باسمه سبحانه نرجوه إحسانه**

ورد في الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم:«**ما عال من اقتصد**»[1].

صدق عليه وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم حيث اتباع الشرع الشريف فيه خير الدنيا وخير الآخرة.

٦- رسالة بدون تاريخ وهي حوالي ١٩٥٠م املاء الجد وخط أخي أحمد يقول فيها: واصلكم خادمكم أحمد المسعود نرجوكم أن تُحَفِّظوه متن الأجرومية، ومتن الأربعين النووية حتى تقر عينكم به إن شاء الله.. ويا ولدي ارجوك أن لا تتوانى عن تحفيظ هذين المتنين

---

(١) ـ رواه الترمذي وقال عنه حديث غريب، وأخرجه السيوطي عن جابر بن سمرة ﷺ.

(٢) - رواه البخاري، الحديث رقم /٢٢٧٨، ومسلم برقم /١٨٢٩.

(١) - جزء من حديث رواه الطبراني في الصغير، وانظر كشف الخفا ص/٢٠٥.

لجميع أولادك خصوصاً الكبار، حتى ينالوا السعادة جميعهم في الدنيا والآخرة...

ب - رسالة الى حفيده محمد زكريا المسعود:

وهذه الرسالة مؤرخة ١٨/شوال/١٣٧٣هـالموافق ١٩٥٤م وقد كنت طالباً في الثانوية الشرعية بحلب ويطلب مني إذا كنت أود السفر مع جدي ووالدي للحج وها هي:باسمه سبحانه نرجوه احسانه

لولد ولدي ومهجة كبدي محمد زكريا المسعود أسعده الملك المعبود وجميع من يلوذ به من الأهل والأحباب والأقارب والأصحاب آمين يا معين بجاه طه الأمين وآله الطيبين ومن تبعهم بخير آمين والحمد لله رب العالمين. أما بعد فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إذا أمكن أن تكون خادماً لوالديك وجدك تكون لك السعادة إن شاء السميع العليم وكرمه واسع، وبعثنا الأوراق (**معاملة الحج**) على حلب ولم يشرحوها، يطلبون جميع الوثائق لأن الشخص الذي ليس له وثيقة يلزم إخراج وثيقة له، فلازم تسعى في الذي يلزم بعد الفحص من أهل الخبرة، وبعد المشورة المطلوبة شرعاً. ثم يا ولدي وقرة عيني أرجو من الكريم المنان أن يمنحني الشفقة عليك وعلى من يلوذ بك وإن جرى مني عدم شفقة عليهم ظاهراً لحثهم على عدم النوم في أوقات تقسيم الأرزاق الحسية والمعنوية والأنوار القدسية، فأرجو من كرمه أن يلهمهم في المآل أن يترحموا عليَّ ويتأسفوا على أوقاتهم، وأرجو نجاحهم في الدارين بجاه سيد الثقلين، وآله عليه وعليهم أفضل الصلوات وأزكى التحايا العاطرات آمين يا معين.

أقول:«**رحمه الله وأجزل مثوبته وجزاه المولى خيراً على حسن رعايته وتربيته لنا هو والجدة رحمهما الله**».

في ٢٨شوال /١٣٧٣هـ يوم السبت المحب والدكم الشفوق يدعولكم ولأحبابكم وأنجالكم بخير الدارين والسعادتين.

٣٢- صكوك شرعية :

أ- صورة عن تحرير صك بعمارته جسراً على نهر الساجور ووقفه له أرضاً لتنفق على اصلاحه: وقد كانت كتابة الصك بخط العم محمد سعيد وإملاء الجد رحمهم الله تعالى وقدس روحهما، وكان هذا الجسر بناه قبل تحرير هذا الصك، لما رأى نساء القرية وبناتها يخضن في ماء النهر صيفاً وتنكشف سوقهن أمام الرجال الجالسين على أطراف النهر، فما كان منه إلا أن أسرع ببناء الجسر وكان أولاً ضيقاً من خشب الحور الغليظ، ثم أبدله بالحجر والإسمنت بعد ذلك كما حدثني بعض قرابته هناك، قال (رحمه الله): باسمه سبحانه نرجوه إحسانه، هذا سند الوقف لجسر القرداشلية بالخير وجه تحريره وسبب تسطيره هو أنه حضر لديَّ شهودهم العارفين بذاتهم بتاريخه أدناه البالغون العاقلون السادة (وذكر أسماءهم جميعاً وهم ١٢شخصاً) وباعوا بعقد صحيح شرعي جميع الحور المغروس في الأرض الواقعة قريباً من الجسر التي تتسع لمبذر (مد) واحد من الحنطة تقريباً (وذكر حدود الأرض) بمبلغ قدره خمسون ليرة سورية مقبوضة في الحال من حاوي هذا الصك الشيخ محمد ابن الشيخ مسعود من أهالي الباب التابعة لحلب، كما آجروه الأرض المذكورة المحددة آنفاً، الكائنة في قريتهم (القرضاشلية) (وتسمى الآن السويدة) التابعة لقضاء جرابلس التابع لحلب مدة إحدى عشرة سنة لتربية الحور المغروس فيها ببدل مقبوض في الحال قدره اثنتان وعشرون ليرة سورية. كما أنهم قد أوصوا بوقف تلك الأرض الآنفة الذكر العائدة اليهم من مورثهم الأول (حمادي الشيخ حسن) على الجسر الكبير الوحيد في الغرب الجنوبي من القرية المذكورة، ليصرف بعدُ ريعها في مصالحه، وجعلوا المتولي عليها الشيخ محمد بن الشيخ مسعود المذكور سابقاً ولأجل العلم بالحال حُرر هذا الصك في يوم ١٧/صفر/١٣٧١وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

وذيل الصك بتواقيع الشهود، وكان كتب على ظهره بخطه: هذا سند الوقف لجسر القراداشلية بالخير.

ب- صورة صك شرعي كان ناظراً فيه على توزيع تركة أخ لزوجته الثانية:

وهو مؤرخ بـ١٧/ربيع الثاني /١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤م ومن نصه الذي سنثبته أدناه يظهر لنا نموذج من التوثيق للمعاملات الإرثية وغيرها التي كانت تجري خارج المحكمة الشرعية، لدى علمائنا وقد اخترنا من هذه الصكوك، هذه الوثيقة لما له علاقة بالشيخ رحمه الله، وإليك نص هذه الوثيقة في الهامش.[1]

---

[1] - وجه تحريره وسبب تسطيره: هو أنه: لما حضرت الوفاة للمرحوم الشيخ علي بن الشيخ حسن الحفني وانتقل الى رحمة الله وعفوه عن ابن وبنتين وزوجة وعن تركة معلومة، بعضها من مال أبيه المرحوم، وجعل وصياً شرعياً شقيقه الشيخ موسى وجعل ناظراً شرعياً عليه محمد الشيخ مسعود من أهالي قصبة الباب التابعة لولاية حلب الجليلة من الممالك العربية، فادعت أخواته الشقيقات الأربع، وهن: الحاجة خديجة، والحاجة زمزم، وحليمة وهاجر، بحصتهن من مال أبيهن المرحوم الشيخ حسن الحفني، فصالحهن الوصي الشرعي والناظر المذكوران على أربعة آلاف قرش رائج حلب والباب لكل واحدة منهن ألف قرش من المذكورات، فقبلن كلهن بذلك، وأبرأت كل واحدة منهن ذمة أخيها الشيخ علي المرحوم المذكور عن كل دعوى وعلاقة تتعلق بمال أبيهن المرحوم الشيخ حسن الحفني المذكور مصالحة شرعية من غير إكراه ولا إجبار إبراء عاماً شرعياً تاماً لازماً مرضياً غير مقيد بقيد، ولا داخل تحت شرط . ولأجل العلم بالحال والتخلص من القيل والقال في المآل حرر هذا السند الشرعي؛ في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين يا معين والحمد لله رب العالمين . المقر بما فيه الناظر الشرعي محمد الشيخ مسعود / عفي عنه المقر بما فيه الوصي الشرعي موسى بن الشيخ حسن الحفني، المقر بما فيه : حاجة خديجة بنت الشيخ حسن الحفني/حاجة زمزم بنت الشيخ حسن الحفني/حليمة بنت الشيخ حسن الحفني/هاجر بنت الشيخ حسن الحفني، شهود الحال : أحمد الشيخ حسن الحفني .

الفصل العاشر

وصاياه

٣٣- نماذج من وصاياه :

وهذا فصل آخر مما كتبه وحرره يتضمن نموذجين من وصاياه- وما أكثرها – ولكنها هنا تشمل الوصية لما بعد حياته المباركة، الأولى حررها بعام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م والثانية حررها قبيل وفاته بأيام، ولم يذكر لها تاريخاً – خلاف عادته - وإليكم هاتان الوصيتان بنصهما الكامل:

الوصية الأولى:ولدي ومهجة كبدي وقرة عيني اليمين محمد سعيد المسعود، أسعده وأحبابه ومن أراد نفعه الملك المعبود آمين يا معين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أما بعد:فإني أوصيك بتقوى الله في السر والعلن، ولو جار عليك أهل الزمن، فإن الباري يكون معك وإذا كان الكريم معك فممن تخاف، وإن لم يكن الباري معك فمَنْ ترجو لا سمح الله، ثم أوصيك بجميع عائلتك على الخصوص أم أولادك، وأوصيك بعائلة أبيك وبشقيقك وعائلتهم ومحبيهم، ثم أوصيك بأرحامك ومن يلوذ بهم، وأوصيك بود أبيك وأمك، لأن وُدَّ الأبوين واجب، وأوصيك بوفاء الديون التي أذكرها والتي لم أذكرها إن كانت شيئاً قليلاً، وإن كانت كثيرة لا سمح الله وأتى ببينة شرعية، فمجبور أن تقضيها، وأرجو من كرم المولى ألا يكون كذلك، ثم يا ولدي أرجوك أن تقدم أمور الآخرة الباقية على

أمور الدنيا الفانية، والآخرة خير وأبقى، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور..(أوصاه بحقوق والدته وخالتيه وزوجتي أبيه، وما لهما بذمته من حق مالي وشرعي ثم قال): ووصيتي ليست محدودة، وأنت الوصي، وشقيقك الناظر، بل مدة حياتكم تتفقدون أمكم وأباكم على مدى الزمان بقراءة الفواتح، والحسنات بالنيات الصالحات، وأزكى التحيات العاطرات على سيد السادات وآله وصحبه، ومن نحا نحوهم إلى يوم الدين آمين يا معين وأسأله أن يوفقكم ومن تحبون إلى ما يحبه ويرضاه بجاه نبيه ومصطفاه والحمد لله رب العالمين.
١٣٧٠ في ربيع الأول المبارك يوم الأحد مبارك المقر بما فيه:

محمد الشيخ مسعود عفي عنه آمين

ختم شهود الحال: عبد الكريم الحاج وزوجته، حاج محمد الكاظم وأولاده، أحمد الحكيم وأولاده، الشيخ حسني الحاج عبد الله الحسين الحاج عبد الله. طبق الأصل.وكان رحمه الله تعالى ونوَّر ضريحه، يأمرني أن أقرأ هذه الوصية - عندما كنت لديه في فترة المدرسة الإبتدائية - في بعض السهرات وقد اجتمع لديه في غرفته زوجاته ومن حضر من أبنائه، فيتعالى البكاء ممن حضر ويبكي هو رحمه الله تعالى.
وقد حدث هذا مرات متكررة، رحمه الله وأعلى درجاته في عليين.
وأما الوصية الثانية: فهي موجهة إلى الوالد الشيخ محمد علي، وإن لم يصرِّح فيها باسمه، لأنه كتبها في آخر حياته وبقلم الرصاص، وذلك عندما أقام في بيت العم، وتوفي فيه، ولم يؤرخها كعادته بتأريخ تحريرا ته، وقد ظهَّرها ببعض أبيات الشعر التي تحمل المواعظ، والتسليم لأمر الله سبحانه، كما طلب فيها الدعاء من أحبابه.. وها هي بنصها: (وكتبها على وجهي الورقة)

الوجه الأول: **باسمه سبحانه نرجوه إحسانه**

ولدي وقرة عيني، وحشاشة كبدي المرضي عندي وعندي وعند الكريم إن شاء الله بكرمه وبجاه أحبابه وسيدهم الذي خلق الكون من نوره، وامتد منه صلي الله عليه وعليهم وسلم وشرَّف وكرَّم تسليماً وتشريفاً وتكريماً وتعظيماً. وعليه صلى الله عليه وسلم وآله أفضل الصلوات وأزكى التحايا العاطرات آمين يا معين.

وبعد: فقد قرب الرحيل إلى كرم الجليل: فليتهيأ العاقل إلى السفر الأخروي لينال ما عند الكريم من الخير العميم في الدارين. وهو الموفق للخير والصواب، واليه المرجع و المتاب. قال العارفون رضي الله عنهم:

قرب الرحيل إلى ديار الآخرة ورجوت عفواً كالبحار الزاخرة
رحمن دنيا لا تُخيِّب مقصدي واغفر ذنوبي يا رحيم الآخرة

ولدي: أرجو من كرم الكريم أن يوفقك المولى الكريم للمشي المستقيم والطريق القويم الذي يرضي العباد وسيد العباد بجاهه صلى الله عليه وآله وأن يكون الكريم راضياً عني وعن من يلوذ بي في تربية من يلوذ بنا من الأهل الأولاد إنه سميع قريب مجيب الدعاء والحمد لله رب العالمين.

كُتب سحراً:

والدك يطلب من أحبابه وأحبابك أن يدعو لك وله بخير الدارين ولمن يلوذ بنا من المحبين والسلام على مسك الختام وآله وصحبه الكرام، ومن نحا نحوهم إلى يوم الزحام آمين يا معين ثم يا معين، ثم آمين يا معين بجاه الأمين وآله ومن تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

يا أرحم الراحمين ارحمنا واحمينا بجاه حبيبك الشفيع، بجاه حبيبك الشفيع، بجاه حبيبك الشفيع، صلى الله عليه وآله وأصحابه، وأزواجه وذريته وعلينا معهم، بجاهه عند ربه والسلام.

الوجه الثاني: باسمه سبحانه نرجوه إحسانه

سلِّم أمورك لـلَّطيف العـالِـم وأرح فؤادك من جميع العالَم
واعلم بأن الأمر ليس كمـا تشا بل ما يشاء الله أحكم حاكم
فطِب واطربْ وانس الهموم جميعها إن الهموم تزيل لبَّ الـحازم
لا ينفع التدبـير عـبداً عاجـزاً فاتركه تبقى فـي نعيم دائم

اترك الناس جانباً، وارضَ بـالله صـاحباً. فـوِّض أمـورك إليـه ، ولا تعتمد في جميعها إلا عليه. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾

تابع الوجه الثاني: باسمه سبحانه نرجوه إحسانه

كن ابن من شئت و اكتسب أدباً يغنيك مـحموده عن النسب
إن الفتـى من يقول هـا أنـذا ليس الفتى من يقول كان أبـي

إلى الأحباب نرجوهم الدعاء بخير الدارين، كما إني وأحبابي نـدعو لهم بذلك. والقدوم على الكريم فنـسأله دوام النعـيم، آمـين يـا معـين والحمد لله رب العالمين.

إخواني وأحبابي ومن يلوذ بي؛ أحسنوا جوار نعم الله. يـا رب أنـت أكرم الأكرمين، وأنت أرحم الراحمين، فارحمنا جميعاً فإنا متوسـلون بالشفيع الأعظم رسولك المكرم الوسيلة العظمى والرحمة للعالمين.

الفصل الحادي عشر

أسفاره ورحلاته

٣٤- أسفاره ورحلاته :

١- كان أول سفر في حياته كما علمنا، هو رحلته إلى مصر لطلب العلم في أزهرها الشريف وكان هذا بعام ١٣١٥ هـ الموافق لعام ١٨٩٧م كما أسلفنا حيث استغرقت هذه الرحلة ما يقرب من ثلاث سنوات حيث عاد بعام ١٣١٨هـ الموافق لعام ١٩٠٠م مع رفاقه في الطلب أبو الفتوح وأبو البقاء.

٢- ثم لما استقر به الحال في مدينة الباب وتزوج، وصار يسعى في أمر المعيشة، صار يقوم برحلات تجارية إلى مناطق عنتاب ومرعش وكلس وما حولها، وذلك قبل الحرب العالمية الأولى، وقبل ترسيم الحدود بين تركية (الدولة العثمانية) وسورية وبعدها أيضاً.. وقدمنا نموذجاً منها (انظر فقرة رقم ٢٣ مسلكه المعيشي)

٣- ثم سافر إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج لأول مرة بعام ١٣٥٠ هـ /١٩٣١م، ولم يحج ولم يعتمر بعدها حتى عام ١٣٧١ الموافق ١٩٥٤م حيث سافر بصحبته الوالد والعم وخالتهما زوجة أبيهما (الحاجة زمزم بنت الشيخ حسن الحفني) ولحجِّ العم الشيخ محمد سعيد معهم قصة طريفة، وكرامة للعارف بالله الشيخ أحمد الحارون رحمه الله وطيَّب ثراه، وكرامة لسيدي الجد أيضاً، وإكرام للعم الشيخ محمد سعيد، رحمهم الله جميعاً وطيَّب ثراهم. فبعد أن تم

اتخاذ الإجراءات الرسمية اللازمة لسفرهم، وتم حجز التذاكر وتحديد موعد السفر من دمشق إلى معان بالقطار على الخط الحديدي الحجازي ومن معان إلى العقبة بالسيارات، ومن العقبة إلى جدة بحراً، وانطلقوا من الباب إلى دمشق بالسيارة يصحبهم سيدي العم الشيخ محمد سعيد ليقوم بتأمين إقامتهم في دمشق في (عربين) لدى قريب الجد (ابن عمه حسين الحمدّي أبو فيصل رحمه الله) ومن ثم تأمين إركابهم في القطار وتوديعهم، ليعود بعد ذلك إلى الباب، وعرض العم على الجد زيارة الرجل الصالح، والعالم العارف الشيخ أحمد الحارون في منزله في دمشق في حي المهاجرين فذهبوا إليه قبل موعد سفرهم بيوم أو يومين، وكان الوقت صباحاً، وكانت جلسة مباركة لدى الشيخ الحارون و أفاض الله عليه من المعارف والعلوم، فصارت ساعة خشوع مباركة بللتها دموع الحاضرين، وفي نهاية المجلس أراد الشيخ الحارون أن يحدث المجلس بلون آخر من الحديث يسر به الحضور، فالتفت إلى العم الشيخ محمد سعيد وقال له: أنت الذي ستذهب إلى الحج، إذا وصلت إلى الجمرات، فارْمِ إبليس بحجر كبير، وقل: هذه من أحمد الحارون الذي بوّلته في سراويله ليلة عرسه، فضحك الحاضرون جميعاً، وانقلب مجلس البكاء إلى سرور ومرح، فقال العم الشيخ محمد سعيد: أنا لست ذاهباً للحج، أخي هذا ـ وأشار إلى أبي ـ هو الذي سيذهب، فقال الشيخ الحارون؛ أنا هكذا أقول، ثم التفت إلى الجد، وقال له: أليس إدخال السرور على قلب المؤمن مشروعاً ومطلوباً؟!

قال الجد: بلى، وإنه من القربات إلى الله سبحانه وقد قال ﷺ:«إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم».رواه الطبراني.

فقال الشيخ الحارون؛ المهم إدخال السرور، كيفما كان. وودعوا الشيخ، ثم توجهوا إلى المسجد الأموي الكبير لزيارة سيدنا يحيى عليه

السلام، وبعد الزيارة، جلسوا في ناحية المسجد نجياً، قال الجد للعم:- وكان الوقت لا يزال حوالي الساعة العاشرة صباحاً – لماذا لا تذهب أنت معنا إلى الحج، فتكون عوناً لوالديك وأخيك، فأنت أقدر منا على أمور السفر، وأعرف بمداخله ومخارجه، وبخاصة سفر الحج؟ فقال العم: ولكن يا والدي أنتم ستسافرون غداً وأنا موظف – (كانت وظيفته الرسمية مفتي مدينة الباب) والأمر يحتاج إلى إذن رسمي من دائرة الإفتاء، وجواز سفر من قيادة الشرطة، وبطاقة سفر، وتأمين موعد للسفر، ومن الصعب أن يكون الحجز للسفر برحلتكم ومعكم؟ فقال الجد: خذ بالأسباب وتوكل على الله. قال العم الشيخ محمد سعيد: فقمت وأنا أجد الأمر صعباً جداً، ولكن امتثالاً لأمر الوالد، خطر لي أن أتوجه إلى مديرية الحج مباشرة، وكان مدير الحج وقتها المرحوم عاصم بك الرافعي، وهو صديقي منذ أن كان مديراً لمنطقة الباب، فلما دخلت عليه، نهض يستقبلني قائلاً: - (أين أنت يا أخي أنا بانتظارك، لقد أدرجنا اسمك في بعثة الحج الرسمية، وما عندنا أي وثيقة باسمك من أجل سفرك؛ أين بطاقتك الشخصية، وأين الصور؟ فقلت: هذه بطاقتي، وليس معي صور، فقال انزل إلى الشارع سريعاً إلى أحد المصورين الواقفين حول المديرية وليأخذ لك صوراً على الماء، (ويمكن الحصول على الصورة المائية ببضع دقائق، ولم يبق هذا الآن).

قال العم: فنزلت وتصورت وجئته، فهتف مدير الحج إلى قيادة الشرطة - وكانت الجوازات تخرج منها – قائلاً: - إن فضيلة الشيخ محمد سعيد المسعود مفتي مدينة الباب، هو أحد أعضاء بعثة الحج الدينية، ونود استخراج جواز سفر خاص بالحج له حالاً، وهو سيأتيكم فوراً، فتوجهت إليه، واستقبلني وأكرمني، وأنهى معاملة جواز السفر ولم ينته الدوام الرسمي لذلك اليوم حتى قدمته لصديقي عاصم بك الرافعي، الذي قدَّم لي بطاقة السفر المجانية كأحد أعضاء

بعثة الحج الدينية، وأرسل نسخة عن الأمر الرسمي بالبعثة إلى دائرة الإفتاء بدمشق، لتحسب لي هذا السفر إجازة رسمية بكامل الراتب، ثم حجز لي بنفس القافلة، مع جدك ووالدك.

فقلت له يا سيدي، هل نفّذتم في الحج وصية الشيخ الحارون ؟! فقال: نعم وأشهدت على ذلك والدك وفلان.. وضحكنا. وكانت هذه آخر أسفار الحج بالنسبة للجد رحمه الله.

٤- **أما أسفاره الداخلية**: فكانت ضمن البلاد السورية، حيث كان يتردد إلى حمص زائراً لشيخه أبي النصر قدِّس سره، كما رأينا في فصل رسائله، حيث كان يستأذنه في المثول بين يديه. وكان له أسفار ضمن المحافظة (**حلب وتوابعها**) يزور فيها الشيخ أبي النصر إذا قدم المنطقة فإما إلى مدينة حلب، أو مارع أو منبج أو الجزيرة حسب وجود الشيخ وأمره لمن يريد من العلماء أن يصحبه.

سفر مبارك غريب : وكان من فرط حب الجد والأخوان للشيخ أبي النصر، وعلوِّ همتهم أنهم لما علموا - بعد صلاة العشاء وقراءة الختم الشريف النقشبندي مع سيدي الجد - أن الشيخ أبي النصر في مارع، فارتأوا بعد مشاورة سيدي الجد أن يسيروا الى مارع ليحضروا مجلسٍ الشيخ، وكان الوقت - بعد العشاء- والزمن في الخريف، فساروا ليلاً يمشون حتى وصلوا مارع وتبعد عن الباب حوالي /٤٠/ كم، فقيل لهم إن الشيخ توجه الى حلب، فتابعوا السير الى حلب /٤٥/كم أيضاً فأدركوا آخر السهرة في حلب. وقبل وصولهم الى المنزل الذي كان الشيخ فيه مع الإخوان، قال الشيخ قدس سره جاءكم الإخوان من الباب قوموا إليهم فاستقبلوهم، فقاموا إليهم وأكملوا السهرة معهم ثم عادوا مع الصباح الى الباب (وقد حدثني بهذا أكثر من أخ للشيخ انتقلوا إلى رحمته تعالى).

٥ - **وكان له أسفار إلى قرى الساجور** ليرعى مصالحه الزراعية، والتجارية فقد كان يقيم شركات بسيطة؛ مزارعة أو مساقاة، مع أقربائه

ومعارفه هناك، أو يشاركهم على بقرات أو غنمات كي يستفيدوا هم ويستفيد هو، ولكنه ما كان يرضى لنا أن نطّلع عليها أو نفتش عنها، وقد أرسلتني جدتي مرة بعد ما تأخر سفره في منطقة الساجور، لكي استفهم عن الحال وتطمئن عليه، وما له من علاقات مالية، فلم يرُق له ذلك، وما رضي به.

رؤيا عجيبة تُشعر بموت الشيخ :

٦- **أما سفره الأخير** فقد كان الى الدار الآخرة راضياً مرضياً إن شاء الله تعالى وقد كان هذا يوم الأحد ١٢/تموز/١٩٦٢ ومن غرائب ما حدث، أن الشيخ إسماعيل زهدي الخطيب رحمه الله وكان من العلماء الصلحاء، وأول مدير للمدرسة الإبتدائية في الباب وهو من شيوخ الوالد، حدَّث جلساءه صباح يوم وفاته قائلاً:

- سيموت الشيخ محمد المسعود هذا اليوم! فقالوا له: كيف عرفت ؟ فقال:

- لقد رأيت هذا اليوم رؤيا بأن مسجداً ينقص بناؤه حجراً واحداً، فقلت لمن هذا المسجد، فقالوا للشيخ محمد المسعود، وإذا بالحجر يوضع مكانه، فأولته بوفاته.

وبعد برهة، والجلساء حوله، وإذا بهم يسمعون التكبير من المآذن، فقال لهم: صدقت الرؤيا، لقد توفي الشيخ محمد المسعود، فقالوا: انتظر حتى نسمع اسم من، فقال من يُكَبَّر له على المآذن غير العالم فأنصتوا حتى سمعوا النعي باسمه، رحمهم الله جميعاً.

الفصل الثاني عشر

آخر حياته وكراماته

٣٥- كانت حياته رحمه الله كلها من أولها لآخرها طاعة لله، ورحمة للخلق من عباد الله، كان يتمثل فعلاً وقولاً بهذا الحديث: «**الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**».

لذا كان همه نفع عباد الله وإصلاح أمر دينهم بدءاً من عياله الأدنين إلى بقية الأهل والجيران والأقرباء وأهل البلد، وكافة الناس، لا يني ولا يفتر عن تذكير الخلق بالدار الآخرة، وتحبيب الدين الحنيف إليهم، وإرشادهم إلى الهدى والخير عملاً وقولاً حالاً ومقالاً وكان سلوكه الأخلاقي كما قدمنا بعضاً منه آنفاً، أعظم سبيل للدلالة على الله وتحبيب الناس إلى مولاهم.

ولذا كان رحمه الله محبوباً محموداً من كافة الناس الذين عرفوه أوسمعوا به، أو كانوا يتمنون مجالسته وأكل طعامه، حيث كان الإعتقاد السائد لدى الناس أن المريض الذي يأكل طعام الشيخ يشفى من مرضه بإذن الله وكان رحمه الله يردد: طعام الكريم شفاء وطعام البخيل داء.

ولما تقدم به العمر وقعدت به السن قضى آخر حياته في منزل ولده سماحة العلامة، عالم وقته، وفقيه عصره مفتي الباب الشيخ محمد سعيد رحمهم الله تعالى الذي كان يبذل أقصى ما يستطيع في بره وخدمته هو وعياله وبناته.

وكان الشيخ الجد رحمه الله يقضي عمره الباقي في قراءة القرآن ودلائل الخيرات، ومطالعة كتب العلم قديمها وحديثها، كما كان

يلازمه كتاب شيخه الذي أهداه إياه في مصر (**تنوير القلوب**) للشيخ محمد أمين الكردي الأربيلي النقشبندي قدس سره، وكان الأحباب والإخوان والأصحاب يزورون الشيخ ويتبركون بمجلسه ودعواته، ولقد كانت أمنية من الأماني أن تُيسر زيارته لمن سمع به من البلاد الأخرى من سورية وغيرها ليزوره ويحظى بمجالسته ولوبضع دقائق، وكان آخرمن زاره من أهل الفضل والعلم تلميذه العلامة الفاضل الشيخ عبدالله حماد التادفي الحلبي رحمه الله تعالى.[1]

٣٦ - **والحديث عن كراماته** : إنما هو حديث عن استقامته على المنهج الشرعي، والسَنن المحمدي الشريف الذي كان يتخلق به طيلة حياته وحتى آخر أيامه، وكان تتبع السير النبوي في سلوكه هدفاً بل وتعبداً وتنسكاً وكانت سائر رحلاته من دين ودنيا، وعبادة وتجارة وفق الشرع الشريف والسيرة النبوية المحمدية وكما ذكرنا كان يخلِّق أولاده وأحفاده ومن في بيته وتحت رعايته مع هذا أيضاً مع المتابعة الجادة والدأب والحرص على ألا تفوت ذويه وأهله خصلة نبوية أو سنة محمدية.

فكانت سيرته المستقيمة، واستقامته على الشرع الحنيف في كافة أحواله أعظم كرامة كما قال علماؤنا (**الإستقامة عين الكرامة**) ومع هذا كانت كراماته كما ذكرنا منها من تفقد المحتاجين من أهل البيوتات الكريمة وأهل الحاجة شيئاً كثيراً لا يحصى، واستشفاء الناس بطعامه أمراً متواتراً، وما كان ينسب لنفسه شيئاً من هذا إذا ذكره الناس بل ينسبه للأقدار وأنه من حسن ظن الناس به وأنه إكرام من الله له.

وكانت الكرامة الكبرى التي حدثت عند وفاته عندما وضعوه على المغتسل ليغسلوه وقد تولى غسله ثلة من الصالحين المحبين له من

---

[1] – قال الشيخ عبد الله المسعود: رأى الشيخ عبد الله الحماد الشيخَ الجد في المنام، فذكره هذا بزيارته في اليقظة فقصده من حلب إلى الباب ليزوره فقرع الباب، ففتحتُ له الباب وأدخلته إلى الشيخ ورحب به وجلس بجانبه وآنسه وكان قد أحضر معه هدية للشيخ رحمهما الله تعالى .

أهل البلد كما حدثوا إذ أنه أثناء الغسل **انكشف المئزر عن فخذه، فأعاد المئزر وغطى فخذه بيده وهو على مغتسله.**

فكبر هؤلاء وسبحوا الله سبحانه على هذه المزية العظيمة ونقلوها لنا، رحمه الله وأكرمه، وما ذلك على الله بعزيز.

ومنها ماحَدَّث أحبابه وبنوه وغيرهم أنهم كانوا إذا زاروه في قبره بعد وفاته يشمون رائحة مسكية كالتي تُشم عند الكعبة المشرفة، وقد حصل لكاتب هذه السطور مثل هذا أثناء زيارته بعد عام من وفاته.

٣٨- وفاته وجنازته : انتقل إلى رحمة الله تعالى في منزل ولده الشيخ محمد سعيد ضحى يوم الأحد أوائل المحرم ١٣٨٢هـ الموافق ١٢تموز ١٩٦٢ ودُفن في مقبرة الجبل وحضر جنازته أفاضل علماء وقته من حلب والباب ومنبج وحماه وحمص وإعزاز وغيرها وكان يوماً مشهوداً.. حيث بكت تلك البلدة على راحل كريم خلَّف أبناء أفاضل وتاريخاً وسيرة وسمعة طيبة؛ هي نهج وقدوة لمن أراد الخير وسلك طريق الهداية إلى يوم يجمع الله الأولين والآخرين؛ رحمه الله وأجزل مثوبته ونفعنا به وبورثته من الصالحين، وقد صلي عليه في الجامع الكبير في الباب، ودفن في مقبرة البلدة بسفح جبل عقيل وشيعه جمهور الناس على أكتافهم فكان أول الجنازة عند المقبرة وآخرها في الجامع.

وقد شبه الكثير من الناس مشهد الجنازة والناس على سفح الجبل إلى البلد، كوقوف الناس في يوم عرفة لكثرة المشيعين، ولباسهم البياض، حيث كان الوقت صيفاً (تموز). ودُفن هناك والى جواره من أفاضل علماء البلدة الذين توفوا قبله أو بعده ، والأخص منهم رفيقاه في طلب العلم الشيخ محمد أبو الفتوح والشيخ أحمد أبو البقاء، ثم الشيخ محمد بدر الحسيني، والشيخ أبو طاهر النقشبندي والشيخ حمدان الصالح والشيخ أحمد الحامد النعساني والشيخ صادق غزال وسواهم من العلماء الصلحاء، وكانت المقبرة بسفح جبل عقيل قد امتلأت قبوراً، فوقف أحد صلحاء الجبل وهو (الحاج أحمد الأحمد

الجبلي) قطعة الأرض التي بجوارها لتوسعة المقبرة الوقفية، فاستوهب منه العم الشيخ محمد سعيد مساحة صالحة منها لدفن والده، ولتكون نواة مدفن يضم الصالحين، فوهبه إياها.

ثم أحاطها رحمه الله بجدار مرتفع قليلاً ثم سقفه، لِيُظِلَّ من يأوي إلى قبر الشيخ الجد زائراً ومسلماً.

ودُفن العم بعد ذلك بجواره قريباً منها حيث لم يتهيأ القبر بجوار والده يوم وفاته، فكانت الأقدار تخبؤها لأخيه سيدي الوالد ليدفن بجانب والده، كما كان يرجوه من ربه ويؤمله، رحم الله الجميع وتغمدهم برحمته وعفوه وإحسانه، وكان فيمن حضر الوفاة وتشييع جثمانه رحمه الله العالم الفاضل شيخ قراء حلب وفرضي زمانه أستاذنا الشيخ محمد نجيب خياطة معزياً ومواسياً ومؤانساً رحمه الله وأجزل مثوبته، وكان من شدة حبه للجد قد سمّى أحد أولاده [محمد مسعود خياطة]. رحم الله شيخنا الخياطة وجدنا الشيخ محمد المسعود وبارك بأولاد شيخنا جميعاً، وقد بقي أستاذنا الشيخ نجيب في الباب ما يقارب الأسبوعين مشاركاً لنا في العزاء وصلى إماماً في جامع عمر بن الخطاب صلاة الفجر، قرأ فيها أول سورة التوبة على قراءة (ورش) وقرأ في التعزية في منزل العم الشيخ محمد سعيد (حيث كانت التعزية هناك)آية﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾بالقراءآت المتواترة السبعة، وحدثني الأخ الكريم الأستاذ عبد السلام بيراوي مذكراً أيضاً بقراءة الشيخ محمد المرطو، القارئ الجامع ـحفظه الله – أنه قرأ سورة الطور في أيام التعزية عندما جاء معزياً وابتدأ القراءة من أول سورة الطور -قال أبو مصطفى- فقلت في نفسي ما وجه المناسبة؟ فتابعت القراءة معه حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [(٢١) الطور]. فأدركت فطانة وفقه هذا القارئ الكريم وسر اختياره مشيراً إلى الذرية المباركة التي خلفها الشيخ محمد المسعود رحمه الله تعالى.

وقد قام بتقبل التعازي سيدي الوالد وسيدي العم مدة ثلاثة أيام في منزل العم الشيخ محمد سعيد، وحضر العزاء، خلال الأيام الثلاثة علماء وصالحون من حلب والمناطق الأخرى، وكان من أبرزهم الشيخ محمد النبهان وإخوانه والشيخ محمد بلنكو مفتي حلب وأستاذنا الشيخ عبد الباسط أبو النصر وكثيرون من العلماء والصالحين جزاهم الله عنا خير الجزاء.

الفصل الثالث عشر

رثاء الشيخ رحمه الله، وماقيل فيه وماكُتب

٣٩ - هذا وقد ألقيت عدة كلمات على جثمانه في المسجد الكبير بعد صلاة الجنازة من أفاضل العلماء الذين حضروا تشييعه، وعددوا محاسنه، وبينوا شمائله وأخلاقه الكريمة، ولم تكن قد انتشرت آلات التسجيل آنذاك، فلم نضبط هذه الكلمات. وكان من جملة من تكلموا في رثاء الشيخ، الأستاذ حسن عبد الحميد، وقد كتبت بعض الجرائد المحلية الصادرة في حلب كلمات في رثاء الشيخ رحمه الله تعالى تعدد مزاياه وتذكر مناقبه رحمه الله، وتلقَّفَ الإخوان والمحبون هذه الجريدة كتحفة نفيسة وبقيت عندهم يتناقلونها ويحفظونها ويقرؤونها أولادهم واحبابهم حتى اليوم.. وها أنذا أثبت ما جاء في جريدة (آخر دقيقة) الصادرة بحلب يوم ١٩٦٢/٩/٧ وفيها كلمة الأستاذ الشيخ حسن عبد الحميد، مدرس التربية الإسلامية في الباب وكلمتي عندما كنت طالباً في كلية الشريعة، فنبدأ أولاً بكلمة الأستاذ الشيخ حسن عبد الحميد وهي بعنوان:

في موكب مهيب شَيَّعت الباب على الأكف جنازة فقيد العلم الشيخ محمد المسعود

شيعت مدينة الباب بالأمس جثمان الراحل الكبير والفقيد العظيم محمد المسعود الذي يعتبر بقية السلف الصالح عِلْماً وزهداً وورعاً.

وقد لبست مدينة الباب ثوب الحداد عليه، واعتبر الأهالي موته مصيبة لهم جميعاً، فقد خسرت هذه المدينة فيه خسارة لا تُعوض، وبكاهُ الجميع من أعماق القلوب، بكَوْا فيه العلم الغزير والورعَ الجم،

وسمَتَ الأنبياء صلوات الله عليهم، فقد قضى رحمه الله هذا العمر الطويل المبارك في الدعوة الى الله والجهاد في سبيله، وأحيا في أخلاقه وعمله وكرمه ومسلكه ومظهره سنة النبي عليه السلام فلا غرو إن حملته أكف المشيعين الى مقره الأخير، ومشى معه الآلاف من أهالي البلدة وفي مقدمتهم كبار علماء حلب والباب ومنبج وكان مشهداً رهيباً خاشعاً لم تشهده الباب في جنازة قبله.

وإليكم موجزاً عن حياة الفقيد:

- ولد رحمه الله بتاريخ ١٨٦٩م وقد بلغ من العمر عند وفاته ٩٣ عاماً.
- تتلمذ في الباب وطلب العلم على يدالشيخ عبد القادراللبنية والشيخ مصطفى أبي زلام رحمهما الله تعالى.
- تابع دراسته العالية في الأزهر في مصر عام ١٣١٥هـ وعاد الى بلدته في عام ١٣١٨ وكان في الأزهر خلال هذه الأعوام مثال الجد والاجتهاد والتفقه في المذهب الحنفي، وقد شهد له كبار علماء الأزهر بالنبوغ وفي مقدمتهم علامة زمانه الشيخ محمد بخيت مفتي الديار الإسلامية في مصر، وكذلك الشيخ المرشد الكبير محمد أمين الكردي صاحب تنويرالقلوب، وكان شيخ الأزهر حينذاك الشيخ سليم البشري.
- كان من زملائه في طلب العلم في الأزهر الشيخ محمد أبو الفتوح والشيخ أحمد عبد الباقي من علماء الباب رحمهم الله.
- كان رحمه الله يميل الى الزهد والتصوف فكان يحضر مجالس الشيخ أمين الكردي النقشبندي وقد أجازه في الإرشاد على الطريقة النقشبندية ثم اشتغل في الطريقة نفسها على يد المرشد الكبير الشيخ الجليل محمد أبو النصر خلف.
- فور عودة الفقيد من الأزهر لم يركن إلى الراحة، وإنما بدأ ينشر العلم ويثقف الطلاب والعامة دون أن يأخذ على عمله أجراً بل كان هو

يكرم تلاميذه كرماً بالغاً، وكان من تلاميذه الشيخ عبد الله حماد والأستاذ رضا الأيوبي ومفتي منبج الشيخ يوسف الشركسي.

كما أجاز فضيلة الشيخ عبد الجليل المراد والمعروف بحمص في الفقه الحنفي.

- كان من أبرز صفات المرحوم الكرم والجود فكان سخي اليد على الرغم من فقره وكانت غاية سروره أن يجد الأيدي تتكاثر على طعامه، وأحاديث كرمه يعرفها الجميع في مدينة الباب.
- لم يَدَعْ رحمه الله طلب العلم وزيادة المعرفة طيلة حياته ولم يكتف بأمهات الكتب القديمة بل طالع كثيراً من الكتب الإسلامية الحديثة وقد وجد إلى جانب فراشه عند موته كتاب تنوير القلوب لأمين الكردي والتصوير الفني في القرآن لسيد قطب.
- كانت له جولات إلى قرى الباب ومناطقها البعيدة يدعو إلى الله ويفقه الفلاحين في دينهم.
- كان رحمه الله من أكبر المشجعين للشباب العاملين في الحقل الإسلامي يزودهم بنصائحه وتوجيهاته ويفرح غاية الفرح عندما يرى الشباب الناشئ في طاعة ربه يحمل بإخلاص راية الدعوة إلى الله.
- كان المرحوم نصيراً كبيراً وأباً روحياً لكافة الدعاة الى الله في الباب وكان يجاهر برأيه أمام جموع المصلين بتأييدهم ونصرتهم وأذكر أني ألقيت خطبة في الجامع الكبير قبل الوحدة هاجمت فيها الإستعمار الغربي، وفندت دعوة الإلحاد الأحمر الشيوعية، فقاطعني أمام الجماهير، وقد أخذه حماس الإيمان، وألقى بكلمة الحق قوية مدوية غير هياب في وقت كان فيه الشيوعيون، وحلفاؤهم يحكمون البلاد باسم التجمع القومي، فهاجم الشيوعية ودعاتها وعملاءها وأيد أمام الآلاف الغفيرة ما ندعو إليه من رفع راية الإسلام ومحاربة المبادئ الهدامة.

- برَّد الله ثراه يضيف الى قوة روحه وأخلاقه قوة الجسم، شعاره في ذلك، المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وكان إلى سنين خلت يتقن الرمي وركوب الخيل.
- كان محباً للعلوم الشرعية ونشرها، وكان يقول لو أن لي مائة ولد لربيتهم على حب العلوم الشرعية وخدمة السنة النبوية ولقد رزقه الله ولدين هما محمد علي المسعود وهو من خيرة العلماء الأتقياء الأنقياء الزهاد يعمل جهده على نشر العلم في الريف وهداية الجماهير إلى طريق الله.

وولده الثاني هو محمد سعيد المسعود مفتي منطقة الباب الذي يعتبر بحق من أعلام الفقه الإسلامي الحنفي في سورية يضاف إلى ذلك فهماً كريماً للثقافات المعاصرة والتيارات الفكرية الحاضرة مع حب عميق لمناصرة القضايا الإسلامية والأعمال الخيرية وهو يعتبر أستاذاً لكل طلاب العلم في مدينة الباب، ومرجعاً لأهل المنطقة جميعاً في العلم والفتيا.

- كان الفقيد الراحل رحمة الله عليه على جانب كبير من الورع والتقوى فلا تعهده على غير وضوء وكان دائم الصوم المسنون ولم يتركه سوى يوم الاثنين السابق لوفاته، وكان لا يدع قيام الليل مهما كانت حالة الطقس أو الظروف وقد حفظ الله عليه قوَّته في آخر حياته، فكان في حدود التسعين لكنه كان لا يزال قوي الجسم قوي الحواس قوي اشعاعات الروح.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وعوض هذه البلدة عنه خيراً وألهم ولديه الفاضلين الصبر والسلوان، وفي ذمة الله أيها الراحل الجليل ومع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

سلام على الإسلام بعد محمد سلام على أيامه النضرات

في ذمة الله أيتها الشيخوخة المباركة وإلى اللقاء إن شاء الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾. **الباب : حسن عبد الحميد الخضر**

والكلمة الثانية بقلم حفيده : محمد زكريا المسعود – الطالب بكلية الشريعة – وهي بعنوان : الجانب الآخر من حياة فقيد الإسلام المرحوم الشيخ محمد المسعود

بسم الله الرحمن الرحيم

لن أتكلم في هذه العجالة عن مزايا فقيدنا الراحل كجد لي وأبٍ عطوف، كان لأولاده خير صديق، وللناس عامة خير أخ كريم، وبَرٍ رحيم.

لكن سأغتنم الحياة التي عشتها في كنفه بضع سنوات كان هو فيها أبي الحقيقي الذي يهمه مني أكثر ما يهم أبي بالذات، وسأنقل صورة لمحبيه وعارفي فضله عن الجانب الآخر من حياته ليس لكوني حفيده بل لأني عشت هذا الجانب، وشهدته أكثر من غيره.

وإن كان أول ما أقول هو أنه حتى آخر لحظة من حياته كان محافظاً على مطالعة كتب العلم وقراءتها قديمها وحديثها فإن الأهم من ذلك أنه لم **يفتُر رحمه الله لحظة واحدة عن التذكير بالله والنصح للأبناء والإخوان وعامة الناس والدعاء لهم وطلب الدعاء منهم حتى لقي ربه وهو أحسن ما يكون حالاً من ناحية التقى الكامل والورع والوعي ومعرفة من حوله ودعائه لهم**. لم يكن همه في يوم من الأيام أن يعمر في هذه الدنيا أكثر مما عمر بل كان منذ عشرات السنوات بل منذ وَعِى هدفَ خلق الله للبشر في هذه الحياة وعرف رسالتهم فيها، يسعى للعمل نحو هذا الهدف بكل ما أوتي من قوة، لذلك كان يقول ويعمل، **وسمعت ذلك منه مراراً كما سمع محبوه وأصدقاؤه أننا لم نُخلَق في هذه الحياة للأكل والنوم، إنَّ هذا شأن البهائم، إنما خُلقنا لنحقق عبوديتنا لله وعبادتنا له**، ولذلك كان لا يفتأ يعمل بهذا المبدأ ليل نهار همُّهُ الذي استأثر على باله وشغل حياته أن يعمل لتطبيق شعائر الإسلام وإظهارها بأكمل وجه في كل وقت ومكان وكثيراً ما

يقول لي ولإخوانه ويردد وصاياه لنا جميعاً بتقوى الله وطاعته,ومشاورة الإخوان ويقول: (**ما خاب من استخار ولا ندم من استشار**).

وحتى آخر لحظة من عمره كان يستدعي إخوانه لمشاورتهم في الأمور التي تعود بالنفع لأهله وذويه والمسلمين عامة ويوصي بالتأني والتؤدة في الأمور كلها مع الأمثلة. لم يحمل رحمه الله حقداً أو بغضاً على أحد حتى على من نهبوا أراضيه من الفلاحين والشركاء ولم يكن يطالبهم حتى بالرَّيْع إلا إذا أحضروه من خاطرهم، حتى أنه غضب مني مرة عندما كنت أذكرهم بأمواله المنهوبة وأملاكه المغصوبة، إذ كان يعتقد(أن الناس كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) ولذلك سامح هؤلاء جميعاً.

والصفة البارزة التي كان يذكرها الناس عنه جميعاً من يعرفه ومن لا يعرفه هي الكرم، وعندما أقول الكرم سأعجز حقاً عن وصف طبيعة هذا الكرم، إلا أني أقول أنه كان يحب أن ينفق أكثر مما يكسب وكان من النادر جداً قبل مرضه وعجزه الأخير أن يدخل البيت بدون أضياف حتى لو اضطر إلى جلب الجيران أو المارة من الطريق، حكى أحد جيراننا وكثيراً ما كان يحكي غيره أنه كان يقف مساء ويقول لأول مار: يا ابن أخي تفضل عاون عمك في تحميل الطحنة ويدخل هذا ليساعد الشيخ فيجد المائدة والشيخ يقول تعال كل أولاً، فيفطن الرجل فيأكل، ويخرج إذ لا طحنة ولا سواها، فإذا تم له ذلك سُرَّ ونام نوماً هادئاً. وكان ميزة جوده هذا أنه لا يتكلف فيه أبداً.

حدثني أكثر من أخ وصديق أنهم كانوا يجدون طعامه أطيب طعام ذاقوه، لمَ لا وهو الذي كان يلح على الأضياف ويقول اجبروا خاطر عمكم، كلوا وسُرُّوا عمكم، من أكل عند أخيه ليسره لم يضره - أي مهما أكثر من الطعام – كل من الكريم وأكثر وكل من البخيل وأكثر فالأول تسره والثاني تغيظه، طعام الكريم شفاء، ولهذا كان رحمه الله مهنَّأً في حياته لم يعرف يوماً ضيق ذات اليد، رغم إنفاقه.

سل عنه الصغار والأطفال الذين كانوا يعرفون موعد ذهابه للمسجد ليسلموا عليه ويقبلوا يديه ثم ليفوزوا بالحلوى والشكولاته أو الفرنكات.

وكان رحمه الله ذا عطف غريب على الأيتام والمساكين والأرامل يتفقدهم، وجيرانه كأنه مكلف بإعالتهم، ولم يكن إيصاؤه بالجار لساناً فقط بل إذا لم يجد من يحمل لهم الطعام أو الهدية يأخذها بنفسه.

إنني مهما قلت لن أستطيع أن أسرد مآثره رحمه الله، ولكن أرجو أن أكون قد ذكّرت إخوانه وأصدقاءه وعارفي فضله بنبَذٍ وشذرات من أخلاقه وأفعاله ولديهم المزيد. ولكن الجانب الآخر الذي لا يعرفه الكثيرون هو محافظته على السنن وصيام الاثنين والخميس حتى يوم وفاته، لم نعهده ترك هذه السنة أبداً، وكان يحضنا عليها ويأمرنا بها، ووجدنا فيها من الخير ما يعلم الله قدره. وقيامه بالليل إذ كان لا يفتأ يصلي ويقرآ القرآن بصوته المؤثر الذي يهز أوتار القلوب مع انكسار لله وخشوع.وكثيراً ما يقف جنح الليل ويردد:

لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي أو تقبلوني على عيبي ونقصاني

وكانت عادته رحمه الله أن يهتم بتأديبنا والوصية لآبائنا بذلك وكثيراً ما كان يكاتب أبي ويحضه على ذلك ويشعر بمسؤولية ترك تأديب الأولاد، وكنا مع خوفنا منه ومن عصاه حين نشذ أو نقصِّر نحبه غاية الحب، إذ أنه كان بعد الجرح يداوي كما يقول، فبعد العقاب على التقصير لا بد أن يكافئ، ولو بقطعة شوكولا، أذكر أني مرة رفضت أن أتغدى من حواضر البيت، وكنت أيامها في المدرسة الإبتدائية فضربني وقرَّعني، ثم رفض أن يكون غدائي إلا من الموجود (لأنه نعمة يحسدنا عليها الآخرون) فذهبت للمدرسة بهذا الموجود، وعدت في المساء لأجد أمامي طبقاً من اللحم (الكباب) خصيصاً لي.

وكان رحمه الله يبغض الكذب والكذابين، ويحذرنا من ذلك أشد التحذير، ولم يُعرف أنه كذب قط.

هذا هو الشيخ الفاضل الذي فقده الإسلام والمسلمون والعلم والعلماء إذ أنه رحمه الله كان يقول لما سئل لماذا لا تُعلِّم ابنك الثاني صنعة بعدما علمت الأول العلم:لو أتاني مائة ولد لأخرجتهم طلاب علم كلهم.

وحكى لنا أستاذنا الشيخ عبد الله حماد – تلميذه – أنه كان يطعم الطلاب بعد إعطائهم الدرس كل يوم.

هذا هو الشيخ محمد المسعود، إن مصيبتنا لم تكن هينة لأنه توفي بعد عمر قضاه في التقوى و البر و العمل لخدمة الإسلام ففقدناه بفقد عمله، ولكن مصيبتنا أن رزئ الإسلام والمسلمون بعَلَمٍ من أعلامه عمل بعلمه على قدم رسول الله ﷺ وبقية السلف الصالح وتلك خسارة لا تُعوض). أهـ.

٤٠- وأختم هذا الباب بأبيات رثاء **للشيخ محمد سعيد الغانم** المنبجي رحمه الله تعالى ونقلتها من دفتر مذكرات صغير لعمي الشيخ محمد سعيد المسعود وهي هذه:

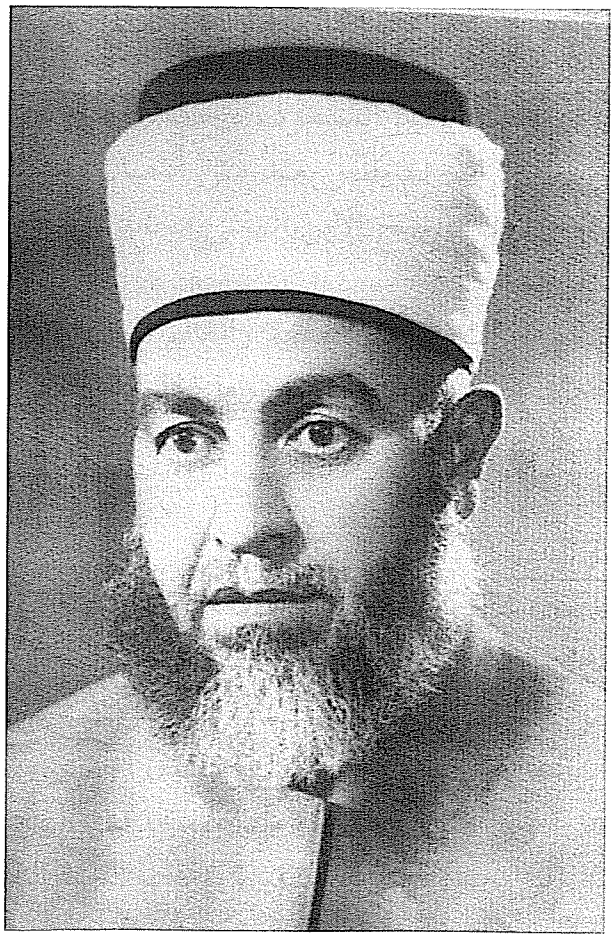
فقدت أهالي الباب حَبْراً صالحاً وبكت عليه وحقها أن تبكيَهْ
فهو السخيُّ ابن السخيِّ محمدُ الـ مسعود ذو الخيرات عالي التزكيَهْ
فارحمه ربي وأمه وأباه كي يرضى ابنه ذاك السميُّ فيرضيَهْ
فإليه ثم ذويه جمعاً ، آتهم صبراً جميلاً ، يا إله التعزيَةَ
وأنا ابن أحمدٍ السعيد الغانم الـ مصري، أرجو العفو ثم العافية

١٤/ أيلول /١٩٦٢ م منبج **محمد سعيد الغانم**

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ورحم الله الشيخ محمد المسعود، ووالده ووالدته وآباءنا، ونرجوا الله سبحانه ألا يخزيهم بنا يوم نعرض عليهم وأن يلحقنا بهم في مستقر رحمته على أحسن حال ترضيه مع العافية والحمد لله رب العالمين.

الباب الثالث

صور من حياة
العالم المدقق والمفتي المحقق
العم الشيخ محمد سعيد المسعود
رحمه الله وطيب ثراه



الفصل الأول

الولادة والمنشأ

١ - تمهيد :

بعد أن عشنا أوقاتاً ممتعة مع سيرة الوالد العطوف سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود والرباني المحبوب، سيدي الجد الشيخ محمد المسعود – رحمهما الله – يحق لنا أن نُعَرِّج على رياض سيرة ولده الأخ الأكبر للوالد الكريم، ألا وهو الرباني الحليم؛ سيدي العم الودود، الشيخ محمد سعيد المسعود، رحمه الله، ولنفتحَ صفحات تاريخ ليس ببعيد..إذ أنه لم يُطوَ بعدُ من أذهانِ وحياةِ كثير ممن عاصروا الشيخ الأب، والشيخ الابن المفتي محمد سعيد رحمهما الله تعالى وطيَّب ثراهما.

فَنَلِجَ رياض سيرة ذلك الرجل العظيم والعالم الحليم الذي قدَّم للأمةِ والعلمِ والأخلاق والدين حياتَه كلها، وما بخل بشيء من وقته وماله وعلمه وجاهه على أحد من أهله وذويه، وأمته ووطنه رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته.

٢- مدينة الباب :

بلدة صغيرة شمال شرقي حلب تبعد عنها /٣٧/ كيلاً (كم)، كانت تمتاز بكثرة بساتينها ومياهها وأنهارها، وفي أطرافها الشمالية والشرقية تنبع عيون مياه ثرَّة، تتجمع لتجري ضمن أقنية رومانية تحت الأرض، وترفدها من بزاعة التي تبعد عنها (٥كم) عيون أخرى وأقنية رومانية مماثلة لتتوحَّد جنوبي المدينة مشكلة مبدأ نهر الذهب الذي يجري باتجاه لجنوب ويصب في بحيرة الجبول الشهيرة بملحها الجيد النقي.

في بلدة الباب المحاطة بالبساتين من جهاتها الثلاث. ومن غربيها بجبل الشيخ عقيل، المرتفع قليلاً عن البلدة، والتي لم يكن يتجاوز عدد سكانها /٥/ آلاف نسمة آنذاك. وبعام ١٩٠٨م[1] الموافق ١٣٢٦هـ .وفي حي متواضع من أحياء البلدة الشمالية يسمى (حارة العشرة) وفي بيت والد شفوق ودود، وعالم عامل حليم، ومن أم صالحة كريمة هي (الحاجة أمينة بنت عبد الله الزريق) وُلِد شيخنا الكريم سيدي العم (محمد سعيد)

٣ – النشأة الأولى : كانوا ثلاثة؛ ابنان وبنتاً واحدة من أصل ستة أطفال أبقاهم المولى سبحانه أحياء لوالديهما الكريمين، الكبير (محمد سعيد) يليه (محمد علي) ثم أخته عائشة ثلاثة متقاربون في العمر، درجوا في بيت الوالد الكريم، ورضعوا منه صغاراً حب المولى العظيم سبحانه، وحب رسوله الرؤوف الرحيم صلوات ربي وسلامه عليه، وحب أحباب الله وأولياءه الكرام، وتفتحت عيونهم على مظاهر الإيمان وشعائر التقوى وتغذت أجسامهم من المال الحلال الذي كان يكسبه الوالد من تجارته وزراعته وكرومه، نطقت ألسنتهم أول ما نطقت بكلمات الذكر والتوحيد، وتعودت على النطق بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، التي تعلَّم للأطفال في البيوتات الإسلامية آنذاك، وبالأخص: الشهادتان والبسملة، وما يعلمه الصغار من آداب الأكل والشرب والجلوس، والإستئذان واللباس، والدخول والخروج، والتحية وغيرها من آداب الإسلام.

---

[1] – تولده بعام ١٩٠٨ م كما أخبر هو خلافاً لما هو مكتوب في الشهادة الابتدائية ١٩١١م، وقد عثرت على تأريخ ولادته بخط الجد رحمه الله داخل غلاف أحد كتبه كما يلي: صار محمد سعيد فرطاً إلى والديه في ٢٥ ذي الحجة ١٣٢٥هـ وخلفه المولى بإحسانه وكرمه. ثم بجانبها: جاءنا محمد سعيد الثاني بالخير والإحسان والسرور في ٥ ربيع الأول ١٣٢٦ هـ. وهي تقابل بالميلادي ١٠ نيسان ١٩٠٨ م.

الفصل الثاني

تكوينه العلمي ومصادره

٢ - تعلم مبادىء القراءة والكتابة والقرآن:

تلقى مبادىء العلم من قراءة وكتابة على يد زميل والده الشيخ الفاضل (أحمد أبو البقاء) فأجاد قراءة القرآن الكريم وتجويده. ثم دخل المدرسة الإبتدائية الوحيدة في البلدة آنذاك ودرس فيها علومها التي كانت تدرَّس في تلك المدارس كالقراءة والكتابة والحساب والجغرافيا واللغة الفرنسية بالإضافة إلى دروس الدين، وكان فيها الأول على زملائه وأقرانه كما حدثنا هو وكما تثبت شهادة تخرجه من المدرسة الإبتدائية لعام ١٩٢٣م وهي كما يلي بنصها:

السيد سعيد بن الشيخ محمد سعود افندي — مدرسة ممدوح الباب

باب شمالية شارع العشرة تولد ١٩١١

القرآن العظيم/التجويد/العلم الديني/القواعد العربية/القراءة/الإملاء/الإنشاء/الاستظهار/الخط/اللغة الفرنسية

١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ٩

الحساب/الهندسة/التاريخ/الجغرافيا/العلوم الطبيعية/المعلومات الأخلاقية/الرسم/الأشغال اليدوية/اليكون

١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٧٩

الغناء/التربية البدنية/اليكون/الأخلاق/الانتظام/النظافة/اليكون العمومي الترفيع

١٠ ١٠ ١٩٩ ١٠ ١٠ ١٠ ٢٢٩ ترفيع: درجة علي الأعلى

إن التلميذ المحرر اسمه وكنيته أعلاه السيد سعيد بن الشيخ محمد مسعود أفندي أعطى الفحص العمومي أمام الهيئة المميزة وحاز النسر المحرر أعلاه وقد أكمل التحصيل الابتدائي واستحق أخذ الشهادة بدرجة (علي الأعلى) لينتظم في المدارس الثانوية وهو لم يزل متحلياً بالآداب العمومية والأخلاق المرضية مدة دوامه وعليه أعطي هذه الشهادة

١٠/تموز ١٩٢٣

مأمور الاملاك ترجمان من العلماء من العلماء قائد الدرك المفتي القاضي

توقيع توقيع محمد حاج بكور محمد الشيخ مسعود نوري عبد الرحمن السيد أحمد نعساني عمر بهجت

خاتم خاتم خاتم خاتم خاتم

ضابط الاستخبارات رئيس المعارف قائمقام الباب

توقيع خاتم

معلم معلم معلم مدير المدرسة باشكاتب الديون العامة عضو إدارة

خاتم توقيع توقيع خاتم إسماعيل زهدي الخطيب رضا المرتضى عبد القادر حمد

خاتم خاتم خاتم

خاتم المدرسة ٢٢/محرم/١٣٤٢

٥- تلقي مبادىء العلم الشرعي وشيوخه بالباب :

وبعد انتهائه من المدرسة الابتدائية بعام ١٩٢٣ م / ١٣٤٢ هـ بل وأثناء دراسته الابتدائية، لأن نبوغه سبق سنّه، كان يحضر حلقات العلم التي كانت عامرة آنذاك في المساجد والمدارس الموجودة في الباب.

فبدأ تعليمه الشرعي بعد الابتدائي على يد العالم العامل والده الشيخ محمد سعيد المسعود حيث كان يدرس الطلاب والعامة في المدرسة المعبدية وغيرها. وعلى يد الشيخ سعيد الغانم الذي كان يدرس أيضاً في المدرسة المعبدية ثم استفاد كثيراً من دروس علامة زمانه عالم الباب الشيخ مصطفى أبو زلام في المدرسة الحسبية والشيخ محمد الحاج بكور (أبو الفتوح) رفيق والده كما استفاد من مفتي البلدة آنذاك الشيخ أحمد بهجت النعساني علامة وقته وحبر زمانه، أما في تادف فقد تلقى العلم لدى الشيخ محمد علي النجار المدراتي عالم تادف الكبير، وفي الباب ولدى مشايخها الأعلام الذين ذكرنا أتقن مبادىء العلوم وأُسُسَهَا ومتونها وشروحها دراسة وبحثاً وتدقيقاً، فكان المبرِّزَ فيها بشهادة أساتذته وشيوخه، وهذا أهَّلَه لأن يكون من طلاب المدرسة الخسروية بحلب وبالصفوف الأخيرة منها، فانتسب إليها بعام ١٩٢٨م.

٦ – في المدرسة الخسروسة:

وكانت المدرسة الخسروية قد جمعت كافة أساتذة المدارس العلمية بحلب فأصبحت مجمعاً لنشاطات علمائها، وكان قد سعى لإحيائها بعد أن كانت دارِسة، ونشر العلم فيها فضيلة الشيخ محمد

رضا الزعيم رحمه الله، فقد رمم المدرسة وبنى فيها حُجَراً وجدد الرواق الشَمالي جميعه على هيئته التي نراها اليوم ودرَّس في المدرسة الكبرى الكتب العلمية، وتخرج على يديه كبار علماء حلب، وكان هذا سنة ١٣٤٠هـ /١٩٢١ م حيث افتتحت بذلك العام، وهرع إليها الطلاب وساهم في إنعاشها وإحيائها أفاضل علماء حلب، وأصبحت ذات ست صفوف، وكان ممن ساهم في خدمتها والتدريس فيها السادة العلماء الأفاضل: الشيخ يحيى الكيالي مدير أوقاف حلب، والشيخ عمر المارتيني والشيخ عمر الأسد والشيخ عبد الله عبد المعطي والشيخ أحمد التيجي المدني، والشيخ كامل الغزي المؤرخ (**صاحب كتاب نهر الذهب**) والشيخ عبد الحميد الجابري والشيخ راغب الطباخ (**صاحب كتاب أعلام النبلاء**) بالإضافة إلى الأساتذة الذين سنذكرهم بعد قليل ممن كانوا أساتذة لحضرة العم الكريم، ولمَاَّ أنهى دراسته لدى علماء الباب وتادف، كما ذكرنا؛ استأذن والده في أن يتابع التحصيل العلمي في المدرسة الخسروية فأذن له، وكانت العادة أن يمتحن المتقدمون للدخول إلى المدرسة الخسروية لتبيين مدى تحصيلهم وتسجيلهم في الصفوف المناسبة فكان تحصيله مناسباً للصفوف النهائية فسُجِّل في عداد طلاب الصف الخامس وكانت المدرسة ذات ست صفوف.

وفي المدرسة الخسروية ظهرت مواهب الطالب النجيب الذي تميَّز على كافة أقرانه علماً وذكاءً وتحصيلاً وفهماً لمسائل العلم، فأخذ قلب أساتذته، وكان عنوان الدأب والجِد والتنافس مع زملائه في الدرس والتحصيل، ولم يكن يرضى إلا الأول في كل مادة من المواد العلمية

التي يدرسها، وكان التنافس قائماً على أشده بينه وبين زملائه كالشيخ برهان الدين الداغستاني رحمه الله والشيخ أحمد القلاش أمد الله في عمره، حتى تخرَّج من المدرسة الخسروية بعام ١٣٤٨هـ الموافق ١٩٢٩م بدرجة ممتازة عالية وحصل على شهادتها وكتب له فيها:
الدرجة الأولى، العلامات: نابغ، الإمتياز: واحد.

٧- إجازته العلمية وشيوخه في حلب:

وكان من شيوخه في حلب ممن نظمهم سلك المدرسة الخسروية، وآخرون من أفاضلها لم يدرسوا فيها أمثال علامة زمانه الشيخ نجيب سراج الدين وغيره، كان رحمه الله يحضر دروسهم ومجالسهم وقد منح الشهادة العلمية من المدرسة الخسروية التي تفوق بعلومها وتمتاز بشيوخها على أعلى الجامعات الإسلامية في الوقت المعاصر، وإليك نص الإجازة المسماة:
(بالشهادة الممنوحة لخريجي المدارس العلمية الدينية بحلب الشهباء).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

حمداً لمن أنار بصيرة من شاء من عباده بنور العلم والإيمان، وزين قلوبهم بمصابيح الحكمة والعرفان، وصلاة وسلاماً على هادي الأمم إلى الصراط المستقيم والدين القويم، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث لتتميم مكارم الأخلاق، وهداية البشر إلى توحيد الواحد الخلاق، والقائل من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وخيركم من تعلم القرآن وعلمه.

وبعد فإن الشاب النجيب الشيخ محمد سعيد شيخ محمد المسعود ممن انتظم في سلك طلاب المدرسة الخسروية في مدينة حلب الشهباء، وجد في اقتطاف ثمرات العلوم، والتغذية بلبان المعارف والفنون، وارتوى من مناهلها العذبة وأنهى صفوفها النهائية العليا ودرس العلوم التي تقرأ فيها وهي: (مدونة بجانب أسماء الأساتذة)

وبعد الفحص العام من جميع هذه العلوم وفنونه بالعلامات الدالة على كفاءته وتحصيله لما درسه منح هذه الشهادة من قبل مدير المدارس العلمية وأساتذتها الموقعين أسماءهم وأختامهم أدناه. وإنا نوصيه بتقوى الله تعالى في السر والعلانية والاعتصام بحبل الله المتين، واتباع سبيل المؤمنين والنصح لله ولرسوله، وأن لا تأخذه في الحق لومة لائم، وأن لا يألو جهداً فيما أُخذت به العهود عليه وهو نشر العلم وعدم كتمانه، وإرشاد الأمة إلى ما فيه صلاحها وفلاحها في دنياها، والاهتمام بأمرها، والله يجزل به وبعلمه النفع ويوفقه لمرضاته ولكل عمل مبرور وسعي مشكور والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

قاضي مدينة حلب	مفتي الديار الحلبية	مدرس	مدرس التفسير	مدرس الفقه والجملة
		حسن رضا	أحمد الشماع	أحمد الزرقا
مدرس الحديث والمصطلح والتاريخ	مدرس الأخلاق		مدرس علم الكلام والمنطق	
محمد راغب الطباخ	عيسى البيانوني		فيض الله الأيوبي	
مدرس علوم البلاغة والنحو	مدرس الفرائض	مدرس التجويد	مدرس الجغرافيا والحساب	
	عبد الله عبد المعطي	محمد أسعد العجي		
مدرس الإنشاء	نظرت	مدير المدارس العلمية	مفتي حلب	
كامل الغزي	قاضي حلب	تاريخ وخاتم وتوقيع	عبد الحميد الكيالي	

محمد عزيز الخاني

دأبه في مذاكرة العلم والتنافس فيه :

كان له دأب غريب في مذاكرة اعلم وتعليمه وتعلمه، فكأنه خلق للعلم ومذاكرته وتعليمه، وقد كان حاله فيه عجيباً فلا يلتقي طفلاً أو فتى أو فتاة من أهله وقرابته ومن غير قرابته ممن يلتقيهم من الطلاب إلا ويذاكره بالعلم ويحضه عليه ويشجعه على المنافسة فيه وسبق أقرانه، وكثيراً ماكان يقول: أنا لا أرضى لأولادي النجاح؛ ولكن السبق والتقدم على الأقران، ويحدثنا عن دأبه في طلب العلم حكايات، ومنها: أنه كان في المدرسة الخسروية في غرفته في إحدى ليالي الشتاء الطويلة وقد أنهى مراجعة دروسه لليوم الماضي وحفظها وذاكرها، ثم راجع دروسه لليوم لتالي التي سيحضُرُها على شيوخ المدرسة حسب البرنامج المقرر، (وهكذا كانت عادة طلاب العلم يحفظون ماأخذوا، ويستعدون لما سيأخذون) قال: فرأيت ضوء إحدى الغرف مناراً، فلم أستطع النوم، كيف وهناك من يذاكر دروسه غيري فأعدت المذاكرة والمطالعة، ثم نظرت مرة أخرى وإذا بالغرفة ذاتها منارة، فلبست ثيابي واقتربت منها، فلما سمعت صوت من فيها وكان حديثهم حديث سمر لا علم، عدت إلى غرفتي وأخلدت للنوم والراحة.

الفصل الثالث

التربية الإيمانية

مهمة :

والتربية الإيمانية عماد تكوين شخصية المسلم، فضلاً عن العالم الداعي إلى الله، ولابد منها وخاصة في زمن اختلاط الثقافات، واختلاط التيارات الفكرية، وكثرة غزوها لبلاد المسلمين، بعد انحسار وحدة المسلمين بزوال الخلافة الإسلامية، وكثرة الهجمات الفكرية الغربية والشرقية، وتأثيرها على الفطرة، لذلك كان الورّاث المحمديون، والعلماء الربانيون، في كل وقت هم عماد تقويم الحياة الإسلامية، وإعادة بناء الشخصية الإيمانية في نفوس الأجيال، وتنشئة الأمة وبخاصة الناشئة على الهدي المحمدي، تزكية وتربية، وتخليقاً وتسليكاً، ومن هنا كان دَوْرُ المربي المرشد مهماً للغاية، وإن من إكرام الله سبحانه لأسرتنا، أن كان الجد رحمه الله من أعلام التربية الإيمانية حالاً وقالاً، وسلوكاً وخلقاً، وكان من نعم الله عليه وعلينا هذه الصلة القوية، والرابطة العظيمة بالمربي الكبير سيدي الشيخ محمد أبي النصر النقشبندي الحمصي رحمه الله.

٨ – لدى الشيخ محمد أبي النصر : وقد ذكر والدي (الشيخ محمد علي) في ثَبَتِه وحدثنا مراراً، أن عيونهم تفتحت في حجر والدهم الشيخ محمد المسعود، وهو يقوم بخدمة سيدي الشيخ محمد أبي النصر خلف الحمصي النقشبندي، فنشأ الوالد والعم وهما طفلان في حجر والدهما وتحت أنظار الشيخ الكبير أبي النصر وبين يديه وحوله، حينما كان يزور الباب وينزل في بيت أبيهما.

وقد طلب سيدي الجد من شيخه المربي الكبير (أبي النصر) الإذن لهما بالورد والذكر الخفي، وأن يكون خفيفاً عليهما لأنهما يطلبان العلم، فأذن لكل منهما بالذكر الخفي وهو لفظ الجلالة ٥٠٠ مرة، وواظبا عليها حتى نهاية حياتهما..

ولقد رأينا في رسائل الجد وسنرى من رسائل العم مدى تعلقهما بالشيخ الكبير أبي النصر، ومدى الحب العميق له، في فصل لاحق، وقد كان هذا الحب ظاهراً ومميزاً في رسائلهما..

ومن المناسب أن نذكر هنا أولى تراجم هذا الحب في رسالة أرسلها سيدي الجد لشيخه أبي النصر بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦وقال في نهايتها، وقد أحببت هذه الأبيات لأنها تليق بسيادتكم رأيتها في شرح الحكم لابن عجيبة رحمهم الباري آمين يامعين:

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها ... كأنكم في بقاع الأرض أمطار
وتشتهي العين فيكم منظراً حسناً ... كأنكم في عيون الناس أزهار
ونوركم يهتدي الساري برؤيته ... كأنكم في ظلام الليل أقمار
لا أوحش الله ربعاً من زيارتكم ... يامن لهم في الحشا والقلب تذكار

وقد شطرها خويدمكم محمد سعيد المسعود الرجي أن يكون سعيداً في الدارين بخدمتكم وحسن توجهاتكم الخيرية بجاه سيد البرية وآله وصحبه البررة الطاهرة النقية آمين يامعين:

(تحيا بكم كل أرض تنزلون ... لأن فيضكمُ كالمزن درّار
فتُنبتون بها روح الحياة لها ... (كأنكم في بقاع الأرض أمطار)
(وتشتهي العين فيكم منظراً ... لأن فيكم تفوق الشهبَ أقطارُ
وجوهكم روضة حسنا ... (كأنكم في عيون الناس أزهار)
(ونوركم يهتدي الساري ... فلا يدانيه نبراس ولا نار
وظلمة القلب يُجليها ... (كأنكم في ظلام الليل أقمار)

(لا أوحـــش الله ربعـــاً مـــن و لا خلت منكـمو يـوماً لنـا دار
بـالله عطفاً على قلب فَنـي بـكم (يا مـن لهـم في الحـشا والقلـب

تمت وبالخير عمت آمين يامعين.

ولعل هذه الأبيات المشطرة هـي أول مـاقرض مـن الـشعر، وكـان عمره آنذاك عشرين عاماً حين كان يدرس لدى مشايخه بالباب، وقبـل أن يلتحق بالمدرسة الخسروية بحلب، حيث التحـق بهـا بـأواخر عـام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧ وتخرج منها بعام ١٣٤٨هـ الموافـق ١٩٢٩م كما ذكرنا آنفاً.

وكان طيلة فترة بقاءه بحلب يرسل سلامه وأشواقه لـشيخه أبي االنـصر إمـا برسائل مستقلة أو مع رسائل والده، ولعل أولى رسـائله، رسـالة إلى الـشيخ عندما كان طالباً في المدرسة مؤرخـه ١٦ جمـادى الآخـرة سـنة ١٣٤٧هـ سنذكرها في فصل رسائله إن شاء الله تعالى.

وكان يقول عن شيخه أبي النصر: ((ربانا صغاراً، وأعزنا كباراً)).

أقول: وكان يقوم لي إذا قدمت أمـام النـاس جميعـاً ويـستقبلني أحـسن استقبال وأكرمه، وأنا ولد مـن أولاده تواضـعاً منـه، وتكريمـاً للعلـم، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

٩ – مع الصالحين صحبة ومجالسة ومحبة وملازمة:

وقد كان لسيدي العم الشيخ محمد سـعيد مـع علمـاء الـشام ومـع صـلحائهم وربـانييهم ممـن يقطنـون دمـشق الحـظ الأوفـر والنـصيب الأكـبر، فقـد كـان يحبـهم ويحبونـه، ويـزورهم ويزورونـه، وكـثيراً ماحدثنا عن عناية ورعاية وأنظار علمائها وصلحائها له؛ أمثال سـيدي العـارف الكـبير والعـالم الـشهير الـشيخ محمـد الهـاشمي المغـربي وتوجهاتـه له، ودعواتـه وتوصـياته له، وكـذلك سـيدي الـشيخ أحمـد

الحجار العسل (الشهير بالحارون) وزياراته المتكرره له كلما قدم دمشق ودعواته وتوصياته له، وكذلك العالم الكبير الشيخ علي الدقر الذي كان من أوائل تلامذة ومريدي سيدي بدر الدين الحسني علامة الشام ومحدثها الأكبر، كما كانت عليه عناية خاصة من سيدي الشيخ يحيى الصباغ رحمه الله، ولا ننسى أيضاً علامة وقته وبركة أهل البيت وعمدة علماء الشام سماحة العالم الجليل السيد محمد المكي الكتاني الحسني رحمه الله.

فقد كان سيدي العم يزور هؤلاء الأفاضل، ويزوره من قدم منهم إلى حلب ثم إلى الباب أمثال سيدي الشيخ محمد الهاشمي وسيدي مكي الكتاني، وكان يثني عليهم الثناء العاطر ولا يخلو مجلس من مجالسه مع إخوانه وأبناءه إلا ويعطر ذلك المجلس بأحاديثهم وسيرتهم ودعواتهم وكراماتهم رحمهم الله جميعاً.

قال الشيخ عبد الله المسعود: قدم عمي الشيخ محمد سعيد المسعود من العمرة عام ١٩٧٥م. وبقي عندي يوماً في دمشق ثم تابع سفره إلى حلب.

وزرت بمعيته، سماحة العلامة الشيخ محمد أبو اليسر عابدين – مفتي الديار الشامية– في منزله في حي العدوي، والعلامة ملا رمضان البوطي، وولده أستاذنا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وأستاذنا العلامة الشيخ حسن حبنكة الميداني، وغيرهم من العلماء الأفاضل، رحمهم الله جميعاً في يوم واحد وأجرى مع كل واحد منهم مذاكرات علمية تتعلق بالإفتاء وتهمُّ المسلمين.

الفصل الرابع

مع العلم والتعليم (عالماً ومتعلماً)

مدخل: وشأن طالب العلم إذا اكتسب من التحصيل مايمكنه من ولوج رياض العلم، وحل مغلقاته، وفهم مشكلاته، والغرف من موارده ومناهله، والسير في أبوابه وموضوعاته؛ أن ينفع بما انتفع، ويوصل الخير إلى مستحقيه، وينير بنور العلم من يحتاجه من بعيد أو قريب، وجاهل ومستنير، وهكذا كان دأبه – رحمه الله تعالى – بعدما تخرج من الخسروية، إذ أن العلم إنما يقصد للعمل به، وإفادة عباد الله منه، وليتقرب به إلى الله عز وجل في تصحيح عبادات الناس ومعاملاتهم، وأخلاقهم.

١٠ – العودة إلى الباب عالماً ومتعلماً:

وبعد التخرج المشرّف من المدرسة الخسروية بحلب ونيل شهادتها بامتياز ونبوغ، شهد به الأساتذة والمعلمون وثبتت إدارة المدرسة هذا الإمتياز على شهادته بهذه السمات: (الدرجة: أولى، العلامات نابغ، الأمتياز: واحد).

بعد هذا عاد سيدي العم الفاضل إلى بلده عملاً بقوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ عاد ليبث العلم، وينشر الفضيلة والأخلاق المحمدية في البلد الذي نشأ فيه ورضع منه لبان العلم، تحت أنظار أشياخه ووالده الكريم وصار يعلم من هو دونه

في السن في مدارسها الشرعية وكانت ثلاثاً آنذاك (الحسبية ـ والمعبدية ـ والشهابية).

وحاول التقدم إلى الثانوية العامة، ودراسة الحقوق وغيرها، لما رأى بعض رفاقه فعلوا ذلك كالشيخ الدواليبي والزرقا، ولكن الله لم يشأ ولعل في ذلك الخير،

كما تابع أيضاً تلقي العلم على مشايخها خصوصاً الشيخ مصطفى أبو زلام والشيخ أحمد بهجت النعساني المفتي آنذاك، والشيخ محمد علي مدراتي التاذفي، وهؤلاء الأفاضل كان قد دَرَسَ عليهم قبل التحاقه بالمدرسة الخسروية، وبنفس الوقت بدأ يفكر في عمل يدر عليه رزقاً حلالاً (وكان قد تعلم مهنة النجارة مع أخيه محمد علي على لدى معلمهم الشيخ أحمد الحامد النعساني وأتقنا هذه الصنعة) فأمامه الزواج ومسؤولياته، والبيت الجديد ومتطلباته، والأمر يحتاج إلى سعة في المال، وبسطة في العيش.

وآنذاك أُخبر بوظيفة مدرس ديني شاغرة في جرابلس فاستشار والده في أن يتقدم إلى هذه الوظيفة ولكن الوالد لم يقطع بهذا رأياً بل استشار شيخه أبا النصر في ذلك برسالة مؤرخة ٢١رجب ١٣٤٨ هـ الموافق ١٩٢٩م.

١١ - التدريس في المدرسة المعبدية :

ولأمر يريده الله، وهو خير إن شاء الله؛لم يقدِّر الله تسهيل وظيفة مدرس في جرابلس، فظل يتابع تعلمه وتعليمه في بلده واتخذ المدرسة المعبدية (المعابده) مقراً له (وكانت مدرسة والده من قبل) فتفرغ فيها لنشر العلم وبذله للطالبين (وكان شيخه الشيخ أبو زلام يدرس في المدرسة الحسبية).

وقد أوضح سيدي الجد في رسالة لشيخه أبي النصر، وضع ابنه محمد سعيد وفيما يرغبه له من التدريس في المعبدية مستنصحاً مسترشداً، مؤرخة في ٢٩ رمضان المبارك ١٣٢٩ هـ.

وقد كان هذا هو الخير كله والحمد لله، فقد تقرر تدريسه في المعبدية وإمامته في الجامع الصغير، واستفاد من دروسه المنتظمة في المعبدية الجمّ الغفير من الطلاب والواردين إلى حياضه لنهل العلم، والارتواء من موارد الشريعة الغراء، وسنذكر في فصول لاحقة إن شاء الله طلابه وتلاميذه الذين تخرجوا على يديه، فمنهم من تابع التحصيل في مدارس حلب الشرعية والأزهر، ومنهم من اقتصر عليه إذا لم يتيسر له إكمال التعليم، فكونت مواظبتهم عنده زاداً وافراً وأساساً متيناً في المحافظة على مبادئ الدين وأسس الشريعة وآدابها في حياتهم.

١٢- الزواج السعيد : وبما أن إقامته كانت في ذات البلدة فقد صار الإستمرار في تدريس العلم في مدرستها المعبدية، وتردد الطلاب عليه فيها، وملاحظة والده (الجد الشفوق) له، صار هذا يوحي له بنوع من الأستقرار النفسي، والإطمئنان الداخلي، ولذا فإن التفكير في الزواج؛ في هذه المرحلة، كان أمراً طبيعياً، بل السعي في تحصيله إنما هو سعي للسكن الذي يتطلبه كل إنسان، والزواج لطالب العلم من أولى لمهمات، لأنه كالطبيب الذي تتكشف لديه العورات فيحفظها ويصونها، ويطوي سرها، ولذلك فالزواج فيه الصيانة والعفاف ومنه الإعانة على الدعوة ونشر دين الله وإيصاله إلى الناس.

ويظهر أن الزواج قد تم بذلك العام ١٩٣٠م أو الذي يليه من السيد (حليمة بنت الحاج حسن العيدو) من (دمالخة) قرية الشويحة، ذات الأصل الكريم والمنبت الشريف، الذين كان لهم الحظ الأوفر من زيارات وتوجيهات المربي الكبير سيدي أبي النصر قدس سره..

واستمر العم بعد الزواج يدرس في المعبدية، وتخرج على يديه أفواج من الطلاب منهم من تابع تحصيله العلمي في حلب ودمشق والأزهر، ومنهم من تقعده الأقدار عن المتابعة، لكنه يبقى مزوداً بحصيلة طيبة من العلم الذي تلقاه لدى الشيخ محمد سعيد رحمه الله تعالى بحيث يبقى بدراسته وتلقيه فائقاً على كثير ممن تابعوا تحصيلهم العالي اليوم.

ولم ينقطع عن التدريس حتى بعد إسناد منصب الإفتاء إليه رسمياً، وظل يعمل ويسعى لتأسيس مدرسة شرعية نظامية، حتى عام ١٩٥٧، حيث قام بتأسيس جمعية علمية لم يكتب لها الإستمرار.

نشاطه العلمي وعمله قبل إسناد الإفتاء إليه

١١ - برنامجه التعليمي اليومي :

ما فتىء رحمه الله تعالى منذ تخرجه من المدرسة الخسروية، قبل زواجه وبعده يُعَلِّم، ويدرِّس للطلاب والعامة..

كان شغله وهمه وديدنه العلم والتعليم ليله ونهاره، في المدرسة المعبدية وفي الجامع، وفي السوق، وفي البيت والشارع - أقول- وفي الشارع، لأنه إذا رأى طالباً فسلم عليه - وهو في الشارع - سأله عن صفه ومدرسته ثم ألقى عليه مسألة علمية، حسب مستواه الدراسي، في النحو، أو الفقه، أوالقرآن الكريم..

وفي البيت أيضاً مع أولاده وأحفاده أو زواره من الأقارب أو الأباعد، حديثه معهم في العلم، وسؤاله لهم في مسائله، وفكاهاته ومزاحه يدور حول العلم؛ شعراً ونثراً.. حكايات وقصص، ملح وطرف، وكأن ذاكرته مكتبة متنوعة، يعطي كل إنسان حسب مستواه العلمي، ويزيده فائدة وتعليماً وتهذيباً ولطفاً..

قال أخي عبد الله: كنت طالباً صغيراً أصب على يديه الماء، قال لي أعرب (صلى الله عليه وسلم) فارتبكت أولاً، فشجعني قائلاً حللها وأعرب (صلى) ثم لفظ الجلالة، ثم الجار والمجرور، وعطف الكلمة الثانية، وهكذا بدأت أعربها مفردات وجملاً، وهو يشجعني حتى إذا انتهيت من صب الماء على يديه، أنهينا الجملة من الإعراب فرحمه الله من معلم بارع. اهـ.

كان منذ فجر يومه في المدرسة المعبدية، وحتى بعد العشاء :

ففي الصباح: يدرس الطلاب الذين لا يحضرون في المساء ممن تفرغوا للتعلم، فيقرأ لهم في كتبهم؛ مبادىء النحو والفقه والتفسير والحديث والأصول ومصطلح الحديث والفرائض (المواريث). فإذا تعالى النهار، ذهب إلى بيته وبيت والده فتفقد مايحتاجونه من خدمة أو حوائج لذلك اليوم. ثم تناول فطوره في بيته، وغالباً ماكان يحضر معه بعض الطلبة الغرباء عن البلدة، ليشاركوه لقمة طعامه.

وبعد الظهر: يقيل (ينام) قليلاً، ليعاود دروسه بعد العصر للعامة في أحد المساجد.

وفي المساء: بعد المغرب يقرر للطلبة الذين لايستطيعون الحضور في النهار دروسهم في كتبهم، المختصرة أو الموسعة حسب مستواهم التعليمي، وهكذا حتى بعد صلاة العشاء والهزيع (الثلث) الأول من الليل؛ فإن طال الليل طال الدرس معه، وإن قصر قصر..

وكان طلبته يأخذون من دروسه خلاصة العلم وأسسه، فكانت دراستهم لديه تؤهلهم لدخول الخسروية بصفوفها العالية – حسب استعدادهم وتحصيلهم–.

وهكذا، ما إن تنتهي زمرة من الطلبة دراسة مبادىء العلوم وأصولها، حتى تتبعها زمرة أخرى، فمنهم من يتابع التحصيل، ومنهم من تقصر به الظروف الحياة أو العمل عن المتابعة، ولكن يبقى لدى الجميع أساس طيب، وأرض علمية من معرفة علوم الشريعة، وفقه الحياة والتدين، والتمسك الواضح بالشرع الحنيف، والتخلق بآداب الإسلام، إذ أن العلم الممزوج بالعمل والتخلق والسلوك الشرعي لا بد أن يترك أثره كذلك في نفوس المتعلمين.. وسنذكر

جملة من تلاميذه الذين تخرجوا على يديه في فصل لاحق إن شاء الله تعالى.

صياد ماهر:

ومن شأن كل عالم وداعية؛ أن يختار الأسلوب المناسب ليرغب بها الناس، ويدعوهم للإستفادة والاستزادة من العلم، لذلك كان له في ترغيب الطلبة في العلم أساليب متنوعة وطرق متعددة تدل على مدى حبه وشغفه بالتعليم نذكر منها ما حدثنا به أخونا وصديقنا (محمد علي زعيتر) أبو بشير قال: لما كان الشيخ محمد سعيد المسعود رحمه الله تعالى يدرس في المدرسة الحسبية وذلك بعد وفاة الشيخ مصطفى أبو زلام (وكانت هذه الحادثة بعد عام ١٩٥٢) دعاني صديقي عبد الرحمن بن الشيخ أحمد الحامد النعساني لحضور الدرس معهم في الحسبية لدى الشيخ محمد سعيد، فذهبت معه ولما رآني الشيخ رحمه الله قال لي ابن من أنت ؟ قلت ابن بشير الزعيتر، فقال لي: العلم خرج من عندكم (آل زعيتر) الشيخ عبد الله، والشيخ مصطفى، والشيخ جميل، فعليك أن تطلب العلم، قلت أنا عامي، وفلاح في البستان.. فقال لي: لابد من التعلم، وأنا أحضر لك الكتب، وفعلاً أحضر لي في اليوم التالي شرح الدحلان على الأجرومية، ومراقي الفلاح، من الفقه الحنفي، ولازمته والحمد لله واستفدت كثيراً، وكان إذا انتهى مسيرنا معه وصاحبناه لبيته أو صحبنا لبيوتنا، فإنه كان يشغلنا في الطريق بالإعراب ومذاكرة العلم حتى نفترق..

همة عالية عجيبة:

ويتابع الأخ (أبو بشير) حديثه ويقول: كانت همته للعلم عجيبة، ففي إحدى السنين في شهر رمضان كنا نقرأ القرآن في أحد المساجد وكان معنا من يواظب على القراءة كل يوم جزءاً أو أكثر، فقال الشيخ

محمد سعيد، علينا أن نقرأ مع جزء التلاوة جزء تفسير، فكان يبقى ساعتين كل يوم أو أكثر لقراءة تفسير الجزء المقرر، وذلك بعد صلاة الصبح فقرأ التفسير كله خلال شهر مع تقريراته وكان المقروء (تفسير الجلالين) أهـ.

وهكذا ظل رحمه الله منذ تخرجه من الخسروية لعام ١٩٢٩معلماً ومدرساً ومحباً للعلم حتى عام ١٣٦١/١٩٤٢هـ حيث أسندت إليه وظيفة (مفتي الباب) ثم استمر في التدريس والتعليم، مع منصب الفتوى ومشاغلها..

الفصل الخامس

كيف أسندت الفتوى إليه ؟

١٤ – انتخاب المرشح للإفتاء :

كانت وظيفة المفتي للمنطقة تتم بطريق الإنتخاب من فعاليات البلدة (تجارها وموظفوها وعلماؤها) ينتخبون ثلاثة علماء من المرشحين للفتوى ويتم اختيار أحدهم من قبل رئاسة الجمهورية السورية فبعد وفاة المرحوم العلامة الشيخ أحمد النعساني مفتي البلدة سنة ١٣٦١هـ /١٩٤٢م تقدم لهذا المنصب العلماء البارزون في البلدة من فضلائها وأعيانها أمثال الشيخ سعيد الدرويش، والشيخ محمد علي الزين، والشيخ عبد الوهاب سكر ولم يتقدم العم لترشيح نفسه، لأن الأمر كما حدثنا يحتاج إلى ثقل عشائري وحكومي لا يملكه.

فما كان من بعض تلامذته إلا أن قدم طلب الترشيح باسم العم الشيخ محمد سعيد إلى الجهة الرسمية دون علم الشيخ ثم أخبره بذلك، وصار الشيخ محمد سعيد رحمه الله تحت الأمر الواقع فقال: ييسر الله الخير، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

وصار تلامذته يحضون المنتخبين على اختياره، وهو يقول لهم: ماذا أفعل أنا مع فلان الذي له ثقل كبير عند الحكومة، وفلان له عشيرة كبيرة ..

ولكن الله سبحانه إذا أراد أمراً هيأ أسبابه، وتم الانتخاب وانجلت النتيجة عن اختيار الثلاثة (الشيخ سعيد محمود الدرويش والشيخ

محمد علي الزين الشهابي والشيخ محمد سعيد المسعود) من قبل الناخبين في البلدة الذين ذكرنا آنفاً أنهم من فعاليات البلدة.

ورفعت أسماء الناجحين الثلاثة إلى دمشق ليقرر القصر اختيار واحد منهم..

واختار الله سبحانه وتعالى عمنا الشيخ محمد سعيد، فأصدر الرئيس الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الجمهورية المرسومَ بتعيينه مفتياً، والحمد لله على كل حال.

ومما يذكر أن المفتي كان في زمن الدولة العثمانية يصدر مرسوم تعيينه من السلطان العثماني فكان المفتي الأسبق الشيخ خليل جحجاح (وكان تعيينه مفتياً للباب والجبول) ثم تلاه الشيخ حاج شريف عبد الغني الدرويش وكان كاتب فتواه الشيخ محمد القصاب، ثم العلامة الشيخ أحمد النعساني رحمهم الله جميعاً.

إسناد الإفتاء رسمياً للشيخ محمد سعيد المسعود

وبعد أن تم اختيار العم الشيخ محمد سعيد رحمه الله لمنصب (إفتاء الباب) من القصر الجمهوري صدر المرسوم الجمهوري رقم (٧٣٨) المؤرخ ٢٣ رجب ١٣٦١ الموافق ٥/٨/ ١٩٤٢م ووجه إلى المفتي العام بناء على اقتراحه، فتم توجيه هذه الوظيفة إلى العم الشيخ محمد سعيد من قبل سماحة المفتي العام للجمهورية العالم الفاضل الشيخ محمد شكري الإسطواني رحمه الله وأجزل مثوبته؛ وفيما يلي نص التوجيه : حضرة الفاضل الشيخ محمد سعيد بن الشيخ محمد أبو السعود مفتي قضاء الباب المحترم..

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين القائل ﷺ:«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين». وعلى آله الهداة المرضيين، وأصحابه أجمعين.

أما بعد: بناءً على المرسوم رقم ٧٣٨ المؤرخ ٢٣ رجب ١٣٦١ هـ الموافق ٥ آب ١٩٤٢ المبني على اقتراح مقام الإفتاء العام القاضي بتعيينكم (مفتياً) من المرتبة التاسعة في قضاء الباب بمرتب قدره (أربعون ليرة سورية) مضافة إليه الضمائم القانونية **فأطلب منكم أعز الله شأنكم، أن تنهجوا في هذه الوظيفة الشريفة، على تحري أصح أقوال أئمة مذهب سيدنا الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان قدس الله تعالى سره، وتحاشي الأقوال الضعيفة وذلك في المعاملات والأحوال الشخصية فيما بين الناس، وأن يكون توقيعكم (مفتي قضاء الباب)**

وأن لا تتقاضوا أجراً على الفتوى، وأن تبعثوا غاية كل شهر جدولاً يحتوي بيان صور ماصدر عنكم من الفتاوى بعينها لأجل

التدقيق، أسوة بسائر المفاتي، أمدني الله تعالى وإياكم بمدد صاحب الشريعة الإسلامية الأعظم ﷺ

المفتي العام للجمهورية السورية

محمد شكري الاسطواني / توقيع

وكان الإختيار بحمد الله موفقاً، ودعوات الصالحين مستجابة، وباشر العم الكريم مهام عمله (مفتياً) رسمياً، وقد كان قبلها مفتياً عملياً، إذ ما فتئ الناس يسألونه ويستفتونه في أمور دينهم ودنياهم منذ عاد من المدرسة الخسروية، وتابع شأنه؛ يدرس في المدرسة المعبدية لطلاب العلم وفي مساجد البلدة لعامتها، ويطوف في أسواقها، يسأله هذا، ويستفتيه ذاك..

وقد هنأه إخوانه ومحبوه وأهل بلده بهذا الإختيار الموفق.. وكان من طرائف التهاني رسالة وجهها شيخه الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله تعالى إلى والده الشيخ محمد المسعود في مقدمتها (**الحمد لله الذي يكون بنصرته مع الضعيف حتى يتعجب القوي**).

وقد عثرت بين أوراقه رحمه الله على تهنئة وهي أبيات شعر موقعة باسم (محسوبكم الشيخ ناجي الحسيني الساكن خان التوتون العتيق (حلب) وهي بخط جيد كتبه خطاط، دون تأريخ، وأحسبها بمناسبة فوزه بالإفتاء وهذه هي بنصها:

خلاصة أهل الفضل والمحامد، السيد النبيل، المفتي الجليل، من تفاخرت به أبناء دهره، وترعرعت من فيض مكارمه أهل عصره، فضيلة الأستاذ العالم العامل الشيخ محمد سعيد مفتي بلاد الشرق المحترم حفظه الله آمين:

لا يبلغ المجدَ إلا صاحبُ الهمم ولايكيد الأعادي غيرَ كل كمي

وليس يرقى متوناً للفخار سوى ... موشح بالهدى والعلم والحكم
ولا ينال مقاماً عز مطلبه ... إلا همامٌ حزومٌ راسخُ القدم
إن كان للشرق فخر يُسْتَعَزُّ به ... فإنك الفخر مفتيٌّ على عَلَم
أنت الذي اختاره رب العبادلنا ... سعيد مسعودنا بالله معتصم
فأسأل الله أن يبقيك في نعم ... وسؤالي العذر منكم غير مختتم

وبقي في منصب الإفتاء حتى أدركته المنية، بنهاية شهر كانون الأول ١٩٧٦ الموافق ٨ محرم ١٣٩٧ رحمه الله وأجزل مثوبته.

وقد تحصلت لديه سجلات ضخمة من الفتاوى التي كان يسأل عنها فكان يدونها في سجل خاص بها وترسل صورة منها إلى إدارة الإفتاء العام وماكانت بحمد الله تجانب الصواب المفتى به في فقه دين الله سبحانه حتى أن المفتي العام الشيخ أبو اليسر عابدين رحمه الله تعالى قال لما سمع بوفاته: لقد بقي الشيخ محمد سعيد مفتياً طيلة ٣٥ عاماً ولم أصحح له فتوى، ولم أجد له فتوى خاطئة.. وذلك فضل الله الذي بارك في عمله وألهمه السداد والصواب... (وسنذكر في فصل لاحق، نماذج من فتواه رحمه الله تعالى)..

الفصل السادس

في مجالات الحياة

١٥ – أنشطته العلمية والاجتماعية : كان رحمه الله تعالى طاقة متقدة من المواهب والنشاط والعمل الدؤوب لخدمة الإسلام وإعلاء دين الله فما منعه منصب الإفتاء، ولاحجزه عن نشر العلم، وتعليم الطلاب، وبناء المساجد، وإكرام الضيوف، وتفقد الأرامل والأيتام والفقراء، بل كان هذا المنصب (الإفتاء) قاعدة ليوسع منه نشاطه الإجتماعي والإصلاحي في البلدة، والسعي الدؤوب لنشر الفضيلة والخير فيها وإحياء معالم الشعائر الإسلامية، والتعاون على البر والتقوى، وإصلاح ذات البين، ومشاركة الأمة مناسباتها الدينية والوطنية، وكل مايؤول إلى نفع العباد والبلاد. وكان همه العلم والتعليم، وإصلاح الجوامع القديمة، وإنشاء المساجد الجديدة...

ففي التعليم: كان يسعى إلى تأسيس مدرسة شرعية في البلدة، على غرار المدارس الشرعية في حلب، منطلقاً من المدرسة المعبدية التي كان يقوم بالإشراف عليها والتدريس فيها – كما رأينا – وحاول عدة محاولات في هذا الشأن وسعى إلى تأسيس جمعيات خيرية تنهض بهذا الأمر وتقوم بسد الجوانب المالية والإجتماعية لهذا الموضوع.

وسافر إلى عدة مدن فيها مدارس شرعية، وأخذ أنظمتها ودرسها، وشرع في إعداد مسودات لمشروع تشكيل جمعية خيرية تعنى بهذا الأمر..

التأسيس الأول لمدرسة شرعية : وقام بعام ١٣٧٥ هـ ١٩٥٧م بإنشاء مدرسة شرعية مقرها الجامع الكبير دَرَّس فيها لطلبة العلم هو وبعض

زملائه من أهل العلم، وجمع من أهل الخير نفقتهم الشهرية – بشكل راتب نقدي – وأمّن إيواء الغرباء منهم في غرف مساجد البلدة، وكانت الدراسة فيها لمدة سنتين، يتأهلون بعدها للقبول في إحدى المدارس الشرعية بحلب. وتخرجت منهم عدة دفعات.. نذكرهم في فصل تلامذته إن شاء الله تعالى..

ولكن الهم الأكبر الشاغل له كان تأليف جمعية خيرية نظامية تتكفل بالإنفاق على طلبة العلم، فظل هذا الهم مصاحباً له، وقد اطلعت في أوراقه على مسودة كنموذج لتشكيل هذه الجمعية ولكنها لم تر النور ولم تعلن ولم تشهر..

ورغم هذا فقد كان عضواً في **جمعية البر والأخلاق الإسلامية في حلب**، وعضواً في **جمعية النهضة الإسلامية في الباب**، منذ تأسيسها إلى تاريخ وفاته ١٩٩٧ هـ ١٩٧٦ م..

وكان **رئيساً ومؤسساً لجمعية رفع المستوى الصحي** في الباب، التي كانت تعنى بشؤون الصحة، ومكافحة المرض والفقر، ومداواة الفقراء، وتحسين وضعهم الصحي.

وها أنذا أنقل من مسودات الشيخ محمد سعيد التي حررها لتشكيل جمعية خيرية ماكتبه كمشروع لنظام داخلي لها ومنه يتبين لنا كم كان هدف التعليم، ورفع المستوى الديني والإجتماعي والخلقي والصحي، كم كان هذا الهدف مستحوذاً عليه، وشاغلاً له.

المسودة الأولى: مسودة نظام داخلي لتشكيل جمعية باسم (جمعية التهذيب المحمدي) ولم يذكر تايخاً لهذه المسودة أو الجمعية، **شعار الجمعية**: قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾. سورة النحل.

الدافع على تأليفها: قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ سورة آل عمران.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ التوبة.

وقوله ﷺ: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم ذلاً لاينزعه منكم حتى ترجعوا إلى دينكم**».[1]

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**».

كما في صحيح مسلم، وقال ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْرِ النَعم**».[2]

م١ – تألفت في قضاء الباب جمعية دينية أخلاقية سميت (التهذيب المحمدي)[1] مركزها مدينة الباب.

م٢ – **غاية الجمعية**: تثبيت العقيدة الإسلامية وتقويتها في نفوس المسلمين، ونشر العلم الديني بجميع وسائله، وبث الأخلاق الفاضلة، ورفع مستوى العلماء والمتعلمين، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذاعة محاسن الدين الحنيف بين أفراد المسلمين.

م٣ – **تستعين الجمعية لتحقيق غايتها بـ**:

---

[1] – الحديث كما في الجامع الصغير: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلايستجاب لهم». رواه البزار ورمز السيوطي لحسنه، لكن المناوي ذكر أن العراقي والهيثمي ضعفاه.

[2] – رواه الطبراني عن ابن رافع وذكره في الجامع الصغير بلفظه: «خير لك مما طلعت عليه الشمس ..»

[1] – ويبدو أن الشيخ رحمه الله تعالى بعد أن اختار هذا العنوان للجمعية، كتب بجانبه بقلم الرصاص عناوين أخرى مثل (جمعية نشر العلم والفضيلة، جمعية أنصار الدين والعلم، جمعية الهذيب الإسلامي المحمدي).

أ – تأسيس مدرسة دينية تدرس فيها العلوم الشرعية، ومايتبعها من العلوم العربية، وما يحتاج إليه فيها من العلوم الكونية.
ب- بإرسال المدرسين والوعاظ من القرى والإهتمام بتوجيه معلمي أطفالها، باعتبارها مواطن نشر التثقيف الديني والأخلاقي.
ج- ملاحظة شؤون المساجد على الأخص في القرى، بالمحافظة على ماوجد منها، والعمل على إيجاد (المساجد) في القرى الخالية منها، ورفع مستوى أئمتها وإرسال الخطب والنشرات إليهم.
د- بتعميم الوعظ والإرشاد بقدر الإمكان في مساجد المدينة ومعاهدها ومنتدياتها.
هـ - بانتداب الجمعية في المناسبات من يحاضر باسمها في الدين والأخلاق والاجتماع لنشر محاسن الإسلام.
د- طباعة نشرات دينية وخطب أسبوعية حين اللزوم.
م٤ – تساعد الجمعية المدارس الشرعية، وتتعهد المعاهد العلمية بإحكام الصلة والثقة المتبادلة بين مراجعها وبين الجمعية للتعاون على رفع مستواها الديني والخلقي والعملي.
م٥ – تسعى الجمعية في إزالة المنكرات، والإنكار على مرتكبيها، والأمر بالمعروف، وإصلاح ذات البين، وتبالغ في النصيحة، كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، ومراعاة أدب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
م٦ – تنظيم صدقات المسلمين بقدر المستطاع.
م٧ – الجمعية دينية، أخلاقية، لا دخل لها بالسياسة، ولا بالحزبية، ولا بالعشائرية.
م٨ – **مؤسسو هذه الجمعية هم السادة العلماء**: الشيخ محمد بدر، الشيخ محمد الشيخ مسعود، الشيخ صادق الغزال، الشيخ حمدان الصالح، الشيخ عبد الله الزعيتر، الشيخ حسن الهاشم، محمد سعيد المسعود مفتي الباب، الشيخ عبد الله الشيخ سليمان، الشيخ أحمد

حامد النعساني، الشيخ يوسف الطالب، الشيخ أديب الزكور، الشيخ عبد الله النعمة، الحاج سليم الراغب، الشيخ أديب العباس، الشيخ ناصر أبو زلام، حاج عبد الجواد الشواف، محمد الحمزة، محمد علي موصلاوي، حاج محمد علي المغربي، الشيخ رشيد الصالح.
وعضوان أو ثلاثة من كل محلة من محلات بلدة الباب يقدمهم أهل المحلة من ذوي الأخلاق الفاضلة المحافظين على الشعائر الدينية.
م٩ – يعتبر السادة المؤسسون كلهم أو بعضهم حسب اختيارهم حين الاجتماع الأول مع التقاء المؤسسين للجمعية مجلس إدارة، ينتخبون من بينهم الرئيس ونائبه، والمحاسب والخازن وأمين السر.
وقد ذكر بقية المواد التي تنظم عمل الجمعية، وماليتها واجتماعاتها، وكيفية قبول أعضائها، ومايلزم الشؤون التنظيمية.
وقد ألحق بمشروع النظام الداخلي الذي ذكرنا آنفاً أسماء لجان المؤسسين ومجلس الإدارة، واللجنة التحضيرية، ولجنة المعاهد العالية، ولجنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واللجنة المالية، وذكر ملحق آخر بعض أسماء رجال الأحياء في البلدة، وهناك مسودة ثانية حول هذا الموضوع، اكتفينا بالأولى منها.
١٦ – المحاولة الثانية لفتح وبناء مدرسة شرعية: وعلى كل حال، فقد نتج عن هذا الجهد بعام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م مدرسة علمية شرعية كان مقرها الجامع الكبير الباب، وانتسب إليها الطلبة من أبناء الباب وماحولها من القرى، درَّسَ فيها رحمه الله مختلف العلوم، كما ضم إلى هيئة تدريسها العلماء الذين كانوا في ذلك الوقت في البلدة، أمثال الشيخ صادق غزال، والشيخ عبد الله زعيتر، والحاج عبد الحميد أبو جمعة، وغيرهم.
وكان العم الفاضل يقوم بتدريس المواد التي يتخلف أساتذتها أولايوجد من يدرسها، وأصبحت المدرسة شغله الشاغل، وأهمه أمرها جداً كيف يؤمن المال اللازم للطلاب، وأين يؤي الغرباء منهم،

وكيف يؤمن لهم الكتب، والمدرسين، وأين يتابعون تحصيلهم و.. و..
وزار المدرسة الشعبانية بحلب واتفق مع إدارتها على قبول الطلاب الذين يتهيؤون في مدرسة الباب للدخول إلى المدرسة الشعبانية بعد امتحان يجري لهم ليقبلوا في الصفوف الموافقة لتحصيلهم وكانت المدرسة الشعبانية آنذاك (معهداً علمياً شرعياً) غير خاضع لأنظمة وزارة الأوقاف (الثانويات الشرعية) ولاتتقيد بأنظمة هذه الثانويات الشرعية من حيث سن قبول الطلاب أو مواد تدريسهم..

ومضى على هذا الحال عدة سنوات تخرج من هذه المدرسة بعد دراسة سنتين (لكل فوج) أجيال من طلبة العلم تابعوا تحصيلهم العلمي في مدارس حلب، كالشعبانية والخسروية (الثانوية الشرعية) وغيرها، وأكملوا التعليم العالي في جامعات دمشق والقاهرة (الأزهر) وانتفع منهم الناس والحمد لله تعالى، وسنذكر من علمنا منهم في فصل تلامذته (إن شاء الله تعالى).

المحاولة الثانية: وشاء الله أن تنطوي صفحات هذه المدرسة لأسباب لانعلمها، وقد تكون الأسباب مادية (عدم توفر المال اللازم).

ونتيجة جهوده رحمه الله وحضه لجمعية النهضة الإسلامية في الباب على افتتاح مدرسة شرعية تنفق عليها الجمعية، فقد تم إحداث هذه المدرسة بعام ١٣٩٦ هـ، ١٩٧٦م، قبل وفاته رحمه لله واستمرت حتى عام ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠م، حيث أوقفت من قبل الجمعية نفسها وتابع طلابها الدراسة في مدرسة الأرقم بن أبي الأرقم في منبج.

قال أخي عبد الله: وقد زار مدرسة (الكلتاوية) وكنت مدرساً فيها وكان مديرها الأستاذ أحمد مهدي الخضر، وتدارس مع الإدارة أوجه التعاون معهم.

وقدم الأستاذ الخضر كل إيجابية وكان من نتيجة الزيارة هذه الرسالة:

وقد عثرت في مسوداته على صورة كتاب قدمه لجمعية النهضة في الباب من أجل افتتاح هذه المدرسة مؤرخ ١رمضان ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦/٨/٢٨ هذا نصه: السادة رئيس وأعضاء جمعية النهضة الإسلامية في الباب زاد الله توفيقهم لما يرضي الرب وينفع الشعب آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

فإنني أقدم إليكم صحبة كتابي هذا وهو البيان الموجز عن أعمال جمعية النهضة بالمعرة راغباً إليكم أن تقوم جمعيتكم المباركة بمثل مافيه من إنشاء مدرسة دينية كمدرسة نهضة معرة النعمان وبذلك تغنمون من الله الأجر الجزيل ومن الأمة الشكر الجميل ومن ضمائركم الحية الطاهرة الطمأنينة والبهجة؛ أيها الأخوة الأكارم:

إنني باسمي الشخصي أتعهد بالأمور التالية إذا تكرم الله تعالى عليكم بالقيام في هذه السنة بهذا العمل الجليل الجميل:

١-أن أكفي جمعيتكم المبرورة المشكورة مؤونة التدريس كله فيها بأن أقوم بذلك بنفسي أو بغيري أو بنفسي وغيري.

٢-أن أقدم للطلاب مايلزمهم من قرطاسية وألواح وأدوات كتابة.

٣-أن أقدم للطلاب مايلزمهم من كتب مدرسية.

أيها السادة؛ إنني قد علمت من صاحب الفضيلة رئيس جمعية ومدرسة النهضة الإسلامية بمعرة النعمان [1] الأمور التالية:

١- إن عدد الطلاب في مدرستهم المشار إليها قد أصبح يفوق المائة وعشرين طالباً مواظبين.

٢- وأن الراتب الشهري أو المساعدة الشهرية للطالب قد أصبح يتراوح بين/٢٠_ ٣٥/ ل س

٣- وقد أصبح راتب المعلم فيها /٣٠٠/ ل س يقتطع منها ٢٠ ل س ضريبة الدخل.

---

[1] - هو الأستاذ الفاضل والعالم العامل المربي الكبير الشيخ أحمد الحصري رحمه الله تعالى .

٤- وإن ماتصرفه جمعيتهم الموفقة على طلاب المدرسة المذكورة يفوق ٨٥ % أكثر من خمس وثمانين أو تسعين في المائة من واردها السنوي.

٥- أن رجال الجمعية المشار إليها قبل إنشاء المدرسة المذكورة كانوا يبذلون الجهد الكثير فيجمعون المبلغ القليل من أهالي قرى المنطقة والمحافظة المجاورة الذين كانوا يقولون لهم إن كان عندكم في المعرة فقراء وأيتام وأرامل فعندنا فقراءنا من هم مثلهم بل أشد منهم فقراً وحاجة ففي أي دين يجوز لكم أن تنقلوا ماخصهم الله به وحرم نقله إلى غيرهم فأنتم معاقبون آثمون من حيث تظنون أنكم سالمون أو مثابون، إذ إنكم تنهبون حق فقراءنا مأزورين لتقدموه إلى فقراءكم غير مشكورين، ولما أوجدت جمعية االنهضة المدرسة العلمية الدينية بالمعرة أصبحوا يقدمون لها بسهولة مع الشكر الحبوب الوافرة والأموال باعتبار وجوب كفاية طلاب العلم على الشعب المسلم بأجمعه.

٦- ولقد رأيت بعيني في بيت الأستاذ الكريم رئيس المدرسة والنهضة شخصية محترمة من أهالي محافظة إدلب يقدم للأستاذ عدة مئات من الليرات باسمه وباسم أشخاص أو مجموعات فيأخذ بها عدداً من الإيصالات.

وفقكم الله لمرضاته ولكل عمل مبرور آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أكررها عشرين آميناً والسلام على من اتبع الهدى ولم يقدم على رضاء الله أحداً.

١رمضان ١٣٩٦ هـ الموافق آب ١٩٧٦محمد سعيد بن الشيخ محمد المسعود أحد أهالي الباب

وكان هذا قبل وفاته بأربعة أشهر إذ أنه توفي ٨/محرم ١٣٩٦ هـ ٣١ /١٢/١٩٧٦م

١٧ – **تعليمه في المدارس الرسمية**: وزارة المعارف (التربية) ،ولما أسست المدرسة النظامية التجهيزية بعد الابتدائي بعام ١٩٤٨م في بلدة الباب، وكان يقال للمدرس الإعدادية والثانوية (التجهيز) اختاره الأستاذ المربي ياسين النجار رحمه الله مدير تلك المدرسة لتدريس مواد (التربية الإسلامية، واللغة العربية)، ثم لما انتقلت إلى بنائها الجديد باسم ثانوية البحتري ظل يتابع فيها تدريس هذه المواد، إلى أن تقدمت به السن، وكثرت أعباء الحياة عليه، وبنفس الوقت كثر مدرسو المواد الذين تعينهم وزارة التربية؛ فترك التدريس فيها، ليتابع تدريساً من نوع آخر.

تعليمه الشباب وطلاب المدارس: هذا النوع الآخر هو تعليم طلاب المدارس، اللغة العربية، نحواً وصرفاً وبلاغة، إضافة إلى تقويتهم بالمواد الأخرى من العلوم الشرعية، والقرآن الكريم.. وكان يقيم دورات في المساجد يقبل عليها الطلاب، تقوية للغة العربية، وكانت وسيلة للتربية والأخلاق والإيمان.

حيث توجه بكليته إلى الشباب طلاب المدارس، وبخاصة بعد انفتاح الثقافات المعاصرة، وانتشار الأفكار غير الإسلامية في صفوفهم، نتيجة تقدم وسائط الإعلام، وكثرة التيارات المناوئة للفكر الإسلامي.

وصار – رحمه الله – يطلب من الأساتذة والعلماء وبخاصة الشباب منهم العناية بالطلاب، والتوجه نحوهم بمزيد من الرعاية والتعليم والتربية، والإلتفاف حولهم لوقايتهم من التيارات الفكرية الغازية للأمة فكان لا يفتأ يعلم فئة، ويقيم الدورات التعليمية الأخرى، ويوكل بهم من طلاب العلم من يعتني بهم ويتفقد الجميع، ويعلم بنفسه، ويختبر الطلاب والشباب، ويقيم لهم المسابقات، ويكافئهم بالجوائز والهدايا، ويحض الآباء والمعلمين على العناية بهم في دروسه وخطبه، ولقاءاته للناس والمعلمين بخاصة، إذ كان هاجسه وهمه رحمه الله هو هؤلاء الشباب

وعلى الأخص منهم الطلاب، فكأنهم كلهم أبناؤه الصلبيون من شدة ماكان يهتم بهم ويحرص على تربيتهم.

ومامن شاب من شباب البلدة الذين درسوا في مدارسها أو عاشوا فيها إلا وله معه حكاية أو موقف أو له عليه تربية أو توجيه أو تعليم، يحكيها لك إذا جاءت سيرته بكثير من الإعظام والإجلال والاحترام مع الدعاء له بالرحمات والمغفرة...

١٨ – نشاطاته الإصلاحية :

١- المساجد : كانت المساجد من أهم هذه النشاطات فقد كان همه بناؤها وإصلاحها وترميمها وتوسيعها والعناية بالقائمين عليها من أرباب الشعائر الدينية أئمة وخطباء ومؤذنين وخدم..

فكم كان يقف معنا وينظر إلى المسجد الكبير في الباب وإلى بنائه الذي يبدوا عليه آثار القدم والتداعي، وكم كان يسعى لترميمه وإصلاحه، (تم بحمد الله بعام ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٤م ترميم وإصلاح الجامع الكبير داخلياً وخارجياً).

وكان هاجسه إعمار المساجد في الأحياء الجديدة التي تقوم في البلدة، توسعاً وامتداداً للبلدة القديمة، ولما سعى في إنشاء جامع النصر بعام ١٣٦٦هـ كان همه متى ينتهي، حتى أعانه الله مع أهل الخير على إتمامه (جدد كلياً هذا الجامع بحمد الله بعام ١٤١٢هـ الموافق ٢٠٠٠م) وما أن انتهى منه، حتى كان هاجسه الآخر جامع الخيرات، في مدخل البلدة، ولما انتهى بفضل الله وعونه ومعونة أهل الخير بعام ١٣٧٥هـ كان جامع عثمان بن عفان في طرف البلدة الشمالي الشرقي شغله الشاغل، حتى انتهى منه بعام ١٩٦٥م تقريباً (جدد أيضاً كلياً بعام ١٤١٨ هـ الموافق ١٩٩٨م)، أما جامع عمر بن الخطاب الذي انتهى من بنائه بعام ١٩٦٠ فقد أخذ معظم وقته، وكل جهده آنذاك.. (وسع بحمد الله هذا الجامع ثلاث مرات الأولى بعام١٤٠٠هـ ١٩٨٠ والثانية ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، والثالثة بعام ١٤١٢هـ

وانتهت التوسعة بعام ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، وهي توسعة شاملة، وإعادة بناءٍ حتى أصبح بحمد الله درة للناظرين والحمد لله رب العالمين.

٢- الأوقاف : مؤسسة خيرية، أصلها ما أوقفه المحسنون من هذه الأمة لصالح الخير والمساجد، من عقارات وأموال أخرى، ويصرف ريع هذه العقارات لمصلحة المساجد والمدارس الشرعية، وقراء القرآن، ووجوه الخير الأخرى، وأموال كل بلدة أو قرية تصرف فيها فقط، إذ أن مالية الأوقاف وإيراداتها تصرف لمصالحها وفي ذات البلدة حصراً وحتى الآن، وغالباً لاتكفي الوادات لتغطية النفقات، ولذلك فقد صدر المرسوم الجمهوري لعام ١٩٨٠م، بإعانة دوائر الأوقاف بفروق الرواتب عندما تزداد الرواتب، وقد كان في كل مدينة (منطقة) مجلس أوقاف يدير شؤونه مع مدير الأوقاف وموظفيه..

وبحكم كونه مفتياً، فقد كان رسمياً؛ رئيساً لمجلس الأوقاف في البلدة الذي ينظر في شؤون أملاك الأوقاف وإدارتها وعمارتها وشؤون موظفيها، ولكن العوائق كانت تقف أمامه، عوائق المال، فلم يكن آنذاك متوفراً، فالمساجد كثيرة وموظفوها أكثر، وواردات الأوقاف لا تكفي لنصفها، ولذلك اتجهت همته كما أسلفنا إلى العمل في إصلاح وعمارة المساجد خارج نطاق دائرة الأوقاف المالية.

٣- المجالات الإجتماعية والفكرية والتربوية :

كان يتفقد الأسر الفقيرة والمحتاجة ويوصل إليها االمعونات والمؤونات، إما من ماله الخاص وإما بمساعدة أهل الخير..

وقد تبين بعد وفاته أنه كان يعول كثيراً من الأسر سراً، ولم يعرف هذا إلا بعد وفاته رحمه الله وأجزل مثوبته.

وقدمنا أنه كان رئيساً لجمعية رفع المستوى الصحي في الباب التي افتتحت مستوصفاً لمداواة الفقراء وتقديم الدواء المجاني والعلاجات المختلفة لهم، حتى توقفت بعام ١٩٧٥م تقريباً. [١]

والأهم من ذلك كله: أنه كان رحمه الله يسعى إلى جمع كلمة أهل العلم والنهوض بمستواهم العلمي والمعيشي والإجتماعي ما أوتي إلى ذلك سبيلاً.

وكان يشارك في الجمعيات الخيرية ونشاطاتها ويعمل مع أربابها والقائمين عليها – كما أسلفنا – وما من جهة من جهات الخير أو البر أو التعليم أو الإصلاح يسمع بها إلا ويمد لها يد العون بل يكون من أوائلها فهذه الجمعيات الخيرية والإصلاحية، والجماعات الإسلامية، كانت كلها تعتبره راعيها وداعمها والمقدم فيها وكان يعتبر نفسه في كل هذه الجهات واحداً منها..

وكثيراً ماكنت اسمعه يثني على نشاطات العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أو مجالات الخير والإصلاح ويقول: ليرتق هؤلاء العاملون للإسلام على ظهري، ويطؤوا عليه، في سبيل خدمة الإسلام..

فكانت الجمعية الغراء في دمشق تعتبره أحد عضائها العاملين لها في محافظة حلب.

وكانت جمعية البر والأخلاق الإسلامية بحلب تعده من أبرز العاملين بها النشيطين في المنطقة، وكانت جمعية النهضة الإسلامية في الباب تعتبره من مؤسسيها والناهضين بها..

وكان الشباب المسلم بكافة فئاته وتجمعاته يعتبرونه راعيهم، والوالد الروحي لهم، بل وأكثر من ذلك، كان الشباب النشطون حتى من غير الإتجاهات الإسلامية يعتبرونه صديقاً لهم ودوداً ومستشاراً أميناً..

---

[١] – تم بفضل الله وتوفيقه تأسيس جمعية خيرية في الباب باسم الجمعية الإجتماعية لرفع المستوى الصحي في الباب وشهرت بأواخر عام ١٩٩٦ م.

وكثيراً ماكان يقول يابني: لنأخذ أبناءنا وشبابنا وطلابنا من أيدي أعدائنا الذين ليسوا على منهجنا، لنخطفهم من أيدي الذين يتربصون بهم الشر فنحن أولى بالخير لهم.

وكم كان يتمنى أن يرى اليوم الذي يعم فيه الشباب المسلم الواعي المتعلم من أصحاب الشهادات العالية ويشغلون كافة مرافق الحياة ؟!

ويقول كم هو جميل أن نرى شبابنا وهم يحملون لقب (الدكتوراه) في كافة مجالات العلم والحياة.

١٩ – من أجل فلسطين: وماأدراك مافلسطين ؟! كانت هماً للمسلمين ولا تزال منذ أن دنست أقدام يهود ذلك التراب الطاهر..

ولما عقد مؤتمر العلماء في القدس بعام ١٩٣٦ من أجل فلسطين كان رحمه الله تعالى فيما أظن من الذين حضروه مع الشيخ مصطفى أبو زلام والشيخ سعيد الدرويش.

إذ لما وقع الاعتداء المسلح من عصابات يهود أوائل عام ١٩٣٦ على أهالي فلسطين قبل قيام دولتهم، تداعى العلماء لعقد مؤتمر القدس المشار إليه، ثم ارتأت الجهات الوطنية في سورية إبان الحكم الفرنسي أن تجمع التبرعات لمنكوبي فلسطين..

وكانت الكتلة الوطنية في سورية التي تجمع الشخصيات السورية المناوئة للاستعمار الفرنسي قد قررت جمع الإعانات لمنكوبي فلسطين فأرسل مكتب الكتلة الوطنية بحلب بتوقيع الدكتور عبد الرحمن الكيالي كتاباً إلى مسؤول الكتلة في الباب النائب عبد القادر رحمو الشهابي لاستنهاض الهمم وإغاثة أهل فلسطين وقررت الكتلة الوطنية في الباب تشكيل لجنة من وجهاء الباب وعلمائها لجمع الإعانات والتبرعات وإليكم صورة عن الكتاب: بناءً على ماورد في كتاب الكتلة الوطنية بحلب المشروح صورته أعلاه، فقد نسبنا إرسال لجنة مؤلفة من السادة الأستاذ الشيخ محمد سعيد أفندي مسعود والشيخ حمام أفندي النعساني والسيد محمد رسول سيد عبد الله،

والسيد محمد نعمة، والسيد معروف نومة، لأجل جمع الإعانات من ذوي البر والإحسان لمنكوبي فلسطين، فنأمل من ذوي الغيرة الدينية والشهامة العربية مؤازرتهم بهذه المهمة والله لا يضيع أجر المحسنين.

١٩٣٦/١١/٢١

عن فرع الكتلة الوطنية في قضاء الباب
عبد القادر رحمو / توقيع

وقام الشيخ محمد سعيد مع إخوانه المذكورين أعلاه بمهمة لاتعرف الملل، ونشاط لا يعرف الكلل، بجمع التبرعات وإيصالها لمستحقيها، وتتابع حث الناس ودعوتهم للعمل من أجل فلسطين.. ولكن جهد الشيخ محمد سعيد رحمه الله مع كافة إخوانه من أهل العلم وأهل الخير، بل وعامة أهل البلدة كان واضحاً بعد النكبة بعام ١٩٤٨م واحتلال فلسطين، وتشرد أهلها، ووصل قسم كبير منهم لبلدة الباب، فلم تعرف عينه الغمض، ولم يعرف جسمه الراحة، حتى تم إيواؤهم في المدارسٍ والجوامع، وجمع الإعانات والإغاثات الفورية لهم، غذاءً وكساءً ومأوى، حتى استقروا في البيوت ووجدوا أعمالاً، وذهب أطفالهم إلى المدارس..

وما زال رجالهم ونساؤهم يذكرون عمله المبرور ذلك بكل شكر وتقدير..

الفصل السابع

تلامذته والدارسون عليه

٢٠ – وإذا ذكرنا تلامذته: فمن الذي نثبته ومن الذي نهمله ؟ وهم الجم الغفير، والجمع الكبير، منذ أن تخرج من الخسروية بعام ١٩٢٩م، واتخذ المدرسة المعبدية خلية حية للعلم والتعليم صباحاً ومساءاً، كما أن الذين نهلوا العلم على يده في المساجد وفي البيت، وفي المدارس الثانوية خلائق لايحصون..

وفي الحقيقة لايمكن حصر هؤلاء أو تعدادهم، ولكن نذكر من تسعفنا الأوراق والسجلات بأسمائهم وسني قراءتهم عليه، وحسبما أفادونا هم عن أنفسهم وعن زملائهم..

فمن الرعيل الأول والطبقة الأولى التي درست عليه مختلف العلوم الشرعية والعربية في المدرسة المعبدية السادة، الشيخ علاء الدين علايا، والشيخ رشيد صالح النجار من تادف، والشيخ محمد الشامي، والأستاذ يحيى النعساني، والحاج أحمد الحمدو العثمان رحمهم الله من الباب.

ثم بعدهم طبقة الشيخ محمد حمو رحمه الله من الشيخ جراح (الباب) ومن بعدهم أيضاً السادة: محمد علي زعيتر، عبد الله الحاج لطوف النعساني، عبدو الكامل الشهابي، عبد الرحمن الشيخ أحمد الحامد النعساني من الباب،

ثم بعدهم بعام ١٩٥٥- ١٩٥٦م السادة: محمد حسن الحمد (من قبتان منطقة اعزاز) والسيد عبد اللطيف عزت من الباب وكذلك الأستاذ عمر الأحمد من جبل عقيل الباب، ومن طبقتهم السادة:

أحمد عليوي الرجب وخليل درويش من بزاعة، وحسن رشيد نجار من الباب.

ومن المفيد أن أثبت هنا ماكتبه لي الأخ محمد حسن الحمد عن دراسته لدى الشيخ محمد سعيد المسعود رحمه الله هو وإخوانه المذكورين أعلاه مبيناً فيه مواد الدروس والمدرسين ونبذة عن الشيخ العم محمد سعيد رحمه الله تعالى، ومما يلفت النظر أن من أهم ماكان يمتاز به رحمه الله بالنسبة لطلاب العلم، هو تشجيعهم على الاستمرار في الطلب، ومعاونتهم على إكمال الدراسة، وإبرازهم وتقديمهم في كافة المجالات، فقد كان رحمه الله لا يفتأ عن ذلك، فتراه حيثما جلس يقدمهم ويحترمهم، ويطلب منهم الحديث والتدريس، أو الخطابة - حسب الحال - ويستمع لهم باهتمام، ويثني عليهم بعد الدرس أو الخطبة، جاعلاً من عمله هذا درساً عملياً لمن حوله في كيفية احترام وتقديم طلبة العلم ورفع شأنهم.

وهذا ماكتبه الشيخ محمد حسن الحمد بحروفه: لقد جئت إلى مدينة الباب العامرة بالعلم والعلماء وذلك بعد أن سمعت من أحد أهل القرية أن مفتي الباب قد أعلن في خطبة الجمعة عن افتتاح مدرسة شرعية وأن الطالب يؤمن له فيها السكن ومرتب قدره خمس عشرة ليرة سورية فقلت لوالدي رحمه الله أريد أن أذهب لطلب العلم فأجابني لذلك فجئت بصحبة والدي، ولما وصلنا الباب قصدنا الأستاذ المفتي رحمه الله ورضي عنه وجزاه عنا خير الجزاء وأعظم أجره فوجدت شيخاً جليلاً صبيح الوجه طلق المحيا فرحب بنا وقبلني طالباً نظامياً وواظبت على الدراسة بانتظام مع زملائي الشباب عمر الجبلي وعبد اللطيف عزت وعبد الحليم النعساني ومحمد سعيد جديد وخليل درويش وأحمد رجب عليوي وثلاثة من بيت عثمان

أذكر منهم حسن بن سعيد العثمان والثاني اسمه محمود بن عثمان الحاج عثمان والثالث لا أذكر اسمه [1].

ومن الرجال الذين كانوا يحضرون معنا الحاج حسين رقية وعبد الجواد بطحيش وكذلك عبد الرحمن شيخ حامد من الشباب فهؤلاء الطلاب الذين بقوا في ذاكرتي.

وأما عن الأساتذة فأولهم وشيخهم الأستاذ المفتي رحمه الله تعالى وجزاه الله عنا خير الجزاء وكذلك الشيخ عبد الله زعيتر والشيخ عبد الحميد أبو جمعة ورابع يقال له أبو حسن وأظن أنه من بيت الشهابي (وهو الأستاذ عبد القادر حسن الشهابي رحمه الله تعالى).

وأما عن تدريس المواد فالأستاذ المفتي الشيخ محمد سعيد رحمه الله كان يدرسنا الفقه الحنفي مراقي الفلاح، والنحو في الأجرومية والكفراوي والدروس العربية وكان وقت الدرس بعد صلاة الفجر وحتى الضحى فحينما ننهي الدرس نصلي الضحى ثم ننصرف إلى غرفنا والشيخ عبد الله زعيتر كان يعلمنا مادة الأدب والأخلاق، وأبو حسن يعلمنا الحساب والشيخ أبو جمعة يعلمنا التجويد، وبقينا سنة ثم قدمنا الأستاذ رحمه الله إلى مدرسة الشعبانية بحلب ومن ثم إلى الثانوية الشرعية بحلب أيضاً وكان الأستاذ رحمه الله يعاملنا معاملة الأب الشفوق الرحيم يقدم النصائح الرقيقة المشجعة ويحكي لنا عن دراسته واجتهاده ويتفقدنا بالليل والنهار، فأسكنه الله فسيح جناته وجزاه عن العلم والعلماء خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٢٦ جمادى الأول ١٤١١هـ ١٩٩١ م

حرر هذه الأسطر محمد حسن الحمد (اعزاز)

---

[1] — هو محمود بن علو العثمان .

الفصل الثامن

نشاطه خارج البلدة

١٧ – أسفاره ورحلاته: لم تكن أسفاره تتعدى مدن القطر السوري، إلا إلى الحجاز لأداء الحج والعمرة مروراً بالأردن وفلسطين، وكانت له زيارات لمدن القطر، ومن أهمها دمشق وحمص والجزيرة، وقرى ماحول الباب.

أما أسفار الحج:

فقد كان أولها بعام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩م (أيلول وتشرين الأول) وكان السفر في الباخرة عن طريق العقبة إلى جدة، وقد هنأه صديقه الأستاذ عمر عادل الأصفري من (إدلب) بأبيات من الشعر وأغلب الظن أنه كان من الموظفين في الباب بذلك التاريخ وإليك نصها:

يقدم لسماحة مفتي قضاء الباب الأستاذ محمد سعيد المسعود تبريكاً بحجه المبرور، وزيارته المقبولة، وتأريخاً لها:

طابَ حظٌ بدا بعَوْدِ السعيد والتهاني لاحت بوقتٍ سعيد
أَمَّ بيتاً مكرماً فقضى الحج وزار النبيَّ خيرَ الوجود
وتملى بزَوْرةٍ تعدل العمـ ـر وتشفي لكل داء شديد
فاز منها بعطفة وقبول وضمان من هول يوم الوعيد
عاد فينا فمرحباً بلقاه وهو باد بمنتهى التمجيد

بسرور أرخته (وبصَفْوْطاب حظٌ بدا بعود السعيد) ١٣٦٨ هـ

المخلص عمر عادل الأصفري

وكانت الحجة الثانية مع سيدي الجد وسيدي الوالد بعام ١٩٥٤، وقد ذكرنا سببها وكيف يسرها الله سبحانه في ترجمة الجد (برقم ٢٥

أسفاره ورحلاته) ثم حج ثالثاً ورابعاً وخامساً، وكان آخرها عمرته بعام ١٩٧٤م مع شيخنا المفضال سيدي الشيخ عبد الباسط أبو النصْر خلف الحمصي النقشبندي وكان برفقتهم ثلة من الأفاضل من العلماء والصلحاء منهم الشيخ الصالح حسين علي كوركانلي (من مشايخ النقشبنيدية في جبل الأكراد) والأستاذ الفاضل عبد السلام بيراوي.

خبر غريب:

هذا الخبر حكاه لنا الأخ الحاج محمد العباس[1] بن الشيخ أديب رحمه الله وكذلك الأخ محمد علي الزعيتر بعدما انتهوا من المولد الشريف الذي يقام صباح كل جمعة في الجامع الصغير في الباب، وكان هذا عام ١٣٩١ الموافق ١٩٧١ قال لهم: ستحدث فتنة في نهاية عام ١٩٧٩ وإذا نجوتم منها فهنؤا بعضكم بعضاً. وقد حدثت هذه الفتنة العظيمة في البلاد السورية. اللهم اعصمنا من الفتن ماظهر منها وما بطن.

---

[1] - توفي هذا الأخ الصالح والمحب الصادق صباح يوم الأربعاء ١٩شوال ١٤٢٥هـ الموافق كانون الأول ٢٠٠٤ م .

الفصل التاسع

العالم الأديب

١٨ – **شعره ونثره:**

كان رحمه الله ونور مرقده، يقرض الشعر ويجيد فنونه منذ أن كان طالباً في السنوات الأولى من عمره، ولكنه لم يقله إلا في المناسبات.. وكان انصرافه – همه الأكبر – إلى العلم والتعليم، وتفقيه الناس في أمور دينهم.

ولعل من أولئك ما نظمه من الشعر، وكان عمره ١٩عاماً أو أقل تلك الأبيات التي شطَّرَ بها أبيات وجدها والده الشيخ محمد المسعود رحمهما الله في شرح الحكم لابن عجيبة وأرسلها لشيخه أبي النصر، وقد أثبتناها في أول ترجمته عند الحديث عن شيخه أبي النصر – رحمه الله وقدس روحه – (فقرة ٨) من هذه الترجمة وهي المبدوءة بقوله:

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها لأن فيضكموا كالمزن درار

وذلك بتاريخ ٩ذي الحجة ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦ م

ثم أرسل رسالة تعزية إلى صديقه الشيخ حسن الحفني في قرية (الشويحة) معزياً بوفاة والده الشيخ محمد الحفني بعام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧ ذيلها بقصيدة نثبت منها مايلي:

وهي تدل على نبوغ مبكر في الشعر والنثر إذ أنها كانت قبل دخوله في المدرسة الخسروية بعامين ولما يتجاوز عمره العشرين عاماً:

السادة المحترمين الشيخ حسن حفني وأعمامه الكرام الشيخ موسى والشيخ أحمد والشيخ مصطفى، والأخوال الأفاضل الحاج عبد الوهاب والسيد عبد الرزاق والسيد عبد العال، لا أراهم الله مكروهاً آمين.

[أجزل الله أجركم، وأطال بقاءكم، ورحم ميتكم، وأنزله منزلاً مباركاً وهو خير المنزلين].

أخي، غِبَّ إهدائكم جزيل السلام، والابتهال إليه تعالى أن يطيل بقاءكم، ويحسن منقلبكم ومثواكم أعرضُ، أن الدهر الخؤون ذو ضُرّ وهو أضَنُّ من أن يسمح بجميع ما يسر، وأن يتجنب عن كل ما يضر، فقد قضت حكمته تعالى أن يكون الدهر يومين، يوم لك، ويوم عليك، فأرجو الله تعالى أن يخفف ما كان عليك ويقرب ما كان لك، إنه بعباده رؤوف رحيم..

أيا حسن الفعال لقيت صبراً ... وأجزل ربك المنان أجراً
وأنزل رحمة عظمى وفيضاً ... لوالدك الذي للخير أجرى
ولا عاد المصاب يصيب حياً ... به أنتم دخلتم فيه عمراً
وبين الخلق نوديتم - عزيزي - ... بخير خليفة لأب، وذكراً
فلا تحزن أخي، ولا تصدى ... فمسكن كل أهل الأرض قبرا
لقد كان المصاب به عظيماً ... ولكن هكذا الديان أجرى
أجاب عزيمة الباري تعالى ... لجنات زهت حسناً ونضرا
على فرش بطائنها حرير ... واستبرق، كذا الحصباء درا
وأكواب وولدان وحور ... وأسكنه بدار الخلد قصرا
فقد نال الشهادة، هنؤوه ... بها، فلأنها زادته فخرا

■وفي عام ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣٠م أرسل رسالة إلى شيخه أبي النصر وذيلها بأبيات وهي هذه: باسمه سبحانه والحمد له، والصلاة والسلام على نبيه:

وكم أتمنى أن أسير إليكم فيمنعني حظي، وما تنفع الكُتْبُ ؟درة هذا العصر، بل إنسان عينه، وقرة عين الدهر وفخر أهله، من مَلَكَ أَعِنَّةَ

النَّهى، وتربَّع دَسْتَ الفضل لجميل خصاله، وجاوز هام السها بعاطر سجاياه وجليل أعماله...

لا زالت مضروبة لحضرته أعلام النصر، وكان لجيد هذا القرن واسطة عقد لقلادة فخر، متعنا المنان بطول حياته، مفيضاً علينا من إفضاله وبركاته آمين، مشمولين بأنظاره وتوجيهاته آمين.

سيدي بعد أن يرفع الفقير سلامه لسامي مقامكم، وتحوز التحية الذليل المتشرف بعز أعتابكم أقول: إن حظي التعيس – لذنوبي الكثيرة – قد عوقني عن الشخوص لأبوابكم والوقوف في أعتابكم بين خدامكم، فهل تسعفوني بنظرة ودعوة علَّني أتأهَّلُ لأن أناجيكم في ناديكم ؟!

(وبعد أن يبين العذر عن السفر إلى حضرة الشيخ بسبب انشغاله بغياب والده وإرسال أخيه إليه يختمها بـ: سلامي الجزيل المشفوع بالحب الصميم لسادتي المحترمين، كلال وعبد الرحيم والأخ الحبيب عبد الباسط (أولاد الشيخ أبي النصر).. وفي الختام، أقبل أيديكم والأقدام على البعد، وأرجو الدعاء لي ولمن يخصني بخيري الدارين، وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

٩ ربيع الأول ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣٠ م الخويدم محمد سعيد المسعود

وبذيلها أبيات (ويظهر أنه نظمها لتقال من المنشدين بحضرة الشيخ على وزن قد (والذي أسراك ليلاً) نقتطف منها ما يلي:

لذت في ظل حماكم ... سادتي أرجو رضاكم
فارحموا إني عبيد ... يبتغي لثم ثراكم
سادتي أهل المعالي ... أنتم كنز الكمال
أسعفوني بالوصال ... علني أبلغ رضاكم
أنتم خيرة جيرةْ ... فاجبروا القلب الكسيرا
إن مضناكم بحيرةْ ... في لقاكم أم جفاكم [1]

[1] – أثبتنا هذه القصيدة بتمامها هي والتي بعدها في كتابنا (من أعلام النقشبندية في بلاد الشام)، في فصل ماقيل من أشعار .

- ووجدت في أوراق مسودة له يمدح شيخه أبا النصر(ولم يدون لها تاريخاً) والمظنون أنها بعد عام ١٩٣٠ قال:

سليل المعالي، مرشد العصر من غدا
إماماً لسادات الرجال ذوي القدر
مربٍ لـه الباع الطويـل، وهمـةٌ
تفوق الثريا ، تُغْدِقُ الناس بالـبِرّ
حباه الذي أعطى المكارم والنـدى
بمفتاح باب الله، في ورده السري
وربـاه أستـاذ المشـايخ والـد
له المددالفياض في العسر واليسر
(سليم) سليم القلب قطب زمانه
ووارث سادات لهم ساطع الفجر
عليهم من الرحمـن ألف تحيـة
وصيِّب رحماتٍ تفيض بلاحصر
وعنّا بهم ياربِّ فارْضَ، ووَفِّقَنْ
لصالح أعمالٍ مع الختمِ والذكرِ

■ ولما قام العالم العامل الشيخ محمد النبهان بـشراء ملـهى (المونتانـا) الواقع في أحسن أحياء حلب (بين الجامعة ومدخل المدينـة القـادم مـن دمشق) في المحلة التي سميت الآن بالفرقان وعاونه في ذلك ثلة من أهلٍ الفضلٍ والصلاح من أحبابه وإخوانه، وكان ذلك حدثاً مشهوداً، وعمـلاً مبروراً، وحوله إلى مسجد جامع، وكنت بفضل الله بصحبته، لما قام هو وإخوانه من أهل العلم والفضل باستطلاع المكان، والموافقة على شرائه لجعله مسجداً تقام فيه الصلوات وحلق العلم، وكان هذا بعام ١٣٧١هـ الموافق ١٩٧٠م، فأنـشأ العـم الـشيخ محمـد سـعيد قـصيدة في مـدح الشيخ، وتأريخ الحدث، وقمت بعام ١٤٠٨هـ الموافـق ١٩٨٨ بإهـدائها

للمسجد الجامع بعد كتابتها على لوحة كبيرة ضمن إطار، وعلقت في صدر المسجد، ولا تزال فيه ولله الحمد، وهي هذه:

قصر فخيمٌ شِيدَ في شهبائنا ... ليكون مرتع زمرة الشيطان
يمسي ويصبح والفضائح جمّةٌ ... بين الجوانح منه و الأرْزانِ
زُكِمَت أنوف القوم من ريح ... والخمر أم الخبث بـ (المونتانِ)
بل ضجَّت الشرفات من أبهائِه ... تدعو المهيمن من صميم جنانِ
أن يبدِّل المولى بخيرٍ شره ... بالعلم بالتقوى و بالإحسان
حتى تداركه الإله بهمَّةٍ ... عليا حباها شيخنا (النبهاني)
وبخيرة الشهباء سادات الندى ... فغدا بحَمْدٍ (جامع الفرقان)
وغدت تهب على المدينة ريحه ... قتعطر الأرجاء بالإيمان
ربَّاهُ توِّجْ بالسداد أمورنا ... وارفع منار الدين والقرآن
وارحم نويظمها لعلّ ذنوبه ... ستؤول في التاريخ (للغفران)

نظم القصيدة ١٢ ربيع الأول ١٣٩١ مفتي الباب السابق محمد سعيد المسعود، وأهداها للمسجد مفتي الباب اللاحق محمد زكريا المسعود ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

وقام بزيارة حمص بتاريخ ١٠ شعبان١٣٩٣ الموافق ١٩٧٣/٩/٧ فقال بعد زيارته للشيخ سليم والشيخ أبي النصر بحياة الشيخ عبد الباسط، هذه التخميسات:

ساعة في حمص والحظ عظيم ... زرنا فيها روض مولانا سليم
كامل الإرشاد ذي الوهب العميم ... فاض فيها الفضل والله فتح
نحمد المولى على ما قد منح[1]

[1] – قد ذكرنا هذه القصيدة بتمامها في كتابنا (من أعلام النقشبندية في بلاد الشام المباركة) فصل ماقيل في الشيخ أبي النصر، فارجع إليه .

■ ووجدت في مسودة له مؤرخة ٧ربيع أول ١٣٩٤هـ ٣٠ آذار ١٩٧٤م تخمسياً يمدح فيه شيخنا الشيخ عبد الباسط بن الشيخ محمد أبي النصر قدس الله روحهما برحمته وهي هذه:

يا أبا نزار العالي المقام من بسر الدين والإرشاد قام
نظرة يا نسل سادات كرام وبها تمحى خطايا من جنوا
تلحق العاصي بقوم قد سمو
بأبي النصر الهمام المرتجى قائم الليل، إذا الليل سجى
ذخرنا المأمول كهف الإلتجا وبه تمحى خطايا من جنوا
حينما يهوي بنار من هووا
وبسليم القلب ذاك الأمثل ذي الكرامات وذي االقدر العلي
وبه عني كروبي تنجلي وأنال القرب من ربي ولو
أنا عاص، فبهم أنجو، ولو
صلى مولانا على طه الأمين وعلى الآل وصحب أجمعين
وعلى سادات الطريق العارفين قدست أسرارهم حيث علوا
من بهم ننجوا إذا الغير غووا

■وقد قرأ ما قاله شاعر منبج الإسلامي محمد منلا غزيل من أبيات بعنوان: (هوامش نقشبندية على أوراق وهابي) التي أولها:

ببالغ فرحة الرفقة وخالصِ لوعة لحرقة

فعارضها (بأبيات من نفس الروي والبحر) متمماً ومكملاً لفكرة الشاعر وأولها:

ويحبوها رفاعياً صفاء الجو ذي الزرقة

ونذكر قصة الأصل والمعارضة في مقال الأستاذ محمد منلا غزيل الذي كتبه في مجلة حضارة الإسلام الدمشقية بعام ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ بعنوان (الوحدة الإسلامية في حياة الشيخ محمد سعيد المسعود العلمية والخلقية) بفقرة رقم (٢٢) الفصل الحادي عشر، ولنذكرها هاهنا كما نقلناها من مسوداته رحمه الله تعالى، قال غزيل:

ببالغ فرحة الرفقة وخالص لوعة الحرقة
يبث غزيل شوقه إلى التوحيد لا الفرقة
وينسج من هوامشه على علاتها (خرقة)
يطرز نقشبندياً على أفوافها ذوقة

فعارضها بأبيات من نفس البحر والروي متمماً قائلاً:

و يحبوها رفاعياً صفاء الجو ذي الزرقة
ومن (جيلان) يعطيها جمالاً زادها رقة
جهاد (الشاذلي) أتى ليسكب فوقها ودقة
و بالسلفية المثلى أتتها روعة الدقة
تآخى الكل في الإسلام كيلا تبعد الشقة
فلا تهنوا أيا أعلون ولتقضوا على الفرقة
فكل مبادىء الأعدا ضلال فاغر شدقة
ليبلع مجد أمتنا ويبني صرحه فوقه
وإن لم نتحد ضعنا وضاعت فرصت حقة

❋ ❋ ❋

فبشرى للألى لمحوا سنا تبيانها برقة
وشاموا البرق شامياً وعافوا غربه شرقه
مهاجرة مناصرة إلى الإسلام يا رفقة
فزان جهادهم نصر ونالوا الحظوة الحقة
تآخ زانه أدب ليبدي كلكم حذقة

■ ولما كنت مقيماً في دمشق، أثناء خدمتي العسكرية بعام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م زارني مراراً رحمه الله وكنت أدعو أستاذنا الشيخ عبد الكريم الرفاعي رحمه الله، وأنجاله وإخوانه لبيتنا في دمشق ليسر بهم العم ويتشرف ربعنا بهم.

وفي آخر زيارة له لدمشق لأستاذنا الشيخ عبد الكريم الرفاعي ولمسجد زيد بن ثابت، رأى النشاط العلمي لشباب المسجد، وحلقات العلم والإيمان فيه فازداد سروره وغبطته، فأرسل إليهم هذه الأبيات مهنئاً وكتب:

تهنئتي برمضان المبارك لرواد جامع زيد بن ثابت، معلميهم ومتعلميهم، كبارهم وصغارهم، ذكورهم وإناثهم من مجزوء الكامل:

رمضان أقبل باسماً ... والخير ملء إهابه
في مسجد ابن ثابت ... حطت رحال ركابه
فاستقبلتها أمة ... بالبشر ترحاباً به
بعلومها وحلومها ... وبهديها لشبابه
وبهمة شماء قد ... قادت إلى محرابه
من كل ندب للهدى ... يسمو على أترابه
يقتاد ركب مكارم ... لا تزدهي إلا به
مذ جاءهم شيخ التقى ... (عبد الكريم) بابه
فاسأل إلهك ضارعاً ... متوسلاً بجنابه
أن يعلي الإسلام مع ... رد الجميع لبابه
وأدم صلاة المصطفى ... لتكون من أحبابه
واسلك مناهج سيدي ... متوسلاً بجنابه

١ رمضان المبارك ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م محمد سعيد المسعود مفتي الباب

وكان رفيقه وزميله في العلم وصديقه وأخوه في الطريق النقشبندي العلامة الشيخ محمد الحامد الحموي رحمه الله، كلما طبع كتاباً من كتبه، أو رسالة من رسائله العلمية، يهديها إلى العم الشيخ محمد سعيد، ولما طبع أولاد الشيخ رحمه الله الجزء الثاني من كتاب والدهم (ردود على أباطيل) وأهدى الأستاذ عبد المعز بن الشيخ محمد الحامد هذا الكتاب إلى العم رحمه الله، استمراراً لنهج والده الشيخ محمد الحامد رحمه الله، أرسل سيدي العم هذه الأبيات مذكراً له بهمة والده عندما كان في المدرسة الخسروية، وسبب هذه الأبيات كما قال أخي الشيخ عبد الله المسعود أنه كان مع العم الشيخ محمد سعيد في بيت أستاذنا الشيخ عبد الباسط أبي النصر بحلب، وكان الأستاذ عبد المعز الحامد في زيارة للشيخ عبد الباسط أيضاً، فعرَّفه أخي عبد الله بنفسه فسرَّ به، ولاطفه، وسأله عن الهريرات فأجاب الأستاذ عبد المعز مباسطاً؛ إنه عندنا هر من هذه القطط فنظم العم الكريم هذه الأبيات وأرسلها له قائلاً: ولدي عبد المعز الحامد، حمدت خصاله، ودام العز في إقباله.

هنئت في هرك الميمون ياولدي ... يابن الحبيب وصِنْو المجد والرشد

أكرم به، ما أحيلاه وأروعه ... في قفزه، وبصوتٍ في المَواءِ نَدِي

تَقَرُّ أعينكم في عرسه ومتى ... ينجب، أتاكَ سرورٌ دام للأبد

لعله انحدرت قدماً أرومته ... من هرة نعمت من قبل بالرغد [1]

---

[1] – هذا البيت والقصيدة إشارة إلى قصة وقعت عندما كان العم والشيخ محمد الحامد طالبين في المدرسة الخسروية بحلب ورأى معطف الشيخ الحامد في نهار شتاء حول قطة ولدت هريرات صغيرة، وضعه الشيخ الحامد وقاية وعطفاً على هذه الهرة الوالدة، فأرسل له العم مهنئاً بيت شعر قال فيه :

يهنيك قطتك البيضاء قد ولدت ... خير الهريرات من خير الهوارين . .

عاشت برغد وعاشوا حامدين لكم ... لا زلت كنزاً وذخراً للمساكين

فأجابه الشيخ الحامد :=

حباها والدكم بِـراً وصـان لهـا خير الهريرات لما كُنَّ في المهـد
لازلتمـوا في الـذّرى مـن كـل إذ كـان والـدكم للعـلم كالمـدد
أولاه ربي من الجنـات أرفعهـا وصان أنجالـه مـن شـر ذي حـسد

عمكم الذي يكنُّ لوالدكم كل ود، ولكم كل حب: محمد سعيد المسعود ويغلب على الظن أن تاريخ هذه القطعة عام ١٩٧٥م.

نماذج من شعره في المناسبات : كان رحمه الله وطيب ثراه، مواصلاً لإخوانه وأقربائه، أصحابه وجيرانه، بل لعموم أهل بلده، وخاصة في مناسباتهم كالحج والزواج وغيرها، فكانت لاتفوته المناسبة، إلا وهو قائم بحقها من هدية أو زيارة، أو مواساة، وغالباً ماكان يوثق في المناسبات بأبيات من شعره، فكان ينظمها ثم يدفعها إلى الخطاط ليكتبهاعلى لوحة من الورق المقوى ثم يقوم النجار بوضع الإطار اللازم لها، ويقدمها إلى صاحب المناسبة، وإليك نماذج من شعره في مختلف المناسبات:

أ- **في الحج**: ومناسبات الحج من أكثر المناسبات التي حفظت لنا قطعاً صالحة وموفقة من شعره وفيما يلي بعض هذه الأشعار التي هداها، لشقيقته وبناته، وأصدقائه.

١- قال بمناسبة حج أخته السيدة عائشة المسعود بعام ١٣٩٣هـ

شقيقتي الغالية، هناك مولاك بحجة برة زادت بتقواك
وزورة المصطفى خيرالخلائق، من فاق البرية من إنس وأملاك
أختي، سَمِيَّةُ أم المؤمنين، وقد عاشت على البر والتقوى مزاياك
ادع الإله لعاص كله وجل من الذنوب، فإن الله أعطاك

=وهبتك القطة البيضا وما ولدت خلص فؤادي وقلبي من شياطيني
فكن لهم محسناً براً، وإن فعلوا ذنباً فدونك ذبحاً بالسكاكين
كما هو مذكور في كتاب الشيخ الحامد للأستاذ .. عبد الحميد طهماز .

الله يرحم أماً زانها خلق ووالداً ماله في عصرنا حاكي
ويحفظ الآل والأنجال في رغد وسيداً (حامداً) لله والاك
أصوله من كرام الناس أرخها (أكرمهموا سادة من خير نساك)

شقيقك محمد سعيد المسعود ١٣٩٣هـ

٢- وقال بمناسبة حج بنتيه (فاطمة الزهراء) وأختها (خديجة الكبرى) بنفس العام:

يهنيكما يا فلذتي كبدي بحج بيت المنعم الصمد
وزورة الهادي ومسجده وصحبة الداعين للرشد
(خديجة الكبرى)وقدحظيت و(فاطمة الزهراء) بالمدد
دعاكما الرحمن في أزل ففزتما بالخير للأبد
تقبل الديان حجكما ودامت الأفراح في الأمد
وعمت الأفضال آلكما وصانت الألطاف للولد
فكررا شكراً لأنعمه أرخت (حجي واسع الرغد)

والدكما محمد سعيد المسعود ١٣٩٣هـ

ب- في الزواج: وقال بمناسبة زواج حفيدته (أروى) بنت عبد السلام البيراوي من المهندس رياض الحاج علي الشهابي بعام ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.

(أروى رياض) حمانا غيث هتون سخية
فاهنأ رياض بأروى به اهنئي يا بنية
كلاكما بدر تم له النجوم رعية
أعيذ بالله ربي من كل حاسد ذي أذية
كليكما ، ثم أدعو بكل حال سنية
ما أسعد الجد أرخ (لكم حظوظ هنية) ١٣٩٤ هـ

ج- في الرثاء :

١- قال بمناسبة وفاة رفيق والده في الأزهر الشريف الشيخ محمد البكور (أبو الفتوح) إمام الجامع الكبير، العالم التقي، الحافظ لكتاب الله، الصالح الفاضل الذي توفي يوم ٨ رجب ١٣٧٦ هـ ودفن في سفح جبل عقيل بجانب قبر الجد رحمهما الله جميعاً، وكان كما وصفه متفرغاً للقرآن، وظل يردده تالياً حتى آخر حياته قال فيه:

محمد البكور أمسى قريراً، فأملاك الإله تصونه
فكم جمع الأخيار في بيت فيتلوا كتاب الله إذ يسمعونه
تفرغ للقرآن قلباً وقالباً وأوصد أبواب الشواغل دونه
بعلم غزير زانه البر والتقى وخلق كريم فاز من يبتغونه
بصوت رخيم يملأ القلب روعة يؤم ذوي التقى وكم يقصدونه
فيا ثلمة بالدين حلت لفقده أيارب فاملأها بمن يخلفونه

٢- وقال في رثاء المحب الفاضل، والتقي الصالح الشيخ عبد الحميد غزال الحلبي المعروف (بأبي طاهر) النقشبندي وقد كتبت على قبره: المتوفى ١٣٥٥هـ ١٩٥٥م

أبا طاهر من فقدنا بلحده سجلاً من التقوى مناراً من الذكر
لقد كنت فينا قدوة ثم رحمة محباً لطه حاضر القلب والفكر

د- متفرقات من شعره :

١- وزار مع ختنه (صهره) الأستاذ عبد السلام بيراوي السيد نظمي السنكري في دمشق فقدم لهم (موزاً) فقال له بديهة (ومرمزاً)

يا مهدي الموز تبقى وميمه لك (فاء)
وزايه عن قريب لمن يعاديك (تاء)

٢- وطلبت المعلمة من ابنته خديجة لما كانت في الصف الرابع الابتدائي وظيفة أشغال بالإبرة على غصن ورد مطبوع على قماش،

وكان هذا آنذاك من أشغال الطالبات المقررة عليهن لتطريزها فكتب لها بذيله بعام ١٩٥٠:

غصون الورد ترمز للمعالي إذا عبقت بطيب شذى ثمين
كعلم البنت يثمر كل حين إذا يسقى بأخلاق وديـن

٣- وكتب لابنته عائشة أيضاً على وظيفة أشغال الإبرة فطرزتها عام ١٩٥٢:

هذه الزهرات تحكي طالبات يافعات
تعبق الدنيا وتزهو إذ يصرن عالمات
أدب، تقوى حجاب خير زاد للبنات

٤- وكتب إلى حفيدته زهراء بنت عبد السلام بيراوي بمناسبة بدء دراستها الإعدادية بعام ١٩٦٩م:

عليك بنيتي بالعلم كيما تكوني (زهرة) من ياسمين
تذيعي العطر من أردان طهر تشيدي المجد بالعقل الرزين
فعلمك يانع الثمرات دوماً إذا يسقى بأخلاق وديـن

٥- وكان آخر ما قاله شعراً ماسجله في شريط صوتي آخر حياته يصف الكتب فقال: بسم الله الرحمن الرحيم

في جلسة هادئة هانئة بين أسفار مذهبة راقت مجاليها ورقت معانيها وتنوعت مغازيها قلت وعيناي رانيتان إليها وقلبي مشدوه بها:

هذي الروائع لالحاظ فواتـن ونحورهن ولا نضير خـدود
كلا ولا لدن القوام لمن شجى ورق الرياض على الغصون الميد
لكنها الأسفار تمنح وصلهـا للمغرم المضنى بهـا المجـدود
أغرت صحائفهاوحالك نقشها بأسيل خد ذي فواتـر سود
كتب بها متع العقول تضافرت ولها الهوى لا للمها والغيـد
كتب لها الألباب ترقص غبطة فبها شغفت وطاب فيها شهودي

عبقت شذا شتى العلوم بنشرها ... وبها طويت العمر رغم حسود
أسخو بعمري في اكتناز ... كي لا يضيع لطارف وتليد
وإذا نضدن أمام عيني حقبة ... متعت طرفي المولة المشدود
وإذا أزحت عن الطروس لثامها ... وحظيت من ذاك الجنى بجديد
ووعيت مغزى من دقيق كنوهها ... وجلوته للطالب المجهود
أو كان افتائي به وفقاً لما ... قد جاء عن طه وذا مقصودي
قامت بنفسي نشوة أكرم بها ... سكري بها لا بابنة العنقود
رباه سددني وقوم منهجي ... واسلك عبيدك في الدعاة الصيد
فأعيش في جني العلوم ونشرها ... حتى انقضا أجلي على التوحيد
وأرى سعيداً ثم مسعوداً وقد ... رجح المداد على دماء شهيد
وصلاتك اللهم تترى دائماً ... لمعلم للناس خير مفيد
وإلى الجهابذة الألى أرْسَوْا لنا ... طود العلوم الشامخ الممدود

خادم العلم الشريف
محمد سعيد المسعود مفتي الباب غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وجعله فيما يأتي خيراً منه فيما مضى

آمين آمين والأيام أجمعها ... مرددات معي آمين آمينا

أ - رسائله لشيخه أبي النصر قدس سره :

وهذه أولى رسائله لشيخه أبي النصر عندما كان طالباً (في الخسروية) بحلب مؤرخة في ١٦ جمادى الثاني ١٣٤٧هـ /١٩٢٨م: باسمه جل شأنه، والحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على أفضل رسله وأكرم خلقه.

لفضيلة سبيل الهدى ونهج السعادة، ونبراس المريدين في حالك ظلمات هذا العصر، ما يمنعني من التصريح باسمه جلالة قدره، وسمو فخره، وطيب نشره وذكره، كيف لا وهو العلم المشار إليه بالبنان، ذو العز الشامخ الغني عن البيان أدامه الله لأمثالي سنداً وذخراً آمين.

سيدي لساني قاصر، ويراعي كلٌّ عن أن أعرب لحضرتكم عن جزيل اشتياقي لجنابكم وحبي للمثول بأعتابكم ليتشرف مسمعي بلذيذ خطابكم شفاء القلوب وبلسم جراحها، ونور البصائر وهاديها إلى سبيل النجاح وموجبات المغفرة والرضوان.

مولاي ومرشدي، مربي روحي ومثقف ذهني لك في القلوب المقام الأرفع والمنزلة السامية والإجلال العظيم الذي لا يحاكى، فلكم جزيل الفضل إن جدتم على عُبيدكم وخادم نعلكم بدعوات تنقشع عنه ببركاتها غيوم الآثام المتلبدة وأعبائها الثقيلة، ويوفق بها لما يرضي الرب ويسر المحب مع الفتوح التام وسلوك سبل الرشاد وسنن الهدى.

عمدتي وملاذي، ما كنت لأتجاسر على تسطير نميقة (رسالة) لحضرتكم لولا أمر والدي المطاع على لسان رسوله أن أكتب لحضرتكم كتاباً بالنيابة عنه أذكر حضرتكم فيه ما أنتم أعلم به مني، من حبه الصميم ووده الأكمل مع طلب مقبول الدعوات من حضرتكم عله يمر طيفه بخلدكم أو يجري ذكره على لسانكم الشريف فيكون قد نال الحظ الأوفى وقسطه الأوفر مع طلب الدعاء من حضرتكم لإخوتي ووالدتي بالخير والتوفيق للجميع بالسعادة والهناء والصحة والرفاهية.

سلامي الجزيل الذي يشف عن حب صادق وود أكيد لحضرة نجلكم المحروس المحفوظ الذي بسط الله عليه رواقاً من الفضائل والمكارم والخصال الحميدة والمزايا الزاهية الزاهرة مع إيضاحي له

أنني في شوق عظيم لحضرتكم وحضرته، وإعجاب شديد بخلاله وشيمه، ولحضرة سيدي وأخي الشيخ محمد كلال والشيخ عبدْ الرحيم وباقي إخوتهم الأعزاء ومحبيهم أدام المولى الجميع في ظلالكم بالتوفيق والهناء.

جزيل سلامي، وجليل إعظامي واحترامي لحضرة صديقي الأوحد الشيخ (عبد الجليل) بلغه الله كل (مراد) وإلى السادة الأكارم السيد الحاج محمود (السباعي)، والعم أبو حسن، وإلى جميع أهل حمص، الصلحاء منهم.

أخي الشيخ محمد الخليل التادفي، وأصدقائي الشيخ بكري رجب، والشيخ حمام النعساني، والشيخ عبد الرحمن الحوت والشيخ محمد بلنكو، والشيخ برهان الدين الداغستاني، والشيخ بديع الجندي، والشيخ حسن الهاشم، يقبلون أياديكم ويرجون دعاكم، والحمد لله في البدء والنهاية.

١٦جمادى الثاني ١٣٤٨ هـ خويدمكم محمد سعيد المسعود

أما الرسالة الثانية إلى شيخه: فقد كانت بتاريخ ٩ ربيع الأول ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠م وقد ذيلها بأبيات مدح لشيخه ذكرناها في الفصل السابق ١٨ شعره ونثره وأثبتنا القصيدة بتمامها وهي مبدوءة بقوله: لذت في حماكم.

ب – رسائله لأصدقائه : ١- رسالة إلى صديقه الشيخ بكري الرجب مؤرخة ٢/١/١٩٦٢م(١٣٨٢) وهي هذه؛ بعد البسملة والحمدلة والتصلية من الفقير إليه تعالى محمد سعيد المسعود مفتي الباب إلى أخيه في الله الشيخ بكري الرجب، وفقه الله لمرضاته، ولكل عمل مبرو آمين.

السلام عليكم وعلى آلكم، وعلى كل من تحبونه ويحبكم، ورحمة الله وبركاته.

وبعد؛ فإن ابن أخيكم السيد محمد زكريا بن الشيخ محمد علي المسعود – وهو بحمد الله – قد سار على خطة والده وجده، نسأل الله تعالى دوام التوفيق، يرغب أن تتكرموا عليه بالغرفة التي تحت يدكم في جامع (العريان) المكتسي من فضلكم وعلمكم حلة البهاء والسناء، وبتكرمكم عليه بالغرفة المذكورة تكونون قد أحسنتم إلى أبيه وعمه وجده، الشاكرين لكم، والداعين بكل خير، فوق إحسانكم إليه، وربما لايطول مكثه فيها أمداً طويلاً، بسبب أنه يرغب في الإنتماء لكلية الشريعة بجامعة دمشق، وفقكم الله لمايرضى الرب، ويسر المحب.

والدي يسلم عليكم ويدعو لكم بالتوفيق الدائم ١٩٦٢/١/٢ محمد سعيد المسعود.

ملاحظة: وقد تم تسجيلي بهذه السنة في كلية الشريعة والحمد لله (استثنائياً) أنا وزملائي بجهود صديق العم الشيخ معروف الدواليبي، الذي كان يرأس مجلس الوزراء السوري بذلك التاريخ.

٢٠ – رسائل إليه: كذلك فإن الرسائل إليه كثيرة لا تحصى وقد ضاع قسم كبير منها، ونثبت هنا بعض رسائل العلماء والفضلاء إليه: **منها هذه وهي**:

من الصالح الفاضل الحاج حسين بن علي تقي (كما في توقيعه أسفلها) وفيها يظهر سروره وامتنانه من حضرة العم والجد، وعلماء البلدة وأهلها وعاداتها وإليك هي بتمامها: **بسم الله الرحمن الرحيم** لحضرة الأكرم المكرم العالم العارف بالله، المجاهد في نشر العلوم الدينية، المتصف بالأخلاق المرضية، المتواضع للكبير والصغير الشيخ محمد سعيد بن العالم الأواه الشيخ محمد مسعود حفظهم الله تعالى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:أرجو من العزيز المتعال أن يمن عليكم بالصحة ويكرمكم بما أكرم به أرباب الحال، ويفيض عليكم من العلوم الربانية لإبلاغها

طلابها إنه على كل شيء قدير، ثم أشكركم على حسن مواجهاتكم تلقاء كل قاصد بقلب سليم ووجه طليق من غير تكلف بل محبة للائتلاف، وشفقة على العصاة لأن يقعوا في الإتلاف.

هذا وأشكر الله بأن أراني ماطلبته منه من رؤية العلماء العاملين مثل حضرتكم، وحضرة والدكم الأكرم الذي ولاشك لمن رأى وجهه كأنه شاهد الملائكة عياناً، فكيف لا وهو المتخلق بالأخلاق الإصطفائية من البشاشة ورقة القلب والرحمة لعباد الله ومحبة الرسول الأعظم ﷺ، والدليل على ماذكر واضح لدى العارف والجاهل.

وكذلك العالم الفاضل والمتمسك بالطريقة العلية النقشبندية، الناطق بالأحاديث النبوية الأواه المنيب، صاحب السكينة والوقار **(الشيخ بدر)** أعانكم الله وحفظكم جميعاً، وأخذ بأياديكم ودفع عنكم ماتكرهون، والحمد لله الذي حفظ **(الباب)** بلدة الكرام والأحباب، بلدة العلم والذكر، والاجتماع على البر والخير، وما أحلى أوقات التجليات عند قراءة المدائح النبوية من القلوب المملوءة بالمحبة، وخصوصاً لا ننسى الفاضل الكريم محب الرسول ﷺ بالصدق والإخلاص الحاج مصطفى **(المرطو)** رفع الله قدره.

وأهل البلدة جلهم من أهل الخير والصلاح وكذلك نساؤها المتحجبات، حفظ الله بلدتكم من شر الملحدين، ومنَّ عليكم يا أهل الباب بتراجع **(عودة)** المياه كالأول بل أزيد، مع العمل الموفق لمرضاة رب العالمين، هذا وأرجو من الله أن يديم عزكم ويمنحكم رضاه والسلام.

أرجوكم إبلاغ سلامي إلى والدكم الشفيق الشيخ محمد مسعود، والعالم الصالح الشيخ بدر، والفاضل البار الحاج مصطفى المرطو والشيخ حصني (الحاج حسني العبد الله) والشيخ الصابر المعروف بالشيخ أديب العباس والشاب المهذب الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ رسلان **(ابن الشيخ أحمد الحامد النعساني)** حفظ الله الجميع.

واصلكم إن شاء الله خمسين ليرة للمسجد الجديد راجياً قبولها.
في ٢٠ ربيع الأول ١٣٨١ الموافق ١٩٦١م حج حسين بن علي تقي
وأغلب الظن أن المرسل هو الشيخ الفاضل الشيخ حسين علي كوركانلي النقشبندي (من جبل الأكراد والله أعلم)

والرسالة الثانية : من فضيلة العالم الشيخ عبد الغني حمادة من إدلب:

حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ سعيد أفندي المسعود مفتي الباب المحترم:السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإني صادفت في حلب مع الأستاذ الشيخ حسين أفندي الهاشم من إخوانكم الفضلاء وأهديته كتاباً اسمه (صحح صلاتك) على مذهب سيدنا الإمام الشافعي ﷺ وسألته عنكم وعن حسن صحتكم، فقال هو بخير والحمد لله تعالى فقلت له: سأهديه كتاباً ووعدته بذلك وإيفاء بالوعد مع حسن الإتصال بكم وتجديد المودة بيننا أرسلت لكم بالبريد ثمانية كتب خمسة منها كتاب صحح صلاتك وكتاب القضاء والقدر وكتاب الديانة في الفقه الشافعي وكتاب الصلاة والزكاة ومحاسنهما وعقوبة تاركهما) فالخمسة نوزعها على من ينفع الناس بها أو ينتفع بها والثلاثة كتب الباقية هي لكم هدية، ونحن نهديكم من مؤلفاتنا كمهدي الورد إلى بستان ورد ونبتغي من وراء ذلك الدعاء لنا بظهر الغيب والتعارف معكم وأن تزورونا في إدلب حتى نزوركم.

وفي الختام وفقنا المولى وإياكم والمسلمين لطاعته والعمل لمرضاته ولكم منا فائق الاحترام وعاطر السلام وطمنونا وصولها ليدكم ونهدي سلامنا واحترامنا لإخوانكم أهل العلم الفضلاء لاسيما الذي تعرفنا به بحلب وهو الأستاذ الفاضل الشيخ حسن أفندي الهاشم ودمتم. ١٠ تشرين أول ١٩٦٧

أخوكم في الله عبد الغني حمادة من إدلب

الفصل العاشر

قطوف من رياض الأخلاق

٢١- شمائله وأخلاقه :

وماذا نتحدث عن شمائله، وماذا نصف أخلاقه، وقد تبين مما سطرناه آنفاً في هذه الصفحات الهيكل العام لأخلاقه، والبنيان التام لأوصافه..وماكان سلوكه اليومي، ولاتصرفاته بين الناس إلا إفادة وتعليماً، وإعانة وتسديداً، وسعياً في إصلاح، وجبراً لخاطر، وإجابة لسائل، وإحساناً إلى فقير.

وفي البيت، كان نعم الأب، ونعم الزوج، وما كان جلوسه في البيت إلا لأخذه قسطاً من الراحة، واستجماماً من التعب الذي يلقاه خارج البيت، وبنفس الوقت كان ملاطفة لطفل، ومداعبة لبنت، وتعليماً وتربية مع غاية اللطف والحلم..والأحفاد والأسباط يعون هذا اللطف والحلم، وتلك المداعبات والمؤانسات ولا ينسونها.. مَنْ مِنَ الأحفاد أو الأسباط، بنين وبنات، لم يرفعه على كتفيه وهو طفل صغير إلى شجرة البرتقال في داره ليقطف منها برتقالة إبان إثمارها، أو ليأخذ منها حلوى، يضعها بيده مسبقاً – في غير وقت ثمرها – ويقول للطفل الذي يحمله، تعال انظر ماذا خبأت لك الشجرة؟! ولماذا نخص ذلك بالأحفاد والأسباط؟ بل كل من كان يدخل داره من الأطفال من جيرانه والأقارب ومن أولاد معارفه، والأباعد أيضاً لابد أن له مع الشيخ قصة لطيفة، أو حكاية ظريفة، وحلوى تمنحها الشجرة، أو قروشاً يمنحها الشيخ للطفل على حسب حاله، وإذا كان الطفل أكبر، وكان ممن يدرس في المدرسة الإبتدائية فإن شأنه معه غير هذا، فإنه بحكايته له

وحديثه يعلي همته للجد في الدراسة والنشاط في التعلم، ويطلب منه أن يسمعه مما يحفظ من شعر أو نثر، أو يطلب منه قراءة قرآن أويدخلنا على الضيوف لنقول أمامهم محفوظاتنا، التي تنتهي بتشجيع السامعين وتعلية همتنا من العم رحمه الله.

وكانت حكاياته لنا عن العلم والدراسة والتفوق، ومسابقة الأقران والتنافس في العلم لاتنتهي.. فهو لايريد من أولاده، وأولاد أقربائه نجاحاً عادياً، فذلك ميسور للكل، بل يريد لهم االتفوق، وألا يكونوا في العلم – مثل الناس – بل أعلى منهم بكثير، ويضرب الأمثلة بنفسه عندما كان طالباً، وقد قدمنا في أول هذه الفصول أن شهادته الإبتدائية، كانت درجته فيها (علي الأعلى) وفي الشهادة من الخسروية (الدرجة: أولى، العلامات: نابغ، الامتياز: واحد)

وكان يحب أن ينشط أهله (أزواجه وأولاده) ويخرج بهم في ليالي الصيف إلى البساتين التي يستأجرها ويحب أن يروح عنهم عناء العمل في البيت والدراسة أوقات المدرسة.

وكان يحب المشاورة في سائر أموره الدنيوية والأخروية، ويستشير الكبير والصغير، ويحب أن يأخذ بالرأي السديد ممن يستشيره، وينسبه إليه، وإذا كان الخير فيه واستمر نسبه إليه، وشكر صاحبه عليه،

وكان يرفع همة الشباب إلى معالي الأمور، ويشعرهم بشخصيتهم ووجودهم، وفاعليتهم في المجتمع ويوصي الآباء والمعلمين – كما أسلفنا بالعناية بهم، واختطافهم من أيدي أرباب الفكر المنحرف والخلق المعوج..

وكان الطلاب بخاصة يقدرون تشجيعه لهم واحترامه لأفكارهم وشخصياتهم، وكم مرة سمعت من الأستاذ المحامي (علي الزكور) حفظه الله يوم كان قاضياً ثم محامياً شهيراً، سمعت منه قوله: لقد كان الأستاذ المفتي يعاملني بالاحترام والتقدير، وأنا طالب صغير، وبالاحترام

نفسه والتقدير وأنا شاب في مقتبل العمر، وأنا موظف أيضاً في أهم المناصب الوظيفية !!.

وإذا عرف من إنسان نصحاً وإخلاصاً في المشورة، يلازم مشورته دائماً، والاستعانة بآرائه كلما احتاج الأمر، وبخاصة إذا كان قريباً منه، وإذا تطلب الأمر في المشورة أن يرحل إلى بلد آخر فعل..

وفي كل بلد كان له أصدقاء وأحباب يولونه النصح، ويوليهم الحب والتقدير من علماء، ومن حكام، ومن موظفين وتجار، وعامة الناس.

وكان جليسه يشعر أنه المحظي بالاهتمام لديه وأنه المحبوب له أكثر من غيره، كل ذلك كان تأسياً بالمصطفى ﷺ.

قطوف من رياض أخلاقه

الذوق الأدبي: ولنترك الحديث لابنته فاطمة الزهراء (زوجتي) تحدثنا شيئاً عن أخلاقه وأحواله تقول:

● كان رحمه الله وأجزل مثوبته يحب الأدب والشعر ويحدث به في كل مناسبة من هذه المناسبات ومرة عندما كان في مؤتمر العلماء في العاصمة دمشق، فما أن استقروا حتى أصبحوا يسألون بعضهم بعضاً عن أسمائهم ومحل سكناهم، فقال لهم عندما سألوه عن بلده: اسم بلدي متمثل في هذين البيتين:

وما شيء حقيقته مجاز ... وأوله وآخره سواء

به صحة وبه اعتلال ... له الإعراب حقاً والبناء

فتحير القوم، إذ الحقيقة ضد المجاز، والصحة ضد الإعتلال، والإعراب ضد البناء، ولما أفصح لهم عن اسم بلده (الباب)، سر القوم وأعجبوا بأدبه..

● ومرة جاء الشاعر رشيد سليم الخوري من المهجر إلى دمشق، وكان ذلك حوالي عام ١٩٥٤ وكان عمري آنذاك اثنتي عشرة سنة

وأجرى ندوة شعرية في الإذاعة قال فيها قصيدة سلسة جميلة, نقلتها إذاعة دمشق فنقلت القصيدة ولكن فاتني بعض كلماتها إذ أنه من الطبيعي أن لا تكون سرعة الكتابة كسرعة الكلام، وبعد الإنتهاء قلت لوالدي رحمه الله: من يكمل هذا النقص من كلمات القصيدة؟ قال: أنتِ ولماذا لا تكونين أنت ؟

● عندما كنت في الصَف الثاني الإعدادي كتبت بعض الأبيات الشعرية وعرضتها عليه فماعلق عليها أبداً فماكتبت بعدها شعراً أبداً، وفهمت أن من عادته الاشتغال بما هو أهم.

● وكان يقص علينا أدب العرب ويعلق عليه بما يناسب الحال من الموعظة، ومما يذكر لنا: أن الحجاج تزوج (هند..) بنت أحد كبار العرب فلما حملت منه قالت:

وما هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل
فإن ولدت مهراً فذاك الذي لها وإن ولدت بغلاً فللبغل البغل

ولما سمعها تقول ذلك عاد أدراجه وأرسل إليها مقدراً كبيراً من المال، ورسالة قال فيها (كنت فِبْت)، فقال: (كنا فما فرحنا وبنا فماحزنا) وهذه النقود لك(للرَسول الَذي بلغها) لبشارتي بخلاصي من كلب بني ثقيف.

وكان تعليق الوالد، أن هذه المذلة قليلة في حق من يضرب الكعبة بالمجانيق، والمذلة أعظم إن كانت من صغار الناس.

وبعد أن طلقها خطبها معاوية بن أبي سفيان ﷺ، فكان من شروط قبولها أن يسوق الحجاج جملها إلى دمشق، وفي الطريق أسقطت ديناراً ثم قالت: ياحادي ناولني الدرهم، فقال لها: لا أرى إلا ديناراً، فقالت متشفية: (**الحمد لله الذي أبدلنا بدرهمنا ديناراً**) ففهمها وسكت.

فعلق الوالد قائلاً: (**لو كان سليل إمارة لما قبل بهذا ولو كانت نتيجته الجوع وليس فقد الإمارة**).

قال عبد الله: لقد كان رحمه الله ناقداً بصيراً ومربياًخطيراً كتب,على كتاب ابنته (**الحاجة عاتكة أم الهدى**) تاريخ الأدب العربي في الأندلس لابراهيم أبو الخشب عندما كانت تـدرس في كليـة الآداب في جامعـة حلب تعليقاً على أبيات ولادة بنت المستكفي:

أنا والله أصلـح للمعـالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
أمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها

كتب قائلاً: لولا قوله تعالى عن الشعراء:(**وأنهم يقولون مالا يفعلون**) لاتهمتها في صونها،واستصغرت من شاعريتها ماكنت أكبر. كان الأليق أن تقول:

أُصَعّ عن لئام الناس خدي وأمنع قبلتي من يشتهيها

١٩٧٣/٥/٣٠ محمد سعيد المسعود

التوقيع

وعلَّق على كلام فاحش في هجاء ولادة لابن زيدون نترفع عن ذكـره هنا: عجباً لأبي الخشب - اسم المؤلف – إنه من الخشب، أيذكر مثل هذا في كتاب أدب، يدرَّس لجيل مهذَّب ؟

تعس الزمـان أتى بعجائـب ومحا رسوم الفضل والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدي فيهم رددتهم إلى الكتّـاب

١٩٧٣/٥/٣٠ م محمد سعيد المسعود التوقيع

عودة لأخلاقه الحميدة مع ابنته فاطمة الزهراء أم يحيى :

● أما مع الجيران فقد كانت معهم حكايات يحكونها تدل على رقة القلب ونبل الأخلاق، فهذه جارتنا تأتي إلينا فما تذكره حتى تبكي وتقول: قليل الأصل من ينسى المعروف، وكيف أنسى وقفة العيد ولم يأت زوجي من السفر (كان سائق سيارة كبيرة) وإذا بوالدك يقرع الباب ليلة العيد ومعه زوجته (والدتك) ويقول: لقد خبرت بالهاتف جميع المخافر وسألتهم هل حدث حولكم حادث أوسمعتم بحادث؟ فيقولون: لا ولكن الثلج يقطع الطرقات عندنا، فأستبْشِرُ خيراً، وأشكرُه، وعند الصباح يرسل لنا بطعام وافر ساخن مما طبخوه في العيد ومن كل ما يصنع من الحلوى وضيافة للعيد، إذ أني حزينة لعدم مجيء زوجي فلم أصنع شيئاً من ذلك مع أن الأحوال كانت ميسورة والحمد لله.

● وفي أحد الأيام قال لي: تعالي يابنية، لقد تعبت في التأليف بين الجماعات المتعددة في البلد، وأنا أوصيك بأن لا تألي جهداً في التوفيق بين الجماعات، ثم يقول: يابنتي:فأن لم نتحد ضعنا وضاعت فرصة حقة.

● وكان يذكرنا دائماً بشخصيات مرموقة في البلد كانت فقيرة جداً فصيرها الصبر على طلب العلم في القمة. وكان يقول: الحمار ينظر بين رجليه فيقع في الحفرة، والحصان ينظر بعيداً فيرى مواقع الخطر فيتجنبها.. اهـ.

٢٢- بره بوالديه وصلته لأرحامه : من المعلوم أن الله سبحانه لم يقدم في العطف عليه أحداً دون الوالدين، فقال سبحانه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾، وذكر في كتابه الكريم الكثير عن وجوب برهما والإحسان إليهما، وكذلك فعل الرسول الكريم ﷺ، حتى لا ينفك بر الوالدين عن عبادة الله سبحانه أبداً، ولذلك كان رحمه الله في صلته لأرحامه وأقاربه أمراً عجباً، وفي بره لوالديه أمراً أعجب، وكان الجد يعاملنا بالحزم واللطف، ولايدع فرصة للتربية إلا ويستغلها.

وكان يلتمس بركة والده بعد وفاته، فكثيراً ما كان يزوره ويجلس بقربه، وقد أراد شراء قطعة الأرض المجاورة لقبره، ولم تكن قبور فيها قد أحدثت بعد، من صاحب الأرض التي وقفها بجوار مقبرة الجبل لدفن موتى البلدة وهو المرحوم الحاج أحمد الأحمد الجبلي، فوهبه إياها دون قيمة وأحاطها بسياج ثم سقفه، ثم أعاننا الله بعد موت العم فأكملنا بنيانها وتأثيثها لمن أراد زيارة الجد – ودفن فيها الوالد بعد ذلك – ويقوم الإخوة والأحباب بقراءة جزء من القرآن بجوار الشيخ محمد المسعود وابنه الشيخ محمد علي في المصلى بجانبهما كل يوم، وبخاصة بعد أن تأمنت أسباب الدفء والراحة..

وكان العم الشيخ محمد سعيد رحمه الله يجلس إلى جانب قبر والده كلما سنحت له الفرصة، بعد أن سقف المصلى الذي أحدثه بجانب قبر والده، ويقرأ القرآن، ثم شرع في إعداد تعليقات مختصرة على كتاب الطريقة المحمدية للعلامة البركوي (كشرح مختصر لهذا الكتاب النفيس).

وكتب بعد المقدمة: (حرره صباح يوم الثلاثاء قرب ضريح والده في مسجده ١٣شوال ١٣٩٤ هـ الموافق ٢٩ تشرين الأول ١٩٧٤م محمد سعيد بن الشيخ محمد أبي السعود بن الشيخ مسعود الغزالي الحديدي البابي الحلبي غفر ذنوبه، وستر عيوبه، ووفقه لطاعته آمين).

ولكن هذا الشرح المختصرلم يتم منه إلا بضع ورقات، نظراً لكثرة المشاغل، وكثرة الهموم التي حلت به، ولم تتحملها صحته وقوته.

فقد شرفني الله بخدمة بيوته، إذ أني نقلت إلى إفتاء الباب عام ١٤٠٠هـ ثم إلى إدارة أوقافها بعام ١٤٠١هـ الموافق ١٩٨١ م قمت – بفضل الله وتوفيقه – بما كان يسعى إليه ويؤمله من إصلاح الأوقاف وعمارتها وعمارة المساجد الجديدة فقد تم بفضل الله بهذه الفترة من عام ١٤٠١هـ إلى عام ١٤٢١ هـ إعمار اثنين وعشرين مسجداً وجامعاً

جديداً، وإعادة بناء ستة مساجد، وترميم معظمها: ومن أهمها الجامع الكبير، وتم افتتاح مدرسة شرعية للذكور بعام ١٤١٠ هـ ونرجو من الله افتتاح شرعية أخرى للبنات، وكثر طلاب العلم في البلدة، وكثر نفعهم، وصارت حلقات العلم والإيمان تملأ المساجد، وكثر الشباب من رواد المساجد، وصارت نهضة علمية إيمانية في صفوف الرجال والنساء..وذلك كله ببركة جهوده ودعواته، واستجابة من الله لأماني هذا الشيخ الجليل الذي أفنى عمره في خدمة الإسلام في هذه البلدة، ورعاية أبنائها وإكراماً من الله سبحانه بعد وفاته.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وعلى ذكر الهم والمهمومين، فإنه رحمه الله كان إذا رأى مهموماً سلاه وواساه، وكثيراً ماكان يقول للمهموم إذا رآه على هذه الحالة:

ماأراده الإله لابد منهُ / ويمد الهاء

فلماذا الهم العريض الطويلُ / ويمد اللام

إن لله في العبد مراداً/ويمد الدال

وسوى ماأراده مستحيلُ / ويمد اللام

ثم يقول: الأمر لله، ومن نحن ؟

٢٣- إكرامه للوافدين من أهل العلم والفضل إلى البلدة:

ولعل من أهم ماكان يميز الشيخ رحمه الله عن غيره من العلماء والكرماء مع كثرة هؤلاء، خصلتان:

الأولى:أنه كان يحب أن يكرم كل قادم إلى البلدة من أهل العلم، وأهل الفضل والخلق سواء كانوا من الموظفين الوافدين إلى البلدة (بسبب الوظيفة) أو الزيارة فكان بيته وقلبه الكبير مأوى لهم ونزلاً رحباً، وكان يتعرض لهم بالسلام عليهم وزيارتهم وإيناسهم ودعوتهم لبيته حتى يستأنسوا في البلدة وتسوى أمورهم وأقامتهم، وهذا معروف ومشهور لدى كل من وفد إلى الباب من هؤلاء أيام حياته رحمه الله.

الثانية:أنه كان داعية وحدة وإخاء إسلامي بين كافة فئات الدعاة إلى الله من أهـل العلـم والـدعوة والفكـر علـى اخـتلاف مـشاربهم، وكان يزورهم ويحضر مجالسهم ويوفق بينهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وفي مقالة الأستاذ الشاعر محمد منلاغزيل(في حضارة الإسلام)التي تجدها في الفصل التالي في الفقرة ج (ما قيل فيه) تفصيل ودليل على ماذكرنا.

الفصل الحادي عاشر

الرحلة الأخيرة

٢٤ – وفاته وماقيل فيه :

أ – وفاته : لم يكن يشعر رحمه الله بمرض يلزمه الفراش، بل كان يوم وفاته قد عمل درسه الصباحي في غرفته في المسجد (لجامع الصغير) وذهب إلى السوق وقضى بعض حوائج بيته، وقدم هدية إلى جيرانه وأقاربه صلة بهم، وذهب إلى الحلاق، فهذب لحيته، ولم تظهر عليه علائم المرض أو الوهن بل كان بفضل الله على أتم صحته وعافيته، وبعد العصر من ذلك اليوم الأربعاء الثامن من محرم ١٣٩٧ اغتسل ولبس ثيابه واستلقى في فراشه لتكون آخر ساعاته إثر احتشاء في القلب، هذا القلب الذي تعب صاحبه كثيراً، آن له أن يستريح من عناء الدنيا ووعثاء السفر ليستقر في رحمة الله ومغفرته – إن شاء الله تعالى –

وهرع في صباح اليوم التالي (الخميس ٩محرم) أهل البلدة وعلماؤها ومعظم علماء حلب من رفاقه وأحبابه للصلاة عليه في الجامع الكبير في الباب يتقدمهم أستاذنا وشيخنا الشيخ عبد الباسط أبو النصر والشيخ بكري الرجب والشيخ عبد الوهاب سكر والشيخ أديب حسون والشيخ جمعة أبو زلام مفتي منبج، وكان سيدي الوالد حضر أيضاً من القرية وأدرك الجنازة، وألقيت كلمات الرثاء والتأبين من العلماء االذين حضروا في المسجد ثم دفنه في مقبرة البلدة بجوار والده في سفح جبل عقيل وقف الأستاذ حسن عبد الحميد ليعدد محاسن ومآثر هذا الراحل الكريم الذي اختاره الله سبحانه ليريحه من تعب الدنيا وهمومها.

ب – رثاؤه (بمناسبة ذكرى وفاته) : ثم ارتأى محبو الشيخ وذووه أن تقام مناسبة يجتمع فيها العلماء والمحبون والأصدقاء لتعداد محاسن هذا الرجل فعرض البعض أن تكون في ذكرى الأربعين، ولكني أبديت أن الأربعين ومايتبعها ليست من عادات المسلمين، فلو أخرناها عنها لكان أحسن، وتجاوزنا أمراً لا يقره الشرع، وتمت الإستجابة وأخر الموعد، وجرى اجتماع في الجامع الكبير بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ٣٠ صفر ١٣٩٧ هـ الموافق ١٨ شباط ١٩٧٧ حضرته وفود العلماء والأحباب من مختلف مدن القطر وتكلم فيه سماحة مفتي حلب الشيخ محمد الحكيم والشيخ محمد الشامي رحمهما الله والشيخ أديب حسون من حلب والشيخ محمد علي المراد رحمه الله من حماه والشيخ كامل البدر من منبج والشيخ بكري الرجب من الباب والشاعر محمد منلا غزيل من منبج وأشادوا فيه بأخلاق الراحل، وخسارة الأمة بفقد علمائها..

ج – ماقيل فيه : وقال فيه العلماء والصلحاء الشيء الكثير ولكننا نرجو من الله سبحانه أن يقول فيه وله (غفرنا لك وتجاوزنا عنك وأبحنا لك الجنة تتبوأ منها حيث تشاء، ورضينا عنك وأحببناك) وإنا لنأمل هذا من ربنا ونرجوه.

وكانت كلمات المواساة من الأحباب والعلماء والفضلاء والصلحاء أعظم عزاء لنا ولهذه الأمة التي فقدت علماً من أعلامها وانثلم فيها ثلمة نرجو الله سبحانه أن يسدها..

وقد خصصت مجلة حضارة الإسلام الدمشقية بعددها الصادر عام ١٩٧٧ – ١٣٩٧ تحت عنوان (رجل فقدناه) مقالتين عن الراحل، الأولى للأستاذ حسن عبد الحميد، والثانية للشاعر محمد منلا غزيل، نثبتهما هنا فيما يلي:

رجل فقدناه : (الشيخ محمد سعيد المسعود : مفتي الباب) للأستاذ حسن عبد الحميد : يقول الإمام ابن القيم: العلماء بمنزلة النجوم في السماء

يهتدي بهم الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض من طاعة الأمهات والآباء بنص كتاب الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ وأولوا الأمر هم العلماء كما قال المفسرون.

١-شيعت مدينة الباب في الأسبوع الأول من شهر محرم علماً من أعلام الفقه الإسلامي ورائداً من رواد العمل الإسلامي.

خبر وملاحظة :

أقيم في يوم الجمعة ٢٩صفر ١٣٩٧ احتفال كبير عن روح فقيد الإسلام الشيخ محمد سعيد المسعود في مدينة الباب في جامعها الكبير حضرته وفود من أنحاء سورية وتكلم فيه علماء وشعراء ومنشدون في مقدمتهم الشيخ أديب حسون والشيخ محمد علي المراد، والشيخ كامل بدر، والشيخ بكري الرجب، والشاعر محمد منلا غزيل ذكروا مآثر الفقيد وحثوا الناس على الإلتفاف حول العلماء.

٧ـ وكان رحمه الله ذا نشاط اجتماعي بارز:

أ- فهو عضو في جمعية البر والأخلاق الإسلامية.

ب ـ وعضو في جمعية النهضة الإسلامية في الباب وله في تأييدها والثناء على رجالها جهاد مبرور.

ج ـ وهو رئيس لجمعية رفع المستوى الصحي في البلدة.

د ـ كان في زياراته المتوالية للريف يفتتح المساجد الجديدة أو يفض المنازعات ويعمل للصلح، أو يحيي ذكرى مولد النبي ﷺ وكثيراً ماحدثني أنه كان يركب الحصان متنقلاً يدعو إلى الله من قرية إلى قرية.

٨ ـ كان رحمه الله يحب الشباب المسلم من كل قلبه ويتواضع لهم ويرى فيهم أمل الإسلام المشرق.

ـ كان يقيم لهم المسابقات الدينية في السيرة والفقه ويقدم لهم الهدايا والجوائز القيمة.

ـ كان يحضر أعراس الشباب المسلم ويمشي خلف العريس حتى يوصله إلى بيته بين التكبير والتهليل ساناً سنة حسنة في البلدة بجعل الأعراس مهرجاناً إسلامياً يخطب فيه الخطباء وينشد فيه الشعراء.
ـ كان يحرص على سلامة عقيدتهم ولو كانوا في أول الأمر ذوي مظهر غير إسلامي.
ـ أسعد لحظاته عندما يرى شاباً أطلق لحيته في هذا الخضم الهائج من الفتن والشهوات.
ـ تنبه ونبه لما يراد بالصغار من إضلال وإفساد ولطالما صرخ بأعلى صوته في حفلات المولد (أيها الآباء انتزعوا أولادكم من أيدي الملحدين قبل أن تخسروهم إلى الأبد).
٩ ـ جمع الفقيد بين علوم الشريعة والطريقة الصوفية لكنه لم يتعصب لمذهبه الحنفي ولا لطريقته النقشبندية..
كانت أمنيته أن يتعاون رجال العلم والطرق وأن يتحد كل العاملين في الإسلام. وكثيراً ما نادى شباب الإسلام لا تختلفوا فالعدو يتربص بكم جميعاً.
- كان يتمتع بسعة أفق: قل أن توجد في غيره، ورحابة صدر ندر وجودها إلا فيه.
١٠ـ كان رحمه الله مغرماً ببناء المساجد الحديثة وإصلاح القديم منها من جيبه الخاص ومن تبرعات الناس يقوم بنفسه على جمعها وكان حريصاً أن يرتفع شعار الإسلام (المآذن) عالياً في السماء.
إن أغلب المساجد البلدة ستذكره يوم الدين أنه قام بتشيدها وآخر مآثره إصلاح الجامع الكبير وترميمه، وكان في أواخر عمره قد ألقى ثقله ببناء مسجد جديد وكان يحدثني أنه سيجعل فيه ملعباً رياضياً للشباب ومسبحاً إسلامياً للطلاب أنه فهم عظيم للمسجد ورسالته.
١١ـ ومن أبرز خصاله رحمه الله الكرم البالغ، والحديث عن كرمه سارت به الركبان لا تدخل عليه إلا والسماط ممدود ولا يأتي للبلدة

غريب إلا ويأخذ طريقه على بيته، ولا يرى غريباً إلا ويدله الناس على بيت المفتي ولا يأتي موظف للبلدة إلا ويجب أن يذوق طعام المفتي.

- دعاة الإسلام من كل بلد هم ضيوفه وأحبابه.
- مساعداته المالية لطلاب العلم الفقراء لاتنقطع.
- كثيراً مايطرق عليه الباب فقراء فلا يردهم إلا طيبة نفوسهم.

وما وقف في السوق يشتري حاجة إلا وقف إلى جانبه فقراء حاجتهم في قلوبهم فيدركها على الفور ويطلب من البائع أن يزن لهم الفاكهة أو خضرة أو لحماً، وكثيراً مايستدين من البائع ليعطي لهم نقداً.

١٢- اهتمامه بالعنصر النسائي جدير بالنظر فقد كان يعمل على إقامة دروس لهن ويشجع على حضورهن حفلات المولد ويطلب مني أن أقيم للطالبات مسابقات في السيرة والحديث ويبعث بناته وزوجاته إلى حلقات العلم ويبعث بمسجلة تسجل كل مادار في درس النساء.

١٣- وكان رحمه الله بالرغم من أنه يعيش بين الحواشي الفقهية لاتفوته مجلة إسلامية معاصرة ولا كتاب إسلامي حديث حتى يدركه بالفهم والنقد.

١٤- أما في الفقه الحنفي فهو من الأعلام البارزين في هذا القطر وخسارته لن تعوض إلا أن يشاء الله، كان مرناً في الفتوى يحب التيسير على الناس ويسعى للصلح بين المتخاصمين.

١٥- كان رحمه الله لايقع في خصومه ويثني عليهم إذا سمع تجريحهم له ويضع نصب عينيه حديثاً يردده :«**صل من قطعك واعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك**».[1]

١٦ - لما أدركت الوفاة الإمام ابن عقيل واحتضر بكى الناس فقال لقد وقعت عن الله خمسين سنة فدعوني أهنأ بلقائه.

---

[1] - ذكر في الجامع الصغير هذا الحديث بلفظ:«صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك».وعزاه لابن النجار في تاريخ بغداد عن سيدنا علي ﷺ، ورمز السيوطي لصحته، والمناوي لضعفه.

ولقد وقع شيخنا الشيخ محمد سعيد المسعود عن المولى خمسة وثلاثين عاماً وآن له أن يفرح بلقاء الله.

أبا محمد: سلام عليك، سلام على تلك المجالس التي كنت أقضيها معك بين الحواشي والمتون.

سلام على تلك الساعات الغالية كنت فيها معك هنا وهناك في مجلس علم أو ذكر أو في حفل مولد؛ سلام على ذكريات الأمس في الليالي الخالدة أسألك عن الفقه عبر الهاتف فلاتمل الإجابة التي تطول ساعات.

سلام عليك أبا محمد؛ طالما رأيتك تمشي في السوق قبيل عيد الفطر وفي (البازار) قبيل عيد الأضحى لسان حالك يقول هل من سائل هل من مستفت ؟

سلام عليك: ماملت قدمك الوقوف ساعات مع شيخ يسأل أو عجوز تستفتي ولم تتثاقل من طرق الباب الدائم ولا من رنين الهاتف المتواصل سؤالاً عن حكم الشرع مسألة.

سلام عليك جاءك الموت بعد ربع ساعة من آخر فتوى أفتيت بها فهنيئاً لك الشهادة لقد جاءك وأنت تُعَلِّم.

وإلى اللقاء أبا محمد إن شاء الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع الأحبة محمداً ﷺ وصحبه.

أيها الإخوة أمنوا مع ابن الجوزي:اللهم لا تعذب يداً دلت عليك، ولا رجلاً مشت إلى طاعتك، ولا لساناً ذبَّ عن سنة نبيك ﷺ.

الوحدوية الإسلامية في حياة الشيخ محمد سعيد المسعود العلمية والخلقية :للأستاذ محمد منلا غزيل:

الحمد لله الذي لايحمد على مكروه سواه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد آدم وخاتم رسل الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه..أما بعد: فإن أحسن الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي

هدي محمد ﷺ وخير الملل ملة ابراهيم، وأوثق العرى كلمة التقوى: لا إله إلا الله.. محمد رسول الله. أيها الإخوة الكرام:

إن من الوفاء لذكرى معارفنا المؤمنين بعد رحيلهم أن نذكر شيئاً من محاسنهم، وأن ننوه ببعض مآثرهم ليتخذ الخلف عن سلفه خير إرث وأفضل تراث..

ولقد كان لفقيد شعبنا المسلم فضيلة الشيخ محمد سعيد المسعود مفتي منطقة الباب من المحاسن والمآثر ماهو جديربالإشادة وبالعرفان.

وها أنذا أسهم في حفل رثائه وذكراه بتناول ناحية قيمة من رصيد ميراثه العلمي والخلقي والروحي راجياً أن تكون في صحائف أعماله يوم يبعث الله عباده.. وهي ناحية (الوحدوية الإسلامية)..

نعم أيها الإخوة.. لقد كان فقيدنا الراحل ذا وحدوية أخوية سمعتها أحياناً عن كثب وقرأتها بعد ذلك في تلك الكلمة اللطيفة والمعارضة النابضة بنفحات الخير في أبيات شائقة أبى عليه تواضعه الجم رحمه الله إلا أن يصفها بأنها خزف بإزاء لؤلؤ وإليكم لمحة عن ملابسات الأصل والمعارضة تذكرة وعبرة، كان ذلك نتيجة مباراة خطابية في موسم ذكرى المولد قبل عامين في بعض مساجد حلب الشهباء بين لونين من النظر إلى الأمور والأحوال من زاوية إسلامية يجنح أحدهما صوب الصبغة التصوفية كما ينحو الآخر نحو ولاء سلفي خاص..وطرح في الحلبة اسم (الوهابية) كما طرح اسم (النقشبندية) في سياق لا مجال لتفصيله في كلمة رثائية وفائية..

ومهما يكن من أمر فإن تطورات الأحداث أملت على الشاعر الغزيل أن ينظم قصيدة ثنائية بعنوان: (هوامش نقشبندية على أوراق وهابي)

ومعذرة إذا كان هذا العرض يتضمن التصريح بأمور غير مأنوسة أوغير مألوفة في تقاليد حياتنا الثقافية الراهنة ولكن التحديات من

حولنا تملي علينا أن نتبادل الرأي بصراحة وبشجاعة أدبية.. ونعوذ بالله من فتنة القول والعمل جميعاً..

ولقد بدا للشاعر أن يمهد لقصيدته تلك ببعض الهوامش التي نظمها وهو يتجول في حي الأنصاري بحلب.. والتي أكملها وعارضها فقيدنا والمعارضة هنا هي أن تنظم بالوزن وبالقافية نفسها وليس من شأن المعارضة أن تعني (المناقضة).

وإليكم أولاً تلك الهوامش:

ببالغ فرحة الرفقة ... وخالص لوعة لحرقة
يبث غزيل شوقه ... إلى التوحيد لا الفرقة
وينسج من هوامشه ... على علاتها (خرقة)
يطرز نقشبندياً ... على أفوافها ذوقة
و يحبوها رفاعياً ... صفاء الجو ذي الزرقة
ومن (جيلان) يعطيها ... جمالاً زادها رقة
جهاد (الشاذلي) أتى ... ليسكب فوقها ودقة
وبالسلفية المثلى ... أتتها روعة الدقة
تآخى الكل في الإسلام ... كيلا تبعد الشقة
فلا تهنوا أيا أعلون ... ولتقضوا على الفرقة
فكل مبادىء الأعدا ... ضلال فاغر شدقة
ليبلع مجد أمتنا ... ويبني صرحه فوقه
وإن لم نتحد ضعنا ... وضاعت فرصت حقة

❋ ❋ ❋

فبشرى للألى لمحوا ... سنا تبيانها برقة

وشـــاموا الـــبرق شـــامياً وعـــافوا غربـــه شرقـــه
مهـــــاجرة مناصـــــرة إلى الإســـلام يـــا رفقـــة
فـــزان جهـــادهم نـــصر ونـــالوا الحظـــوة الحقـــة
تـــــآخ زانـــــه أدب ليبـــدي كلكـــم حذقـــة

ولئن كان الشاعر قد صرح للمفتي الراحل عليه رحمة الله أنه لا يريد بالصفة النقشبندية والحال كما وردت بها في تلك الهوامش معنى إصطلاحياً تاريخياً محدداً وإنما يأخذ الدلالة اللغوية باعتبار المسألة مسألة نقش على القلوب..

وقد قيل: (نور الحقيقة خير من نَوْرِ الحديقة). ولئن كان الأمر كذلك فمازلت أذكر ما أسمعني إياه الراحل الفاضل أمام غرفته بالجامع الصغير ذات مساء وهو التكملة والإضافة التي جعلتني أخصه بصفة الداعية إلى التآخي الإسلامي والدعوة إلى الوحدوية بين فصائل أهل الدين وأبناء الإسلام ورحم الله من قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم . .

وسأعقب على أبياته ونفحاتها بموجز القول والبيان لأن دلالتها جلية صريحة.

قال بعد البيت : يطرز نقشبندياً على أفواها ذوقة
قال : ويحبوها (رفاعياً) صفاء الجو ذي الزرقة
ومن (جيلان) يعطيها جمالاً زادها رقة
جهاد (الشاذلي)أتى ليسكب فوقها ودقة
و (بالسلفية) المثلى أتتها روعة الدقة
تآخى الكل في الإسلام كيلا تبعد الشقة
فلا تهنوا أيا أعلون ولتقضوا على الفرقة
فكل مبادىء الأعدا ضلال فاغر شدقة

ليبلغ مجد أمتنا ويبني صرحه فوقه
وإن لم نتحد ضعنا وضاعت فرصت حقة

وهكذا تجدون يا إخواننا أن ما وصفته بالوحدوية الإسلامية، جليٌ بيِّن في منازع صاحب الأبيات عليه الرحمة وشآبيب الغفران والرضوان..

ومازلت أذكر في نطاق محاوراتنا ماأشار إليه – على دعوته الإتحادية الإسلامية- من أن النقشبندية تدعى طريقة العلماء.. بمعنى الحرص على هداية الكتاب والسنة.. ولقد سبق الشيخ الجنيد رحمع الله تعالى إلى القول: علمنا هذا مشيد على الكتاب والسنة.. فمن رأيتموه يمشي على الماء أو يطير في الهواء ولا يبني سلوكه ومعتقده على الأصول والأركان فلا تعتدوا به..فإنما الأمر استدراج.. والله أعلم..

ولا يفوتني في الختام أن أشير إلى ذكر الرفاعي والجيلاني والشاذلي أغراني بالعودة إلى كتاب (البرهان المؤيد) للشيخ الرفاعي أحمد.. وسبق لي أن تمتعت بما كتبه أبو الحسن الندوي حول الشيخ الجيلاني عبد القادر.. كما نعمت بما كتبه شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود حول الشاذلي واستوقفتني في كتاب البرهان للرفاعي عبارة من باب القول والحكمة وهي قوله: (إنكار بوارق الأرواح جهل بمدد الفتاح).. فلنستمطر سحائب الرحمة الربانية والعطاء الإلهي.

ولنذكر دائماً قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ سورة الكهف.

ولنذكر من سنة رسول الله ﷺ أنه دعا إلى إعداد القوة المعنوية والروحية لمواجهة فتنة المسيح الدجال..وذلك بالآيات الأواخر من سورة الكهف بخاصة، والله وحده خير مأمول ومسؤول أن يفيض علينا وعليكم من غيثه العميم عطائه الجزيل ما تطمئن به القلوب وتحيا به النفوس حياة رضية طيبة.. والسلام عليكم ورحمة الله. اهـ

■ وكان مما قاله صديقه وزميله الشيخ بكري رجب رحمه الله على قبره هذه الأبيات، وقد نقشت على القبر فيما بعد:

ذا ضريح إليه ضم سعيداً عاش أيامه هماماً رشيداً
دائم الذكر نقشبندي روح أورث النبل منذ كان وليدا
رائد الشرعة القويمة براً فرع آل المسعود ـ نالوا المزيداً
ربنا فاجزهم عن الدين خيراً وأنلهم مقام صدق حميداً
لبني الباب أرخو (خير مجد حي يا رب بالسلام سعيدا) ١٣٩٧هـ

■ ومن الرسائل الكثيرة التي وصلت معزية ومشاركة في المصاب اخترنا هذه الرسالة الكريمة من عالم كريم، وصديق لنا حميم الأستاذ الشيخ حسين الأزهري خطيب الجامع الكبير في اللاذقية وهذه بنصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فصلت، صدق الله العظيم.

أخي الأستاذ السيد محمد المسعود المحترم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

لا أعلم بأي عبارة أبدأ رسالتي هذه من شدة هول الخبر بالفاجعة العظمى بفقد والدكم المغفور له الشيخ محمد سعيد تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، إنني تعرفت عليه فعرفت العلم والعلماء والفضل والفضلاء والكرماء والصدق والصادقين والإخلاص والمخلصين جزاه الله عنا خير الجزاء.

وكم كنت أود أن أحضر الجنازة وأنال الثواب بتشيعها ولكن لا يعلم الغيب إلا الله، أما بطاقة المولد الشريف الذي أقمتموه عن روحه الطاهرة في ٣٠ صفر ١٣٩٧ هـ فلم تصلني إلا هذا اليوم الجمعة في ٧ ربيع الأول ١٣٩٧ هـ أي بعد الموعد بأسبوع فالمعذرة عن عدم

الحضور فإني أقدم التعازي لكم ولنا ولكافة المسلمين إذ هو ليس بفقيدكم فحسب إنما منزلته عندي بمنزلة والدي رحمه الله.

وكما أصبتم بفقده فقد أصبنا بفقد شقيقي الشيخ محمد عماد الدين نقيب السادة الاشراف بينما دخل جامع المغربي لأداء صلاة عيد الأضحى المبارك إماماً وهو الخطيب فيه فحينما جلس في محراب الجامع المذكور والناس بالمئات ينتظرون الصلاة وبين التهليل والتكبير اختاره الله تعالى إلى جواره وتغمده الله بفسيح رحمته ورضوانه فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وختاماً أسأل الله لهما الرحمة والرضوان والمغفرة وأن لايريكم الله مكروهاً وأن يلهمكم الصبر والسلوان وأرجو إبلاغ سلامي إلى أهل بيتكم الكريم وإلى الوالدة المحترمة وإلى أصهاركم الشيخ محمد زكريا المسعود والسيد عبد اللطيف نعناع وإلى عمكم الشيخ محمد علي وإلى جميع إخواننا عندكم في الباب والله يحفظكم ويرعاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللاذقية في ٨ ربيع الأول ١٣٩٧ هـ أخوكم حسين الأزهري

إمام جامع المشاطي وخطيب الجامع الكبير في اللاذقية

الفصل الثاني عشر

التوقيع عن رب العالمين



نماذج من فتاواه :

ذكرنا في آخر الفقرة (١٣كيف أسندت إليه الفتوى) أنه خلال مدة اشتغاله بهذه المهمة الجليلة وهي التوقيع عن رب العالمين كما يقول الإمام ابن القيم في(إعلام الموقعين عن رب العالمين) لم يفتر، ولم يمل من إجابة السائلين، وإفتاء المستفتين، وحل مشاكل المتخاصمين، وإصلاح ذات البين بين المتنازعين، ولم يكن يعرف دواماً كالموظفين يستريح بعده، بل كان ليله ونهاره وصبحه ومساؤه عملاً دؤوباً في الغاية التي خلق الله الناس لأجلها ألا وهي عبادة الله سبحانه.

ومن المعلوم أن أرقى العبادات هي العلم (تعليماً وتعلماً) ومدارسة وتطبيقاً، سلوكاً وتخلقاً، وكذلك كان رحمه الله تعالى، والإفتاء كما هو معلوم – تعليم علم ومدارسة وفقه في دين الله لحل مشاكل الحياة.

في غرفة الإفتاء (دار الحكومة – ثم مقرها في الجامع الصغير) كان يستقبل المستفتين ويجيبهم على استفتاءاتهم أثناء الدوام الرسمي وفي البيت أيضاً، وكان لايرد طارقاً – بعد انتهاء الدوام، ليلاً أو نهاراً، من امرأة تستحي دخول مقر دار الفتوى، أو قروي جاء متأخراً، أو سائل جاء لأمر طارىء حدث معه عاجلاً.. وكان الهاتف أيضاً يقوم بنقل فتاواه وإجاباته للسائلين في كل وقت..

وقد ترك لنا سجلات ضخمة من الفتاوى فيها الإجابات على أسئلة الناس بمصاحبة لديه ورجح من الأجوبة في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وغيره من الأئمة حسب مقتضى حال السائل ونوعية الإجابة.

وسأقدم في هذه الفقرة بعض الفتاوى، استخرجتها من مسوداته مماكان محفوظاً في أوراقه.

١- حكم الإجتماع ليلة النصف من شعبان وقراءة يس :

السؤال: حضرت الليلة الماضية دعاء النصف من شعبان فأحسست في نفسي سروراً عظيماً بهذه الطاعة وهذا التجلي الوافر ولكن وقع في نفسي أشكالات كبرى خطر في بالي عرضها عليكم لحلها وبيان الأحكام الشافية الوافية..

١- هل تعتبر هذه القراءة - يس - وهذا الدعاء - وهذا الإجتماع - من البدعة أم من السنة مع أن كل بدعة ضلالة ؟

٢ - **قول الشيخ**: قال رسول الله ﷺ (يس لما قرئت له) هل هو حديث صحيح أم ضعيف أم ليس بنبوي ؟.

٣- قراءة يس على نية طول العمر، وعلى نية دفع البلاء، وعلى نية الإستغناء عن الناس، فهل قراءتها على نية طول العمر أم حسن العمر وهل طول العمر ليس من طول الأمل المذموم ؟.

٤- ماهي أم الكتاب ؟ وهل فيها محو وإثبات ومتى يستحسن أن تقال ومتى لا يستحسن في هذا الدعاء ؟.

٥- هل هذا الدعاء مروي عن النبي ﷺ أم عن غيره أم غير مروي بالمرة ؟.

الجواب: ج١- إن حديث كل بدعة ضلالة هو حديث صحيح ذكره ابن حجر في تخريج أحاديث مسند الفردوس بلفظ: «**كل بدعة ضلالة إلا في العبادة**» [١] والبدعة المجمع عليها أنها ضلالة ماكان بدعة في الإعتقاد.

ج٢- وأما (يس لما قرئت له) فقد قال في المقاصد لا أصل له بهذا اللفظ وقد فتشت كثيراً عن أصله في المعنى فوجدت في رسالة جواز الإجتماع والدعاء في ليلة النصف من شعبان للشيخ ناجي أبو صالح المعاصر، ماروي عن رسول الله ﷺ أنه قال:«**من قرأ يس أمام حاجته قضيت له**». [٢]كما في كشف الخفاء، وفي تفضيل سورة يس أحاديث كثيرة ذكرها الحافظ ابن كثير في أول تفسيره لسورة (يس) فلاحاجة للإطالة بذكرها مع اعتقاد عظيم فضلها

ج٣- وأما قراءة سورة يس على هذه النيات الكريمة فمما ينبغي أن يمحص ويدقق فيه وتنوى له بنيات مقيدة بمعاني صحيحة، وأما قراءتها على نية الإستغناء عن الناس فحسب أن ينوي بها عن شرارهم وفيما يذل، وإلا فمن الناس من لا يستغنى عنهم وذلك لفضلهم كالأولياء والعلماء في شأن الدين وكذلك مما يقع فيه حاجة دنيوية وأما أن تقرأ على نية رفع البلاء فأمر حسن والدعاء بذلك جميل جداً.

وأما أن تقرأ على نية طول العمر وهو المهم في بحثنا هذا فيجب أن ينوي مقيداً بالتوفيق للخيرات، فطول العمر سيء جداً والرد فيه إلى أرذل العمر كيلا يعلم بعد علم شيئاً وعلى الأخص إذا كان في غير توفيق للطاعات فهو حسرة على صاحبه وندامة، قال ﷺ:«**خيركم من**

---

[١] – قال في كشف الخفا (كل بدعة ضلالة) رواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث العرباض بن سارية مرفوعاً، وساق ماذكره ابن حجر .

[٢] – أطال في الكشف الكلام على هذا الحديث والروايات التي ورد بها وساق أخيراً رواية الدارمي عنه بطولها، فارجع إليه فإنه كلام نفيس.

طال عمره، وحسن عمله، ورزقه الله الإنابة»[1]. وقال ﷺ:«**من أحسن فيما بقي غفر له مامضى ومن أساء فيما بقي أخذ فيما مضى وبقي**»[2] وأما مجرد طول العمر – أي الأمل – فانظر ماورد فيه – في الطريق المحمد ية ص ٥٦ عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: اشترى أسامة ابن زيد وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا تعجبون من أسامة المشتري إلا شهر، إن أسامة طويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفريَّ (هدبا العين) لا يلتقيان حتى يقبض الله تعالى روحي، ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت، ثم قال: يابني آدم: إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.اهـ

٢- ليلة النصف من شعبان، وإحياؤها، والدعاء فيها

السؤال: يعتني المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في ليلة النصف من شعبان فيقومون ليلها ويصومون نهارها ويدعون بذلة وخضوع وتوجه إلى الله تعالى بين مغربها وعشائها مع قراءة سورة (يس) المباركة، فهل هذه ميزة خاصة وأجر ومثوبة أفيدونا .

ج- لا شك أن لهذه الليلة المباركة ميزة ممتازة، ومرتبة عليا، ولتلك الأعمال التي ذكرتم ثواب عظيم.

---

(١) – أورده في كشف الخفا بهذا اللفظ وقال: رواه أحمد والترمذي وصححه ابن عبد البر بلفظ :«**خير الناس من طال عمره وحسن عمله**».

(٢) – قال في الكشف : قال النجم : لم أجده في الحديث المرفوع، وإنما أخرجه الأصفهاني في الترغيب عن طريق الفضيل بن عياض من قوله، وفي معناه اخرج الشيخان عن ابن مسعود «**من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر**».

روى الحافظ (الجلال السيوطي)[1] برقم ٣٩٥٢ (خمس ليال لا ترد فيهن دعوة: أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلة الفطر وليلة الأضحى). وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**».

وفي رواية: «**إن الله يغفر لجميع المسلمين هذه الليلة إلا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق لوالديه والمصر على الزنى**».

٣-وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «**إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من شعر غنم بني كلب**» [2]اهـ

٤- فيتأكد إحياء ليلة النصف من شعبان بأنواع العبادات وكذا الصيام يومها، كما ثبت في صيام رسول الله ﷺ له في جملة صومه لكثير من أيام شهر شعبان المبارك.

ومن جملة العبادة في هذه الليلة المباركة قراءة سورة (يس) بين المغرب والعشاء بنية طول العمر بالتوفيق للطاعات والسعادة في الدنيا والآخرة لقوله ﷺ: «**من قرأ يس أمام حاجته قضيت له**».[3]، وقراءة الدعاء الوارد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (**اللهم ياذا المن ولا يمن عليه..**)، وكان يقول ﷺ: «**ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله عليه معيشته**».

---

[1] – في الجامع الصغير وشرحه المناوي، عزاه للحافظ ابن عساكر ورمز لضعفه، قال المناوي : ورواه عنه الديلمي في الفردوس والبيهقي من حديث ابن عمر، قال ابن حجر وطرقه كلها معلولة .

[2] – يراجع ماورد في ليلة النصف من شعبان من أحاديث ذكرها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب وبين درجتها، وقد ذكر جملة صالحة منها تفيد فضل هذه الليلة، ومن لا يغفر له فيها .

[3] – انظر هامش رقم /٢/ في الصفحة السابقة .

ثم يقرأ يس ثانية بنية دفع البلاء، ويدعو بالدعاء المذكور، ثم يقرأ يس الثالثة بنيةالإستغناء عن شرار الناس ويدعو أيضاً.

وقال ﷺ:«**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله..**»[1] وهذا يحصل ليلة النصف.

وكان سيدنا عمر يقول: (**لو ناد مناد كل الناس يدخلون الجنة إلا واحداً لظننت أني ذلك الواحد**) مع أن رسول الله ﷺ بشر عمر بالجنة.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر ٦٠].

وقال تعالى أيضاً: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ الآية الفرقان ٧٧.

٥-حكم شراء الراديو :

السؤال: إنني أرغب في شراء مذياع (راديو) فما الحكم في شرائه واقتنائه ؟ أفيدوا..

الجواب: إن المذياع آلة لا تمخض للهو كالعود والمزمار، وإنما يكون بها من الخير كثيراً ومن الشر كثيراً، فمن أراد شراءها واقتناءها ليستمع منها إلى القرآن الكريم وما إليه، فهي خير وحل شراؤها، ومن كانت إرادته غير ذلك فلها حكم ما اشتريت له وهي كالسيف والبندقية والأدوات التي يمكن استعمالها في أكثر من أمر، وكلها في ترتيب أحكامها على الغاية منها كما يعلم من الدر المختار، ورد المحتار (حاشية ابن عابدين) والله أعلم.

---

[1] – تتمة الحديث: « .. يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» . رواه أبو داود عن أبي هريرة، وكذا مسلم كما في الجامع الصغير وشرحه المناوي ورمز لصحته .

٦- من هو الولي ؟ وهل تسقط عنه الأحكام الشرعية ؟ .

السؤال: نسمع من الناس يقولون فلان ولي وله كرامات فنقول إنه يفعل كذا وكذا من المنكرات، فيقولون: وصل إلى درجة أنه أصبح لا يعاقب عليها، وقد حلت له، فنقول: إنه يترك الصلوات وكثيراً من الأوامر.

فيقولون: سقط عنه التكليف فهل هذا الكلام حق أم باطل؟ ومن هو الولي الحقيقي.

الجواب: الولي الحقيقي هو من والى الله فقط ولي على وزن فعيل بمعنى فاعل ومفعول وكلاهما صحيح،

وتعريفه: أنه إنسان عارف بالله تعالى وصفاته حسبما تمكن (فالمهم العلم) المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي (فالمهم العمل) المعرض عن الإنهماك في الملذات والشهوات (فالمهم الإقبال على الله بترك الحظوظ) والكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد ولي من أولياء الله تعالى تصدق به المعجزات أو يكون على وفقها غير مقرون بالتحدي، فكرامة الولي معجزة لنبيه، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، والحكايات عن الصالحين.

أما الكتاب فنحو قوله تعالى: حكاية عن آصف بن برخيا ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ وقصة السيدة مريم في القرآن الكريم ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

وأما السنة: فكثير منه ماورد من قصة عوف ابن مالك، أن مالكاً جاء إلى النبي ﷺ من الأسر ومعه قطيع من الغنم، كما في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ..﴾ سورة الطلاق.

وأما الإجماع: فما تواتر عن كثير من الصحابة ومابعده بحيث لا يمكن إنكاره كقصة سيدنا عمر (ثاني ولي) عندما رأى سارية وجيشه بنهاوند [1].

ومثلها كثير (قصة أبي النصر في السفينة)[2] ثم الشيوخ الصالحين.

وأما حكايات الصالحين: مثلما روي عن جابر الرحبي قال إن أكثر أهل الرحبة ينكرون كرامات الأولياء فركبت الأسد يوماً ودخلت على الرحبة وقلت أين الذين يكذبون كرامات أولياء الله.

ومنها أن حبيباً العجمي كان يُرى يوم التروية في الكوفة ويُرى في منى وعرفات أيضاً.

ومنها أن عقرباً لدغ جبين أبي حنيفة وسقط على الأرض فقصد التلامذة قتله فمنعهم حتى يرى مصداق قوله (لحوم العلماء مسمومة) فمات العقرب لساعته، ومثل ذلك كثير وكثير جداً. ومنها كيف أن بشراً الحافي كان يضع سجادته على الماء ويصلي عليها ولكن مهما بلغ الولي من منزلة فلن تسقط عنه التكاليف الشرعية والقول بهذا كفر وضلال.

وسيد الأولياء أبو بكر الصديق ﷺ الذي قال عنه عمر وددت أن عملي كله مثل عمله يوماً واحداً من أيامه ومثل ليلة واحدة من لياليه، أما الليلة فهي ليلة الغار وأما اليوم فهو يوم حروب الردة، والله تعالى أعلم.

---

[1] – ذكر العجلوني في كشف الخفا قصة سيدنا عمر وقوله لسارية: (يا سارية الجبل) والروايات التي وردت فيه ومن رواه من المحدثين فارجع إليه فإنه استوفى الموضوع .

[2] – ذكرنا قصة السفينة مفصلة في كتابنت (أعلام النقشبندية في بلاد الشام المباركة) فصل في كرامات الشيخ أبي النصر فارجع إليها .

٧- نبش القبر لاستخراج متاع له قيمة :

السؤال: توفيت زوجتي الشابة وبيدها أساور كنت اشتريتها وألبستها إياها فلم تترك أمها الغاسلة تخلعها فدفنت معها وأنا لا أعلم، فهل يجوز نبش القبر لإخراج الأساور أم لا ؟ أفيدو..

الجواب الحمد لله تعالى: لك ذلك كما في (رد المحتار) والله تعالى أعلم.

٨- هل يؤخر دفن الميت من أجل كثرة المصلين ؟

السؤال: توفي ميتنا في صباح يوم الجمعة فهل نصلي عليه وندفنه في وقته أم ننتظر صلاة الجمعة ليصلى عليه عقبها رغبة في كثرة المصلين عليه، الشفعاء له؟ أفيدو.. الجواب: الحمد لله تعالى: عجلوا بالصلاة عليه ودفنه، ويكره تأخيره إلى ما بعد صلاة الجمعة المذكورة وإن لم يتغير كما في (رد المحتار) والله أعلم.

٩- الإنابة بالحج من غير عذر.

السؤال: لي رغبة أن أفتتح مشروعاً زراعياً، وهو في أيام الحج يحتاج إلى العمل الدؤوب المتواصل، فهل يمكنني أن أنيب من يحج عني إذا كنت مشغولاً ذلك الحين أم لا ؟

الجواب: الحمد لله تعالى إن كان الحج فرضاً فلا إلا بشرط العجز، وإن كان نفلاً جاز بدون اشتراط العجز كما في رد المحتار والله أعلم.

١٠- ما هي حدود ملكية الأب الابن ؟.

السؤال: كنا نتذاكر في حقوق الأب فقال أحدنا إن كل ما يملكه الابن ملك لأبيه بدليل قوله ﷺ:« **أنت ومالك لأبيك** ».[1] فلا يصح للابن

---

[1] – هذا الحديث ذكره السيوطي في الجامع الكبير ورمز المناوي لضعفه، قال المناوي: وفي الباب أحاديث فيها لين وبعضها أحسن من بعض ..قال ابن حجر: قد أشار البخاري في الصحيح

أن يشتري من ماله شيئاً أو يبيع شيئاً من ماله إلا برضا أبيه وإلا فالبيع فاسد، فتعجبنا وقلنا الناس كلهم على غير ذلك فلو كان مالُ الابنِ ملكاً للأب لما ملك ابن رزقاً إذا كان يطمع في ماله وهم كثيرون جداً فما الحكم ؟ أفيدوا..

الجواب: الحديث الشريف:«**أنت ومالك لأبيك**». قال عنه العلامة العزيزي في ج٣ص٦٥ رواه ابن ماجة عن جابر بن عبد الله والطبراني في الكبير عن سمرة بن جندب وابن مسعود وقال الشيخ حسن صحيح.

ونقل العلامة مجتهد عصره جلال الدين السيوطي في نفس الصفحة من الجزء قوله: (أنت ومالك لأبيك) يعني أن أباك كان سبب وجودك ووجودك سبب وجود مالك فإن احتاج فله الأخذ منه بقدر الحاجة كما يأخذ من مال نفسه إذا كان المأخوذ فاضلاً عن حاجة الإبن.

وسبب الحديث أن رجلاً قال يارسول الله إن لي مالاً وولداً وإن أبي يحتاج مالي.. فنزل جبريل وتمام القصة في كشف الخفا، ونقل العلامة مجتهد عصره السيوطي قوله ﷺ:«**كل أحد أحق بماله من والده وولده والناس أجمعين**».[1] حديث صحيح عليه علامة الصحة (قوله من والده وولده) فإذا استولى على مال والده أو ولده كان غاصباً، وخبر «**أنت ومالك لأبيك**».محمول على النفقة الواجبة لأبيه إذا احتاج إليها.

ونقل أيضاً:«**كل ذي مال أحق بماله يصنع به ما يشاء**»[2] قال في الكمال في الفتح ج٣ص٣٤٩ ومما يقطع أنه (أي الحديث) مؤول أنه

إلى تضعيفه هذا الحديث، وذكر العجلوني في الكشف في سبب الحديث قصة طريفة وشعراً حسناً وقال في نهاية كلامه، قال في المقاصد والحديث قوي.

(١) – ذكره السيوطي في الجامع الصغير من رواية البيهقي عن حبان الجمحي ورمز لصحته .

(٢) – ذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز لحسنه المناوي .

تعالى ورث الأب من ابنه السدس مع ولد ولده فلو كان الكل,ملكه لم يكن لغيره شيء مع وجوده.

أقول: فلو أمر الأب الإبن بشيء يخالف الشرع في ماله من عدم دفعه في حق مثلاً فليقل له: قال ﷺ:«**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**».

١١- أن يغسل الزوج زوجته بعد وفاتها ؟

السؤال: كان بعضنا قد سمع من أحد المشايخ أن للزوج أن يغسل زوجته وسمعنا من أحد المشايخ أن للزوج أن يغسل زوجته وسمعنا من شيخ آخر عكس ذلك أفيدونا أفادكم الله.

الجواب: إن كلا الشيخين قد أجاب بالحق في مذهبه فالأول شافعي والثاني حنفي، فإن الحنفية يقولون:للزوجة أن تغسل زوجها لبقاء أثر الزوجية بعد موته وهي العدة، فلو فرضنا أنها كانت حاملاً فوضعت بعيد وفاته قبل تغسيله لم يعد يجوز لها ذلك لانقضاء العدة وعدم بقاء أي علاقة... وكذلك لو أرضعت ضرتها الصغيرة إذ تكونان قد حرمتا عليه، الكبرى لأنها زوجته والصغرى لأنها ابنتها..

وأما لو ماتت هي فإنه لا يغسلها لانقطاع النكاح فإن لم توجد امرأة لتغسيلها يممها، وليس عليه غض بصره عن ذراعيها بخلاف الأجنبي (**وكذا لو ماتت امرأة بين الرجال أو رجل بين النساء**) يعني ييمم، كما يعلم من نور الإيضاح ومراقي الفلاح والطحطاوي.

أما عند الشافعية: فقد قال الباجوري في ج١ ص٢٥٤ والأولى بالرجل في غسله الرجل، والمرأة في غسلها المرأة، وله تغسيل حليلته ولو كانت مطلقة طلقة غير رجعية، أما أدلة المذهبين العظيمين في ذلك فهي واضحة:

الحنفية يقولون:إذا ماتت المرأة انقطع النكاح تماماً ولذلك كان له أن يتزوج رأساً بمن لم يكن له حل الجمع بينهما كأختها وعمتها وخالتها وخامسة، لأنها تصبح رابعة رأساً فما بقي من العلاقة بينه وبينها حتى يحل له تغسيلها ويردون على دليل الشافعية بردود سنذكرها في دليل الشافعية.

وأما دليل الشافعية ومعهم المالكية والحنابلة على جواز تغسيل الرجل زوجته بعد موتها هو أن علياً كرم الله وجهه أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين قال فيهم ﷺ:«**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**». [1] غسل زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد موتها.

ويرده الأحناف بقولهم: ويروى أنه غسلتها أم أيمن والدليل إذا طرقه الإحتمال بطل به الإستدلال.

ويقولون أيضاً في الرد: ولو ثبت أن علياً غسلها فهو محمول على بقاء الزوجية لقوله ﷺ:«**كل سبب ونسب ينقطع بالموت إلا سببي ونسبي**» [2] مع أن ابن مسعود أنكر عليه فقال علي: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال:«**إن فاطمة زوجتك في الدنيا والآخرة**». فدعواه الخصوصية دليل على أنه كان معروفاً بينهم أن الزوج لا يغسل زوجته. اهـ

ومن أدلة تغسيل الزوجة لزوجها: قاله في الطحطاوي ٣١٣ والأصل في غسل الزوجة لزوجها ما روي عن عائشة أنها قالت:« **لو استقبلنا في أمرنا ما استدبرنا ما غسل رسول الله ﷺ إلا نساءه**». ومعنى ذلك

---

(١) – وهو حديث صحيح ذكره الإمام النووي في الأربعين .

(٢) – ذكره السيوطي في الجامع الصغير بلفظ (**كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري**) من تخريج الحافظ ابن عساكر عن ابن عمر ورمز لصحته وقال المناوي : ورد فيه مرسل حسن .

أنها لم تكن عالمة وقت وفاة رسول الله ﷺ بإباحة غسل المرأة زوجها ثم علمت بعد ذلك. روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أوصى زوجته أسماء بنت عميس أن تغسله بعد وفاته، وهكذا فعل أبو موسى الأشعري، لأن إباحة الغسل مستفادة بالنكاح فتبقى مابقي النكاح، والنكاح باق بعد الموت إلى انقضاء العدة اهـ

ملاحظة: كانت هذه الفتاوى التي ذكرناها آنفاً فيها تفصيل حسب تفصيل السؤال، وقد اخترنا بعض نماذج من فتاواه التي كان يرسلها إلى سماحة مفتي حلب الذي يرسلها بدوره إلى المفتي العام، وذلك من فتاوى عام ١٩٦١م التي صدرها بقوله: **إلى سماحة مفتي حلب الموقر**: (أرفع لمقامكم الكريم صور الفتاوى الصادرة عن دائرة إفتاء منطقة الباب خلال شهر شباط ١٩٦١م، مع العلم أنها ليست كلٌ ولا جلٌ ما نجيب عنه من أسئلة، وحلول لمشاكل تستدعي محكمة كاملة لولا انقياد المتخاصمين والمستفتين لأمر الله وحكم شرعه، وإنما هي مانصدره خطياً وفي مقرنا فقط، جله ما يكون حيث صادفنا السائل وفي أي وقت شاء)وقد اخترنا من هذا الفتاوى لعام١٩٦١-١٣٨٠هـ ما يلي.

١-الرضاع المحرم

سئل عن شاب يريد أن يتزوج فتاة كانت قد رضعت من أمه رضعة واحدة تحقق فيها وصول اللبن إلى الجوف فهل لا يصح الزواج بها لأنها أخته رضاعاً ؟ أفيدوا..

الجواب: الحمد لله وحده أصبحت أخته عند الحنفية ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٢/١

٢- الحق لايسقط بالتقادم :

أقر أنه استقرض من المدعي خمسة دنانير من عشرين سنة ولكنه يمتنع من ردها بسبب مرور الزمن مع عدم المطالبة كل هذه المدة فهل يجب ردها ؟ أفيدوا.. الجواب: الحمد لله يجب ردها ولا عبرة بمرور الزمن مع ثبوت الحق بالإقرار ولا بعدم المطالبة كل هذه المدة والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٢/٢م

٣- ضمان الخياط.

خياط غلط فقص الجوخ بشكل لم يعد يصلح للمطلوب فهل يضمنه ؟ أفيدو.. الجواب: نعم يضمن الأجير المشترك ما تلف بعمله والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٢/٥

٤- الحرام لا يتعدى فاعله.

اشترى لزوجته ثوباً بمال حرام فهل يجوز لها لبسه ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم والإثم على الزوج والله تعالى أعلم.

٥- لا يجوز غيبة الذمي.

رجل يستغيب جاره الذمي ويشتمه في غيبته أحياناً فهل يجوز له ذلك أم لا؟ أفيدوا.

الجواب: لا يجوز لحرمة غيبة الذمي وشتمه وإساءته والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٢/٨

٦- لا حلف إلا بالله.

رجل حلف برأس أبيه وبشاربي نفسه فهل يجوز ذلك أم لا ؟ أفيدوا..

الجواب: لا يحل له ذلك وليحلف بالله أو ليذر والله تعالى أعلم

٧- طالق على أربع مذاهب.

قال لها أنت طالق على الأربع مذاهب فهل تقع عليه طلقة رجعية فقط؟ أفيدوا.

الجواب: نعم والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٢/١٤

٨-تغرير غير البائع.

رجل كان يشتري متاعاً من آخر فغرره جار البائع وباعه إياه البائع بغبن فاحش فهل ليس له الرد ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم ليس له الرد لعدم العبرة في تغرير غير المتبايعين والدلال. والله تعالى أعلم. ١٥ /١٩٦١/٢

٩- بيع المعدوم.

بدوي باع ماستلده أغنامه في هذا العام من آخر بكذا على عادة العرب فهل لا قيمة لهذا البيع ولا لهذه العادة ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم لا يصح هذا البيع والله أعلم. ١٩٦١/٢/١٧

١٠- حضانة الصغير ونقله.

صغير في حضانة خالته تريد نقله من بلد أبيه إلى بلدة تبعد عنها مائة وخمسين كيلو متراً فهل لا تملك ذلك إلا بإذن أبيه ؟ أفيدوا..

الجواب: لاتملك ذلك إلا بإذن أبيه والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٢/٢٤

١١- ضمان المرهون.

اشترى مأكولاً ودفع ساعته للبائع قائلا ضع هذه عندك حتى أدفع لك الثمن فسرقت الساعة فهل يضمنها ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم يضمن الاقل من قيمة الساعة ومن ثمن المأكول لأنها تعتبر رهناً بالثمن والله تعالى أعلم.

١٢- حكم الهبة قبل القبض.

قال لأخته ومعها طفلها: وهبتك ابنك ماستلده هذه النعجة ولما ولدت النعجة أبى أن يسلم الخروف فهل لايجبر على ذلك؟ أفيدوا..

الجواب لاقيمة لهذه الهبة والله أعلم. ١٩٦١/٢/٢٧

١٣ -الوصية للحمل.

زارته ابنته الحامل فأوصى لحملها بحمل بقرته ثم توفي وولدت ابنته وبقرته لثلاثة أشهر من وقت الإيصاء فهل تصح هذه الوصية للحمل بالحمل؟ أفيدوا..

الجواب: نعم تصح الوصية لوجود الحملين وقت وفاة الموصي والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٢/٢٨

١٤- ضمان الشريك.

نهى شريكه أن يبيع مال الشركة نسيئة فخالف فهل يضمن حصة شريكه الناهي من الضرر ؟ أفيدوا.. الجواب: نعم يضمن الناهي والله تعالى أعلم.

١٥- ضمان اللقطة.

التقط نعجة فأخفاها عمن اعتقد أنهم أصحابها وأقسم أنه لم يكن رآها وبعد أن أكلها الذئب أقر بأنه التقطها متملكاً لها فهل يضمن قيمتها حين الإلتقاط ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٣/٥

ب- ضمان المعتدي.

دخل المطعم ليشرب فنهاه صاحبه عن تناول إبريق نفيس فيه وعن الشرب في الكوب الذي أمام الإبريق فلم ينته وانكسرا حال شربه وتسرعه فهل يضمن ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم يضمنها والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٣/٧

ت- طهارة الكبد

هل الكبد طاهر قبل الغسل أم لا ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم هو طاهر والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٣/٨

ث- كسب الولد

أولاد في عيال أبيهم لواحد منهم صنعة كسب منها مالاً معروفاً فهل يكون له فقط دون أسرته وأبيه ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم له دون أبيه وإخوته والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٣/٩

ج- كسب الزوجة

امرأة تاجرة أقر زوجها في صحته بأن مال التجارة لها ثم توفي وهي في بيته وعصمته فهل لسائر الورثة مشاركتها في هذا المال الذي أقر الزوج بأنه مالها ؟ أفيدوا.. الجواب: ليس لهم مشاركتها والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٣/١١

ح- فسخ الإجارة

قبل تمام المدة حداد مستاجر دكاناً في سوق الحدادين حول صنعته من الحدادة إلى تجارة الأقمشة، فلم تعد تصلح له هذه الدكان في عملها الجديد فهل يكون له فسخ إجارتها قبل تمام المدة ؟ أفيدوا.. الجواب: نعم والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٣/١

خ- ما يلحق المبيع تبعاً

باع داره وعند تسليمها أراد أن يقلع أبواب خزائن الجدران، فهل ليس له ذلك لدخولها في البيع حكماً دون ذكرها تبعاً أفيدوا..الجواب: نعم والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٣/١٥

د- طلاق المكره.

حلفه والد زوجته بالطلاق ألا يشرب الخمر فلما علم بذلك رفقاؤه الفسقة بذلك قبضوا عليه بقوة وأوجره خمراً فهل يقع عليه الطلاق المذكور بذلك أفيدوا..

الجواب: نعم لا يقع والله تعالى أعلم. ١٩٦١/٣/٢١

ذ- ضمان الراعي المقصر.

ترك الراعي الغنم ليلاً وذهب للسمر في أحد بيوتها فسرقت نعجتان فهل يضمنهما؟ أفيدوا.. الجواب: نعم لتقصيره في الحفظ والله تعالى أعلم. ٢٣ /٣/ ١٩٦١

ر- مخارجة فاسدة.

قبل أن يعرف الورثة أن على التركة ديوناً صالحوا الزوجة وخارجوا الزوجة على كذا من المال مقابل حصتها الإرثية ولما علموا باستغراق الدين للتركة أبوا أن يدفعوا لها شيئاً فهل لهم ذلك؟ أفيدوا..الجواب: نعم والله تعالى أعلم.٢٤/٣/١٩٦١

- ضمان قيمة المسروق.

سرقَ فرسَ آخرٍ أيام الشتاء ومات عنده وقام صاحبه يطالب بثمنها الذي اشتراها به في أواخر الربيع فهل ليس له إلا قيمتها حين السرقة ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم والله تعالى أعلم. ٢٢/٤/١٩٦١

- لا تحرم أخت أخيه رضاعاً.

شاب يريد أن يتزوج بأخت أخيه رضاعاً فهل تحل له أفيدوا..

الجواب: نعم تحل له والله تعالى أعلم. ٢٨/٣/١٩٦١

- الأجر على تمام العمل.

صاحب سيارة حمل أمتعة قروي ليوصلها إلى قريته بأجر معلوم فلما كان السائق في منتصف الطريق خوفه العائدون من أوحال الطريق

فرجع إلى المكان الذي أخذه منه مطالباً إياه بنصف الأجر فهل لا يحق له ذلك ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم لا يحق له المطالبة بالأجر والله تعالى أعلم. ١٩٦١/١/٢

٢٨- شركة الصيادين.

اشتركا في صيد الحيوانات البرية للإنتفاع بجلوها فصادا معا مقداراً معلوماً ثم ذهب كل واحد منهما لجهة فلما اجتمعا أبى أحدهما أن يقاسم الآخر بما صاده طالباً حصته مما صادا معاً فقط فهل يكون له ذلك أفيدوا.. الجواب: نعم لاحق لأحدهما فيما صاده الآخر ولو بنية الشركة ويقتسمان ما صاداه معاً والله تعالى أعلم.١٩٦١/١/٨

- ضمان صاحب الكلب العقور.

رجل عنده كلب عقور تقدم إليه بعض أهالي القرية بأن كلبه يخشى منه الإنفلات على الإنسان والحيوان ويطالبون منه المحافظة عليه فلم يفعل شيئاً حتى أتلف الكلب دابة فهل لصاحبها تضمين صاحب الكلب قيمتها ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم له ذلك والله تعالى أعلم. ١٩٦١/١/١٨

- نفقة المطلقة.

طلق زوجته الحامل ثلاثاً فهل يجب عليه لها النفقة حتى تضع حملها ؟ أفيدوا..

الجواب: نعم والله تعالى أعلم. ١٩٦١/١/٢٧

- ضمان الصغير في ماله.

صغير يلعب مع الصبية بلعبة الحاح المعروفة فكسر زجاج نافذة فهل يضمنه في ماله وإن لم يكن له مال أنظره إلى ميسرة ؟ أفيدو.
الجواب نعم والله تعالى أعلم.

خاتمة:

وما أخذناه من هذه الفتاوي يعتبر كعنوان لفتاواه الكثيرة التي أصدرها خلال خمسة وثلاثين عاماً وفقنا الله لإخراجها وطبعها ليستفيد منها أهل العلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس الكتاب

٣ – الإهداء.

٥- كلمة الشيخ القلاش.

٧- كلمة الحسيب النسيب أ د. هاشم محمد مهدي.

١٣- نظرات ومدخل إلى الكتاب د.نور الدين عتر.

١٧- شهادة أهل عصره الشيخ عبد الله المسعود.

٢٥- عفواً وعذراً.

٢٧- المقدمة.

٣٣- من هم الربانيون.

٣٤- الحاجة إلى الربانية.

٣٥ – لماذا هذا الكتاب.

٤٠- ترتيب قطوف الكتاب.

٤١- **الباب الأول**: صحائف من حياة العالم الرباني الشيخ محمد علي المسعود.

٤٥- **الفصل الأول**: ولادته، ونشأته العلمية.

٤٦- النشأة الأولى.

٤٧- مبادىء القراءة.

٤٨- في المكتب الإبتدائي.

٤٨- في المدارس الشرعية في الباب.

٤٩- متابعة العلم لدى الشيوخ.

٥٠- السفر لدمشق للعلم.

٥١- في الخسروية.

٥٧- العودة إلى الباب.

٥٨- **الفصل الثاني**: التربية الإيمانية.

٥٩- عناية الجد بالوالد ورسائله إليه.

٦١- **الفصل الثالث**: العلم والعمل الديني والدنيوي.

٦٤- حادثة طريفة.

٦٥- المكتب الأولي لتعليم أهل القرية.

٦٦- عقد الزواج.

٦٧- أيام العز بدابق.

٦٨- **الفصل الرابع**: سلوك الداعية.

٦٩- نبذ من أخلاقه الكريمة.
٧١- بناء المساجد والحض على العلم.
٧٢- تعليم النساء.
٧٣- تجوله في المنطقة داعياً.
٧٤- أخلاقه مع أهل العلم.
٧٥- إرسال أولاده إلى الباب
٧٦- وفاة والدته.
٧٧- أيام العز بدابق.
٧٨- الإنتقال إلى بارح.
٨٠- وفاة والده.
٨١- ما بعد وفاة الجد.
٨٢- وفاة العم الشيخ محمد سعيد.
٨٣- العودة إلى الباب.
٨٩- **الفصل الخامس**: أسفاره.
٩١- الأسفار الخارجية.
٩٢- أسفار الحج والعمرة.
٩٥- سفره إلى تركيا.
١٠٠- السفر الداخلي.
١٠٢- **الفصل السادس**: شيوخه وإخوانه.
١٠٧- **الفصل السابع**: أدبه الرفيع.
١٠٨- رسائله لوالده.
١٠٩- رسائل المشايخ إليه.
١١٣- رسائله إلى أولاده.
١٣١- رسائل متفرقة.
١٣٧- شعره.
١٣٩- **الفصل الثامن**: آثاره العلمية.
١٤٠- مسلكه العلمي.
١٤٢- الفقه والفتوى في حياة الشيخ.
١٤٦- أعماله العلمية في الكتب.
١٤٨- شرح غريب كنز العمال
١٥١- **الفصل التاسع**: عبادته.
١٥٣- ورعه وموارده المالية.
١٥٦- سلوكه مع الضيوف.
١٥٩- **الفصل العاشر**: ما أكرم الله به إخوانه.
١٧١- قراءته للمرضى.
١٧٦- صورة من تواضعه.

١٧٧- بعض بركاته.
١٧٩- بعض توجيهاته التربوية
١٨١- نظرات وداع.
١٨٣- خاتمة.
١٨٧- **الفصل الحادي عشر**: الشيخ والتصوف.
١٨٨- التصوف علم ومعرفة.
١٨٩- الحجر الصالح.
١٩٠- صحبته للمرشدين الكاملين.
١٩١- التصوف سلوك.
١٩٢- سيره وسلوكه.
١٩٩- العلامة في الطعام الحلال.
٢٠٠- مقام الزهد.
٢٠٥- أثر هذه المقامات في الآخرين.
٢٠٩- الفصل الثاني عشر: آخر يوم من الحياة..
٢١٠- الأيام الأخيرة في حياة الشيخ.
٢١١- الاستشفاء بالعلم.
٢١٣- يموت الإنسان على ما عاش عليه.
٢١٥ – نعي الشيخ.
٢١٥- الجنازة والصلاة عليها.
٢١٦- المشهد الرائع.
٢١٧- نفحة مسك.
٢١٨- صلاة الجنازة.
٢٢٢- التشييع إلى مرقده الأخير.
٢٢٥- **الفصل الثالث عشر**: رثاء وتعزية.
٢٢٦- مجالس العزاء في مكة المكرمة.
٢٢٧- مقتطفات من كلمات العزاء.
٢٥٠- القصائد المرسلة من المحبين.
٢٥٩- **صور من حياة العالم الشيخ محمد المسعود .**
٢٦٣- **تمهيد**: يشمل المولد والنشأة.
٢٦٣- والده الشيخ مسعود.

٢٦٥- ملازمة الشيخ مسعود للشيخ أبي زلام.
٢٦٧- أولاد الشيخ مسعود.
٢٦٩- **الفصل الأول**: نشأته العلمية.
٢٧٠- السفر إلى الأزهر.
٢٧٥- زواجه وأولاده.
٢٧٧- **الفصل الثاني**: حبه للعلم.
٢٧٨- الحالة العلمية في الباب
٢٨١- **الفصل الثالث** التربية الإيمانية.
٢٨٣- مع الشيخ أبي النصر
٢٨٤- مع الصالحين عموماً
٢٨٥- **الفصل الرابع**: عبادته وتقواه.
٢٨٧- مناجاته.
٢٨٨- صيام النفل.
٢٨٩- **الفصل الخامس**: أخلاقه.
٢٩١- بره لوالديه.
٢٩٢- إنفاقه وكرمه.
٢٩٣- الصدقة الخفية.
٢٩٤- حادثتان مهمتان.
٢٩٧- **الفصل السادس**: فقه الحياة.
٢٩٩- من أخلاقه النادرة.
٣٠٠- فطنته وذكاؤه.
٣٠١- **الفصل السابع**: أخلاقه وشمائله.
٣٠٥- بعض أخلاقه.
٣٠٦- الرفق بالحيوان.
٣٠٨- خلاصة القول.
٣١١- **الفصل الثامن**: هيأته وسمته.
٣١٥- **الفصل التاسع**: رسائله وتحريراته.
٣١٦- رسائله لشيخه أبي النصر.
٣١٩- رسائل الشيخ أبي النصر له.
٣٢٢- رسائل أصدقائه الأزهريين.

٣٢٣- رسائله لأولاده وغيرهم.
٣٢٨- صكوك شرعية.
٣٣١- **الفصل العاشر**: وصاياه.
٣٣٥- **الفصل الحادي عشر**: أسفاره ورحلاته.
٣٣٨- سفر مبارك غريب.
٣٣٩- رؤيا عجيبة.
٣٤١- **الفصل الثاني عشر**: آخر حياته وكراماته.
٣٤٣- وفاته وجنازته.
٣٤٧- **الفصل الثالث عشر**: رثاء الشيخ.
٣٥٤- شعر الشيخ محمد سعيد الغانم.
٣٥٥- **الباب الثالث**: صور من حياة الشيخ محمد سعيد المسعود.
٣٥٧- **الفصل الأول**: الولادة والمنشأ.
٣٥٧- مدينة الباب .
٣٥٩- **الفصل الثاني**: تكوينه العلمي.
٣٦٣- تلقي العلم الشرعي .
٣٦٥- إجازته العلمية وشيوخه في حلب .
٣٦٩- دأبه في مذاكرة العلم.
٣٧١- **الفصل الثالث**: التربية الإيمانية.
٣٧٣- مع الصالحين.
٣٧٥- **الفصل الرابع**: مع العلم والتعليم .
٣٧٦- التدريس في المعبدية.
٣٧٧- الزواج السعيد.
٣٧٩- نشاطه العلمي.
٣٨١- صياد ماهر.
٣٨١- همة عالية.
٣٨٣- **الفصل الخامس**: كيف أسندت الفتوى إليه.
٣٨٥- إسناد الفتوى إليه رسمياً.
٣٨٩- **الفصل السادس**: في مجالات الحياة.

٣٩٧- تعليمه في المدارس الرسمية.
٣٩٧- تعليمه الشباب.
٣٩٨- نشاطاته الإصلاحية.
٣٩٩- المجالات الإجتماعية.
٤٠١- من أجل فلسطين.
٤٠٣- **الفصل السابع**: تلامذته.
٤٠٧- **الفصل الثامن**: نشاطه خارج البلدة.
٤٠٨- خبر غريب.
٤٠٩- **الفصل التاسع**: العالم الأديب.
٤١٨- نماذج من شعره.
٤٢٠- متفرقات من شعره.
٤٢٢- رسائله للشيخ أبي النصر.
٤٢٤- رسائله لأصدقائه.
٤٢٥- رسائل إليه.
٤٢٩- **الفصل العاشر**: قطوف من رياض أخلاقه.
٤٣١- الذوق الأدبي.
٤٣٤- عودة لأخلاقه الحميدة.
٤٣٤- بره لوالديه.
٤٣٦- إكرامه للوافدين.
٤٣٩- **الفصل الحادي عشر**: الرحلة الأخيرة.
٤٤٠- رثاؤه.
٤٤١- خبر وملاحظة.
٤٤٤- الوحدة الإسلامية في حياة الشيخ.
٤٤٩- رثاء الشيخ بكر الرجب له.
٤٥١- **الفصل الثاني عشر**: التوقيع عن رب العالمين.
٤٥٢- حكم اجتماع ليلة النصف من شعبان.
٤٥٦- حكم شراء الراديو.
٤٥٩- الإنابة في الحج.
٤٦٣- ملاحظة.
٤٧٣- فهرس الكتاب.

جدول الخطأ والصواب لكتاب الربانيون الثلاثة

قد وقعت بعض الأخطاء المطبعية رغم التدقيق، فيرجى من القـــارىء الكـــريم تصحيح النسخة قبل القراءة.

الصفحة	الخطأ	الصواب
٧	شجر	شجرة
١٠	كل	كل أزمان
١٠	بداعيها	بداعيها الجديدان
٢٠	اعتقاداً حسناً	اعتقادٌ حسنٌ
٢٦	لمحاسن	المحاسن
٥٢	١٩٣٩	١٩٢٩
٦٣	أضافوه	وأضافوه
٧٨	قد قام	قد أقام
١٣٣	يقبضي	يقبضني
١٣٦	المخخب	المحب
١٣٧	ضنأي	ضناي
١٦٧	ورأو	وزأوا
١٦٨	عل ى الأقدام	على الأقدام
١٧٤	على	إلى
١٨٠	تتأرج	تتأرجح
١٩٠	عينيه	عيناه
٢٠٢	يهيىء	يهيئوا
٢٠٥	لمحبة	المحبة
٢٠٧	ينتع	ينتفع
٢٠٧	ينبغ	ينبغي
٢٣٧	شباب	شباباً
٢٤٠	عنكم	عندكم
٢٤٠	لوجه	الوجه
٢٤٢	إل ى ـــا	إلى ا
٢٤٤	نجاء الحبيب	جاء عن الحبيب
٢٥٠	عزتي في ...	عزتي في سجودي
٢٥٤	والحياة ..	والحياة هباء

٣٥٤	يصاغ..	يصاغ بأسطر
٢٥٦	رجونا ..	رجونا تضرعا
٢٥٦	يسكب..	يسكب أدمعا
٢٨٣	أبي النص	أبي النصر
٢٩٨	ضاعتنا	بضاعتنا
٣٢٦	٦- رسالة	٥- رسالة
٣٥١	أوقتاً	أوقاتاً
٣٦٣	محمد سعيد المسعود	محمد المسعود
٣٦٤	الكبرى	كبرى
٣٦٩	اعلم	العلم
٣٧٢	تزلون ..	تزلون بها
٣٧٢	الساري	الساري برؤيته
٣٧٢	يجليها	يجليها توجهكم
٣٧٣	من ..	من زيارتكم
٣٧٣	فني ..	فني بكم
٣٧٣	والقلب	والقلب تذكار
٣٧٧	لمهمات	المهمات
٣٧٧	السيد	السيدة
٣٩١	الهذيب	التهذيب
٤٠٩	أولئك	أوائل
٤١٣	من ريح	من ريح الخنا
٤١٥	ودقة	ودقة
٤١٥	برقة	برقة
٤١٨	من كل	من كل مكرمة
٤١٩	(وفاطمة الزهراء)	(وفاطم الزهراء)
٤٣٣	أصعّ	أصدّ
٤٤٤	مسألة	في مسألة
٤٤٦	ـــــ	فقال: ويحبوها
٤٤٨	رحمع	رحمه
٤٥٦	إلا	إلى
صفحة الغلاف	عن يمينه الشيخ محمد سعيد	عن يساره الشيخ محمد سعيد المسعود

٣٥٤	يصاغ..	يصاغ بأسطر
٢٥٦	رجونا ..	رجونا تضرعا
٢٥٦	يسكب..	يسكب أدمعا
٢٨٣	أبي النص	أبي النصر
٢٩٨	ضاعتنا	بضاعتنا
٣٢٦	٦- رسالة	٥- رسالة
٣٥١	أوقتاً	أوقاتاً
٣٦٣	محمد سعيد المسعود	محمد المسعود
٣٦٤	الكبرى	كبرى
٣٦٩	اعلم	العلم
٣٧٢	تزلون ..	تزلون بها
٣٧٢	الساري	الساري برؤيته
٣٧٢	يجليها	يجليها توجهكم
٣٧٣	من ..	من زيارتكم
٣٧٣	فني ..	فني بكم
٣٧٣	والقلب	والقلب تذكار
٣٧٧	لمهمات	المهمات
٣٧٧	السيد	السيدة
٣٩١	الهذيب	التهذيب
٤٠٩	أولئك	أوائل
٤١٣	من ريح	من ريح الخنا
٤١٥	ودقة	ودقة
٤١٥	برقة	برقة
٤١٨	من كل	من كل مكرمة
٤١٩	(وفاطمة الزهراء)	(وفاطم الزهراء)
٤٣٣	أصعّ	أصدّ
٤٤٤	مسألة	في مسألة
٤٤٦	ـــــ	فقال: ويحبوها
٤٤٨	رحمع	رحمه
٤٥٦	إلا	إلى
صفحة الغلاف	عن يمينه الشيخ محمد سعيد	عن يساره الشيخ محمد سعيد المسعود

جدول الخطأ والصواب لكتاب الربانيون الثلاثة

قد وقعت بعض الأخطاء المطبعية رغم التدقيق، فيرجى من القـــارىء الكـــريم تصحيح النسخة قبل القراءة.

الصفحة	الخطأ	الصواب
٧	شجر	شجرة
١٠	كل	كل أزمان
١٠	بداعيها	بداعيها الجديدان
٢٠	اعتقاداً حسناً	اعتقادٌ حسنٌ
٢٦	لمحاسن	المحاسن
٥٢	١٩٣٩	١٩٢٩
٦٣	أضافوه	وأضافوه
٧٨	قد قام	قد أقام
١٣٣	يقبضي	يقبضني
١٣٦	المخحب	المحب
١٣٧	ضنأي	ضناي
١٦٧	ورأو	وزأوا
١٦٨	عل ى الأقدام	على الأقدام
١٧٤	على	إلى
١٨٠	تتأرج	تتأرجح
١٩٠	عينيه	عيناه
٢٠٢	يهيىء	يهيئوا
٢٠٥	لمحبة	المحبة
٢٠٧	ينتع	ينتفع
٢٠٧	ينبغ	ينبغي
٢٣٧	شباب	شباباً
٢٤٠	عنكم	عندكم
٢٤٠	لوجه	الوجه
٢٤٢	إل ى ـــا	إلى ا
٢٤٤	نجاء الحبيب	جاء عن الحبيب
٢٥٠	عزتي في ...	عزتي في سجودي
٢٥٤	والحياة ..	والحياة هباء